مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكّمة - نصف سنوية

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب . ليبيا

13

الـ عدد

الثالث عشر

سبتمبر 2016م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ

صدق الله العظيم

(سورة الرعد - آيه17)

هيئة التحريـــر

– د. علي سالم جمعة رئيساً

– د. أنور عمر أبوشينة عضواً

– د. أحمد مريحيل حريبش عضواً

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب /كلية الآداب الخمس، وتنشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم الانسانية.

– كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي هيئة تحرير المجلة ولا تتحمل المجلة أية مسؤلية اتجاهها.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الانسانية

مكتب المجلة بكلية الآداب الخمس جامعة المرقب

الخمس /ليبيا ص.ب (40770)

هاتف (00218924120663 د. على)

(00218926724967 د .احمد)– أو (00218926308360 د. انور)

البريد الالكتروني: journal.alkhomes@gmail.com

صفحة المجلة على الفيس بوك: journal.alkhomes@gmail.com

قواعد ومعايير النشر

-تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة التي تتسم بوضوح المنهجية ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية والانجليزية والدراسات الاسلامية والشعر والأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم الاجتماع والتربية وعلم النفس وما يتصل بها من حقول المعرفة.

-ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

-نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة إلى تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.

-ترحب المجلة بعروض الكتب على ألا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين وأن يذكر الباحث في عرضه المعلومات التالية (اسم المؤلف كاملاً- عنوان الكتاب- مكان وتاريخ النشر-عدد صفحات الكتاب-اسم الناشر- نبذة مختصرة عن مضمونه- تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

ـ يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوى على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في اعداد البحوث.

- يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة ولم يسبق أن نشرت أو قدمت للنشر في مجلة أخرى أو أية جهة ناشرة اخرة. وأن يتعهد الباحث بذلك خطيا عند تقديم البحث، وتقديم إقراراً بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة

في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلا أو جزءاً من رسالة (ماجستير – دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

ـ لغة المجلة هي العربية ويمكن أن تقبل بحوثا بالإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.ـ

– تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط اذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقا محفوظا للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بإشارة إلى المجلة.

–لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية ، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبلَ للنشر أم لم يقبل.

–تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن ان يرسل الى محكم اخر وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

– يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث ويكون القرار إما:

*** قبول البحث دون تعديلات.**

***قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.**

***رفض البحث.**

–تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بآراء المحكمين ومقترحاتهم إذ كان

المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم وبعد موافقة الهيئة على قبول البحث للنشر قبولاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الأخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الأخذ بالملاحظات والتعديلات المطلوبة.

-ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطاؤه اللغوية الحد المقبول.

- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

-الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.

- ترفق مع البحث السيرة علمية (cv) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث ودرجته العلمية ونخصصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الالكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

-تقدم البحوث الى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، او ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.

-اذا تم ارسال البحث عن طريق البريد الالكتروني او صندوق البريد يتم ابلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

- يترتب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه او إبداء رغبته في عدم متابعة

إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

-عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية. ويجب أن يكون العنوان مختصرا قدر الإمكان ويعبر عن هدف البحث بوضوح ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة او المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

-أن يكون البحث مصوغاً بإحدى الطريقتين الآتيتين:_

1:البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيراً قائمة المراجع.

2:البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها لمشكلة البحث مبيناً فيها أهميته وقيمته في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط بما سبقها وتمهد لما يليها، ثم يختم الموضوع بخلاصة شاملة له، وأخيراً يثبت قائمة المراجع.

-يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة(A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة الكترونية على(Cd) باستخدام البرنامج الحاسوبي(MS Word).

– يجب ألا تقل صفحات البحث عن 20 صفحة ولا تزيد عن30 صفحة بما في ذلك صفحات الرسوم والأشكال والجداول وقائمة المراجع .
–يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والانجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

–يُترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الانجليزية و مسافة و نصف بخط Simplified Arabic 14 للأبحاث باللغة العربية.

–في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي في الأسفل بشكل مختصر كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب ويكون الخط بحجم 12.

–يجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع .

طريقة التوثيق:

–يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).

-ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:

اولا :الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد – إن تعددت المجلدات– والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م،ج3،ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

ثانيا: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوبا بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكناني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البودليان باكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثا: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي– مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ/ 1995م، ص179.

رابعا: الآيات القرآنية والاحاديث النبوية:– تكتب الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم الآية. وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.

ملاحظة: لا توافق هيئة التحرير على تكرار نفس الاسم (اسم الباحث) في عددين متتالين وذلك لفتح المجال امام جميع اعضاء هيئة التدريس للنشر.

فهرس المحتويات

عنوان البحث الصفحة

1- أحكام الصلح وأثره في فض النزاعات في الشريعة الإسلامية- والقانون الوضعي.
د. أحمد علي معتوق.....11
2- الهجرة الهلالية وصد الغزوات الصليبية على أفريقية والأندلس 443هـ - 674هـ.

د. إمحمد انويجي غميض.....37

3- أثر الشبهات الشرعية على التمويل بالمرابحة في المصارف الليبية دراسة تطبيقية على عينة من الراغبين في التعامل بالمرابحة المصرفية.

أ. إسماعيل محمد الطوير و أ. نوري محمد اسويسي.....53
4- دور نظم المعلومات التسويقية في تحسين الميزة التنافسية.
د. خالد مسعود الباروني و أ . محمود محمد سعد.....75
5- نظريّة علم الأمراض وأساليب التشخيص عند الأطباء المسلمين.
د. زكيّة بالناصر القعود.....106
6- معيارية الصورة الأدبية قراءة في نقد النيهوم.

د. سالم امحمد سالم العواسي.....130

7- دراسة تحليلية لاتجاهات الأمطار في النطاق الشمالي من ليبيا
للفترة من (1971- 2002).
د.شرف الدين أحمد سالم.....158
8- الاقاليم السياحية بليبيا وامكانية تنميتها.
د.صالحة علي اخليف فلاح.....188
9- التَّرجيحُ بالتَّصْحيحِ عِندَ ابنِ عَقيلٍ في شَرحِ الأَلفِيَّةِ (دراسةٌ وصفيَّةٌ تحليليةٌ).
د. علي محمد علي ناجي.....224

10- الحكم الرشيد "دراسة في المقومات والتحديات ".
د. علي محمد مصطفى ديهوم و أ. عزالدين عبدالحفيظ أبوشينة.....253
11- آيات بين الاستثناء المنقطع و الاستثناء المتصل.
أ.فائزة محمد الكوت.....273
12- الواجب الأخلاقي عند كانط.
د.فوزية محمد مراد.....297
13- التنميط الجنسي في المعاملة الوالدية وتكوين صورة المرأة لدى الطفل دراسية ميدانية.
أ.سعاد علي الرفاعي..... 319
14- دور الأخصائي النفسي بالمدارس الثانوية- الواقع والمأمول.
د. نجاة سالم زريق و د. ربيعة عمر الحضيري.....357
15- الرتبة النحوية وعلاقة الإسناد دراسة لسانية.
د. نجاة صالح محمد اليسير.....371
16-التوزيع الجغرافي للخدمات الصحية الحكومية والخاصة في المرقب ودورها في تلبية احتياجات السكان
د. نورية محمد أحمد أبوشرنتة.....412
17- الاستعارة والمجاز في جزء تبارك "دراسة تحليلية بلاغية".
نورية عمران أبوناجي.....448
18- قراءة في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق النفسي والاجتماعي.
أ.هيفاء مصطفى اقنيبر.....462
19- الأعراف الاجتماعية وعلاقتها بحل النزاعات القبلية في شرق ليبيا "المسار أنموذجا".
د. نصر الدين البشير العربي و أ . أحمد علي دعباج.....493
20 – A Descriptive Analytical Study of the Use of Dictionaries by Fourth-year Students of English at El-Mergib University.
Dr. Mohammed Juma Zagood / Mr. Salahedeen Aboshaina.....512

أحكام الصلح وأثره في فض النزاعات
في الشريعة الإسلامية– والقانون الوضعي

د. أحمد علي معتوق

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فقد أجاز الله للأفراد إنهاء خلافاتهم ونزاعاتهم بكل الطرق ، ومن بينها الصلح الذى حث عليه الشرع الحكيم في عدة آيات من الكتاب الحكيم، على إنهاء النزاعات صلحا حيث قال الله تعالي :{ وَالصُّلْحُ خَيْر}[1] ، فلفظ الصلح هنا عام ومطلق ، يقتضى أن الصلح الحقيقي الدى تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق ، وأن جميع ما يقع به الصلح بين الرجل والمرأة ، من مال أو وطيء لغرض الإقامة فهو خير من الفرقة [2] ، والدليل على ذلك هو الصلح الذى فعله النبي (صلي الله عليه وسلم) مع سودة بنت زمعة ،حيث صالحها النبي ((صلي الله عليه وسلم)) بأن أبقاها ولم يفارقها [3] بعد أن تركت يومها للسيدة عائشة رضى الله عنها ، وقال الله تعالى في آية أخرى {لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوإِصْلاَحٍ بَيْنَ الناس} [4] وقد حثت السنة النبوية على الصلح ، حيث روى عمرو بن عوف المزنى ، رضى الله عنه ، عن الرسول ((صلى الله عليه وسلم)) لا أنه قال : ((الصلح جائز بين المسلمين إلا

---

[1] – سورة النساء ، الآية : 128

[2] – أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الشام للتراث ، بيروت لبنان ،المجلد الثالث، صفحة406

[3] – الإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، المجلد الأول ، صفحة562

[4] – سورة النساء ، الآية : 113

صلحا حرم حلالا ، أو أحل حراما .الخ.)) [1] ، وكذلك المشرع الليبى في السابق قد حث علي إنهاء الخلافات والنزاعات صلحا ، بالقانون رقم 74 لسنة 1975م المعدل بالقانون رقم 4 لسنة 1979م [2]، الذى يتضمن التوفيق والتحكيم بين المتنازعين ، أمام لجان المحلات بالمناطق ، حتى أصبح عرض الصلح شرط أساسى ، فى قبول الدعاوى المدنية ، والتجارية ، والأحوال الشخصية ، ولكنه حاليا لم يفعل ، وهذا يعتبر تقصير من المشرع الليبى ، لأن مثل هذه القوانين تصب فى مصلحة المواطن ، وتقلل من تزاحم القضايا أمام المحاكم ، وكذلك إنهاء النزاع بالصلح فيه نبذ للخلافات الماضية وترجيع العلاقات الودية بين الأطراف ، لأن فيه ترك كل طرف ، لجزء من حقه للآخر، وهذا بعكس الحكم القضائي ، أو التحكيم الشرعي ، فهولا يرضي الطرفين بل يرضي طرف واحد فقط ، وعلبه فالصلح ينتهي جميع الخصومات بين الأفراد سواء كانت مالية ، أو مدنية ، أو جنائية ، ولزيادة التوضيح أكثر ، فقد اخترت هذا الموضوع ، وهو (أحكام الصلح وأثره فى فض النزاعات) ، الذي قسمته الي ثلاثة مباحث، وكل مبحث ينقسم الي مطالب ، حيث تناولت في المبحث الأول : مفهوم الصلح ، وبيان حكمه ، ومشروعيته ، والغرض من تشريعه والمبحث الثانى: يشتمل على خصائص الصلح ، وشروطه ، وأركانه ، و المبحث الثالث : يتناول أقسام الصلح ، والجرائم الجنائية التي يقع فيها الصلح ، وأطرافه والمبحث الرابع يشمل موانع الصلح ، وآثاره ، ثم الخاتمة ، وقائمة المراجع .

المبحث الأول : **مفهوم الصلح ، حكمه ، ومشروعيته ، والغرض من تشريعه**

المطلب الأول : مفهوم الصلح فى اللغة والإصطلاح

أولا– مفهوم الصلح عند أهل اللغة:

---

[1] الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني ، سبل السلام شرح بلوغ المرام ، كتاب البيوع ، باب الصلح ،رقم الحديث 829/1، وهو حديث صححه الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، المجلد الثاني ، صفحة59

[2] – الطعن المدني رقم ، 35/47ق، مجلة المحكمة العليا ، السنة السادسة والعشرون ، العددان الثالث والرابع 1990مص134

الصلح مأخوذ من المصالحة ، أي قطع المنازعة [1] ، وهو مأخوذ من صلح الشيء بفتح اللام وضمها إذا كمل ، فيقال تصالحا إصلاحاً ، والإصلاح ضد الإفساد كالصلوح ، وصلح كمنع وكرم ، وهو صلح بالكسر وصالح وصليح وأصلحه ضد أفسده ، والصلح بالضم السلم [2] ، والصلح يذكر ويؤنث ، وقال ابن عرفة [3] ، الصلح انتقال عن حق ، أو دعوى بعوض ، لرفع نزاع أو خوف وقوعه ، ويقال أيضا ، هو قبض الشيء عن عوض ، فيدخل فيه محض البيع وهو معاوضة عن دعوي ،ومن ثم يخرج عنه صلح الإقرار، لأنه لا يدخل فيه الصلح علي بعض الحق المقر به ، وقال بعض الفقهاء هو عوض ، وبابه دخل أي صلح"[4]"، فقد روي أن كعب بن مالك ، تقاضى من أبى حدود ، دينا له عليه فى عهد النبي – صلي الله عليه وسلم – فى المسجد ، فارتفعت أصواتهما ،حتى سمعهما النبى – صلي الله عليه وسلم – وهو فى بيته ، فخرج حتى كشف سجف حجرته ، فنادى كعب بن مالك ، فقال : يا كعب ، فقال : لبيك يا رسول الله ، فأشار بيده أن ضع الشطر ، فقال كعب : قد فعلت ، فقال: رسول الله – صلي الله عليه وسلم – قم فاقضه[5].

ثانيا : مفهوم الصلح عند فقهاء الشريعة

عرف الحطاب الصلح بأنه : " انتقال عن حق ، أو دعوى بعوض ، لرفع نزاع أو خوف وقوعه" [6] ، وعرفه السيد سابق بأنه : " عقد ينهى الخصومة بين المتخاصمين ، ويسمى كل واحد من المتعاقدين مصالحا ، ويسمى الحق المتنازع فيه مصالحا عنه ، وما يؤديه

---

[1] – أبو عبد الله محمد بن محمد الحطاب ، مواهب الجليل على مختصر خليل ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ج7 / ص3

[2] – الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي ، القاموس المحيط ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، الجزء الأول ، الصفحة 243

[3] – الحطاب ، مواهب الجليل على مختصر خليل ، ج7/ص3

[4] –الشيخ الإمام محمد بن أبى بكر الرازي ، مختار الصحاح، دار المعارف ، القاهرة– مصر ، ص367.

[5]– الحطاب ، مواهب الجليل شرح مختصر خليل ، ج7/ ص3 .

[6] الحطاب ، المرجع السابق ، 3/7 ، و الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ، الشرح الصغير ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى–مصر، الجزء الثانى ، ص 146

أحدهما لخصمه قطعا للنزاع ، يسمى مصالحا عليه أو بدل الصلح [1] " وكذلك الصلح فى نظر الإمام الكاساني بأنه " نزول أو حط أحد الطرفين عن جزء من حقه قبل الطرف الآخر بمقابل ، أو بدل معلوم من الطرف الآخر" ، كما لو ادعى إنسان عليه دين ، فأقر به ، فصالحه على أن يحط عنه البعض جاز[2]. والله أعلم .

ثالثا : مفهوم الصلح عند رجال القضاء

عرفت المحكمة العليا ، الصلح في الطعن المدني رقم 35/107ق بأنه : " عقد يحسم به الطرفان نزاعا قائما ، أو يتوقيان به نزاعا محتملا ، وذلك بأن ينزل كل منهما على وجه التقابل ، عن جزء من إدعائه " [3] ، وكذلك تقول المحكمة العليا ، فى الطعن المدنى رقم 30/19ق ، بأن الصلح ينهى الخصومة والمنازعة بين الخصوم ، ويكون ملزما للطرفين بمجرد التوقيع عليه [4]، وبهذا يختلف الصلح عن الحكم القضائى ، فى عدة أمور، كما هى مبينة فى الصفحة –10 ، 11– من هذا البحث.

رابعا : مفهوم الصلح عند فقهاء القانون

عرف الدكتورعبد الرزاق السنهورى الصلح بأنه : عقد يحسم به الطرفان نزاعا قائما أو يتوقيان به نزاعا محتملا ، وذلك بأن ينزل كل منهما على وجه التقابل عن جزء من ادعائه [5] ". وعرف مأمون سلامه الصلح بأنه : مكنة خولها المشرع للمتهم ، في إسقاط الدعوى الجنائية ، مقابل دفع مبلغ معين ، فى ميعاد معين ، في جرائم معينة "[6]،وعليه يكون الصلح سببا مسقطا لبعض الجرائم ، ولا يكون فى كل الجرائم الجنائية ، بل يكون فى جرائم محددة ، وهى المخالفات ، ومن ثم يصل الباحث ، من جملة هذه التعريفات

---

[1] –السيد سابق ، فقه السنة ، ج3/ ص218

[2] – الإمام علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاسانى – بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع – دار المعرفة –الجزء السادس – ص65.

[33] – مجلة المحكمة العليا ، السنة الثامنة والعشرون ، العددان : الأول والثاني ، سنة 91–92 م، ص 107

[4] –مجلة المحكمة العليا ، السنة الثانية والعشرون ، العدد الثاني ، يناير 1986م، ص89

[5] – الدكتور عبد الرزاق السنهوري ، الوسيط في شرح القانون المدني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، 507/5

[6] – الدكتور مأمون سلامة ، الإجراءات الجنائية في التشريع الليبي ، منشورا ت جامعة قاريونس ، ج1 /ص 261

إلى تعريف للصلح ، من وجهة نظره ، بأنه : عقد يبرم بين طرفى النزاع ، ينهى بينهما الخصومة ، وذلك بتنازل كل منهما عن جزء من حقه للآخر .

المطلب الثاني : : **حكم الصلح ، ومشروعيته ، والغرض من تشريعه**

أولا : حكمه الشرعى–الصلح جائز ، بل هو مندوب بين المسلمين ، إذا لم يحرم حلالاً ،أو يحل حراما"[1]ً ، حيث قال: النبى–صلي الله عليه وسلم – ((الصلح جائز بين المسلمين .الخ)) [2]

ثانيا : مشروعيته ، مشروع ، بالقرآن ، والسنة ، والإجماع .

من القرآن ، قوله تعالى:{ وَالصُّلْحُ خَيْر}"[3]" وقوله تعالى أيضاً ،{لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ الناس }[4]

ومن السنة : هو ما رواه عمر ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال: ((إمضاء الصلح بين المسلمين جائز ، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً))"[5]" وهذا الحديث مرفوع عن عمر، عمر، رضى الله عنه ،وموقوف"[6]"عليه ، والله أعلم .

ومن الإجماع [7]: أجمع المسلمون علي جواز العمل بالصلح ، بدليل أن عمرحث عليه وبالعمل به ، حيث قال : " ردوا الخصوم حتى يصطلحوا ، فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن ". وكان ذلك بمحضر من الصحابة الكرام ، رضي الله عنهم ، ولم ينكر

---

[1] –الإمام أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، المكتبة الأزهرية ، الجزء الثاني ، ص437.

[2] – الصنعاني ، سبل السلام ، المجلد الثاني ، صفحة 59

[3] – سورة النساء – الآية 127.

[4] – سورة النساء – الآية 114.

[5] – الصنعاني – سبل السلام ج3 / ص 59. والشيخ محمد بن على الشوكانى ، نيل الأوطار شرح منتقى الأخيار ، طبعةدار الجيل ، الطبعة الثانية 1344هـ بيروت لبنان ، 269/5.

[6] – ابن رشد – بداية المجتهد ج2– ص437.

[7] – أبو محمد عبدالله بن أحمدبن محمد بن قدامة ، المغنى علي مختصر الخرقى ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولي 1994م بيروت لبنان ،الجزء الرابع ، صفحة 339

عليه أحد ، فكان إجماعا [1]. ويظهر الصلح فى القصاص والدية، وكذلك نرى جواز الصلح مع البغاة أيضا بنص القرآن ، كقوله تعالي : " وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما علي الأخري فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلي أمر الله ...."[2] أى ترجع لأمر الله ، ويسقط الإمام عنهم جميع العقوبات ، ويسوي الخلاف معهم ، بتوفير مطالبهم مقابل رجوعهم إلى ولايته ، وترك الخلاف والفتنة ، وسفك الدماء بين المسلمين، وهذا ما نسمع عنه من محاولات الصلح ، وفض النزاعات بين الدول ، والحركات الإنفصالية ، كالحركات الدينية ،والسياسية وغيرها، فنجد بعض الحكومات ، تستجيب لطلبات تلك الحركات ، وهذا يعتبر صلحاً ، وذلك من أجل ترك الانفصال والحرب . والرجوع إلى حكم الدولة .

ثالثا : الغرض من تشريع نظام الصلح ، فى كل من القانون والشريعة .

أ- **في القانون** ، حيث إن الأصل فى عمل النيابة العامة ، أن تحيل الدعوى الجنائية بعد انتهاء التحقيق فيها إلى القضاء ، ليصدرحكمه فيها ، بالعقوبة المقررة لها وهذا العمل يسبب تزاحم القضايا على المحاكم ، وقد تطول إجراءات الفصل فيها من المحكمة ، وهذا مما دفع برجال الفقه والقضاء ، إلى التفكير في نظام يكفل إنهاء الدعوي الجنائية ، بعيدا عن القضاء [3] ، وهو ما يسمى بنظام الصلح ، سواء كان فى جرائم بسيطة تافهة كالمخالفات ، أو كان فى جرائم كبيرة ، كالقتل ، إذا فأساس تشريع الصلح ، هوالرغبة فى تخفيف العبء على القضاء ، والمتهمين والمجتمع بأسره [4].

---

[1] – الإمام علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني – بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع – دار المعرفة ، جزء 6 – ص 64.

[2]–سورة الحجرات ، الآية : 9

[3] – الدكتور محمد نيازي حتاته ، شرح الإجراءات الجنائية في القانون الليبي ، جامعة قاريونس، بنغازى ، ص84

[4] – الدكتورعوض محمد، قانون الإجراءات الجنائية الليبي، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع ، بنغازي –ليبيا ، ص127

ب- في الشريعة الإسلامية ، فبالإضافة إلى أساس تشريعه فى القانون ، قال الكاساني شرع الصلح للحاجة ، وهي قطع الخصومة والمنازعة [1] ، وما يؤدى إليه التنازع والتشاجر بين الخصوم من فتن ، ويعد مدعاة لوقوع الشر والفساد ، واستمرارا للتباغض والتنافر ، وقطعا للتوادد والتعاطف بين الأفراد، شرع الله الصلح [2] ، كما نضيف أساسا آخر، يقوم عليه تشريع الصلح ، وهو مبدأ التسامح والعفو ، والإصلاح بين المسلمين ، والتى حثت عليه النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية، وبهذا تمتاز الشريعة الإسلامية ، بالعديد من المبادىء والقواعد ، التي تميزها عن النظم العقابية الأخري والتى تعطيها صفة الديمومة والإستمرارية ، وصلاحية التطبيق في كل زمان ومكان ، والله أعلم .

المبحث الثاني : خصائص عقد الصلح ، وشروطه ، وأركانه .

المطلب الأول : خصائص عقد الصلح

يتمتع عقد الصلح بعدة خصائص والتى هي :

1- يعتبر عقد الصلح من العقود الرضائية ، أو عقود التراضي ، فلا يشترط في تكوينه شكل خاص ، بل يكفى لانعقاده توافق الإيجاب مع القبول ، حتى يتم عقد الصلح وهذا التوافق يعبر عن الرضا الصادر من الطرفين .

2- يثبت عقد الصلح بالكتابة ، فالكتابة ضرورية في عقد الصلح ، ولكن هذه الكتابة لإثباته لا لانعقاده ، لأنه عقد يثبت بالكتابة أو بمحضر رسمى [3] ، وذلك لأسباب ترجع إلى الصلح الذى يتضمن اتفاقات ، وشروطا ناتجة عن ثمرة المساومات التى تقع بين طرفى النزاع ، وهذه الشروط والاتفاقات ، إذا لم تثبت بالكتابة ، فتكون محل نزاع مرة أخري .

[1] – الكاساني ، بدائع الصنائع ، 64/6

[2] –عبد الجليل القرنشاوي ، دراسات فى الشريعة الإسلامية ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى–ليبيا ،صفحة431

[3] –عبد الرزاق السنهوري ،الوسيط في شرح القانون المدني ، ج5 / ص 517

3- عقد الصلح من عقود المعاوضة ، لأن فيه كل من الطرفين ، ينزل عن جزء من إدعائه أو حقه ، مقابل نزول الطرف الآخر عن جزء مما يدعيه أو حقه أيضا [1]

4- يعتبر عقد الصلح عقدا كاشفا للحقوق ، أي مبين للحقوق لامنشىء لها ، لأن الحقوق موجودة قبل الصلح ، ووقع عليها نزاع ، فالصلح يبين هذه الحقوق لأصحابها وبهذا يعتبر كاشفا لها لمن يستحقها ، وقد ينزل أصحابها عن جزء منها ، بهذا الصلح فى مقابل إنهاء النزاع أو الخلاف . [2]

5- عقد الصلح اذا أبرمه أحد الأفراد ، مع جهة إدارية عامة ، أو خاصة ، فيخضع للإجراءات المدنية العقدية ، وينظره القضاء المدنى ، ولا يعتبر من القرارات الإدارية . ولا يختص القضاء الإداري [3] بنظره .

6- يعتبر عقد الصلح ملزما للجانبين ، إذ يلتزم كل متصالح بالنزول عن جزء من إدعائه ، نظير تنازل الطرف الآخر عن جزء مقابل ، وكذلك يلتزم كل متصالح من المتصالحين بالبنود، والشروط الواردة بعقد الصلح ولا يخالفها [4]

7- أخذ القانون بمسلك الشريعة ، فى تقييد عقد الصلح بحقوق وجرائم معينة ، فلا يطبق على جميع الحقوق والجرائم ، بل يطبق فى حقوق العباد ، كالقصاص ولا يطبق في حقوق الله ، كجرائم الحدود [5]، وكذلك القانون لا يطبق الصلح في جميع الجرائم الجنائية ، بل يطبق في جرائم معينة ، وهي جرائم المخالفات التي تكون عقوبتها الغرامة ، ولم ينص القانون فيها علي عقوبة الحبس بطريق الوجوب ، أو علي الحكم بشيء آخر غير الغرامة.[6]

---

[1] – السنهوري ، نفس المرجع ، 5/ 582

[2] – السنهوري ، الوسيط في شرح القانون المدني ، 7/ 582

[3] – طعن إداري رقم 30/3ق، مجلة المحكمة العليا ، السنة الرابعة والعشرون ، العددان الأول والثاني ، 87-88م، ص24

[4] ––السنهوري ، الوسيط في شرح القانون المدني ، ، ج5 / ص517

[5]–السيد سابق ، فقه السنة ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ج3 / ص221

[6] – الدكتور مأمون سلامة ، الإجراءات الجنائية فى التشريع الليبي ، ج1 / ص 261

8- كما يختص الصلح المدنى ، ويختلف عن الحكم القضائى فى بعض النقاط والتى منها

1- عقد الصلح ، هو عقد يبرم بين طرفى النزاع ، وبه يحسم الطرفان النزاع القائم بينهما ، أو يتوقيان به نزاعا محتملا فى المستقبل ، بينما الحكم القضائى هوقرارا صادرا من محكمة مشكلة تشكيلا صحيحا ، ومختصة فى الخصومة التى رفعت اليها ، وفق قواعد قانون المرافعات ، سواء كان الحكم صادرا فى موضوع الخصومة ، أو فى شق منها ، أو فى مسألة متفرعة عنها [1]

2- حجية عقد الصلح إذا أثبته القاضى ، أو صدق عليه ، فيعتبر بمثابة قوة السند التنفيذى ، أما الحكم القضائى ، فحجيته هو حجية الشىء المحكوم فيه ، أو الأمر المقضى به ,

3- الصلح يصدر من المحكمة بناء على سلطتها الولائية ، أما الحكم القضائي فيصدر من المحكمة بناءا على سلطتها القضائية [2]

4- يطبق عند الإخلال بالتزامات عقد الصلح ، أحكام المسؤولية العقدية ، باعتبار العقد شريعة المتعاقدين ، بينما يطبق فى حالة عدم الإلتزام بالحكم ، المسؤولية الجنائية – المتمثلة في العقوبة .[3]

5- عقد الصلح المبرم بين الأفراد ، تختص بنظر منازعاته المحاكم المدنية بينما الصلح المبرم من قبل المحكمة ، فتختص بنظره تلك المحكمة التي أصدرته ، مدنية كانت ، أم جنائية .

المطلب الثاني:: شروط عقد الصلح

وحتى يكون الصلح صحيحا ، يشترط فيه شروط معينة ، وهذه الشروط هى:

---

[1] –الطعن المدنى رقم 35/107ق ، مجلة المحكمة العليا ، السنة الثامنة والعشرون ، العددان الأول والثانى ، 91-92م ، ص 107

[2] –الطعن المدنى رقم 35/107ق ، نفس المرجع ، ص107

[3] – نفس الطعن ، ونفس المرجع ، ص 107

1. أن يكون العوض فيه مالا متقوماً ، فإذا كان الصلح بمال غير متقوم ، فلا يجوز كما لو تم الصلح على خمر ، أو خنزير ، لأنهما ليسا بمال متقوم [1].

2- أن يكون حقا من حقوق العباد ، التي يجوز الإعتياض عنه ،ولو كان غير مال كالقصاص[2] ، أما حقوق الله، فلا صلح فيها ، فمثلا لو صالح الزانى ، أو السارق أو شارب الخمر ممن أمسكه ، ليرفع أمره إلى الحاكم ، علي مال ليطلق سراحه ، فان الصلح لا يجوز ، لأنه لا يصح أخذ العوض في مقابلته ، ويعتبر أخذ العوض في هذه الحالة ، بمثابة رشوة .[3]

3. أن يكون البدل معلوماًعلماً نافياً للجهالة، سواء كان مالاً، أو عيناً،لأن البدل المجهول،لا يجوزالصلح به ، وان أجازه الحطاب في حالة عدم المقدرة علي معرفته [4].

4. أن يكون مملوكا للمصالح ، حتى اذا صالح على مال ، ثم استحق من يد المدعى لم يصح الصلح ، لأنه تبين أنه ليس مملوكا للمصالح ، فلا يجوز فيه الصلح [5].

5-أن تكون فيه دعوي أو خصومة ، فاذا لم توجد خصومة لايوجد صلح [6]

6-أن توجد نية للصلح ، عند إجراء الصلح ، وإلا فهو كناية عن البيع .

7-أن يكون معلوما : لأن جهالة البدل تؤدى إلى المنازعة ، فتوجب فساد العقد .[7]

وعليه لابد من توافر هذه الشروط في الصلح حتى يكون صحيحاً ، ومنتجاً لآثره فى سقوط الخصومة"[8].

8-أن تكون للعاقدين أهلية كاملة ، تجيز لهما مباشرة العقد الذى يتم بمقتضاه الصلح [1].

---

[1] الكاساني بدائع الصنائع ، ج6/ ص76

[2] -السيد سابق ، فقه السنه ، ج3 / ص221

[3] – السيد سابق ، نفس المرجع ، ج3 / ص 221

[4] – الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد الحطاب ، مواهب الجليل علي مختصر خليل ،دار الكتب العلمية ، ج7/ص4

[5] – الكاسانى ، بدائع الصنائع ج6/ ص76 .

[6] – الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، الأشباه والنظائر ، دار الشام للتراث ، ،ص 553

[7] – الكاسانى نفس المرجع ، ونفس الصفحة .

[8] -محمد أبو زهرة ، العقوبة فى الفقه الإسلامى ، دار الغرب الإسلامى ، ص587 وما بعدها.

وزاد فقهاء القانون فى الصلح الجنائى علي هذه الشروط شرطين وهما :

1-أن يقوم المتهم بدفع مبلغ المخالفة ، المحدد فى القانون إلى خزينة المحكمة

2- أن يكون الدفع فى خلال عشرة أيام ، تحسب من يوم عرض الصلح عليه [2].

المطلب الثالث : أركان عقد الصلح

أركان الصلح ثلاثة "[3]" وهي :

1- التراضى

2- المحل

3- السبب

أ—الرضا : وسنبدأ بركن التراضى ، ونبين شروط إنعقاده وشروط صحته

أولا شروط الانعقاد وهى توافق الإيجاب والقبول [4]

باعتبار عقد الصلح من عقود التراضى ، فلابد فى انعقاده من وجود التوافق بين الإيجاب والقبول معا ، وهما المعبران عن إرادة طرفى العقد ، واتفاقهما النهائى وقيل الإيجاب والقبول يكونان بكل لفظ ينبيء على المصالحة ، كأن يقول المدعى عليه " صالحتك على المئة التى لك عندى على خمسين " ويقول الآخر

" قبلت " [5] ومتى تم الصلح ، أصبح عقدا لازما للمتعاقدين ، فلا يصح لأحدهما أن يستقل بفسخه بدون رضا الطرف الآخر ، لأن عقد الصلح يمرعادة بمفاوضات طويلة ، ومساومات ، وأخذ ورد ، ولا يجوز الوقوف عند مرحلة من مراحل التفاوض فى الصلح ، مادام الاتفاق النهائى لم يتم من الطرفين ، لأن هذا التفاوض هو تعبير عن الإرادة ، وأن

---

[1] – عبد الجليل القرنشاوى ، دراسات في الشريعة الإسلامية ، ص432

[2] – مأمون سلامة ، الإجراءات الجنائية فى التشريع الليبى ، الجزء الأول ، صفحة 268 .

[3] –عبد الرزاق السنهورى ، الوسيط فى شرح القانون المدنى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت لبنان ، جزء 5 / ص521

[5] –السيد سابق ، فقه السنة ، المكتبة العصرية ، الطبعة 2000م ، بيروت لبنان ، المجلد الثالث ، ص 219

ما ينتجه هذا التعبير هو الأثر الناتج من عقد الصلح. الذى يكون من أحد الطرفين أو وكيله الخا ص [1] .

ثانيا شروط الصحة : وتنحصر شروط الصحة فى الأهلية والخلومن عيوب الرضا .

أولا – الأهلية

كما نعلم بأن الأهلية التى يجب توافرها فى المتصالحين ، حتي يكون الصلح صحيحا ، هى أهلية التصرف بعوض ، لأنه نزول بمقابل عن حق مدعى به فهو يتمثل فى نزول أحد المتصالحين ، عن جزء من ادعائه ، في نظير نزول الآخر عن جزء مقابل ، وتظهر هذه الأهلية فى البالغ الرشيد ، الذى لم يحجر عليه ، فهو الذى يتمتع بأهلية العاقدين [2] ، التي يكون فيها العاقدان متمتعين بالصفات ، التى تسوغهما شرعا مباشرة عقد الصلح ، علي جميع الحقوق ولهذا فالصبى المميز ، أوالمحجور عليه ، ليست له أهلية التصرف فى أمواله فلا يملك الصلح فيها ، ويجوز لوليه إذا كان أب أن يصالح على حقوقه ، وإذا كان الولى هو الجد ، أو كان وصيا ، أى نائبا عن القاصر ، فلا يجوز له الصلح إلا بإذن من المحكمة ، مع العلم بأن ولاية الوصى أوسع من ولاية الجد

ثانيا : عيوب الرضا

يشترط في عقد الصلح ، أن يكون هذا العقد خاليا من عيوب الرضا ، فيجب ألا يكون مشوبا بتدليس ، أو إكراه ، أوغلط ، أواستغلال ، وشأن عقد الصلح شأن العقود الأخري ، فاذا شاب الرضا أحد هذه العيوب التى ذكرت ، كان الصلح باطلا ، أو قابلا للإبطال [3].

ب—المحل أو بدل الصلح ، وهو المصالح عليه 4

فمحل الصلح هو الحق المتنازع فيه ، وهونزول كل من الطرفين عن جزء مما يدعيه فى هذا الحق ، ويجب أن يتوافر فى محل الصلح ، أن يكون المحل موجودا ، وأن يكون

---

[1] – السنهوري ، المرجع السابق ، 523/5

[2] – مصطف حد الزرقاء، المدخل الفقهي العام ، مطبعة جامعة دمشق ، المجلد الأول ، صفحة 330

[3] السنهورى، الوسيط فى شرح القانون المدنى ، 536/5–537

[4] – السيد سابق ، فقه السنة ، ج3 / ص218

ممكنا ، وأن يكون معينا ، أو قابلا للتعيين ، ويجب أن يكون مشروعا ، فلا يكون مخالفا للنظام العام .[1]

ج—السبب في عقد الصلح

سبب الصلح ، هو الغرض المباشر الذى من أجله يكون التزام المدين ، وعليه يكون سبب التزام كل متصالح ، هو نزول المتصالح الآخر ، عن جزء من ادعائه ومن الفقهاء من يجعل سبب الصلح ، هو حسم نزاع قائم ، أو محتمل "[2]" فاذا لم يكن هناك نزاع ، أو كان النزاع قد حسمه حكم نهائى ، فالصلح يكون باطلا لإنعدام السبب [3].

وقال بعض فقهاء الشريعة ، باعتبار الصلح نوعا من أنواع العقود ، فتكون أركانه كالآتى [4] :

"أ " **العاقدان** ، فقد يكون كل طرف منهما شخصا منفردا أو متعددا ، وقد يكون العاقدان أصليين ، أو نائبين عن غيرهما فى العقد ، كالوكيلين والوصيين وقد يكون أحدهما أصيلا عن نفسه ، والآخر وكيلا ، أو فضوليا عن غيره .

"**ب**" **محل العقد** ، أو المعقود عليه ، فهو مايثبت به أثر العقد وحكمه وذلك كالمال فى عقد البيع ، والعوض فى عقد الصلح ، والموهوب فى عقد الهبة .

"**ج**" **موضوع العقد** ، وهو المقصد الأصلى الذى شرع العقد لأجله [5] ومن الفقهاء من جعل أركان الصلح ،أربع "1"

1- مصالح (بفتح اللام) وهو طالب الحق .

2- مصالح (بكسر اللام) وهو المطالب بأداء الحق .

---

[1] – السنهورى ،الوسيط فى شرح القانون المدني ، ج5 / ص 523

[2] –السنهورى ، الوسيط في شرح القانون المدني ج5 / ص560

[3] – السنهورى ، ا نفس المرجع ، ج5 / ص560

[4] – مصطفى أحمد الزرقاء ، المدخل الفقهى العام ، مطبعة جامعة دمشق ، الطبعة السادسة ، الجزء الأول ، صفحة 299

[5] مصطفي أحمد الزرقاء ، المدخل الفقهي العام ، مطبعة جامعة دمشق ، الطبعة السادسة ، الجزء الأول ، صفحة299

3- - مصالح عنه وهو الحق المطلوب .

4- مصالح عليه وهو بدل الصلح .

5-- صيغة وهى الإيجاب والقبول.

المبحث الثالث : أنواع الصلح،والجرائم التى يجوز فيها ،وأطرافه

المطلب الأول : أنواع الصلح [1]

يتنوع الصلح إلى الأنواع الآتية :

1-أن يكون جعالة ، كقوله : صالحتك من كذا على رد عبدى [2]

2- أن يكون خلعا ، كقولها : صالحتك من كذا على أن تطلقنى طلقة ،أوتتركنى مقيمة[3]

4- أن يكون معاوضة عن دم العمد ، كقوله : صالحتك من كذا على ماأستحقه عليك من قصاص بنفس ، أو طرف

5- أن يكون فداء ، كقوله للحربى : صالحتك من كذا على إطلاق هذا الأسير

6- أن يكون إجارة ، كقوله : أصالحك علي سكنى الدار، أو شيء من منافعها سنة

7- أن يكون هبة ، كقوله أصالحك من العين على بعضها

8- أن يكون إبراء ، كقوله : أصالحك من الدين على بعضه

9- أن يكون عارية ، كقوله : أصالحك إعارة على سكناها لمدة سنة

10--أن يكون بيعا ، كقوله أصالحك من العين المدعاة على عين أخرى

11-أن يكون سلما ، كقوله أصالحك بأن تجعل عين المدعاة رأس مال سلم

12-أن يكون بين أهل العدل وأهل البغى[4] ، عند الخروج على الإمام

---

[1] - الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ص489

[2] - الإمام السيوطى ، الأشباه والنظائر، ص489

[3] - الإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، المجلد الأول، ص552.

[4] -ابن قدامة ، المغني ، ج4 / ص 339

13-أن يكون الصلح بين الزوجين ، إذا خيف الشقاق بينهما ، كأن أصالحك على الرجوع بعدم ضربى ، أو أصالحك على أن تعاملنى معاملة حسنة الخ.

المطلب الثاني : الجرائم التي يجوز فيها الصلح

يجوز الصلح فى جميع المعاملات المدنية ، والأحوال الشخصية ، كما هى مبينة فى أنواع الصلح ، ويطرح سؤال ، هل يجوز الصلح فى الجرائم الجنائية ؟ للإجابة على ذلك نقول : يجوزالصلح أيضا فى جرائم الاعتداء على الأشخاص ، كالقصاص والدية وغيرها ، لأن أغلب جرائم الصلح تكون فى حق العبد ، لا فى حق الله ، فلا يصح الصلح فى حد الزنا ، أو السرقة ، أو شرب الخمر، كالمصالحة على عدم رفعه للإمام في مقابل مبلغ مالى معين ، لأن هذه الجرائم من حقوق الله ، وحق الله لا يجوز فيه الصلح ، لأن المصالح بالصلح متصرف فى حق نفسه ، إما باستيفاء كل حقه ، أو البعض منه ، أو بالمعاوضة ، وفى غير حقه لا يجوز له فيه الصلح ، وكذلك فى حد القذف ، وإن كان فيه حق للعبد ، فحق الله فيه مغلب[1] ، هذا على رأي الحنفية ، أما على رأى الحنابلة والشافعية ، ورواية عن مالك [2]، فهو حق للعبد ، يجوز فيه الصلح والعفو[3] ، وكذلك يكون الصلح في جرائم القصاص،الواقعة في الأطراف ، أو في النفس. وكذلك يجوز الصلح في القتل الخطأ ، وقال ابن الحاجب في كتاب الديات ، لو أقر الرجل بالقتل الخطأ ولم تقم بينة ، فصالح الأولياء على مال ، وظن ذلك أنه يلزمه فالصلح جائز ، وقداختلف عن مالك فى الإقراربالقتل الخطأ ، فقيل على المقر فى ماله وقيل على العاقلة بقسامة ، فى رواية ابن القاسم وأشهب "[4]" وكذلك القانون الجنائى لايسمح بانهاء الدعوى الجنائية بنظام الصلح ، الا في جرائم محددة ، وهى المخالفات فقط ، فلا يدخل

[1] – الكاساني بدائع الصنائع – الجزء السادس – ص76 وما بعدها.

[2] – الحطاب ، مواهب الجليل ، 412/8

[3] – المقدسي شمس الدين – ت763 – الفروع الجزء السادس – الطبعة الثانية 1379. دار مصر للطباعة – ص93.

[4] – الحطاب ، مواهب الجليل ، ج7 / ص 17

الصلح فى جرائم الجنايات ، ولا فى الجنح بوجه عام ، غير أنه يجوز إستثناء إنهاء بعض جرائم الجنح صلحا ، بنص خاص من القانون[1] .

المطلب الثالث : أطراف الصلح :

يتم الصلح سواء كان الصلح قانونيا ، أو شرعيا بين أحد الأطراف الآتية :

1—يتم الصلح بين الطرفين المتنازعين مباشرة ، أى يكون الصلح بين المعتدى والمعتدى عليه ، وهما أطراف النزاع ، بدون وكالة ، أو فضولية من أحد ، فيتفقان على انهاء النزاع صلحا .

2— يتم الصلح بين أحد أطراف النزاع ، مع وكيل عن الطرف الآخر .

3—قد يقوم بالصلح ، وكلاء عن أطراف النزاع ، بموجب وكالة رسمية ، أو غير رسمية ، كأن يتفق آباء المتنازعين على إنهاء الخصومة ، أوالنزاع بين أبنائهم

4—أجاز الفقهاء إجراء الصلح من الفضولى "[2] " سواء كان من طرف واحد ، أو من الطرفين ، وبه قال ابن فرحون فى تبصرته [3] ، ويجوز للرجل أن يصالح على غيره بوكالة ، أو بغير وكالة ، مثل أن يقول رجل لرجل ، هلم أصالحك من دينك الذى على فلان بكذا ، فإذا فعل ، فقد تم الصلح .

المبحث الرابع :أدلة الصلح ، وأقسامه ،

المطلب الأول : أدلة إثبات عقد الصلح

يثبت عقد الصلح بعدة أدلة [4]، والتى منها :

1—الكتابة : يثبت عقد الصلح بالكتابة ، وهى الأصل فى إثبات العقود وسواء كانت هذه الكتابة ، فى محضر رسمى ، أو غير رسمى ، لأن الغرض من ذلك ، هى إثبات

---

[1] –عوض محمد ، قانون الإجراءات الجنائية الليبي،ص 127

[2] –الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمدالمعروف بالحطاب ، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، ج7/ ص5

[3] ––مواهب الجليل –للحطاب ج7/ص5

[4] – الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ، الشرح الصغير ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، مصر ، الطبعة الأخيرة 1952م ، الجزء الثانى ، الصفحة 149

بنود التصالح ، فى ورقة يتم الرجوع إليها ، إذا وقع أى خلاف بين المتصالحين فى بنود الاتفاق .

2ـــالبينة : وهي (شهادة الشهود) أى شهادة الأفراد الحاضرين لمحضر الصلح أو الاتفاق ، وهذه الشهادة مثل الكتابة ، فى إثبات الحقوق، والشهادة مطلوبة بنص القرآن إذا توافرت شروطها ، حيث يقول الله تعالى ((واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء)) " [1].

3ـــالقرائن : يثبت أحيانا الصلح بالقرائن ، إذا تخلفت الكتابة والبينة ، مثل العفو ، ومناقلة الشيء بالشيء ، والسكوت عن رفع الأمر إلى السلطان فترة من الزمن ، رغم العلم بالحق ، أوبمرتكب الجريمة ، وبهذا السكوت يسقط الحق فى رفع الأمر، باعتبار رضائه به ، ورد الشيء إلى صاحبه وغيرها من قرائن الإصلاح بين المتنازعين . [2]

المطلب الثاني : أقسام الصلح

أولا التقسيم الشرعي للصلح

ينقسم الصلح عند الفقهاء ، من حيث الإقرار، والإنكار ، والسكوت عنه ، إلى ثلاثة أقسام هى :

القسم الأول : صلح على الإقرار

اتفق الفقهاء على جواز الصلح على الإقرار ، وأنه يراعى فى صحته ، كما يقول مالك [3]" مايراعى فى صحة البيوع ، ويفسد به ماتفسد به البيوع ، من أنواع الفساد .

القسم الثاني : صلح عن سكوت

والصلح عن سكوت : هو أن يدعى شخص على آخر عينا ، أو دينا ، أو منفعة ،فيسكت المدعى ، فلا يقر ، ولا ينكر ، وحكمه قال الجمهور بجوازه[4]

القسم الثالث: صلح علي الإنكار

---

[1] – سورة : البقرة ، الآية : 281

[2] ––السنهوري ، الوسيط فى شرح القانون المدني ، ج 5/ ص527

[3] –ابن رشد ، بداية المجتهد ، ج2/ ص 437

[4] –السيد سابق ، فقه السنة ،، ج3 / ص 222

اختلف الفقهاء فى جواز الصلح على الإنكار إلى رأيين هما :

قال أصحاب الرأي الأول : وهم جمهور الفقهاء ، بجواز الصلح على الإنكار[1] والسكوت ، لأن فيه عوضا ، وهو سقوط الخصومة واندفاع اليمين عنه مثل رجل ادعى فى دار رجل دعوى ، فصالحه على مئة ذراع منها ، فهو جائز ، لأن الصلح على الإنكار ، مبنى على زعم المدعى [2] ، أما المثال الذى لايجوز فيه الصلح وهوأن يدعى إنسان على آخر بدراهم ، فينكرها ثم يصالحه بدنانير مؤجلة ، فهذا لايجوز عند الإمام مالك وأصحابه ، وإن قال أصبغ إنه جائز [3] ، وقال البعض الآخر : يجوز الصلح فى الإقرار والإنكار معا وضرب مثلاً لمن أنكر دين الألف دينار، جاز مصالحته بخمسمئة دينار إلى أجل ، واستبعد ابن القاسم الأجل فى ذلك[4].

قال أصحاب الرأي الثاني : وهو لبعض الفقهاء بعدم جواز الصلح علي الإنكاروالسكوت "[5] لأنه بدون عوض ، وفيه أكل أموال الناس بالباطل وهذا حرام ، ولايجوز الصلح بالحرام . والله أعلم

منشأ الخلاف هو حصول الصلح بدون عوض [6]

قالت الشافعية ، الصلح فى الإنكار يكون بدون عوض وهذا فيه ربا ، وأما المالكية فقالت بجوازالصلح حتى فى الإنكار[7] إن حصل فيه عوض ، فسقوط الخصومة واندفاع اليمين عنه ، يكون عوضا ، وهذا جائز ، وقيدت المالكية فساد عقد الصلح بفساد العقود

3- السيد سابق ، نفس المرجع ونفس الصفحة

[2] – الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد السرخسى ، المبسوط ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ج29 / ص 245

[3] – ابن رشد ، بداية المجتهد ، ج2 / ص438

[4] – أبو اسحاق ابراهيم بن حسن ابن عبد الرفيع ت733هـ معين الحكام على القضايا والأحكام – الجزء الثانى– دار الغرب الإسلامى– طبعة 1989 م ، بيروت لبنان ، ص557.

[5] – ابن رشد ، بداية المجتهد ، ج2/ ص 437

[6] – ابن قدامة ، المغنى ، 339/4

[7] – ابن رشد ، بداية المجتهد ، ج2/ ص438

، وهو حصول العوض من عدمه ، فان حصل الصلح بدون عوض ، فهو ربا ، وهذا فاسد وباطل بالإتفاق والله أعلم .

الترجيح والاختيار

يعتبر الرأى الأول هو الراجح ، لأن الصلح يقع على الإقرار والإنكار معا ويكون بعوض ، وليس فيه ربا ، وهذا جائز ، فان حصل فيه ربا فالجميع متفقون على تحريمه ، والله أعلم .

ثانيا: التقسيم القانوني للصلح :

قسم فقهاء القانون الصلح إلى قسمين ، صلح عام ، وصلح خاص [1]

فالصلح العام : يكون فى جميع المخالفات ، التى لم تتضمن الحبس الوجوبى أوعلى الحكم بشيء آخرغير الغرامة ، والواردة في قانون العقوبات العام .

أما الصلح الخاص : فهو ماينص عليه المشرع ، فى قوانين خاصة ، كغرامة التهرب الضريبى وغيرها ، وأن الأثر المترتب على كلا القسمين ، هو سقوط الجريمة ، وانقضاؤها بالصلح ، الذى يؤدى إلى انقضاء الدعوى العمومية .

المبحث الخامس : موانع الصلح ،وآثاره

المطلب الأول : موانع الصلح

موانع الصلح سبعة موانع ، أجملها الشيخ الدردير [2] فى البيتين الآتيين :

موانع الصلح جهل حط ضع ونسا تأخير صرف وتسليف بمنفعة

بيع الطعام بلا قبض فجعلتها سبع عليك بها تحظى بمعرفة [3]

فاذا حصل جهل بالمصالح به ، أو بالمصالح عليه ، فلا يجوز الصلح ويعتبر باطلا ، ومن ثم لا يجوز الصلح بمجهول ، سواء كان الجهل بالجنس ، أو بالقدر ،أو بالصفة ،

---

[11] – الدكتور ،مأمون سلامة ، الإجراءات الجنائية في التشريع الليبي ج1 / ص262

[2] – الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ، الشرح الصغير، مطبعة مصطفي البابى الحلبى ، مصر ، ج2 / ص149

[3] – الشيخ أحمد الدردير ، الشرح الصغير ، الجزء الثاني ،ص149

لأنه بيع وإجارة ، أو إبراء ، فلابد من تعيين ماصالح به [1] ، ولا يجوز الصلح بالطعام قبل قبضه ، كما لو سلم شيء يخالف الطعام أودفع له شيء آخر نظير الطعام ، فلا يجوز ، ولا يجوز الصلح فى تأخير الدين مقابل منفعة ، كأن يدعى شخص على آخر بعشرة دنانير ، فينكرها المدعى عليه ، ثم صالحه المدعى ،على أن يؤخرها عنه لمدة شهر، مقابل ترك اليمين ، فإنه لا يجوز ، لأن فيه تسليفا بمنفعة فالسلف يتمثل فى تأخير الدين لمدة شهر، والمنفعة تتمثل فى سقوط اليمين أى سقوط اليمين المنقلبة عليه ، وكذلك الصلح بربا النسيئة لا يجوز، لأن الربا هو الزيادة بدون مقابل، أى بدون عوض علي أصل الدين ، أى إجراء الصلح بزيادة معينة عن مبلغ الدين [2] وزاد الشيخ الكاسانى بعض الموانع وإن أعدها من المبطلات للصلح ، والتي نجملها فى الآتى :

1- لحوق المرتد بدار الحرب .
2- موته على الردة عند أبو حنيفة، لأن تصرفات المرتد، موقوفة عنده على الإسلام.
3- أوالحوق بدار الحرب .
4- أوالموت [3] .
5- الرد بخيار العيب والرؤية ، لأنه يفسخ العقد لما علم .
6- والإقالة بمعنى معاوضة المال بمال فكان محتملا للفسخ [4].
7- موت أحد المتعاقدين .
8- هلاك ماوقع الصلح على منفعته ، كهلاك حيوان ، أودار، أو بيت [5]..الخ.

وذكر فقهاء القانون الجنائى ، مجموعة موانع للصلح ، والتى هى:

1- فلايجوز الصلح فى الجنايات .

2- الدردير ، المرجع السابق ، ج2/ ص148 .

[2] - الشيخ أحمد بن محمد الصاوي ، بلغة السالك لأقرب المسالك ، ج2 / ص148-

[3]- الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج6/ ص86

[4] - الشيخ أحمد الدردير ، الشرح الصغير ، 148/2

[5]-- الشيخ أحمد الدردير ، الشرح الصغير ، 148/2

2- ولا يجوزفى الجنح بصفة عامة ، إلا ماستثني بنص خاص .

3- وأيضا لايجوز فى المخالفات التى تكون عقوبتها الحبس الوجوبي

4- ولا يجوز الصلح فى المخالفات إذا نص القانون علي عقوبة للمخالفة غير عقوبة الغرامة .

5-ولا يجوز الصلح إذا كانت المخالفة من مخالفات اللوائح الخاصة بالمحال العمومية

6-ولا يجوز الصلح ، إذا كان الشخص الذي وقعت عليه المخالفة ، قد حكم عليه فى مخالفة أخرى ، أودفع قيمة الصلح فى خلال ثلاثة أشهر السابقة ، على وقوع المخالفة المنسوبة اليه [1]

المطلب الثاني :: آثار الصلح

يترتب على الصلح الآثار الآتية :

1. الصلح ينهى الخصومة والنزاعات بين الأطراف ، ولهذا وصف جنسه بالخير[2]

2. يكون الصلح ملزماً للمصالح وحده والمصالح معه ، ولا يكون ملزما للغير، إلا إذا كانوا طرفا فيه ، أما إذا لم يكونوا طرفا فيه ، فلا يكون ملزما لهم .

3-الصلح يكون مرضيا للطرفين ، بعكس الحكم القضائي، فإنه مرض لطرف دون آخر

4-إذا تعدد أصحاب الحق المصالح فيه ، وتم الصلح من أحدهم ، فقد سقط حق باقي الشركاء بالصلح ، لإشتراكهم فى الحق المصالح فيه ، لأن حكم الصلح كحكم العفو فإذا صدر العفو عن القتل من أحد الأولياء ، سقط طلب القصاص عن الباقين ، لأنه من يملك العفو يملك الصلح ، وأثر الصلح كأثر العفو فى الإسقاط . "[3] "

5-إذاتم الصلح بين الطرفين فيحقق أثره ، وهوسقوط الخصومة ، ولا يصح الرجوع فيه من أحد الأطراف ، إلا بعد موافقة الطرف الآخر .

---

[1] – المستشار جندي عبد الملك ، الموسوعة الجنائية ، الجزء الثالث ، صفحة 579

[2] – الكاساني ، بدائع الصنائع ، 64/6

[3] – وهبة الزحيلى ، الفقه الإسلامى وأدلته ، دار الفكر المعاصر ، الطبعة الرابعة 1997م ، بيروت لبنان ج7 / ص 5696

6-الصلح فيه تقارب بين الطرفين ، ورجوع العلاقات الودية بينهما ، بعكس التحكيم أو الحكم القضائى فلا يحققان ذلك .

7-الصلح لايصدر إلا من كان صاحب أهلية ، أى يتمتع بالأهلية الكاملة ، عن نفسه ،أو عن غيره ، أما إذا صدر من ولى الصغير ، أو من المجنون ، أو من الحاكم ، فقد اتفق الفقهاء على عدم جوازه على غير المال ، ولا على أقل من الدية ، لأنه لايملك اسقاط حقه ، ولأنه تصرف لامصلحة للصغير فيه "[1]" .

8- يعتبر الصلح مثبتا للحقوق ، فلو ادعى شخص على آخر بحق فى دار مثلا وصالحه هذا الأخير ، بأن أعطى له جزء من هذا الحق ، أى أعطاه جزء من الدار فيكون المدعى قد حصل على حق من هذا الصلح .

9-إذا دفع المتهم مبلغا مقابل الصلح ، سقطت الدعوى الجنائية ، ولا يجوز رفعها عليه بعد ذلك

10-ليس لمن أصابه ضرر من الجريمة ، أن يدعى مباشرة أمام المحكمة الجنائية ولكنه يستطيع المطالبة بالتعويض أمام المحكمة المدنية ، إذا أراد طلب التعويض. [2]

الخاتمة

بعد أن تكلمنا عن الصلح ، باعتباره هو سيد حسم النزاعات والخصومات ، ولهذا وصفه الله بالخير ، وحث على العمل به ، فى القرآن والسنة النبوية ، حيث قال الله تعالى ((والصلح خير ....)) [3] ، وقال الرسول -صلي الله عليه وسلم - ((]الصلح جائز بين المسلمين))[4] لأن فى الصلح تقارب بين الخصوم ، باعتباره مثبتا للحقوق ومرضيا للطرفين ، بعكس التحكيم ، والحكم القضائى ، الذى لا ترض الا طرف واحد وحث عليه أيضا المشرع اليبى فى القانون رقم 4لسنة 1979م فى حل المنازعات بين المواطنين وديا قبل الالتجاء إلى القضاء ، وهذا يؤدى إلى تقليل القضايا أمام القضاء

[1] - وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ج7 / ص 5697

[2] - د- عوض محمد ، قانون الإجراءات الجنائية الليبي، ص128

[3] - سورة النساء ، الآية : 128

[4] - الصنعاني ، سبل السلام شرح بلوغ المرام ، المجلد الثاني ، ص 59

وانهاء الخلاف بينهم ، وبالتالي له أهمية فى حياة الإنسان وهذا مما جعلنى نختاره موضوعا للبحث ، والذى بينت فيه أحكام هذا الصلح ، من حيث التعريف والشروط وحكم مشروعيته ، وأركانه ، وخصائصه ، وأقسامه ، وأنواعه ، ومن يقوم به ، وآثاره وبالتالى يكون الصلح فى أغلب معاملات ونزاعات الإنسان ، كالبيع ، والإيجار وغيرها ، وكذلك يكون فى حقوق الأحوال الشخصية كالطلاق والميراث ، وكذلك فى الجرائم الجنائية ، كجرائم القصاص والدية ،ومنه ننتهي الي التوصيات التالية :

1-نوصى كل أفرادالمجتمع بالالتجاء إلى الصلح، فى حل جميع النزاعات والخصومات التى تقع بينهم ، قبل الالتجاء إلى القضاء وغيره ، وذلك تطبيقا لأوامر الشرع الحكيم

2- نوصى الطرفين بالتقيد ببنود الصلح المبرم بينهما ، وعدم مخالفتها لأى سبب كان.

قائمة المراجع

أولا – كتب التفسير

1- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الشام للتراث ،المجلد الثالث .

2- تفسير القرآن الكريم ، للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، المجلد الأول .

ثانيا – كتب الأحاديث

1- سبل السلام شرح بلوغ المرام ، محمد بن إسماعيل الصنعاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، المجلد الثاني

2- نيل الأوطار شرح منتقى الأخيار ، محمد بن على الشوكانى ، طبعة دار الجيل الطبعة الثانية 1344هـ، بيروت لبنان ، المجلد الخامس

ثالثا – كتب اللغة

1- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي ، دار الجيل بيروت لبنان ، الجزء الأول

2- مختار الصحاح ، الشيخ محمد بن أبو بكربن عبدالقادر الرازي ،دار المعارف مصر

ثالثا – كتب الفقه

1- بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، للشيخ علاء الدين أبوبكر مسعود الكاسانى دار المعرفة ، بيروت لبنان ، الجزء الثانى .

3- بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، الإمام ابو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المكتبة الأزهرية للتراث ، الجزء الثاني .

4- بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك ، الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي ، مطبعة مصطفي البابى الحلبى ،طبعة 1952م ، الجزء الثاني .

5- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ، الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار الشام للتراث .
6- الشرح الصغير ، الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأبنائه ، مصر ، طبعة 1952م ، الجزء الثاني .
7- العقوبة فى الفقه الإسلامى ، محمد أبوزهرة ، دار الغرب الإسلامى .
8- فقه السنة ، السيد سابق ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، المجلد الثالث .
9- الفقه الإسلامي وأدلته ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، الطبعة الرابعة 1997م، بيروت لبنان ، الجزء السابع .
10- الفروع ، شمس الدين المقدسي ، دار مصر للطباعة ، الطبعة الثانية 1379،الجزء السادس.
11- كتاب الفقه علي المذاهب الأربعة ، للشيخ عبد الرحمن الجزيري ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الجزء الخامس .
12- المدخل الفقهى العام ، ،مصطفي أحمد الزرقاء ،مطبعة جامعة دمشق الطبعة السادسة ، المجلد الأول .
13- المبسوط ، الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، المجلد الخامس عشر .
14- المغني علي مختصر الخرقي ، الشيخ أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الجزء الرابع .
15- معين الحكام علي القضايا والأحكام ، أبو اسحاق ابراهيم بن الحسن بن عبد الرفيع ، دار الغرب الإسلامي ، طبعة 1989م ، بيروت لبنان ،الجزء الثاني
16- مواهب الجليل شرح مختصر خليل ، الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد الحطاب ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، الجزء السابع .

رابعا -الكتب القانونية

1- الإجراءات الجنائية فى التشريع الليبى، الدكتور مأمون محمد سلامة ، منشورات

جامعة بنغازى ،الجزء الأول .

2- قانون الإجراءات الجنائية الليبى ، الدكتور عوض محمد ، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع ، بنغازى – ليبيا .

3- شرح الإجراءات الجنائية فى القانون الليبي ، الدكتور محمد نيازي حتاته جامعة قاريونس ، بنغازى – ليبيا .

4- الموسوعة الجناية ، المستشار جندى عبد الملك ، المكتبة المصرية ، القاهرة الجزء الثالث .

5- الوسيط فى شرح القانون المدني ،الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، المجلد الخامس .

خامسا – طعون ومباديء المحكمة العليا

1-الطعن إدارى رقم 30/3ق ، المنشور فى مجلة المحكمة العليا ، السنة الربعة والعشرون ، العددان الأول والثانى ، 87-88م .

2- الطعن المدنى رقم 30/19ق –المنشور بمجلة المحكمة العليا ، السنة الثانية والعشرون ، العدد الثانى ، يناير 1986م .

3- رقم الطعن المدني 35/47ق ، المنشور فى مجلة المحكمة العليا ، السنة السادسة والعشرون ، العددان الثلث والرابع ،النوار- ناصر 1990م .

4- الطعن المدني رقم35/107ق ، المنشور فى مجلة المحكمة العليا ، ، السنة الثامنة والعشرون ، العددان الأول والثانى 91-92م .

الهجرة الهلالية وصد الغزوات الصليبية على أفريقية والأندلس 443هـ – 674هـ

د. إمحمد انويجي غميض*[1]

المقدمة

شهد تاريخ الإنسانية عبر مراحله الزمنية والحضارية المختلفة، موجات من الهجرات إلى جميع اتجاهات الأرض، ولعل دوافع الهجرات تعود في مختلف جوانبها إلى أسباب متعددة ومتشابكة، ويمكن تصنيفها إلى عوامل طاردة وعوامل أخرى جاذبة للإنسان المهاجر في مكان آخر يهاجر إليه طوعاً أو اضطراراً، فقد هاجر الإنسان الأول نحو منابع الحياة، ووفرة الطعام، ومع تطور المجتمعات الإنسانية، تطورت دوافع الهجرة من إقليم إلى أخر، منها الحروب والمجاعات، وتزايد عدد السكان مع قلة انتاج الغذاء، إلى غير من عوامل الهجرة الإنسانية لتحقيق حياة أفضل، وتوفر الخدمات والتسهيلات الاجتماعية والصحية، والهجرة من أجل العلم والعمل واكتساب المهارات، وارتفاع مستوى الدخل والإحساس بالأمان وتحقيق الطموحات.

ولقد كانت الهجرة الإنسانية عبر التاريخ تعتمد أسلوبين، أولهما: أسلوب التسرّب السلمي الذي ينتهجه المهاجرون أفراداً وجماعات ويكون أكثر ضعفاً وأقل حيلة تجاه الأقاليم المهاجَر إليها، التي تمتاز بالقوة والتماسك الأمر الذي يجبر المهاجرين على أسلوب التسرّب السلمي لاتقاء صد هجراتهم، وثانيهما: التسرّب المسلح وهو أسلوب ينتهجه المهاجرون عندما يستأنسون في أنفسهم القوة التي تؤسس على ثلاث محددات(العقيدة ، الغنيمة، القبيلة) أو على واحدة منها، ويتجلى ذلك بالسيطرة السياسية للمهاجرين، وتعددت مسميات ذلك النهج واختلفت باختلاف موقع المؤرخ ورؤيته منها (الفتح، والغزو، والحملات....إلخ).

1 *أستاذ مساعد بقسم التاريخ / كلية الآداب - الخمس/ جامعة المرقب.

وتجدر الإشارة إلى أنه كما كان للهجرة سلبيات نفسية وإجتماعية تنعكس على المهاجر، وأخرى اجتماعية واقتصادية وسياسية، تنعكس على سكان الأقاليم المهاجَر إليها، فإن الإيجابيات تفوق تلك السلبيات وهي ذات أهمية أكبر بالنسبة للطرفين، وهذا مايود الباحث التركيز عليه في هذه الدراسة، والتي تتعلق بالجوانب الإيجابية للهجرة الهلالية نحو أقاليم المغرب الإسلامي، وتحديداً أفريقية.

لقد شهد شمال أفريقيا موجات بشرية متعاقبة منذ القدم، ومن كل الإتجاهات تقريباً، ومن بينها الهجرات القادمة من الشرق التي كان تأثيرها الاجتماعي واضح المعالم على التركيبة السكانية، والنواحي الثقافية، ولعل هجرة بني هلال وإخوانهم بني سليم تعد ضمن أهم الهجرات المشرقية لأقاليم المغرب فقد حافظت على إسلامية المغرب وعروبته، وتصدت للحملات الصليبية التي هدفت للسيطرة على المغرب وتنصيره، وهنا يبرز السؤال الإشكالي الآتي:

هل كان للمهاجرين العرب من بني هلال وبني سليم نحو أفريقية دور فاعل في صد الاعتداءات الصليبية المتكررة على سواحل أقاليم المغرب؟

1. الحروب القبلية وتمزق وحدة المغرب:

1.1. حرب القبيلة باسم العقيد (صنهاجة – زناتة)[1]

ما كادت تمضي بضع سنوات على انتقال الفاطميين إلى مصر عام 362 هـ حتى اندلعت الثورات والحروب القبلية بين صنهاجة ولاة الفاطميين على المغرب، وزناتة التي توالي الأمويين في الأندلس، رافعة شعار الاختلافات المذهبية[2]، ولتأصيل الصراع بين زناتة وصنهاجة لمعرفة الأسباب الكامنة وراء هذا الصراع، على الباحث

1 زناتة قبيلة مغربية من قبائل مغاربة الداخل"البتر" ينظر عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ضبط : خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، ج6، ط2 ، (بيروت: دار الفكر، 1988)، ص155.

2 الهادي روحي إدريس ، الدولة الصنهاجية، تاريخ أفريقة في عهد بني مرين، ترجمة: حماد الساحلي، ج 1، (بيروت: دار المغرب الإسلامي، 1992م)، ص 131، وذكر ابن خلدون"ولصنهاجة ولاية لعلي بن أبي طالب، كما لمغراوة (الزناتية) لعثمان بن عفان رضي الله عنهما" ينظر عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1986م)، ص202.

تتبع حركة قبائل زناتة منذ عشية الفتح الإسلامي لأقاليم المغرب، وحتى مجئ القائد (موسى بن نصير) لفتح بقية أقاليمه، إذ بذلك يمكن رؤية المكاسب الاقتصادية التي حققتها زناتة بوضوح، والتي ثارت من أجل الحفاظ عليهاأمام إصرار الفاطميين وحلفائهم بني زيري الصنهاجيون على إنتزاعها[1] فقد كان الفاطميون هم الأسبق في العداء مع زناتة، وبمساعدة صنهاجة، وأخذ ما بيد زناتة من أموال[2] الأمر الذي دفع زناتة لإعلان الثورة على الفاطميين وحلفائهم، والدفاع على مكتسباتهم، وكما هي صفة المعارضات في العصور الوسطى، عليها الولوج لميدان الدين ورفع لواء التكفير في وجه السلطة لتلقى تأييد ومساندة، وتخوض الحرب باسم الدين لتخفي الدافع الحقيقي وراء معارضتها المسلحة ألا وهي (الغنيمة).

إذن هي حرب غنيمة باسم العقيدة التي دارت رحاها بين الفاطميين وحلفائهم من صنهاجة وبين زناتة[3]، وكانت أشدها على الاطلاق كداد عام 347هـ[4] بأفريقية التي وضعت الدولة الفاطمية برمتها على حافة السقوط، ثم ثورتهم في طرابلس عام 390هـ ضد بني زيري الصنهاجيين، واستطاع الزناتيون الاستقلال بإقليم طرابلس، وجرت بينهم وبين صنهاجة حروب طويلة استمرت حتى عام 406هـ[5]حيث بعث (خليفة بن ورو الزناتي) بطاعته إلى (باديس) فقبلها على أن يضمن السابلة ويحفظ عهد طرابلس، وظلت طرابلس تحت سيطرة الزناتيين حتى مجئ العرب الهلالية إلى أقاليم المغرب.

1.2. حرب القبيلة من أجل الغنيمة (صنهاجة – كتامة)[6]

1 أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ح.س. كولان، وليفي بروفنسال، ج1، ط3، (بيروت: دار الثقافة، 1983م)، ص65.

2 ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص206.

3 المصدر نفسه، ص206.

4 ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 243، وكذلك شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الزهواني، ج24 ،(القاهرة: الهئية المصرية العامة للكتاب،1987م)، ص 169.

5 ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص159.

6 كتامة إحدى قبائل المغرب الساحل (برانس) ينظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص195.

يذكر ابن خلدون أن من ضمن أهم أدبيات العصور الوسطى "الدولة بالجند، والجند بالمال، والمال من الرعية[1]" وبما أن الأراضي الزراعية والقصور قد شكلت عمود الاقتصاد في العصور الوسطى، وبما أن دول العصور القديمة والوسطى هي دول ريعية تعتمد على الضرائب والمكوس وخاصة الخراج والعشور في سد حاجتها من المال، ودولة بني زيري الصنهاجية لم تشد عن هذه القاعدة، لذلك عملت على امتلاك الأرض الزراعية عن طريق انتزاعها من ملاكها، أو فرض الضرائب عليها وخاصة الخراج، الأمر الذي لم تكن لترضاه قبيلة كتامة التي يذكر صاحب كتاب العبر عنها بأنها" من أشد القبائل المغربية بأساً وقوة وأطولها باعاً[2]" وتشير المصادر إلى بيان أهمية موطن كتامة من الناحية الاجتماعية الاقتصادية الأمر الذي كان مكمن مطامع كل قوة ناشئة في أقاليم المغرب[3] وعمل الصنهاجيون جدياً بالإستيلاء على موطن كتامة ومؤسساته الاقتصادية، وذلك بتولية عمال عليها لجبي الضرائب، ومصادرة الأموال والأراضي إذا اقتضى الأمر.

وفي عام 376هـ أرسل المنصور بن بالقين عماله إلى بلاد كتامة فجبوا الأموال ولم يكن قبل ذلك يدخل إليها[4] وأعلنت كتامة الثورة على بني زيري الصنهاجيين، ولكنهم هزموا شر هزيمة، وفي عام 379هـ عاد الكتاميون إلى الثورة والقتال مرة أخرى ضد صنهاجة، ووقعت بينهم حروب كثيرة، انهزمت فيها كتامة ووقعت فيها مقتلة عظيمة، وملأت صنهاجة بلاد كتامة بالعسكر، وأقنع له الأراضي، ووزع عمالها فيها[5] فجبوا أموالهاوضيقوا على أهلها[6] وصارت كتامة بعد ذلك كلهم رعايا عبيد للمغارم إلا من

1 ابن خلدون، المصدر نفسه، ج3، ص172.

2 المصدر نفسه، ج6، ص195.

3 أبو صوة، محمود أحمد، ملّاك الأرض بأفريقية منذ الفتح حتى أواسط القرن الرابع للإسلام، مدخل لدراسة نظام أفريقية الاقتصادي والسياسي، (فاليتا: منشورات ELGA ، 2001)، ص67.

4 محمد بن القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، ط3، ، ، (لبنان : : دار المسيرة ، 1993م)، ص99.

5 ابن عداري، المصدر السابق، ج1، ص261، كذلك أحمد بن عبد الوهاب النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط،(من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب)، تحقيق: مصطفى أبوضيف، (الدار البيضاء: دار النشر المغربية، 1985م)، ص284،242.

6 ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص99.

اعتصم بقمة الجبل[1] واستمرت حرب مستعرة بينها وبين القبائل القوية في المغرب من جهة وبين أمرائها المتقاتلين من جهة أخرى حتى تفتت وحدة المغرب، وصار وجهة أطماع الصليبيين في الضفة الأخرى من المتوسط، حتى مجئ العرب الهلالية إلى أقاليم المغرب.

1.3. تمزق وحدة المغرب والأطماع الأوروبية

واجه المغرب الإسلامي فتن وثورات عارمة بُعيد انتقال الفاطميين إلى مصر كما أسلفنا، عصفت بمؤسساته وأسقطت وحدته، وتمزق إلى كيانات عديدة[2] إذ أصبح المغرب الأقصى مقسماً بين عدة متنفذين "فتغلب كل منهم على موضعه كما فعل ملوك الطوائف بالأندلس"[3] فقد أسس بنو يعلي إمارة لهم في تلمسان[4] واستأثر الحماديون بباقي المغرب الأوسط، ونبذوا الدعوة الفاطمية واعترفوا بتبعيتهم لبني العباس في بغداد، وانفرد بنوا خزرون الزناتيون بطرابلس ونواحيها، وبايعوا الأمويين في الأندلس، واقتصر سلطان الباديسيين على ما تبقى لهم من أفريقية[5] وكانت تلك الإمارات في عداء دائم مستحكم، ذلك أن عداء الحماديين لبني عمومتهم الباديسيين، وكلاهما من صنهاجة ينتقل عبر الأجيال، إذ كان في نفوسهم من "الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من أولادهم، يرثه صغير عن كبير"[6].

لقد استنزفت قوى المغرب بشكل عام، وأفريقية على وجه الخصوص، وذلك لتوجهها توجهاً خاطئاً في تلك الفتن والثورات، التي أهلكت الزرع والضرع وأفنت الرجال، ولم تعد تلك القوى قادرة على درء الخطر المتربص بها في الضفة

1 ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص196.
2 ممدوح حسن، العرب الهلالية في أفريقية ودورهم في الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب، الجامعة التونسية، العدد 118/117 - 1981م، ص74.
3 ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص10.
4 ابن خلدون، مصدر متقدم، ج6، ص44.
5 ممدوح حسين، المرجع السابق، ص75.
6 أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج10، ط6، (بيروت: دار صادر، 1995م)، ص،45،44.

الأخرى من المتوسط، حيث تستجمع في تلك الآونة الحركة الصليبية قواها في العدوة الشمالية، استعداداً لشن هجومها الكبير على المسلمين في المشرق والمغرب، والذي عرف في التاريخ باسم الحروب الصليبية[1].

بعد هذا الضعف الذي ألم بالمغرب، بادر االنورمانيون بالهجوم على جزيرة صقلية، والاستيلاء عليها، وانتهاكها من يد بني زيري، وهددوا بالهجوم على المهدية[2] وسقطت (طليطلة) في يد الإسبان، وتكالب العدو على المسلمين في الأندلس[3]، وصارت سواحل المغرب الإسلامي مهددة بالأساطيل الصليبية التي مافتئت تشن غاراتها على موانئ تلك الأقاليم الممزقة، والتي كانت في حاجة ماسة إلى طاقة جديدة، ودم جديد تستجمع به قواها للمحافظة على دينها ووحدتها الثقافية، ومقاومة ذلك العدوان المتكرر، وكان ذلك بهجرة العرب من بني هلال وبني سليم إليها عام 443هـ/ 1051م.

2. الهلاليون وجبهات القتال

2.1. الهجرة إلى أفريقية

قام العرب من قبائل هلال وسليم بالهجرة إلى أفريقية والمغرب، وهي الهجرة التي تمخض عنها انفصال الإمارة الزيدية عن الدولة الفاطمية، فلم يدر بخلد الوزير الفاطمي (اليازوري) الذي كان وراء هذه الهجرة أنه ربما يكون لهولاء البدو دور إيجابي في تاريخ المغرب الإسلامي، فهو لم ير في تهجيرهم سوى الانتقام من المعز بن باديس الصنهاجي، عقاباً له على انفصاله عن الدولة الفاطمية، وذلك بإثارة مزيد من المتاعب في أفريقية وزيادة انقسامها[4].

وأغلب الظن أنه كان يعلم مسبقاً أن هولاء البدو لن يعيدوا أفريقية إلى سلطان الفاطميين لما عرفه عنهم من تعلقهم بالنزعة الاستقلالية، وعدم الانضباط،

1 ممدوح حسين، المرجع المتقدم، ص77.
2 المرجع نفسه، ص67.
3 ابن الأثير، المصدر السابق،، ص151،102 ومابعدها.
4 ممدوح حسين، المرجع السابق، ص76.

وعلى ذلك فإن المكسب الوحيد الذي جناه الفاطميون من تلك الهجرة هو تخلصهم من المتاعب التي كثيراً ما سببها أولئك الأعراب لهم في الجزيرة وفي صعيد مصر[1]

هاجر الهلاليون والسليميون في منتصف القرن الخامس الهجري نحو المغرب، وقد اختلف الكتّاب[2] في تقدير عددهم فإنه يرجح[3] ألا يتجاوز المئتي ألف، وهي نسبة بسيطة إذا عرفنا أن عدد سكان البلاد المغاربية قد قدر في ذلك الوقت مابين الخمسة إلى الستة ملايين نسمة[4]، وكان الهلاليون أول من هاجر إلى أفريقية ثم جاء السليميون وزحزحوا الهلاليين إلى الغرب، ودخلوا في صراع مع بني زيري الصنهاجيين، وبعد هزيمتهم لبني خزرون الزناتيون في طرابلس[5]، وألحق الهلاليون الهزيمة أيضاً بجيش المعز بن باديس في معركة جبل حيدران عام 444هـ / 1052م وسرعان ما اجتاحت قبائلهم سائر أفريقية، وأقام زعمائهم إمارات مستقلة لهم في قابس وصفاقس والقيروان وباجة وقرطاج وبنزرت[6]، إضافة إلى سيطرة بني سليم على كل إقليم طرابلس إذ يذكر الإدريسي، بأن عوف ودباب سكنت من سرت غرباً حتى طرابلس، وسكنت ناحمرة وعميرة ناحية قصر العطش بسرت،، في حين سكنت مرداس ورياح غربي طرابلس حتى قابس[7].

---

1 ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص13.

2 ت. غوتيه، ماضي شمال أفريقيا، ترجمة هاشم الحسيني، (طرابلس : دار الفرجاني، 1979م)، ص298-299.

3 Abdallah. Laroui, *The History of the Maghreb*, (Translated from the French by R. Manhem, (Princeton University Press: New Jersey, 1977), P.149.

4Charles Issawi, *The Area and Population of the Arab Empire: an Essay in Speculation." In The Islamic Middle East, 700-1900.* Studies in Economic and Social History, edited by Abraham L. Udovitch,(New Jersey Princeton: Darwin Press, 198)1, P. 384.

5 عادل جالوتة، امارة بني خزرون في طرابلس الغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من أبريل، الزاوية، 2002م، ص58.

6 أمين توفيق الطيبي، بنو هلال ودورهم في أفريقية والأندلس، مجلة البحوث التاريخية، السنة الرابعة، العدد الأول، الأول، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1985م، ص97.

7 أبو عبد الله محمد الشريف الأدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق المشتاق في إختراق الأفاق، (الرياض: عالم الكتب للطباعة والنشر،1989م)، ص131.

أما المعز بن باديس، فقد انتقل من القيروان إلى المهدية، ولم تعد سلطته تتجاوز الشريط الساحلي القريب منها، ولم يكن العداء وسوء العلاقات بين أمراء بني زيري في المهدية، وزعماء القبائل الهلالية حائلاً دون مبادرة هذه القبائل المهاجرة إلى المشاركة في النجدة والتصدي للحملات الصليبية على سواحل المغرب الإسلامي.

2.2. الهلاليون وجبهة أفريقية

ما كاد يمر عقدين من الزمن على هجرة بني هلال إلى أفريقية حتى تمكن بعض أمراء بني زيري من التفاهم مع بعض قبائلهم، وخاصة بنو رياح الذين شدوا من أزر الدولة الزيرية ونجدتها في الدفاع عن أراضيها، بل ومساعدتها في تنفيذ بعض مشاريعها لتوسيع حدودها، وهذا الأمر مكن أمراء بني زيري من إنجاد مسلمي صقلية في بعض مراحل صراعهم مع النورمان بالحملة التي قادها الأميران (أيوب– وعلي) عام 460هـ /1068م، كما أن بني رياح قد ناصروا الإمارة الزيدية في بداية العدوان الصليبي على أفريقية[1]، والذي استهل بالهجوم الذي شنته المدن البحرية الإيطالية(جنوة – بيزا) على المهدية عام 480هـ/ 1077م، وفي التصدي للنورمان في حصن اليماس قرب المهديةعام 517هـ/ 1122م، وفي الدفاع عن طرابلس الغرب عام 537هـ/ 1142م[2]، واستنجد أهل صفاقس بالهلالية حينما هاجمها أسطول النورمان عام 538هـ/ 1143م[3] مما خيّب آمال المهاجمين في الدخول إلى المدينة، وبعد استيلاء جرجي الأنطاكي قائد الأسطول النورماني على مدينة المهدية بعد عدة محاولات وسيطرته على سوسة وصفاقس وقابس، وتوجهه إلى قليبية لاحتلالها، لكن الهلاليين استماتوا في الدفاع عنها، ودارت بين الفريقين معركة قاسية أسفرت عن هزيمة قائد الأسطول هزيمة نكراء وقتل كثير من جنوده، فعاد إلى المهدية يجر أديال الهزيمة[4] وكان لهذا الانتصار الذي حققه الهلالية أهميته البالغة

1 ممدوح حسين، المرجع السابق، ص77.
2 أمين الطيبي، المرجع السابق، ص98.
3 ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص46.
4 المصدر نفسه.

في تاريخ الغزو النورماني لأفريقية، فقد وضع حداً لأطماع النورمان التوسعية في أفريقية، ولم يجر بعده أي احتلال جديد مهما سوى مهاجمة بونة ونهبها عام 548هـ/ 1153م.

وكما شارك الهلالية في التصدي للاحتلال النورماني، أسهموا أيضاً في معركة التحرير، حينما اشتعلت الثورة على النورمان في مدن أفريقة المحتلة، حيث كان الهلاليون يمدون يد العون لأهلها حتى تحررت صفاقس وقابس وطرابلس من الإحتلال، وساعدوا أهل زويلة وحاصروا المهدية[1]، حتى اضطرت حاميتها إلى الاستنجاد بـ(وليم الأول) فأغاثها وفك النورمان الحصار وقتلوا كثيرا من الهلالية، ليس فقط على أبواب المهدية وإنما على أبواب زويلة التي دافع عنها الهلالية أكثر من دفاع أهلها عليها[2].

وبعد ظهور قوة الموحدين وتوجهها نحو أفريقية رفض الهلالية التحالف مع روجار النورماندي ضد الموحدين على الرغم من الإغراءات التي قدمها لهم قبل موقعة سطيف، فأبوا التحالف مع المسيحيين ضد المسلمين وإن كانوا يناصبون عبد المؤمن العداء[3]، ولم ينته دور الهلالية في مقاومة النورمان بدخول الجيش الموحدي إلى أفريقية عام 554هـ/ 1159م بل إنهم ظلوا في حرب معهم حتى خروج آخر جندي لهم في أفريقية.

2.3. الهلالية والجبهة الأندلسية

لقد عملت دولة الموحدين على استمالة القبائل الهلالية وكسب ودهم وولائهم، فبعد أن انتصر الموحدون على تلك القبائل في معركة سطيف عام 547هـ/ 1152م، لم يحاول أمير الموحدين إذلالهم أو التشفي منهم بعد هزيمتهم، وإنما أكرم أسراهم وأطلقهم بأجمعهم عندما وفد عليه رؤساؤهم إلى مراكش في طلبهم[4]

1 ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص114.
2 ابن الأثير، المصدر السابق، ج11، ص4، وايضاً أبن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص115.
3 Kenneth M. Setton,, A History of the Crusades, Vol.2, (Wisconsin: University of Wisconsin Press .2006), P.28.
4 ابن الأثير، المصدر السابق، ج11، ص186.

وتقرب إليهم حتى كان يخاطبهم ببني العم، فلانت له عريكتهم وبدأوا ينقادون إليه، ولذلك انضمواإلى جيشه حينما زحف لتحرير المهدية من الصليبيين، وعند عودته إلى مراكش صحب معه ألف أسرة من كل بطون الهلالية[1] وأسكنهم في المغرب الأقصى، ويذكر ابن الأثير بأن أمير الموحدين قد صرّ للهلالية برغبته الملحة في إرسالهم للأندلس للجهاد قائلاً " قد وجبت علينا نصرة الإسلام، فإن المشركين قد استفحل أمرهم بالأندلس، واستولوا على كثير من البلاد التي كانت بأيدي المسلمين، وما يقاتلهم أحد مثلكم، فبكم فتحت البلاد أول الإسلام، وبكم يدفع عنها العدو الآن[2]".

وما أن بدأت دولة الموحدين في حشد الجيوش والاستعداد للجواز للأندلس في عام 557هـ/1162م استنفر الهلالية من أفريقية للجهاد فنفروا ثقالاً وخفافاً[3] وعند اشتداد الفتنة في الأندلس وتمت مهاجمة قرطبة من قبل ألن مردنيش مدعوماً من المسيحيين، أرسل الموحدون جيش لإنقاذ المدينة كان قوامه من عرب ترغبة ورياح والثبج، حيث التقى بابن مردنيش وحلفائه المسيحيين في فحص مرسية وكان النصر حليف العرب، وتم سحق جيشه[4]، وظل الهلالية يمدون الجيش الموحدي كلما عزم على الجهاد في الأندلس بآلاف المجاهدين، الذين اشتركوا في معظم المعارك التي خاضها هذا الجيش في ذلك الميدان[5] فقد شكلوا على سبيل المثال فرقة كاملة في جيش الخليفة محمد الناصر بن المنصور يوم العقاب عام 609هـ / 1212م.

وإذا أعدنا إلى الأدهان أن بعض مصادر التاريخ الإسلامي قد قدرت عدد هذا الجيش بستمائة ألف جندي وأنه قد جرى تقسيمه إلى خمس فرق فقط كانت

1 أبوبكر على الصنهاجي البيدق، أخبار المهدي بن تومرت أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، (الجزائر: د.ن،1975م)، ص150.

2 المصدر نفسه

3 على بن عبد الله بن أبي زرع القاسمي، الأنيس المطرب بروض القرطاس وتاريخ مدينة فاس، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م)، ص139.

4 البيدق، المصدر السابق، ص81.

5 ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص117.

الفرقة الهلالية إحداها[1] لجاز لنا تقدير عدد الهلالية في ذلك الجيش بما لا يقل عن بضع عشرات الآلاف، ويفهم من نص أورده ابن عذاري في معرض حديثه عن غزوة المنصور للأندلس عام 585هـ/1189م أن دخول الهلالية إلى الأندلس لم يكن لفترات محدودة يعودون بعد كل غزوة إلى مواطنهم في العدوة المغربية، بل كان هنالك فئات منهم مقيمة ضمن الحاميات الموحدية في تلك الجبهة[2] كما يفهم من نص آخر جاء في رسالة من إنشاء ابن عياش من تلك الرسائل التي أرسلها الخليفة الناصر إلى مختلف الجهات بأخبار فتحه لحصن شلبطرة عام 608هـ/1211م أورد ابن عذاري فصولاً منها أن هولاء الهلالية كانوا أول من يرمى بهم في نحو العدو عند القتال، إذ يقول في وصفه لحصار ذلك الحصن"....إنا قدمنا إليه الأعراب رعيلاً فرعيلا وأطلقناهم عليه قبيلاً فقبيلا، وظهر في بسبطة زهاء أربعمائة فارس فقتلوهم تقتيلا، ثم إنا تحركنا على الأثر في جيوشنا...[3]" وتدلنا وصية المنصور الموحدي لخليفته وأركان دولته حينما حضرته الوفاة بوجوب ملاطفة الهلالية ومداراتهم والإحسان لمن يفد منهم عليهم[4]، على مدى أهمية هؤلاء بالنسبة للدولة الموحدية في جهادها ضد الصليبيين.

وعندما انهارت تلك الدولة في عام 668هـ/1269م، وتمزقت وحدة المغرب الإسلامي من جديد، وورث بنو مرين تركتها في الأندلس المثقلة بالأعباء، وبدأوا يحاولون معالجة القرحة الأندلسية، كان الهلالية المقيمين في المغرب الأقصى خير معين لهم على النهوض بذلك العبء، ففي عام 673هـ/1175م حينما استصرخ ابن الأحمر السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني على النصاري أرسل له ابنه أبا زيان في خمسة آلاف فارس من "أنجاد بني مرين

1 ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص89 (القسم الخاص بالموحدين).
2 ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص234.
3 ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص240.
4 المصدر نفسه، ص208.

وفرسان العرب[1]" نجدة مستعجلة لابن الأحمر، وباشر هو في السعى لعقد الصلح مع يغمراس بن زيان ليتمكن من اللحاق بابنه، وما أن تم ذلك الصلح حتى أعد جيشاً كبيراً كان الهلالية أحد أهم عناصره[2] وجاز به جوازه الأول إلى الأندلس في صفر عام 674هـ/أغسطس 1275م حيث أعاد تدعيم الجبهة الإسلامية في مواجهة النصارى وفتح عدة مدن وقرى وحصون زادت عن الثلاثمائة، وظلوا لبني مرين كما كانوا بالنسبة للموحدين يمدون جيوشهم في الأندلس بآلاف المحاربين حتى انقضاء دولتهم.

وفي تلك الأثناء ظل الهلالية في أفريقية ينهضون بنفس هذا الدور بالنسبة للدولة الحفصية في تصديها للصليبيين، ويتجلى ذلك في مساهمتهم الفعالة في مواجهة الحملة الصليبية التي قادها لويس التاسع ملك فرنسا على تونس عام 669هـ/ 1270م وكانوا من الكثرة وثقل الوزن في الجيش الحفصي بحيث إن خشية المستنصر من انسحابهم من ميدان المعركة إلى ماشيتهم بعد أن طال مقام الصليبيين عما كان متوقعاً، وكان سبباً قوياً في إبرام الصلح مع الصليبيين، كذلك اشتركوا في صد العديد من الغارات الصليبية التي كانت تشن على نواحي أفريقية بعد تلك الحملة لا سيما في الدفاع عن المهدية إبان حملة لويس البوربوني عليها عام 792هـ/1390م التي كانت آخر حملة صليبية كبيرة توجه إلى أفريقية في العصور الوسطى.

الخاتمة

مما تقدم من هذه الدراسة حاولنا توضيح أن العرب الهلالية قد قدموا لأفريقية بشكل خاص والمغرب والأندلس بصفة عامة مصدراً جديداً للقوى البشرية القادرة على خوض الحروب ومواجهة التحديات الصليبية الماثلة في الضفة الأخرى من المتوسط والتي تتحين الفرصة لتحويله إلى االمسيحية وإخضاعه للمركزية الأوروبية بقيادة الكنيسة الكاثوليكية.

1 ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص313.
2 المصدر نفسه، ص314.

من هنا يمكن الإجابة على السؤال الإشكالي الذي بدأت به هذه الدراسة وهو هل كان للمهاجرين العرب من بني هلال وسليم، أو مايطلق عليهم (الهلالية) نحو أفريقية دور فاعل في صد الإعتداءات الصليبية المتكررة على سواحل أقاليم المغرب الإسلامي؟ يمكننا الإجابة بنعم، بل أسهموا بشكل فاعل في إخماد الفتن ودحر الجيوش الصليبية عن الأندلس كما أكدت هذه الدراسة.

كما أننا حاولنا من خلال دراستنا هذه أن نثبت بأن الهجرات الإنسانية من مكان إلى آخر ليست سلبية التأثير في كل الأحوال وإنما قد تكون لها جوانب إيجابية إذا ما تم توظيف المهاجرين في عمليات البناء والتنمية بشكل يليق بإنسانيتهم وليس بحجزهم في السجون والمعتقلات ومعاملتهم معاملة المجرمين وبشكل لا إنساني كما يفعل الأوروبيون اليوم ومن حدى حدوهم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر العربية

- ابن أبي دينار، محمد بن القاسم الرعيني القيرواني المعروف ، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، ط3، ، ، (لبنان : دار المسيرة ، 1993م).
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ، الكامل في التاريخ ، ج10، ط6، (بيروت: دار صادر، 1995م)
- ابن خلدون، عبد الرحمن ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1986م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن ، تاريخ ابن خلدون، ضبط : خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، ج6، ط2 ، (بيروت: دار الفكر، 1988).
- البيدق، أبوبكر على الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، (الجزائر: د.ن،1975م).
- القاسمي، على بن عبد الله بن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس وتاريخ مدينة فاس، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م).
- المراكشي ، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ح.س. كولان، وليفي بروفنسال، ج1، ط3، (بيروت: دار الثقافة، 1983م).
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، (من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب)، تحقيق: مصطفى أبوضيف، (الدار البيضاء: دار النشر المغربية، 1985م).
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب،

تحقيق: حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الزهواني، ج24 ،(القاهرة: الهئية المصرية العامة للكتاب،1987م).

- الهادي روحي إدريس ، الدولة الصنهاجية، تاريخ أفريقة في عهد بني مرين، ترجمة: حماد الساحلي، ج 1، (بيروت: دار المغرب الإسلامي، 1992م).

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

- أبو صوة، محمود أحمد، ملّاك الأرض بأفريقية منذ الفتح حتى أواسط القرن الرابع للإسلام، مدخل لدراسة نظام أفريقية الاقتصادي والسياسي، (فاليتا: منشورات ELGA ، 2001).
- الطيبي، أمين توفيق ، بنو هلال ودورهم في أفريقية والأندلس، مجلة البحوث التاريخية، السنة الرابعة، العدد الأول، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1985م.
- حسن، ممدوح، العرب الهلالية في أفريقية ودورهم في الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب، الجامعة التونسية، العدد 118/117 - 1981مز
- جالوتة، عادل ، امارة بني خزرون في طرابلس الغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من أبريل، الزاوية، 2002م.
- غوتيه، أميل فيليكس ، ماضي شمال أفريقيا، ترجمة هاشم الحسيني، (طرابلس : دار الفرجاني، 1979م).

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Issawi, Charles. “The Area and Population of the Arab Empire: an Essay in Speculation.” In The Islamic Middle East, 700-1900. Studies in Economic and Social History, edited by Abraham L. Udovitch (New Jersey Princeton: Darwin Press, 1981), , pp. 375—96.
- Laroui, Abdallah و The History of the Maghreb, (Translated

from the French by Ralph Manhem, (Princeton University Press: New Jersey, 1977).

- Setton, Kenneth M., A History of the Crusades, Vol.2, (Wisconsin: University of Wisconsin Press .2006).

أثر الشبهات الشرعية على التمويل بالمرابحة في المصارف الليبية

دراسة تطبيقية على عينة من الراغبين في التعامل بالمرابحة المصرفية

أ. إسماعيل محمد الطوير
أ. نوري محمد اسويسي

المقدمة

تعتبر عملية التمويل بالمرابحة للآمر بالشراء من أهم الصيغ والمعاملات التي تعتمد عليها المصارف التجارية في ليبيا اليوم، خاصة بعد صدور قانون منع المعاملات الربوية(*)، والذي تم بموجبه إيقاف التعامل بالفوائد في جميع المصارف الليبية القائمة حالياً، إلاّ أن هناك الكثير من الشبهات والمخالفات التي تدور حول الآلية التي تقوم بها هذه المصارف عند تعاملها بالتمويل مرابحة للآمر بالشراء (المرابحة المصرفية)، الأمر الذي دعا الباحثين إلى تناول هذا الموضوع المهم والهام لجميع المتعاملين مع هذه المصارف للوقوف على عين الحقيقة فيها.

2. المشكلة البحثية:

المصارف التجارية الليبية بطبيعتها هي مصارف تقليدية أخذت على عاتقها التمويل بالمرابحة للآمر بالشراء كغيرها من المصارف الإسلامية والغير الإسلامية في هذا العصر، إلاَّ أن هناك العديد من التساؤلات والشبهات التي تحوم حول الطريقة والخطوات التطبيقية لهذه العملية، الأمر الذي أدى إلى عزوف شريحة كبيرة من أفراد المجتمع الليبي عن التعامل مع هذه المصارف بالمرابحة في الوقت الذي هم في حاجة ماسة للسلع التي تعرضها المصارف حالياً للتعامل، الأمر الذي ضيع عليها فرصة تحقيق أرباح ومكاسب إضافية مهمة بالنسبة إليها.

(*) المؤتمر الوطني العام، القانون رقم (1) بشأن منع المعاملات الربوية، ليبيا، 2013/01/07م.

وتتركز هذه الشبهات والانتقادات حول فتاوى بعض العلماء بتحريم عملية التمويل بالمرابحة المصرفية التي تمارسها هذه المصارف اليوم، وتكمن تساؤلات إشكالية البحث حول هذا الموضوع في التساؤل التالي:

س/ هل للشبهات الشرعية حول عملية التمويل بالمرابحة بأمر الشراء التي تقوم بها المصارف الليبية دور كبير في عزوف الكثير من العملاء الراغبين في التعامل مع المصرف؟ وما هي الإجراءات التي ينصح باتباعها لتفادي تلك الشبهات؟

3. أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان ما يلي:

- التعرف على مفهوم البيع بالمرابحة للآمر بالشراء، ومشروعيته، وشروطه.
- استعراض الشبهات والمخالفات الشرعية حول عملية التمويل بالمرابحة المصرفية للآمر بالشراء.
- بيان الآراء الفقهية والفتاوى حول هذه العملية المصرفية المستحدثة.
- الوصول إلى وضع حل يستند لحكم شرعي لهذا الإشكال.

4. أهمية البحث:

تتضح أهمية موضوع البحث من أن عملية المرابحة للآمر بالشراء هي النشاط الوحيد الذي تتعامل عليه المصارف التجارية الليبية في السابق منذ العام 2009م وحتى الآن، كما أنها تعتبر الصيغة الأكثر انتشاراً في عالم الصناعة المصرفية الإسلامية بالرغم من الانتقادات التي وجهت إليها في العديد من المؤتمرات والندوات، إلا أنه مازال هناك تبايناً واختلافاً واضحاً ما بين المفاهيم النظرية، والتطبيقات المهنية أو العملية لهذه المعاملة.

5. فرضية البحث:

قام الباحثان بصياغة وتحديد فرضية البحث حول المشكلة البحثية للوصول إلى الحقيقة وفقا لما يلي:

H_0: إن عزوف شريحة كبيرة من أفراد المجتمع الليبي عن التعامل مع المصارف

بالمرابحة المصرفية ليس بسبب الشبهات والمخالفات الشرعية.

H_1: إن عزوف شريحة كبيرة من أفراد المجتمع الليبي عن التعامل مع المصارف بسبب الشبهات والمخالفات الشرعية حول التمويل بالمرابحة المصرفية.

6. الدراسات السابقة:

– دراسة **عبدالسلام عبدالله** حول: تجربة مصرف الجمهورية في بيع المرابحة للآمر بالشراء، المؤتمر الثاني للخدمات المالية الإسلامية، طرابلس، 2010م.

وقد أظهرت الدراسة إلى أن هناك قصوراً في اعتماد اللوائح والأدلة الخاصة بهذه الصيغة، وعدم وجود آلية واضحة لانسياب تقارير الرقابة الشرعية والمعالجة المحاسبية، وغياب بعض البيانات والأرقام الهامة لاستخراج المؤشرات التي تساعد على تقييم التجربة ومتابعتها.

– دراسة حول: تطبيق عملية المرابحة في الفقه الإسلامي، المؤتمر الثاني للخدمات المالية الإسلامية، طرابلس، 2010م.

وخلص الباحث نوري بريون إلى أنه يجب أن يبقى العمل المصرفي وسيطاً بين أصحاب الأموال المدخرة وأصحاب الحاجة إلى تمويل المشروعات الإنتاجية، دون الدخول في سوق السلع والخدمات، وأنه من واجبه أن يساعدها في توفير السيولة بجمعها من المدخرين ومنحها لأصحاب المصانع والتجار، وأما ما يتعلق بالسلع والخدمات مثل بيع المرابحة والتأجير التمويلي فيترك للأفراد والشركات لتقوم بها مباشرة للراغبين في هذا الشأن.

7. منهجية البحث:

تناول الباحثان موضوع مشكلة البحث من الجانب التطبيقي لعملية المرابحة للآمر بالشراء كما تقوم بها المصارف التجارية في ليبيا للوقوف على مدى صحة وجود الشبهات والمخالفات في الواقع العملي لهذه المعاملة، بحيث قاما بتجميع البيانات والمعلومات من خلال عملية البحث الوصفي لأنه تم التطرق لوصف ظاهرة معينة، كما

تم استخدام التحليل الإحصائي في الجانب العملي من خلال عملية البحث الاستقرائي الناقص حيث تم مسح جزء من عينة الدراسة عن طريق استمارة الاستبيان.
أما في الجانب النظري فقد اعتمد الباحثان على العديد من المصادر والمراجع من المؤلفات، والمؤتمرات ذات العلاقة، والمواقع الالكترونية حتى تم تغطية المطلوب في هذا البحث.

1.1 المبحث الأول: مفهوم المرابحة للآمر بالشراء:

تقوم المصارف التجارية في ليبيا كغيرها من المصارف بتطبيق المرابحة على طريقتها الخاصة، فقد مارست عملية المرابحة للآمر بالشراء وأطلقت عليها اسم (مرابحة)، فاختلطت الأمور على العملاء، حتى أصبحت المعاملة المستحدثة – والتي نسبت إلى الإمام الشافعي تجاوزاً – بديلاً كاملاً لمعاملة شرعية أصيلة، وتم حذف واستبعاد كلمتي (الآمر بالشراء) من مطبوعات ومنشورات الكثير من المصارف، فوقع العملاء في حيرة من أمرهم بسبب سوء الفهم الناجم عن تصوير (المرابحة للآمر بالشراء) وكأنها المرابحة الشرعية المعروفة (الشعراوي، 2007م، ص411)، وأصبحت هذه المعاملة تمثل أكثر من 90% من الصفقات التي تعقدها المصارف الإسلامية اليوم (وفي ليبيا تصل إلى 99%) نظراً لقلة الجهد الذي يبذله المصرف في تنفيذ مراحلها، وقلة مخاطرها، وبهذا وجدت المصارف التقليدية وغيرها من الإلزام بالوعد في المرابحة ضالتها في الوصول إلى ربح مضمون على نحو ما تحصل عليه من فوائد القروض، واستغنت بها عن المشاركة والمضاربة وسائر الوجوه الأخرى المشروعة للاستثمار (الغرياني، 2009م، ص299).

1.1.1 تعريف المرابحة:

عرف المعيار الشرعي[*] رقم (8) المرابحة بأنها: عبارة عن بيع سلعة بمثل الثمن الذي اشتراها به البائع مع زيادة ربح معلوم متفق عليه، بنسبة من الثمن أو بمبلغ

[*] يهدف هذا المعيار إلى بيان الأسس والأحكام الشرعية للمرابحة للآمر بالشراء والمراحل التي تمر بها عملياتها، والضوابط الشرعية التي يجب على المؤسسة المالية الإسلامية الالتزام بها.

مقطوع سواء وقعت من دون وعد سابق (وهي المرابحة العادية)، أو وقعت بناءً على وعد بالشراء من الراغب في الحصول على السلعة عن طريق المؤسسة (وهي المرابحة المصرفية)، وهو أحد بيوع الأمانة التي يعتمد فيها على بيان ثمن الشراء أو التكلفة (بإضافة المصروفات المعتادة).

كما عرف المعيار المرابحة للآمر بالشراء على أنها: بيع المؤسسة إلى عميلها (الآمر بالشراء) سلعة بزيادة محددة على ثمنها أو تكلفتها بعد تحديد تلك الزيادة (ربح المرابحة) في الوعد، وتسمى المرابحة المصرفية لتميزها عن المرابحة العادية، وتقترن المرابحة المصرفية بتأجيل الثمن مع أن هذا التأجيل ليس من لوازمها، فهناك مرابحة حالية أيضاً، وحينئذ يقتصر البائع على الربح الأصلي دون مقابل الأجل (هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، 2007م، ص122).

2.1.1 مشروعيتها:

بيع المرابحة جائز عند العلماء بنص القرآن، والسنة، والإجماع، وقد صدر في جواز المرابحة المصرفية (الآمر للشراء) العديد من الفتاوى المعاصرة. فمن القرآن تتضح مشروعية المرابحة من قوله تعالى:﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ (سورة البقرة، الآية: 198)، حيث إن المرابحة تمثل ابتغاء للفضل، أي الزيادة، كما أنها تدخل في عموم عقود البيوع المشروعة في قوله تعالى: ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ البَيْعَ**﴾ (سورة البقرة الآية: 275).

وفي السنة أجاز الرسول الكريم ﷺ بيع السلعة بأكثر من رأس المال عندما قال: "إذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم" أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري، وقول الرسول ﷺ: "إنما البيع عن تراض" أخرجه ابن حبان وابن ماجه.

وقد سئل النبي ﷺ: أي الكسب أطيب؟ قال: "عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور" رواه المسعودي عن وائل بن داود.

وقد أجمع علماء الأمة الإسلامية المعاصرون على جواز المرابحة، كما أجاز مجمع الفقه الإسلامي بيع المرابحة للآمر بالشراء إذا وقع على سلعة بعد دخولها في ملك

المأمور، وحصول القبض المطلوب شرعاً، طالما كانت تقع على المأمور مسئولية التلف قبل التسليم، وانتفت موانعه (خصاونة، 2008م، ص89).

فالمرابحة من البيوع الجائزة شرعاً في سائر العصور، ولكن الفقهاء يرون أن بيع المساومة[*] أحب إليهم منها، وتتشابه آراء الفقهاء في كثير من تفاصيل المرابحة (الشعراوي، 2007م، ص382)، غير أن التطبيق العملي لها انحرف كثيراً عن طبيعتها وأصولها الشرعية بسبب أطماع المصارف والقائمين عليها في تحقيق الكسب السريع بشتى الطرق دون اعتبار للأحكام الشرعية، فنسوا وتناسوا بأن المخاطر الحقيقية تكمن في هذا الجانب وليس مخاطر السلعة أو العملاء، لأنها وإن كانت فهي بسيطة متى خلصت النية والعمل.

ونظراً لأن المصارف التجارية في ليبيا وغيرها من المصارف تقوم بممارسة المرابحة بطريقة مستحدثة وهجينة، ومغايرة لما ذكره الأئمة الفقهاء، فقد أصبح من الضروري العودة إلى الأصل من علوم الدين الحنيف وآراء الفقهاء التي لم تخالطها أي مطامع دنيوية زائفة، والالتزام بها حرفيا.

3.1.1 أركان بيع المرابحة:

المرابحة عبارة عن عقد بيع، وعليه يجب أن تتحقق أركانه، والتي تتمثل في:

- الإيجاب والقبول.
- أطراف العقد.
- المعقود عليه.

ولكل ركن من هذه الأركان شروط يجب توافرها حتى يكون العقد صحيحاً، كشرط توافر الأهلية في أطراف العقد، وخلو المتعاقد عليه من الجهالة، ومدى شرعية الانتفاع به... وغيرها (المكاوي، 2012م، ص194).

[*] بيع المساومة: هو بيع السلعة بثمن يتفق عليه دون النظر إلى ثمنها الأول الذي اشتراها البائع به.

ويأخذ التطبيق العملي للتمويل عن طريق المرابحة في المصارف الإسلامية وغيرها صيغة بيع المرابحة للآمر بالشراء (المرابحة المصرفية)، والذي يتكون من وعد بالشراء وبيع مرابحة، ويتضمن ثلاثة أطراف هم (المكاوي، 2012م، ص195):

1- الآمر بالشراء: وهو المشتري الثاني (العميل) الذي يرغب في شراء السلعة.

2- المأمور بالشراء: وهو المشتري الأول (المصرف)، وهو البائع الثاني بعد امتلاك السلعة وحيازتها.

3- البائع الأول: وهو الذي يملك السلعة ويريد بيعها (المورد أو التاجر).

ويشترط في بيع المرابحة هذه ما يشترط في البيوع بصفة عامة، إلا أنه يختص ببعض الشروط الخاصة حتى تكون عملية البيع صحيحة، وهي (المكاوي، 2012م، ص196):

أ- العلم بالثمن الأول (رأس مال السلعة)، وهذا شرط أساسي لصحة بيع المرابحة.

ب- أن يكون البيع الأول (عقد شراء السلعة) صحيحاً، أي أن بيع المرابحة مرتبط بالعقد الأول.

ج- أن يكون مقدار الربح معلوماً للعميل، ومحدَّداً بمبلغ معين أو بنسبة من الثمن الأول.

د- أن يكون رأس المال من ذوات الأمثال (كالمكيلات والموزونات).

هـ- أن لا يكون الثمن في البيع الأول مقابلاً بجنسه من أموال الربا.

4.1.1 الخطوات العملية لبيع المرابحة للآمر بالشراء:

تتمثل الخطوات العملية لبيع المرابحة للآمر بالشراء- والتي يجب اتباعها والقيام بها عند كل عملية بيع يقوم بها المصرف حتى تكون المعاملة صحيحة وسليمة من الناحية الشرعية- فيما يلي (شحاته، 2003م، ص5 – 7):

أولاً: أن يتقدم العميل بطلب شراء سلعة من المصرف: ويوضح فيه رغبته في شراء سلعة معينة وبمواصفات محددة، وبربح يتم الاتفاق عليه بين الطرفين، ولأجل محدد ومعلوم، حتى لا يقع بينهما أي خلاف أو نزاع في المستقبل (خلف، 2006م، ص304).

ثانياً: يقوم المصرف بدراسة طلب الشراء المقدم من العميل، والتحقق من الآتي:

1- صحة البيانات والمعلومات الواردة في طلب العميل.
2- الجوانب الشرعية للتجارة في السلعة المطلوبة.
3- سلامة السلعة من حيث المخاطر والقابلية للتسويق.
4- تكلفة الشراء ونسبة الربح بناءً على الفواتير المبدئية المقدمة من المورد.
5- صحة وسلامة الضمانات المقدمة من العميل.
6- مقدار واقعية ضمان الجدية والأقساط وآجال سدادها.

ثالثاً: التوقيع على نموذج الوعد بالشراء وسداد ضمان الجدية: بعد موافقة المصرف على تنفيذ الطلب المقدم من العميل يقوم المصرف بتحرير نموذج يسمى الوعد بالشراء لإلزام العميل بشراء البضاعة أو السلعة عند ورودها، وهناك خلاف حول هذه المسألة.. هل الوعد بالشراء يكون ملزماً أم لا؟. يرى جمهور الفقهاء المعاصرين أنه ملزم في المعاملات المالية خاصة في هذا الزمن الذي انتشر فيه فساد الذمم، ويطلب من العميل أحياناً بسداد مبلغ من المال يسمى ضمان الجدية.

رابعاً: الاتصال بالمورد والتعاقد معه على الشراء (عقد البيع الأول) وتحقيق التملك والحيازة: يقوم المصرف بعد إتمام الإجراءات السابقة بالاتصال بالمورد والتعاقد معه على شراء السلعة باسمه وتحت مسؤوليته، وهناك عدة أساليب للتعاقد تختلف من سلعة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى، كما أنها تختلف حسب مكان الشراء (محلية أو مستوردة)، ومن أهم البيانات والمعلومات الواجب توافرها في عقد الشراء من المورد ما يلي:

1- تحديد الثمن الأصلي للسلعة من واقع الفاتورة.
2- حساب التكاليف والمصاريف الإضافية المتعلقة بالسلعة حتى تصل إلى مخازن المصرف أو أي مكان يتفق عليه.
3- تاريخ ومكان التسليم والاستلام للسلعة.
4- مخاطر الشراء والنقل والتأمين على السلعة لأنها تقع على المصرف.

كما يجب أن يكون هذا العقد صحيحاً نافياً للشبهات، فإن كان فاسداً لم تجز بيع المرابحة هذه.

خامساً: إبرام عقد البيع بين المصرف والعميل (عقد بيع المرابحة للآمر بالشراء): بعد شراء المصرف للسلعة باسمه وحيازتها والاطمئنان على سلامتها ووجودها في مكان معين لديه، يقوم المصرف بالاتصال بالعميل لإبرام عقد البيع معه مرابحة، ويجب أن يتضمن العقد البيانات والمعلومات التالية:

1- تحديد أطراف التعاقد.

2- بيان ثمن البيع الأصلي والمصروفات الإضافية وقيمة الأرباح من العملية.

3- بيان مقدار ضمان الجدية وقيمة الأقساط والمدة اللازمة للسداد.

4- بيان وتحديد الضمانات التي يقدمها العميل.

1.2 المبحث الثاني: آراء الفقهاء حول التمويل بالمرابحة بأمر الشراء:

قام الباحثان بدراسة استطلاعية على مجتمع الدراسة، حيث تبين أنهم مقتنعون اقتناعاً تاماً بآراء شيخ الإسلام ابن تيميه والشيخ الألباني، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ مقبل، والشيخ ربيع المدخلي، وهم من علماء الأمة الأجلاء – رحمهم الله – ورأى الباحثان أن يطلعا على آراء الفقهاء السالف ذكرهم حول عملية التمويل بالمرابحة بأمر الشراء، حيث تبين أنهم لم يجيزوا العمل عن طريق بيع المرابحة بأمر الشراء بل حرموها، واعتبروا العمل بها من باب التحايل على الربا، ولعل الباحثان ينقلان ديباجة الأسئلة التي وجهت للعلماء الذين سبق ذكرهم، مع فتاواهم وهي كما يلي:

رأي الشيخ ابن عثيمين في مسألة المرابحة للآمر بالشراء.

مسألة المرابحة من المسائل التي ذهب أكثر المعاصرين إلى جوازها، وشرطوا لها بعض الشروط التي هي:

1– أن يملك التاجر السلعة.

2– عدم إلزام الآمر بالشراء.

وبعضهم حكى عدم الخلاف في ذلك أو نحو ذلك وفي هذا نظر !! فقد ذهب ابن عثيمين– رحمه الله – إلى المنع من ذلك، واعتبرها نوعا من التحايل على الشرع.

واستدل لذلك بفعل اليهود حين حرم عليهم الصيد يوم السبت:(وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي

كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ).

وقال (بتصرف) إن التحايل على الشرع يزيد الإثم:

1- إثم المخالفة بفعل المحرم.

2-فعل التحايل.

السؤال: هل استدلال الشيخ موافق للمسألة تماما؟

إن المجيزين للمسألة يقولون إنهم بهذه الشروط تحولت إلى بيع صحيح حيث تملك التاجر السلعة ولا يلزم الآمر.. فقد تحولت إلى بيع شرعي والله تعالى يقول:﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ**﴾ وليس فيها تحايل بهذين الشرطين واستدلوا على ذلك بالآتي:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى خَيْبَرَ فَجَاءَهُ بِتَمْرٍ جَنِيبٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَكُلُّ تَمْرِ خَيْبَرَ هَكَذَا ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَأْخُذُ الصَّاعَ مِنْ هَذَا بِالصَّاعَيْنِ وَالصَّاعَيْنِ بِالثَّلَاثَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَلَا تَفْعَلْ بِعْ الْجَمْعَ بِالدَّرَاهِمِ ثُمَّ ابْتَعْ بِالدَّرَاهِمِ جَنِيبًا. متفق عليه.

فقالوا إن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أرشده إلى بيع صحيح. وقالوا: إن ليس هذا من التحايل إذا تحولت الصورة إلى بيع صحيح. هل من توضيح أكثر من الإخوة لرأي الشيخ محمد– رحمه الله – في أنها تحايل (صورة المرابحة هي أن يأتي شخص لتاجر ويقول له اشتر هذه السلعة (سيارة مثلا) ثم بعها عليَّ بأجل بأكثر من ثمنها مقسطة...).

1.1.2 حكم البنوك الإسلامية:

اعلم– رحمك الله– أن ما يُسَمّى بالبنُوك الإسلامية لا يختلف في الحكم عن البنوك الأخرى فكلهم يتعاملون بالربا!، فلا تغتر بكلمة (إسلامي) بل التحذير من الإسلامية أشد لأنها تتعامل باسم الإسلام ولا تقل لي: أنا لي الظاهر من حالهم. والله أعلم!!

فقد سئل الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي – رحمه الله – هذا السؤال، بعض البنوك يعلن عن نفسه أنه بنك إسلامي ولا يتعامل بالربا فهل يكفى هذا للإيداع فيه أم لابد من البحث

والتأكد من صحة ذلك؟

الجواب: قال الشيخ – رحمه الله –: "لابد من التأكد والبحث عن كون البنك لا يتعامل بالربا".

أقول؛ فأنت مأمور يا عبد الله بالبحث والتحري قبل وضع مالك في هذا المكان –وإن كان مجرد إيداع بدون ربح أو فوائد– حتى لا تقع في إثم الربا أو تعين عليه، وقد لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الآكل والموكل والشاهد للربا فتنبه؛ ولا تقل: أنا لا آكل الربا فلا علاقة لي بهم وما يفعلون!!.

وقد يتساءل البعض ويقول: ما العمل لمن اضطر لوضع المال في البنك الربوي دون أن يأخذ فوائد حتى يستطيع إدارة أعماله التجارية –والتي لا تستقيم إلا بهذا –؟، أو ما العمل لمن خاف على ماله من الضياع والسرقة؟؛ والكثير من الناس قد يحتاج إلى هذا بشدة ولا يجد بديلا آخر غير وضع المال في البنك بغير ربا أو فوائد؟. فأقول: الكثير من أهل العلم يفتي بجواز هذا الأمر من باب أن الضرورات تبيح المحظورات، ولعدم وجود البديل في الكثير من البلاد الإسلامية.

وهذه فتوى الشيخ ابن باز –رحمه الله– في هذه المسألة:

لدي حساب في أحد البنوك بدون فائدة، علماً بأن البنوك تتعامل بالفائدة، هل تكون أموالي دخلت في حكم الربا، وهل علي إثم، وهل أسحب رصيدي من البنوك؟. علماً بأنني أخاف ضياعها.

الجواب: لا حرج عليك في ذلك أن تودع أموالك في البنوك خوفاً عليها، وهذه مسألة ضرورة، فإذا احتجت إلى ذلك فلا حرج بدون فائدة، أما إذا تيسر إيداعها في بنوك إسلامية... فإن ذلك أولى وأحق، فالبنوك الإسلامية يجب أن تشجع، ويجب أن تعان، وإذا وقع منها زلة أو خطأ تنبه على خطأها وتصلح أخطاءها حتى تكون منافسة للبنوك الربوية، وحتى يعتاض المسلمون بها عن البنوك الربوية، ففي إمكانك أن تودعها في البنوك الإسلامية، وتأخذ فائدة شرعية في المعاملة والمضاربة. أما الفائدة المعينة كعشرة في المائة أو خمسة في المائة لا تجوز لا في البنوك الإسلامية ولا في البنوك الربوية

فهي ممنوعة في جميع الأحوال، فليس لأحد أن يأخذ فائدة معينة لا في البنك الإسلامي، ولا من التاجر المعين، ولا في بنك ربوي ولا في غير ذلك، الفوائد المعينة كأن تدفع إلى البنك الإسلامي، أو البنك الربوي، أو التاجر المعين، مائة ألف على أن يعطيك كل شهر أو كل سنة فائدة معينة عشرة في المائة خمسة في المائة هذا لا يجوز هذا من الربا، لكن البنوك الإسلامية تستطيع أن تتصرف في المال بالطرق الإسلامية بالمضاربة وشراء حاجات تبيعها بفائدة، وتجمع الأرباح، وتعطي صاحب المال نصيبه من الربح الذي اتفق عليه، وهو مثلاً نصف الربح، ثلث الربح، خمس الربح، على ما اتفقت عليه البنوك الإسلامية مع صاحب المال، فالحاصل أنه لا حرج في إيداع المال في البنوك الربوية بدون فائدة للضرورة والخوف عليه، لكن إذا وجدت مندوحة عن ذلك بأن تودع مالك عند تاجر لا خطر عنده، أو عند البنوك الإسلامية بدون فائدة أوعلى أن تعمل فيها البنوك الإسلامية بالعمل الشرعي والمرابحة الشرعية، فهذا كله هو الواجب عليك لئلا تشجع الربا وأهل الربا(موقع الشيخ عبد العزيز بن باز www.binbaz.org.sa/mat/13044).

أقول: لقد صرّح الشيخ – رحمه الله– وغيره أن هذا للضرورة فقط، فلا تتساهل في هذا الباب ياعبد الله، وإن وجد عندك البديل فاعلم أنه لا يجوز لك وضع مالك في هذا البنك –ولو بدون فائدة – كما صرح بذلك العلماء، والله أعلم.

ويقول العلامة مقبل الوادعي – رحمه الله تعالى–: ما في الدنيا بنك إسلامي، ما هو إلاَّ صورة!!؛ يقولون: عندنا بنك كم في المائة، قال في المائة خمسة، وهكذا" (السلفية، 2003م، ص163).

كما سُئِل الشيخ مُقبل – رحمه الله – فقيل لهما حكم الإسلام في البنوك الإسلامية الموجودة في السعودية وباكستان والسودان مع أن الشيخ الألباني رحمه الله تعالى يرى أنها بنوك ربوية؟.

فأجاب بقوله: "الأمر كما قال الشيخ الألباني– رحمه الله – لأنهم يأخذون شيئاً زائداً، يقولون هو مقابل عمل العمال، فهي تعتبر بنوكاً ربوية، وقد أفاد إخواننا الذين ذهبوا إلى السودان، أن السودانيين تحيّلوا على الربا بحيلة أخرى، وهي الحيلة التي ذكرت قبل، نريد

مكاتبة فيكتب البنك له إلى التاجر، ويقول له تقيدها على البنك بخمسة عشر ألفاً، وتقيدها على المشتري بعشرين ألفاً، فهو كما يقولون سيدي على وعلى سيدي" (الوادعي، 1993م، ص288).

سؤال: هل يجوز التعامل مع البنوك الإسلامية؟ مع أن بعضها يتحايل على الشريعة ويتعامل معاملات محرمة؟.

الإجابة: المصارف والبنوك التي لا تتعامل بالربا يجوز التعامل معها، وإذا كانت تتعامل بالربا فلا يجوز التعامل معها، وليست بنوكاً إسلامية (فتاوى اللجنة الدائمة (310/13).

قال الشيخ الألباني– رحمه الله– في سلسلة الهدى والنور: "أما الشق الثاني، وهو أستطيع أن أقول: إنها شنشنة في هذا الزمان، يقال: ما هو البديل؟ كلمة سهلة جدا، ولسهولتها يلجأ إليها ضعفاء الناس، والذين ابتلوا بالابتعاد عن هدي القرآن وسنة الرسول– عليه الصلاة والسلام– فهم يريدون البديل أن يحققوه ما بين عشية أو ضحاها، في الأمس القريب كنا في جلسة تحدثنا فيها عن البنوك، والبنوك الإسلامية بخاصة، وبيَّنا أنه لا فرق بين هذه البنوك التي ترفع شعارها الإسلامي، فلا فرق بين بنك إسلامي، وبنك بريطاني، أو أمريكي إطلاقا، لأن النظام واحد لكن مع الأسف قد يكون البنك الذي أعلن بأنه بنك إسلامي أخطر من البنوك الأخرى سواء كان بريطانيا أو أمريكا، ذلك لأن هذه البنوك تتستر بستار الإسلام، فهي تفعل فعل اليهود الذين حُذِّرنا كتابا وسنة من اتباع سننهم، وبخاصة الحديث الصريح المعروف في البخاري في قوله – عليه الصلاة والسلام – "لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه؛ قالوا: اليهود والنصارى؛ قال: فمن الناس".

قلنا: كثيرا ما يتساءلون بمثل هذه المناسبة عن البديل عن هذه البنوك التي نحن ننكرها لما فيها من تعاطي بالربا المحرم كتابا وسنة، يتساءلون ما هو البديل؟، فقلت: وهنا أقول: البديل هو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(الطلاق:2–3)، البديل تقوى الله – عز وجل– ولا شك أن تقوى الله تتطلب قبل كل شيء علما نافعا، وثانيا عملا صالحا مقرونا بالعلم النافع، فلا يُغني عمل صالح عن

العلم النافع، ولا العلم النافع بالذي يُغني عن العمل الصالح، بل لابد من الجمع بينهما، ولكي يستطيع المسلمون أن يقوموا بهذه التقوى التي تتضمن العلم النافع والعمل الصالح، هذا يحتاج إلى جهود جبارة متكاتفة بين أهل العلم الذين يقومون بواجب التعليم والتبليغ للإسلام، وبين واجب العمل بهذا الإسلام من جماهير المسلمين، فحينما يتفاعل عامة المسلمين مع علمائهم، هؤلاء العلماء بنشرهم للعلم، وأولئك بعملهم بالعلم فيومئذ يفرح المؤمنون بنصرالله تبارك وتعالى. بهذا أنهى الجواب عن ذاك السؤال.

البديل إذاً هو العودة إلى الإسلام فهما وعملا. وهذا سؤال طرحه أحد الإخوة وإجابة طويلة مستفيضة من العلامة الألباني رحمه الله.

سؤال: ما رأيكم في البنك الإسلامي؟

فأجاب الشيخ – رحمه الله – وجمعنا به في جنات النعيم. –http://www.fatawa-al...19/hn(19_11).rm

وهنا قد يتساءل البعض: ما هي المخالفات التي تتكرونها في البنوك الإسلامية تحديداً؟!.

أقول: بارك الله فيكم كما قال الألباني والوادعي– رحمهم الله – البنوك الإسلامية لا تختلف عن البنوك الأخرى إلا في المُسمّيات (!) فهم يُلَبِّسُّون على النَّاس بتغيير الأسماء وتسميتها بغير اسمها فمثلاً هم يقولون عن القرض الربوي: (تمويلا!)، ويسمون الفائدة الربوية (ربحا!) وهكذا؛ فباءوا بإثم الربا وإثم التحايل.!

عندنا في مصر على سبيل المثال.. بنك فيصل الإسلامي (زعموا) وبنك التمويل السعودي (البركة حاليا)؛ وقد تعاملت معهم بنفسي فوجدت العجب العجاب. بنك التمويل السعودي يقوم بإعطاء قروض ربوية ويسميها تمويلا (!) من تمويل لشراء سيارة، وتمويل لشراء شقة...إلى تمويل للعمليات الجراحية!! وتمويل لمصاريف دراسة الأبناء في الجامعة!!؛ وإذا سألت عن سداد المبلغ الذي اقترضته وهل عليه فوائد ربويه؟! فيجيبونك إن الربا حرام! فلا فوائد!؛ ويقولون: "ولكن نحن نأخذ أرباحا !! أو رسوما إدارية"!!.

وفي النهاية تأخذ القرض عشرة عشرين ثلاثين ألف وتدفع الزيادة الربوية بالطبع !؛ ولكن تحت بند الربح! أو الرسوم!؛ والله المستعان.

أمّا بنك فيصل فقد ذهبت إليهم طالبا لقرض شراء سيارة (على سبيل الاختبار) فرفضوا وقالوا القرض حرام!؛ وقال لي المسئول هناك اذهب إلى أي معرض سيارات واختر السيارة التي تناسبك واحضر لنا جوابا منهم موجه للبنك، ونحن نعطيك المال لتشتريها منهم، وهذا حلال لأننا هكذا نشتري السيارة منهم ونبيعها عليك بالربح!!.

وكما قال العلامة مقبل رحمه الله: (فهو كما يقولون سيدي على وعلى سيدي) ورحم الله العلامة الألباني فقد صدق وبَرّ عندما قال: إن كلهم سواء، بل البنوك الإسلامية أشرّ!، والله المستعان على ما يصفون.

وقد سمعت عن وجود بعض البنوك الإسلامية –حقا وصدقا– في المملكة العربية السعودية؛ وذُكِر لي أنها لا تستخدم الحيل والأساليب الملتوية، وتراعي الضوابط الشرعية، والله أعلم بحال هذه البنوك؛ والتجربة هي خير دليل على صحة هذه الدعاوى بارك الله فيكم.

قال الشيخ ابن باز – رحمه الله–: لا نعلم مانعاً من جواز الإيداع في مصارف الراجحي، أما البنوك الأخرى فالأحوط عدم الإيداع فيها إلا عند الضرورة لأجل الحفظ فقط، أما المعاملات الربوية فهي محرمة مع كل أحد(مجموع فتاوى ابن باز (152/19)).

وقال رحمه الله: لا حرج عليك في وضع مالك في مصرف الراجحي، أو السبيعي، أو أمثالهما ممن لا يتعامل بالربا.

أما البنوك الربوية: فلا يجوز إيداع الأموال فيها إلا عند الضرورة بدون أخذ فائدة؛ لأن وضعه فيها فيه شيء من التعاون معهم على الربا، وإن كنت لا تقصد ذلك، لكن إذا دعت الضرورة إلى ذلك فلا حرج في وضع المال فيها بدون فائدة؛ لقول الله –عز وجل–: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (مجموع فتاوى ابن باز (418–417/19)).

ويرى الباحثان أن ما يحصل في المصارف الليبية هو أن العميل يحتاج إلى المال النقدي لشراء سلعة معينة، وعندما لا يتحصل على المال فإنه يتوجه الى المصرف للحصول على السلعة بغرض بيعها وليس التملك، ومن هنا يبدأ المصرف والعميل يبحثان عن

السلعة التي تغطي قيمة المبلغ الذي يحتاجه العميل، ثم يحدد العميل نوع السلعة، ويقوم المصرف بدفع قيمة السلعة الى التاجر (صاحب السلعة) ويسلمها الى العميل بعد كتابة ضمانات محكمة تكاد تنعدم فيها المخاطر، وهذا يجعل الأمر أقرب إلى الربا من المرابحة، والله وحده أعلم.

كما يرى الباحثان أن فتوى الشيخ الألباني – رحمه الله– والشيخ مقبل – نفعنا الله بعلمهما – أقرب للصواب، حيث إن التحايل على الربا من قبل المصرف قد أصبح ظاهرًا ومعلومًا للعملاء، ويرجح الباحثان أن الأمر لم يعد في إطار الشبهة بل يدخل في باب التحايل على الربا.

1.3 المبحث الثالث: الجانب العملي

1.1.3 عرض نتائج الدراسة حول التمويل بالمرابحة للآمر بالشراء في المصارف الليبية:

وصف العينة: يتكون مجتمع الدراسة من عملاء المصارف الليبية، حيث وزع الاستبيان على جميع أفراد العينة، وعددهم (250) عميل، وذلك بإتباع طريق الاتصال المباشر للإجابة على الاستبيان، وتوضيح أي استفسار متعلق بالأسئلة المدرجة به لضمان الإجابة على جميع الأسئلة المطروحة فيه، وبعد ذلك تم تدقيق الإجابات للتأكد من ترابطها وعدم وجود تناقض فيها، وتم إهمال عدد (23) استمارة بسبب جهل بعض العملاء بالموضوع والباقي تم إدخالها وتبويب البيانات باستخدام برمجة SPSS، وإيجاد بعض النسب واختبار (T) لمعرفة ما إذا كان هناك علاقة معنوية حول أثر الشبهات الشرعية على التمويل بالمرابحة في المصارف الليبية، كما تم عرض نتائج الدراسة والملخص الخاص بهذه النتائج لاحقا.

2.1.3 اختبار صدق وثبات أداة الدراسة:

من الشروط الواجب توفرها في أداة البحث أن تكون صادقة، حيث يعتبر الصدق من المقومات المهمة التي ينبغي أن يتسم بها الاستبيان، ويعد صادقا عندما يقيس ما وضع

لقياسه، أي أن الصدق هو أن تؤدي أداة البحث إلى الكشف عن الظواهر والسمات التي يجرى من أجلها البحث، وبناء على ذلك وبعد إعداد الاستبيان بصورته الأولية تم استخدام الصدق الظاهري للتأكد من صلاحية الفقرات بعرض هذا الاستبيان على مجموعة من المحكمين.

ويعتبر اختبار ألفا كرونباخ للصدق والثبات من الاختبارات الإحصائية المهمة لتحليل بيانات الاستبيان، وهو اختبار يبين مدى مصداقية إجابات مفردات العينة على أسئلة الاستبيان، ويجب أن تكون قيمته من (0 إلى 1)، ويبين معامل ألفا أيضاً مدى الارتباط بين إجابات مفردات العينة، فعندما تكون قيمة ألفا (0) فإن ذلك يدل على عدم وجود ارتباط مطلق ما بين إجابات مفردات العينة، أما إذا كانت قيمة معامل ألفا واحدا صحيحا فإن ذلك يدل على عدم وجود ارتباط تام بين إجابات مفردات العينة، ومن المعروف أن أصغر قيمة مقبولة لمعامل ألفا هي (0.60)، وأفضل قيمة تتراوح بين (0.70 إلى 0.80)، وكلما زادت القيمة عن (0.80) كان ذلك أفضل، وفي حين ما إذا كانت قيمة معامل ألفا كرونباخ أقل من (0.60) فيتم إجراء حذف الإجابات الأقل ارتباطاً، وذلك باستخدام برنامج SPSS فيتم حذف الأسئلة ذات العلاقة والتي تؤثر في الدراسة حيث تصل قيمة معامل ألفا كرونباخ إلى (0.60) أو أكثر.

وعند تطبيق ألفا كرونباخ على الأسئلة المتعلقة بمتغيرات الدراسة كانت النتائج كما هي موضحة بالجدول التالي:

جدول رقم (1) قيمة معامل ألفا كرونباخ لجميع محاور الاستبيان

ت	القسم	معامل ألفا كرونباخ
1	جميع عبارات الاستبيان	0.82

يتضح من نتائج الجدول رقم (1) أن قيمة معامل ألفا كرونباخ مرتفعة لجميع أسئلة الاستبيان، حيث كانت (0.82)، وبذلك يكون الباحثان قد تأكدا من صدق وثبات استبيان

الدراسة مما يجعله على ثقة بصحة الاستبيان وصلاحيته لتحليل النتائج والإجابة على أسئلة واختبار فرضياتها، وقد تم حذف الجداول الخاصة باستمارات الاستبيان تفاديا لسرد الممل، إلا أننا نذكر أن نسبة 86% من المستجوبين يرون أن عملية التمويل بالمرابحة تعتبر تحايلا على الربا، وقد وصلوا لهذه القناعة عن طريق فتاوى العلماء، والبقية ليس لديهم رأي محدد وتبين أن نسب 63% من المستجوبين يتراوح تعليمهم بين التعليم الثانوي والجامعي، ونسبة 11% من حملة الدراسات العليا الماجستير والدكتوراه، ونسبة 12% من الأئمة والخطباء في المساجد، وهم من الشريحة المهمة في هذا المجال، باعتبارهم ينتمون إلى التيار السلفي، أما النسبة الباقية تبين أنهم من ذوي التعليم المحدود، ويتبعون ما ينقل إليهم من زملائهم.

3.1.3 اختبار فرضية البحث:

جدول رقم (2) يبين قيمة الاختبارات

ت	المتوسط	الانحراف المعياري	اختبار T	Sig
1	2.1706	.28618	41.546	.000

من الجدول رقم (2) يتضح لنا أن قيمه (Sig) تساوي (0.00)، وهي قيمة أصغر من قيمة مستوى المعنوية (0.05) مما يدل على رفض الفرض العدم وقبول الفرض البديل القائل إن: عزوف شريحة كبيرة من أفراد المجتمع الليبي عن المرابحة الإسلامية بسبب الشبهات والمخالفات الشرعية للتمويل، وبذلك تم التأكد من أن الشبهات الشرعية لها تأثير مباشر على عملاء المصارف، حيث اقتنعت شريحة كبيرة من الراغبين في التعامل مع المصارف بطريقة بيع المرابحة بأمر الشراء أن هذه الطريقة غير جائزة شرعا مما أدى إلى ابتعادهم عن التعامل بهذه الطريقة.

4.1.3 النتائـج:

من خلال تحليل فقرات صحيفة الاستبيان توصل الباحثان إلى النتائج التالية:

1- أن الشبهات الشرعية التي تدور حول التمويل بالمرابحة في المصارف الليبية لها تأثير مباشر على قناعة شريحة كبير من المجتمع، وأدت هذه القناعة إلى عزوف شريحة كبيرة من المتعاملين مع المصرف.

2- أن الشبهات الشرعية التي تدور حول التمويل بالمرابحة في المصارف الليبية جاءت من فتاوى علماء الأمة، الذين هم على درجة عالية من العلم الشرعي.

3- عدم اختيار الإدارة الجيدة، وضعف الرقابة الشرعية في إدارة المصارف، وعدم القيام بعملية تجنب الشبهات الشرعية أدى إلى عزوف شريحة كبيرة من العملاء عن التعامل مع المصارف.

4- من مخاطر شبهات المرابحة أن لا يتحمل المصرف المسؤولية تجاه البضاعة سواء هلاك السلعة المشتراة أو أي تلف آخر.

5- مخاطر العجز عن سداد الدين الناجم من التمويل بالمرابحة بأمر الشراء تكاد تنعدم تماماً بسبب كثرة الضمانات التي يشترطها المصرف على العميل مما يجعلها تدخل في دائرة الشبهات الشرعية من ناحية الضمانة في الربح بدون مخاطر.

6- أن جل آراء المستجوبين في مجتمع الدراسة يرون أن الطريقة الحالية التي تعمل بها المصارف الليبية تعتبر تحايلا على الربا وفق آراء العلماء المقتنعين بهم.

7- على إدارة المخاطر تعيين (مسئول مخاطر) تكون لديه خبرة كافية في المجال المصرفي، حيث تبين أن إدارة المصرف لم تهتم بجانب الشبهات الشرعية التي تدور حول عملية التمويل بالمرابحة بأمر الشراء.

8-أهم نتيجة تم التوصل إليها هي إثبات فرضية الإثبات القائلة: (عزوف شريحة كبيرة من أفراد المجتمع الليبي سببه الشبهات والمخالفات الشرعية التي تدور حول التمويل بالمرابحة المصرفية).

5.1.3 التوصيات:

1- ضرورة إجراء تعديلات فورية للطرق التي تتبعها المصارف في التمويل بالمرابحة للتخلص من الشبهات الشرعية التي تدور حول الطريقة المتعامل بها في المصارف

الليبية.

2- أن تتم دراسة آراء العلماء المعترضين على طريقة عمل المصارف الإسلامية، ويجب تنفيذ طلباتهم بغية أن تتقي المصارف الليبية الشبهات الشرعية التي تدور حول التمويل بالمرابحة بشكل خاص، وكذلك عمل المصارف بشكل عام.

3- أن لا يتم وضع ضمانات قطعية على العميل عند إجراء عملية التمويل بالمرابحة بحيث لا يتم فيها ضمان ترجيع الدين بنسبة تكاد تنعدم فيها المخاطر، حيث تبين أن هذه الطريقة تعتبر أحد الطرق للابتعاد عن الشبهة الشرعية.

4- يرى الباحثان أن تقوم المصارف الليبية بشراء السلع المراد بيعها للعميل بالمرابحة، ومن ثم عرضها في السوق قبل حضور العميل بحيث يجدها معروضة أمامه ويختارها، وذلك منعاً للوقوع في الشبهات الشرعية.

5- ضرورة الأخذ بعين الاعتبار كل رأي فقهي في هذا المجال لأن لكل عالم شريحة كبيرة من المجتمع التي تؤيده وتأخذ بآرائه.

6- التأكد من الجانب الخلقي للعميل والتزامه بمبادئ الشريعة الإسلامية، وكذلك الموظفين العاملين بالمصرف يؤدي ذلك إلى فهم الشبهات الشرعية ومن تم الابتعاد عنها.

7- يجب أن تكون هناك دراسات جدوى اقتصادية خاصة بالسلع المراد عرضها بحيث يتم الاستفادة منها في المجتمع الإسلامي، وذلك لأن تمويل بعض السلع لا يخدم الاقتصاد الإسلامي.

8- أن ما ينطبق على عينة الدراسة في ليبيا ينطبق على جميع عملاء المصارف في الدول الإسلامية، خاصة وأن هذه الشبهات جاءت من علماء يشهد لهم بالعلم في أوساط العالم الإسلامي.

9- يجب على إدارة المصارف المحافظة على تنظيم العمل وفق ضوابط الشريعة الإسلامية، حيث إن الإهمال من شأنه أن يؤثر على سلوك العميل ويجعل العملاء ينفرون من التعامل مع المصارف الإسلامية (نتيجة فرضية الإثبات H_1).

المراجـع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: السنة النبوية.

ثالثاً: الكتب:

1. أحمد سليمان خصاونة، المصارف الإسلامية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2008م.
2. أم سلمة السلفية، الرحلة الأخيرة لإمام الجزيرة، دار الآثار للنشر والتوزيع، اليمن، 2003م.
3. الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، قضايا فقهية ومالية معاصرة، دار ومكتبة ابن حمودة للنشر والتوزيع، ليبيا، 2009م.
4. عايد فضل الشعراوي، المصارف الإسلامية – دراسة علمية فقهية للممارسات العملية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007م.
5. فليح حسن خلف، البنوك الإسلامية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2006م.
6. محمد محمود المكاوي، البنوك الإسلامية: النظرية – التطبيق – التطوير، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، مصر، 2012م.
7. مقبل بن هادي الوادعي، قمع المعاند وزجر الحاقد الحاسد، دار الحديث، اليمن، 1993م.
8. هيأة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، البحرين، 2007م.

رابعاً: المؤتمرات:

1. عبدالسلام عبدالله، تجربة مصِرف الجمهورية في بيع المرابحة للآمر بالشراء – دراسة تحليلية تقويمية، المؤتمر الثاني للخدمات المالية الإسلامية، ليبيا، 2010م.
2. نوري بريون، تطبيق عملية المرابحة في الفقه الإسلامي، المؤتمر الثاني للخدمات

المالية الإسلامية، ليبيا، 2010م.

خامساً: المواقع الإلكترونية:

1. موقع الشيخ عبد العزيز بن باز:

http://www.binbaz.org.sa/mat/13044

2. موقع فتاوى اللجنة الدائمة:

http://www.fatawa–al…19/hn(19_11).rm

3. موقع مجموع فتاوى ابن باز:

. Shamela/ index.Php/ book/ 21537 http://www

4. موقع دار المشورة للاقتصاد الإسلامي للشيخ حسين حسين شحاته:

http://www.darelmashora.com/download.ashx?docid=1798

دور نظم المعلومات التسويقية في تحسين الميزة التنافسية

د. خالد مسعود الباروني
أ . محمود محمد سعد

المقدمة:

لنظام المعلومات التسويقية أهمية بالغة في إستقرار وتطور المنظمات الحديثة في بيئتها الديناميكية المتسارعة الوتيرة , حيث المعلومات أساس التنافس والنمو السوقي وإنجاز المهام وتحقيق الأهداف القريبة والمتوسطة وبعيدة المدى بكفاءة وفاعلية. إن النظام الفعال للمعلومات التسويقية يمكن المنظمة من التعامل مع البيئة بأسلوب أكثر واقعية ودقة مما يمكنها من تحقيق الإستجابة السريعة لتحركات المنافسين وتلبية حاجات ورغبات المستهليكين.

هذه الدراسة تمحورت حول دور المعلومات التسويقية التي هي نتاج نظام المعلومات التسويقية في تحسين الميزة التنافسية في حالة دراسية من القطاع النفطي الليبي.

أولاً: الإطار العام للدراسة:

مشكلة الدراسة:

من خلال الدراسة الاستطلاعية التي قام بها الباحثان بالشركة محل الدراسة ، واستطلاع وجهات نظر بعض أفراد عينة الدراسة من مدراء إدارات ورؤساء أقسام حول مدى قدرة الشركة على مجاراة الاستمرارية في ظل البيئة التنافسية ومتغيراتها ، ومدى فاعلية نشاط الشركة في ظل المتغيرات البيئية ، ودخول العديد من الشركات المحلية والأجنبية في تسويق وتوزيع النفط ومشتقاته ، مما طرح التساءل عن مدى فاعلية المعلومات التسويقية في تعزيز الميزة التنافسية ، اتضح أن مشكلة الدراسة تتمثل في وجود قصور في قدرة الشركة محل الدراسة في الإستفادة من نظام المعلومات التسويقية، الأمر الذي اثر على أدائها الكلى وميزتها التنافسية .

هناك شركات أجنبية كثيرة دخلت كاستثمار بالقطاع النفطي في ليبيا ، وهناك شركات

أخرى في طور التعاقد للاستثمار في مجالات التنقيب واستخراج وتكرير وتسويق النفط الليبي ، الأمر الذي قد يطرح على الباحثان وعلى المسئولين وصناع القرار التسأل التالي :

1- ما مستوى المعلومات التسويقية بالشركة قيد الدراسة؟ .

2- ما مستوى الميزة التنافسية بالشركة قيد الدراسة؟ .

3- هل هناك علاقة إحصائية بين مستوي المعلومات التسويقية ومستوى الميزة التنافسية بالشركة قيد الدراسة؟ .

وبالتالي فان مشكلة الدراسة يمكن صياغتها في تساءل كما يلي :

هل هناك انخفاض في مستوى المعلومات التسويقية التي يوفرها نظام المعلومات التسويقية الأمر الذى قد يؤدى إلى ضعف الميزة التنافسية للشركة في ظل التحولات في قطاع السوق النفطي بليبيا؟ .

فرضية الدراسة:

في ضوء مشكلة الدراسة وتساؤلاتها أمكن تحديد الفرض الرئيس القائل بأنه **(هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى المعلومات التسويقية التي يوفرها نظام المعلومات التسويقية والميزة التنافسية للشركة قيد الدراسة) .**

أهداف الدارسة:

تهدف هذه الدراسة إلى :

1- تقديم إطار علمي نظري حول مفهوم وأهمية المعلومات التسويقية ونظام المعلومات التسويقية، ودورها في تحسين الميزة التنافسية .

2- فهم وتحليل طبيعة العلاقة بين مستوى المعلومات التسويقية والميزة التنافسية للشركة قيد الدراسة.

3- تقديم جملة من التوصيات والمقترحات التي يمكن أن ترفع مستوى المعلومات السويقية بالشركة قيد الدراسة وإعادة النظر في نقاط الضعف ومعالجتها ، والاستفادة من نقاط القوة ، مما يؤدى إلى فهم أفضل لهذا النظام، بما يساعد في تحسين قدرتها التنافسية

في المدى البعيد.

منهجية الدراسة:

هذه الدراسة نظرية علمية استكشافية اتبع فيها الباحثان المنهج الوصفي لفهم متغيرات الدراسة في إطارها النظري، والمنهج التحليلي مستخدمين اساليب إحصائية تناسب أغراض التحليل، وقد تم تطبيق المنهجين المشار اليهما على حالة دراسية من القطاع النفطي بليبيا.

الحدود المكانية للدراسة:

تقتصر الحدود المكانية بالنسبة لهذه الدراسة على شركة البريقة لتسويق النفط ، حيث تقوم هذه الشركة بتوريد جميع المنتجات النفطية من المصافي المحلية سوى عن طريق الأنابيب أو عن طريق البحر إلى مستودعات الشركة الموجودة في جميع أنحاء ليبيا ومن ثم إلى المستهلك .

الحدود الزمنية للدراسة:

استغرقت الدراسة حوالي أربع شهور لإنجازها.

الحدود الموضوعية للدراسة:

قدمت هذه الدراسة إطار نظري عن نظام المعلومات التسويقية والميزة التنافسية، وكذلك العلاقة الإحصائية بينهما في إطار حالة دراسية من القطاع النفطي الليبي.

ثانياً: الإطار النظري للدراسة:

مفهوم الميزة التنافسية :

أوضح بعض الكُتاب أن التركيز الواضح علي مفهوم الميزة التنافسية في أدبيات اظهر تبايناً في وجهات نظر على الآخرين بشأن تحديد مضامينه الأساسية .

ويمكن تبيان ثلاثة اتجاهات في هذا الخصوص :

الاتجاه الأول : الاهتمام بالموارد والنشاطات الداخلية للمنظمة، حيث تُعرف الميزة التنافسية بأنها " قابلية المنظمة في إنجاز نشاطاتها المختلفة بفاعلية وبشكل أفضل من المنافسين " ، استناداً إلى المفكرين(**2006، Pitts & Lei**). القدرة على أداء الأعمال

بأسلوب معين أو مجموعة من الأساليب التي تجعل المنظمات الأخرى عاجزة عن مجاراتها في الأمد القريب أو في المستقبل، استناداً إلى المفكر (**Kotler ، 2004**) .

الاتجاه الثاني : التركيز على الزبون، إذ عرفت بأنها " قدرة المنظمة في زيادة القيمة للزبون بشكل يفوق ما يدفعه من أموال وتزويده بمنتجات ذات نوعية (جودة) مناسبة وذلك استناداً للمفكرين (**Thompson & Strickland ، 2001**) .

الاتجاه الثالث : التركيز على المنافسين , إذ وصفت بكونها :

الوسيلة التي تحقق للمنظمة ميزة متفردة تؤهلها للتفوق على المنافسين، استناداً للمفكرين (**Macmillan & Tampon 1999**) .

وأيضا عرف(**أبوبكر،13:2006**)الميزة التنافسية على أنها صياغة وتطبيق الاستراتيجيات من أجل زيادة قيمة المنتوج، وهى بالتالي تمثل قوة تتسم بها المنظمة دون خصومها في احد أنشطتها الإنتاجية أو التسويقية أو التمويلية أو الموارد البشرية . فالميزة التنافسية تعتمد على نتائج فحص وتحليل كل من نقاط القوة والضعف الداخلية، إضافة إلى الفرص والمخاطر البيئية المحيطة والسائدة في بيئة المنظمة مقارنة بخصومها في السوق .

وعرفها (**سرور ،966:2007**) بأنها ميزة على المنافسين تكتسب عن طريق تقديم قيمة اكبر للعميل، إما من خلال أسعار اقل، أو عن طريق تقديم فوائد أكثر والتي تبرَر الأسعار الأعلى .

وأيضا حسب (**أبوبكر،13:2006**)هي قدرة المنظمة على صياغة وتطبيق الاستراتيجيات التي تجعلها في مركز أفضل بالنسبة للمنظمات الأخرى العاملة في نفس النشاط.

كما عرفها أيضاً (**Kotler،2004**) ، بأن الميزة التنافسية تنشا بمجرد توصل المنظمة إلى اكتشاف طرق جديدة أكثر فاعلية من تلك المستعملة من قبل المنافسين ، حيث يكون بمقدورها تجسيد هذا الاكتشاف ميدانياً ، وبمعنى آخر بمجرد إحداث عملية إبداع بمفهومه الواسع ، وهذا التعريف أكثر دلالة وإقناعاً لأنه يركز على جوهر الميزة التنافسية ألا وهو الإبداع .

عناصر الميزة التنافسية:

تمثل المنافسة الجوهر الرئيسي للتوجه الاستراتيجي لأي منظمة، فالمنافسة بالنسبة للمنظمات تعتبر من المجالات الحيوية والمهمة التي يجب على أي منظمة دراستها وتحليلها قبل وضع أي إستراتيجية وذلك من خلال تحديد عناصر الميزة التنافسية التي تمتلكها المنظمة وتحديد القوة الرئيسية المؤثرة على المنافسة في مجال الصناعة أو الخدمة والوقوف على خصائصها ، وتؤكد معظم الدراسات على وضع دراسة الوضع التنافسي ودراسة المنافسين للوقوف على الفرص والتهديدات وتحديد نقاط القوة والضعف في المنظمة ولا تتم هذه الدراسة إلا من خلال تحليل عناصر المنافسة حسب ما جاء به (**القطامين ، 120:2002**) وهى على التوالي، المواصفات، الجودة، التكلفة، الأسعار، رضا الزبون، سرعة التسليم.

وبذلك لا تستطيع أي منظمة المنافسة إلا إذا توفرت لديها عناصر الميزة التنافسية السابقة ومن خلال عرض مميزات وفوائد تخص منتجاتها وخدماتها وأسعار وكلفة أقل ونوعية يرضى عنها العميل .

متطلبات المنافسة في ظل المعلومات:

يرى **(المغربي، 290:2006-289)** بأن العالم قد تحول من العصر الصناعي إلى عصر المعلومات. أثناء الفترة الصناعية، ساعد الشركات عن طريق استغلال مزايا واقتصاديات الحجم الكبير في الإنتاج وتم استحداث وتطوير نظام التحكم المالي ليسهل عملية مراقبة توظيف الأصول المادية والمالية . خلال تلك الفترة عاشت الشركات في بيئة عمل مريحة بدون منافسة حيث قدمت الحكومات الحماية ضد أي شركة تقدم منتجاً أكثر إبداعية في الجودة والسعر.

ولكن في عصر المعلومات زالت الحمايات التي فرضتها الحكومات وظهرت حركات الخصخصة وأدى لتراجع المنظمات التي كانت محمية واعتمد النجاح على القدرة على إدارة الأصول الملموسة والاهم منها الأصول الغير ملموسة .

إن المنظمات التي تعمل في عصر ثورة المعلومات تقوم على مجموعة من الافتراضات ، عليها أن تراعى متطلبات التعامل مع بيئة العمل الجديدة وهى على النحو التالي :-

1- الوظائف المتكاملة: أدى الاهتمام المتزايد بالتخصص الوظيفي أثناء العصر الصناعي إلى عدم كفاءة الأداء بشكل كبير، كما أدى إلى المفاضلة بين الأقسام الوظيفية والى بطء ردود الأفعال، بينما في عصر المعلومات تم تقديم الوظائف المتكاملة (فرص العمل) والتي قدمت مزايا التخصص بصورة سليمة بجانب السرعة والكفاءة وجودة أداء العمليات المتكاملة .

2- الربط بين العملاء والموردين : تعاملت المنظمات في العصر الصناعي مع العملاء والموردين على تقديم المنتجات والخدمات من خلال عمليات متسلسلة ، حالياً قدمت المنظمات تكاملاً بين عملية التورد، الإنتاج، وتقديم المنتجات للعملاء من خلال عمليات مدروسة مسببة في ذلك بطلبات العملاء، وهذا يُمكن كل الوحدات المشتركة في سلسلة القيمة من ملاحظة تحسينات كبيرة في التكلفة ، الجودة وفترات التقديم .

3- تقسيم العملاء: اهتمت المنظمات في العصر الصناعي بتقديم منتجات قليلة التكلفة ، ولكنها ذات خصائص واحدة لجميع العملاء، ولكن الواقع يقول بأن عملاء العصر الحالي لهم احتياجات متعددة وأكثر تخصصاً .

4- العالم المفتوح : تعمل المنظمة حالياً في عالم مفتوح بدون حدود ، ولذلك تنافس المنظمة أفضل المنظمات الموجودة في العالم ، ولذلك يجب عليها توفير الكفاءات والمزايا التنافسية مع العمليات العالمية إلى العملاء الحاليين .

5- الإبداع والتطوير: حتى تنجح الشركات في المدى الطويل يجب الاستمرار في إدخال التحسينات على المنتجات وذلك للتقدم المتواصل في تكنولوجيا المعلومات ، وحتى يمكنها أيضاً مواجهة التناقص المستمر في المبيعات خلال دورات حياة المنتجات .

6- العمالة ذات المعرفة الواسعة: تنظر الشركات حالياً إلى العمالة بأنها أداة حل المشكلات وليست عنصراً من عناصر التكلفة المتغيرة ، ومن ثم عليها توفير العمالة التي تمتلك القدرة والمهارة ولديها القابلية للنمؤ والتعلم والمعرفة .

نظام المعلومات التسويقية:

إذا كانت المعلومات هامة وضرورية لمناشط الحياة المختلفة فهى أكثر أهمية وخطورة في

مجال التسويق المعاصر. ونظراً لأهمية المعلومات فإن المسوقين بصورة عامة يحاولون إيجاد طريقة ما للحصول على البيانات ومعالجتها والحصول على المخرجات التي تلاءم إصدار القرارات المختلفة في مجالات التسويق، وتسمى عملية الجمع والمعالجة والمخرجات مصطلح (نظام) باعتبار أنها خطوات متتابعة تكمل بعضها البعض وتهدف إلى تحقيق غاية محددة لمشغل النظام، وبالتالي فهى تحقق مفهوم النظام الذي شاع استخدامه في السنوات الأخيرة .

الإدارة العليا بالمنظمات كانت في السابق توجه تركيزها نحو الموارد الأساسية وهي الأموال والمواد الخام والآلات والقوى العاملة، بينما أهملت مورداً رئيسياً داخل المنظمة وهى المعلومات، وهذا المورد أصبح ذا أهمية بالغة كأساس لاتخاذ كافة القرارات الإدارية داخل المنظمة بصفة عامة، والقرارات التسويقية بصفة خاصة. إن مدير التسويق يحتاج القيام ببحوث التسويق عندما تواجهه مشكلة معينة تستدعي اتخاذ قرار تسويقي معين، ولكن هل المعلومات التي يحتاجها مدير التسويق تعتمد فقط على ما يواجهه من مشكلات؟، بطبيعة الحال فإن الإجابة بالنفي، حيث يحتاج مدير التسويق إلى الكثير من المعلومات الشاملة والمتجددة عن البيئة التي يعمل فيها والمتغيرات التي تحكمها، ومن ثم فإن عملية جمع المعلومات ينبغي أن تكون عملية مستمرة وفق نظام معين، وهو ما تم تداركه في الآونة الأخيرة من جانب المنظمات المختلفة والتي بدأت في السعي نحو إنشاء نظام للمعلومات التسويقية يوفر لها المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات التسويقية الفعالة. **(العلاق، والطائي، 2001: 210).**

ولا تستطيع أي منظمة تمارس نشاط تسويقي أن تقوم بهذا النشاط بدون وجود نظام مناسب للمعلومات المختلفة، والتي تحتاج لها لضمان تسويق منتجاتها أو خدماتها، فهي تحتاج إلى طريقة لجمع البيانات من مصادرها المختلفة، وتحتاج إلى معالجة هذه البيانات وتحويلها إلى معلومات هامة ومفيدة في مجال التخطيط والتنفيذ والمتابعة والتصحيح، وهذه الخطوات هي ما يطلق عليها مصطلح " نظام المعلومات التسويقية".

" لقد بدأت الدول في تبني المفهوم التسويقي في جهودها لبيع السلع والخدمات في

الأسواق العالمية، وكلما زاد تبني المفهوم التسويقي أكثر وأكثر من جانب المنظمات، كلما زادت الحاجة إلى فهم طبيعة ودور نظام المعلومات التسويقية " **(بيلة، 1993: 32)**. ويمكن تعريف نظام المعلومات التسويقية بأنه " هيكل متداخل من الأفراد والأجهزة والإجراءات المصممة لتوليد تدفق المعلومات المجمعة من المصادر المختلفة لكي تستخدم كأساس لاتخاذ القرارات في مجالات محددة في ميدان التسويق " **(عبد الفتاح، 1992: 253)**.

من التعريف السابق تعتبر المعلومات من أهم العناصر المكونة لنظام المعلومات التسويقية، إذ بدون توفر القدر اللازم من المعلومات لا يمكن تصميم نظام فعال يمكن الاعتماد عليه في اتخاذ القرارات التسويقية.

أما (Stanton And Futrell) فقد عرفا نظام المعلومات التسويقية على أنه " هيكل مستمر وموجه بالمستقبل ومصمم لتوليد، وتشغيل، وتخزين واشتقاق المعلومات لمساعدة عملية اتخاذ القرارات في الإدارة التسويقية " **(ادريس، والمرسي، 2005: 154)**، في حين يعرفها بشير التويرقي بأنه" طريقة منظمة لتجهيز المعلومات عن الماضي والحاضر والمستقبل فيما يتعلق بالعمليات الداخلية والبيئة الخارجية للمنظمة فهو يدعم عمليات التخطيط والرقابة وعمليات التشغيل بالمنظمة "**(التويرقي، 1993: 39)**. ومما تجدر الإشارة إليه أن خبراء ومستشاري التسويق كانوا أيضاً من أوائل من استخدموا المزيج التسويقي (Marketing Mix) كأساس لصياغة نظام المعلومات التسويقية **(العلاق والعبدلي، 1999: 332)**. ويعرف (كوتلر) نظام المعلومات التسويقية بأنه: " شبكة من العلاقات المتداخلة والمتكونة من الموارد البشرية والمادية والإجراءات المتعلقة بالتحليل والتقويم والتوزيع للمعلومات بالوقت المناسب والتي تؤهل الإدارة لاتخاذ القرارات التسويقية اللازمة " **(العلاق والطائي، 2001: 413)**. ومن التعريفات السابقة أستخلص الباحثان التعريف التالي لنظام المعلومات التسويقية :

(بأنه مجموعة مترابطة من العناصر البشرية والمادية والمعدة لتجميع المعلومات من داخل المنظمة ومن خارجها وتصنيفها وتحليلها وتقييمها وتخزينها وتوزيعها على متخذي

القرارات التسويقية في الوقت المناسب وبالدقة المناسبة والتكلفة المناسبة لترشيدهم في عملية اتخاذ القرارات التسويقية).

أهمية نظام المعلومات التسويقية:

تظهر أهمية نظام المعلومات التسويقية في كافة مراحل العملية الإدارية وذلك لارتباطها بأهمية المعلومات، فاختيار الأهداف ووضع الخطط القادرة على تحقيق الأهداف ومتابعة التنفيذ وتقييم الأداء يعتمد أساساً على مدى توفر المعلومات المطلوبة وعلى كفاءة نظام المعلومات الذي يضمن تدفق هذه المعلومات من مصادرها إلى متخذي القرار بتوقيت وبدقة ملائمين (**عقيلي، 1996: 320**).

وتتجلى أهمية نظام المعلومات التسويقية فيما يلي (**حسن، 2001: 150**) :

1- توفير المعلومات للمساعدة في اتخاذ القرارات التسويقية المختلفة، إلى جانب إعداد المعلومات بطريقة ملخصة على كل بديل من بدائل القرارات وأثرها على الأهداف المطلوب تحقيقها، فكلما توافرت معلومات كافية ودقيقة كلما ساعد ذلك على تحقيق أحسن النتائج في التخطيط والتنفيذ والرقابة على الأنشطة التسويقية .

2- تتميز نظام المعلومات التسويقية بأنها تنظر إلى أعمال الشركة ككل وليس كأجزاء منفصلة، إذ تربط المعلومات التسويقية بين سياسات الشركة الخاصة بالإنتاج والتمويل والشراء والتخزين وبين السياسات التسويقية وتضعها في قلب واحد بشكل متكامل .

3- تزداد أهمية المعلومات التسويقية في القرن الحادي والعشرين وذلك للأسباب التالية:

أ- ثورة المعلومات في العالم تتخطى الحدود والحواجز بحيث تستطيع الحصول على المعلومات والبيانات في نفس الوقت من خلال شبكات المعلومات .

ب – انتشار ما يسمى بالتجارة الإلكترونية بحيث تتم الصفقات عبر الوسائل الآلية دون مجهود تسويقي مباشر من حيث المسوقين، الأمر الذي جعل هناك أهمية كبرى للحصول على المعلومات الآنية للتجارة الإلكترونية. فالمنظمات بمختلف أحجامها ومجال ونطاق عملها ومكان وجودها في حاجة مستمرة إلى نظام المعلومات التسويقية . ولذلك فإن غياب نظام المعلومات التسويقية في أي منظمة قد يؤدي إلى الكثير من المشاكل مثل

(النجار، 1998: 169) :

1- بذل جهد كبير في الحصول على المعلومات التسويقية .

2 – التأخير في الحصول على المعلومات التسويقية.

3 – عدم وجود المعلومة بشكل واضح عند إدارة أو شخص معين بالمنظمة .

وتظهر أهمية نظم المعلومات التسويقية وبحوث التسويق في الدول العربية خلال الفترات القادمة بسبب إنشاء منظمة التجارة العالمية وتطبيق قرارات اتفاقيات الجات في عام 1995، والتي تنادي بحرية النفاذ للأسواق وتحرير تجارة السلع والخدمات والمنتجات الفكرية والثقافية، وتقليص دور الحكومة في التجارة، وتطبيق المنافسة بالجودة وإلغاء الدعم تدريجياً، لذلك تنادي الدول العربية بتطوير مركز معلومات التجارة العربية.

مكونات نظام المعلومات التسويقية (MIS):

إن النظام يتكون بشكل عام من عدد من الأنظمة الفرعية التي تتكامل فيما بينها من أجل تكوين النظام الأشمل، وإن نظام المعلومات التسويقية كأي نظام يتكون من عدد من النظم .

يقصد بمكونات نظام المعلومات التسويقية الأنظمة الفرعية المكونة له اعتماداً على مفهوم نظرية النظام (نظرية النظم)، الذي يقضي بإمكانية تجزئة النظام الواحد إلى عدد من الأنظمة الفرعية المتكاملة تبعاً لمعايير مختلفة حيث اختلف الكتاب والباحثون بخصوص تحديد هذه الأنظمة الفرعية قدر تعلق الأمر بنظام المعلومات التسويقية، فهناك من يرى بأن نظام المعلومات التسويقية يتكون من الأفراد، و المعدات، والإجراءات لغرض جمع وتصنيف وتوزيع المعلومات المطلوبة في الوقت المطلوب وبالدقة المطلوبة لصانعي القرارات التسويقية **(عبد السلام، 2003: 89)**.

ولقد حدد (Kotler) مكونات نظام المعلومات التسويقية بما يلي **(يوسف، 1999: 31)**:

1. نظام التقارير الداخلية .

2 . نظام الاستخبارات التسويقية .

3. نظام بحوث التسويق.

4 . نظام التحليل التسويقي .

5. البيئة التسويقية.

إن مكونات نظام (MIS) تهدف إلى جمع المعلومات والبيانات من مصادرها بهدف صياغة الخطط وتحقيق الأهداف المرسومة ومتابعة التنفيذ و الرقابة .

مقاييس فعالية نظام المعلومات التسويقية:يمكن قياس فاعلية نظام المعلومات التسويقية من خلال نوعين من المعايير هما **(حسين، 1995: 29)**:

المعيار الأول: مدى إسهام تلك النظم في توفير البيانات والمعلومات التي تفي باحتياجات القائمين بتخطيط ومراقبة العمليات التسويقية بالمنظمة.

المعيار الثاني: الإدراك التام من جانب المستفيدين لأهمية ودور تلك النظم، وبالتالي زيادة إقبالهم واعتمادهم عليها في تدعيم ممارساتهم الإدارية، وما ينتج عن ذلك من تحقيق رضاء هؤلاء المستفيدين من تلك النظم، وبصفة عامة يمكن القول إن كلا المعيارين السابقين مكمل للأخر، حيث لا يصلح توافر إحداهما دون الأخر، بل يجب توافرهما معاً للحكم على فعالية نظم المعلومات التسويقية. ولكن كيف يمكن تحقيق فاعلية نظم المعلومات التسويقية بحيث توفر لها كلا المعيارين معاً؟ يمكن تحقيق فاعلية نظام المعلومات التسويقية من خلال (الالتزام بالتحديد المسبق لاحتياجات المستفيدين من البيانات والمعلومات التسويقية سواء عند تصميم تلك النظم أو عند تشغيلها)، فالمعلومات التي لا تلاءم احتياجات الإدارة تقترب قيمتها من الصفر، بل إن التكاليف التي أنفقت في تجميعها وتحليلها تعتبر في هذه الحالة خسائر، بينما نجد أن مشاركة المستفيد تؤدي إلى تحسين جودة نظام المعلومات من خلال الإمداد بالتقدير الكامل والأكثر دقة لاحتياجات المستفيدين من البيانات والمعلومات وتحسين فهم المستفيد للنظام.

ولقد أكد (Burch And Grudnitski) على أهمية الخصائص الثلاثة والمتمثلة في الدقة والتوقيت والملائمة للمعلومات، وذلك في أي نوع من المعلومات الإدارية، بل واعتبرا هذان الكاتبان أن تلك الخصائص الثلاث إنما هي محددات الجودة في المعلومات.

هذا ويمكن تحديد المصادر الرئيسية للخطأ والتحيز في المعلومات على النحو التالي

(ادريس والمرسي، 1998: 151):

أ- استخدام طرق غير سليمة في القياس أو جمع البيانات.

ب- الاعتماد على مصادر غير دقيقة للبيانات.

ج- عدم استخدام طرق سليمة أو دقيقة في تشغيل البيانات.

د- أخطاء في التشغيل نتيجة السهو أو الإهمال.

هـ- عدم استخدام أساليب تحليل دقيقة.

و- أخطاء أثناء الحفظ أو التخزين للبيانات.

المعوقات التي تحد من فعالية نظام المعلومات التسويقية وشروط نجاحها:

يمكن تصنيف تلك المعوقات إلى نوعين ريسين هما **(الصحن، 2003: 126):**

أولاً: معوقات تتعلق بالإطار الحاكم لنظم المعلومات التسويقية وتتمثل في التي :

1- ضعف البنية التنظيمية لتلك النظم، ويمكن الاستدلال على تلك المشكلة من خلال الظواهر التالية:

أ- عدم الالتزام بوضع أهداف واضحة ومحددة لتلك النظم مما يؤدي إلى عدم الالتزام بالمنهج العلمي في تصميم مدخلاتها ومخرجاتها وخطوات تشغيلها ووسائل الرقابة على المدخلات، وإجراءات استرجاع المعلومات.

ب- عدم توافر هياكل وأدلة تنظيمية يتحدد من خلالها الوحدات التنظيمية المكونة لتلك النظم واختصاصات كل منها مما يعطي فرصة للارتجالية في مزاولة النشاط وتضارب الأعمال وازدواجيتها مما يفقد تلك النظم فاعليتها سواء في تحقيق أهدافها، أو مساهمتها في تحقيق أهداف المنظمة ككل.

ج- عدم الالتزام بالمنهج العلمي عند تحديد نظم إجراءات العمل داخل نظم المعلومات التسويقية، مما يؤدي إلى الاعتماد بشكل أساسي على الخبرات الشخصية وما ينتج عن ذلك من مخاطر أهمها عدم ضمان أمن وسرية البيانات والمعلومات التسويقية وتقادمها وتضخمها وبالتالي استحالة الاستفادة منها **(ابراهيم، 1999: 134).**

2- عدم الالتزام بالتوصيف العلمي الدقيق لمتطلبات تشغيل البيانات والمعلومات داخل

تلك النظم سواء كانت عناصر بشرية أو إمكانيات مادية .

3- انخفاض مستوى جودة مدخلات تلك النظم نتيجة لعدم الالتزام بالمنهج العلمي عند تحديد الإطار الحاكم لها .

ثانياً: معوقات تحد من الاستفادة من مخرجات نظم المعلومات التسويقية وتتمثل في الأتي:

1- عدم الالتزام بتوصيف مجتمع المستفيدين من مخرجات تلك النظم، مما يؤدي إلى انخفاض عدد الفئات المستفيدة من هذه المخرجات، هذا إلى جانب عدم اتساع نطاق الاستفادة منها.

2- عدم توافر الإدراك التام لدى المستفيدين لأهمية ودور نظام المعلومات التسويقية داخل المنظمة مما يحد من فعاليته.

3- عدم توافر خطة متكاملة لتدفق البيانات والمعلومات فيما بين نظام المعلومات التسويقية ونظم المعلومات الوظيفية الأخرى بالمنظمة، مما يؤدي إلى حدوث ازدواج وتكرار في جمع وتشغيل البيانات والمعلومات، وصعوبة الاستفادة من مخرجات تلك النظم في تخطيط ومراقبة العمليات التسويقية بالمنظمة (**الضمور، 1999: 88-89**).

ثالثاً: لإطار العملي للدراسة:

مجتمع وعينة الدراسة:

يمثل مجتمع الدراسة كل القيادات الإدارية بالشركة قيد الدراسة، وقد تم اختيار عينة قصدية تضم القيادات الإدارية من مديري الإدارات ، وروساء الأقسام بالشركة محل الدراسة ، والذين تتعلق أعمالهم تصميم وتطبيق نظام المعلومات التسويقية والميزة التنافسية بشكل مباشر أو غير مباشر، وبعد ذلك تم تحديد حجم وخصائص عينة الدراسة للحصول على البيانات المطلوبة وضمت (85) مديراً ورئيس قسم من الإدارة العامة بالشركة محل الدراسة .

التوزيع التكراري لخصائص أفراد عينة الدراسة:

أولاً: المؤهل العلمي .

جدول رقم (1) يوضح التوزيع التكراري للمستهدفين بعينة الدراسة حسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	التكرار	النسبة
دبلوم متوسط	33	%40.2
دبلوم عالي	24	%29.3
شهادة جامعية	21	%25.7
ماجستير	2	%2.4
دكتوراه	2	%2.4
المجموع	82	%100

من الجدول (1) يتبين أن ما نسبته 40.2 % من إجمالي العينة محل الدراسة هم من حملة الدبلوم المتوسط ، وبلغت نسبة حملة الدبلوم العالي 29.3 % من إجمالي العينة ، وأن ما نسبته 25.7 % من إجمالي العينة محل الدراسة هم حملة المؤهل الجامعي ، في حين بلغت نسبة حملة الإجازة العليا الماجستير 2.4 % من إجمالي العينة وهى نفس النسبة من حملة شهادة الدكتوراه من إجمالي العينة محل الدراسة .

ثانياً: سنوات الخبرة .

جدول رقم (2) يوضح التوزيع التكراري للمستهدفين بعينة الدراسة حسب سنوات الخبرة بشركة البريقة لتسويق النفط .

سنوات الخبرة	التكرار	النسبة
أقل من 6 سنوات	0	%0
من 6 إلي أقل من 10 سنوات	4	%4.9
من 10 إلي أقل من 15 سنة	6	%7.3
من 15 سنة فأكثر	72	%87.8
المجموع	82	%100

تبين النتائج الواردة بالجدول (2) أن ما نسبته 4.9 % من أفراد عينة الدراسة للذين هم من 6 إلى أقل من 10 سنوات خبرة في مجال النفط ، أما فئة الخبرة من 10 إلى اقل من 15 سنة فقد بلغت 7.3 % من إجمالي العينة محل الدراسة ، وتبين أن الذين يملكون مدة خبرة من 15 سنة فأكثر بلغت نسبتهم 87.8 % من إجمالي العينة المستهدفة .

أساليب التحليل الإحصائي المستخدمة ووصف مقاييس الدراسة:

من أجل الوصول إلى نتائج إحصائية بدرجة عالية من الثقة ، وللحكم على صدق وثبات النتائج تم استخدام مقياس (α) لقياس معامل الثبات ، ثم استخدمت طريقة الصدق الإحصائي لتحديد صدق البيانات وذلك لأخذ الجدر التربيعى لمعامل الثبات (α) ، وبعد الانتهاء من تجميع الاستمارات وتحديد القابلة منها للتحليل وعددها (82) استمارة استبيان من أصل (85) استمارة تم توزيعها ، ويمثل عدد الاستمارات المستردة ما نسبته 96.06 % من العدد الكلى للعينة ، وبعد ترميز هذه الاستمارات وتبويبها أعطيت وحدات قياس تحدد بحسب المطلوب منها وهى على النحو الأتي :

1- وحدات قياس ليكرت المتدرج وهى نوعان من العبارات ، عبارات ذات صيغة إيجابية ، وأخرى ذات صيغة سلبية .

- أعطيت العبارات ذات الصيغة الايجابية الدراجات الآتية :-

أوافق تماماً	أوافق	غير متأكد	لاأوافق	لاأوافق أبداً
5	4	3	2	1

- أعطيت العبارات ذات الصيغة السلبية الدراجات الآتية :-

أوافق تماماً	**أوافق**	**غير متأكد**	**لاأوافق**	**لاأوافق أبداً**
1	2	3	4	5

وتم إدخال البيانات إلى الحاسب الألى لمعالجتها إحصائيا بواسطة الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) ، وقد تم استخدام المتوسط الحسابي والنسب المئوية والانحراف والخطأ المعياري واستخدام تحليل مربع كاى (X2) واختبار Z .

2- أعطيت وحدات قياس لتحديد مستوى فاعلية التخطيط الاستراتيجي للتسويق .

وللتحقق من صدق استمارة الاستبيان تم استخدام طريقة صدق المحتوى بأسلوب صدق المحكمين (Construct Validity) ، حيث تم عرض استمارة الاستبيان في صورتها المبدئية على مجموعة من المحكمين المتخصصين في مجال الإدارة والإحصاء، وطلب منهم الحكم على مدى مناسبة الفقرات لموضوعها، وتقدير مدى مناسبة فقرات المقياس للبنود التي يشتمل عليها هذا المقياس، وقد تم إدخال بعض التعديلات على بنود استمارة الاستبيان على ضوء ملاحظاتهم واقتراحاتهم. وبعد التحكيم أصبحت استمارة الاستبيان تضم مجموعتين رئيسيتسن من الأسئلة وهي كالأتي :-

المجموعة الأولى:- وتشمل (10)عبارات حول مستوى المعلومات الإستراتيجية بالشركة .

المجموعة الثانية:- وتشمل (15) عبارة حول مستوى الميزة التنافسية بالشركة .

والجدول رقم (3) يبين عدد استمارات الاستبيان الموزعة والمتحصل عليها ونسبة الفاقد منها .

جدول رقم (3) الاستمارات الموزعة والمتحصل عليها ونسبة الفاقد منها

الاستمارات الموزعة	الاستمارات المتحصل عليها	الفاقد	نسبة الفاقد %
85	82	3	3.54

الأساليب الإحصائية المستخدمة في وصف وتحليل البيانات:

1- اختبار كرونباخ ألفا (α) للصدق والثبات :

يعتبر اختبار كرونباخ ألفا من الاختبارات الإحصائية المهمة لتحليل بيانات الاستبيان , حيث للقيام بأي تحليل لبيانات الاستبيان يجب إجراء اختبار كرونباخ ألفا (α) وهو اختبار يبين مدى الارتباط بين إجابات مفردات عينة الدراسة على كل مجموعة من أسئلة الاستبيان .

(البياتى ، 2005 : 49) .

2- **اختبار ولكوكسن حول المتوسط (Wilcox on – test):**

يستخدم اختبار ولكوكسن لاختبار الفرضيات الإحصائية المتعلقة بمتوسط مجتمع الدراسة إذا كانت بيانات عينة الدراسة وصفية قابلة للترتيب، أو كمية ولا تتبع التوزيع الطبيعي، لذلك يتم استخدام هذا الاختبار لاختبار معنوية درجة الموافقة على كل سؤال من أسئلة الاستبيان، فإذا كان حجم العينة كبير (**n > 25**) **يكون إحصائي الاختبار Z حيث**

$$Z = \frac{R - \frac{n(n+1)}{4}}{\sqrt{\frac{n(n+1)(2n+1)}{24}}}$$

(حبيب ،156:2001) .

3- اختبار Z حول المتوسط:

يستخدم اختبار **Z** حول المتوسط لاختبار الفرضيات الإحصائية المتعلقة بمتوسط المجتمع إذا كانت بيانات العينة كمية أي (في المستوى الفتري على الأقل) وتتبع التوزيع الطبيعي أو حجم العينة كبير، **فإذا كان حجم العينة كبير(أكبر من 30 مفردة)** يكون إحصائي الاختبارZ علما بأن $Z = \frac{\sqrt{n}(\bar{x} - \mu_0)}{S}$

(البلداوى ، 332:1997).

4- معامل الارتباط (بيرسون):

يستخدم معامل الارتباط (بيرسون) لتحديد نوع ودرجة العلاقة بين ظاهرتين كمية وتتبع التوزيع الطبيعي . ويرمز له بالرمز (r) حيث ؛

$$r = \frac{n\sum xy - \sum x \sum y}{\sqrt{n\sum x^2 - (\sum x)^2}\sqrt{n\sum y^2 - (\sum y)^2}}$$

ملاحظات على معامل ارتباط بيرسون :

1- قيمة المعامل تتراوح بين (−1,+1).

2- إذا كانت قيمة المعامل تساوي صفر يدل على عدم وجود ارتباط خطي بين الظاهرتين

3- إذا كانت قيمة المعامل أكبر من الصفر (قيمة موجبة) يدل على وجود ارتباط طردي،

وكلما قربت قيمة المعامل من الواحد الصحيح كلما كان الارتباط طردي قوي بين الظاهرتين.

4- إذا كانت قيمة المعامل أقل من الصفر (قيمة سالبة) يدل على وجود ارتباط عكسي وكلما قربت قيمة المعامل من (−1) كلما كان الارتباط عكسي قوى بين الظاهرتين.

5- يطلق على مربع قيمة معامل الارتباط بمعامل التحديد وهو يعبر عن نسبة الاختلاف الكلي في الظاهرة التابعة والتي يمكن تفسيره من خلال علاقته الخطية مع الظاهرة الأولي، فمثلا إذا كانت قيمة معامل الارتباط تساوي 0.95 فإن معامل التحديد يساوي 0.90 وهذا يدل على أن التغير 0.90 من التغير الكلي للظاهرة الثانية يعود إلى العلاقة الخطية بينها وبين الظاهرة الأولى .

ولإ**ختبار معنوية معامل الارتباط** نتبع الخطوات التالية :-

1- نفرض الفرض العدمي :- لا توجد علاقة بين الظاهرتين أي أن

$$H_0 :- \ \rho = 0$$

مقابل الفرض البديل (A) :- توجد علاقة بين الظاهرتين أي أن

$$\boldsymbol{H_1} :- \ \rho \neq 0$$

حيث ρ ترمز إلى القيمة الحقيقة لمعامل الارتباط

2- نوجد قيم إحصاء الاختبار T حيث $\boldsymbol{T = r\sqrt{\frac{n-2}{1-r^2}}}$

وبالتالي يتم إيجاد قيمة الدلالة المعنوية لإحصائي الاختبار من جدول توزيع T ونرفض الفرض العدمي إذا كانت قيمة الدلالة المعنوية لإحصائي الاختبار أقل من أو تساوي مستوي المعنوية 5% وإذا كان حجم العينة كبير (n>30) فيكون إحصائي الاختبار هو Z حيث $\boldsymbol{Z = r\sqrt{\frac{n-2}{1-r^2}}}$

وبالتالي يتم إيجاد قيمة الدلالة المعنوية لإحصائي الاختبار من جدول التوزيع الطبيعي المعياري، ونرفض الفرض العدمي إذا كانت قيمة الدلالة المعنوية لإحصائي الاختبار أقل

من أو تساوي مستوي المعنوية 5% . **(داود، فاضل، 15:2004)** .

تحليل البيانات واختبار فرضية الدراسة:

بعد تجميع استمارات الاستبيان استخدم الباحث الطريقة الرقمية في ترميز إجابات مفردات العينة حيث تم ترميز الإجابات المتعلقة بمقياس لكارت الخماسي ، كما بالجدول رقم (4) .

جدول رقم (4) ترميز الإجابات المتعلقة بمقياس لكارت الخماسي .

الإجابة	غير موافق تماما	غير موافق	محايد	موافق	موافق تماما
الرمز	1	2	3	4	5

من خلال الجدول رقم (4) نلحظ أن متوسط هذه الدرجات (3) ، فإذا كان متوسط درجة إجابات مفردات عينة الدراسة لا تختلف معنويا عن 3 فيدل على أن **درجة الموافقة متوسطة** ، وإذا كان متوسط درجة إجابات مفردات عينة الدراسة تزيد معنويا عن 3 فيدل على **ارتفاع درجة الموافقة** . أما إذا كان متوسط درجة إجابات مفردات عينة الدراسة تقل معنويا عن 3 فيدل على **انخفاض درجة الموافقة**، وبالتالي سوف يتم اختبار ما إذا كان متوسط درجة إجابات مفردات عينة الدراسة تختلف معنويا عن 3 أم لا. وبعد الانتهاء من ترميز الإجابات و إدخال البيانات باستخدام حزمة البرمجيات الجاهزة SPSS (Statistical Package for Social Science) وتم استخدام هذه الحزمة في تحليل البيانات كما يلي:-

نتائج اختبار كرونباخ ألفا (α) للصدق والثبات :

من أجل اختبار مصداقية إجابات مفردات العينة على أسئلة الاستبيان تم استخدام معامل ألفا (α) فوجد أن قيم معامل كرونباخ ألفا لكل مجموعة من العبارات ولجميع العبارات

معا كما بالجدول رقم (5) .

م	مجموعة العبارات	قيمة معامل ألفاء
1	مستوى الميزة التنافسية بالشركة قيد الدراسة	0.958
2	مستوى المعلومات التسويقية التي يوفرها نظام المعلومات التسويقية بالشركة قيد الدراسة	0.853
	جميع العبارات	0.957

من خلال الجدول رقم (5) نلاحظ أن قيم معامل كرونباخ ألفا (α) لكل مجموعة من عبارات استمارة الاستبيان ولجميع العبارات أكبر من 0.60 وهذا يدل على وجود ارتباط قوي بين إجابات مفردات عينة الدراسة على كل مجموعة من عبارات استمارة الاستبيان، مما يزيد من الثقة في النتائج التي سوف نحصل عليها .

مستوى المعلومات التسويقية التي يوفرها نظام المعلومات التسويقية:-

لاختبار معنوية درجة الموافقة على كل عبارة من العبارات المتعلقة بمستوي المعلومات التسويقية تم استخدام اختبار ولكوكسن حول المتوسط (3) فكانت النتائج كما في الجدول رقم (6) حيث كانت الفرضية الصفرية والبديلة لها على النحو التالي :-

الفرضية الصفرية :- متوسط درجة الموافقة على العبارة لا يختلف معنويا عن (3) .

مقابل الفرضية البديلة :- متوسط درجة الموافقة على العبارة يختلف معنويا عن (3) .

الجدول رقم (6) نتائج اختبار ولكوكسن حول متوسطات إجابات مفردات عينة الدراسة على العبارات المتعلقة بمدى توفر المعلومات التسويقية من خلال نظام المعلومات التسويقية.

م	العبارة	المتوسط	الانحراف المعياري	إحصائي الا
1	هناك تدفق مستمر للبيانات والمعلومات عن البيئة المحيطة بالشركة	2.22	1.100	.289-
2	يتم الاستفادة من المعلومات المتاحة عن البيئة المحيطة في عملية اتخاذ القرارات الإستراتيجية التسويقية	2.17	1.040	.609-
3	يتم تحليل نقاط القوة والضعف في الأداء التنظيمي للشركة بناءً على معلومات وبيانات يوفرها نظام المعلومات الإستراتيجية بالشركة	2.32	1.041	.027-
4	هناك وعى بأهمية الأخذ بالتوجه التسويقي والمعلوماتى في إعداد الخطط الإستراتيجية التسويقية بالشركة	2.56	1.101	.627-
5	المعلومات الإستراتيجية عن البيئة المحيطة تساعد القيادات الإدارية في تقييم الميزة التنافسية للشركة	2.72	1.034	.450-
6	المعلومات الإستراتيجية عن الأداء الاستراتيجي للشركة تساعد في عملية تقييم المركز التنافسي للشركة	2.77	1.092	.986-
7	توجد مشاكل وصعوبات معلوماتية تعترض تطوير نظام فعال للتخطيط الاستراتيجي للتسويق	3.98	0.981	.279-

8	الشركة تطلب استشارات من بيوت الخبرة معتمدة في مجال تطوير نظم المعلومات التسويقية	2.16	0.909	.880-
9	يتم مناقشة تقارير الأداء التسويقي للخروج بمؤشرات يستفاد منها في إعداد الخطط الإستراتيجية التسويقية بالشركة	2.30	0.939	.341-
10	هناك برامج تدريبية مستمرة في مجال رفع كفاءة القائمين على تصميم وإدارة نظام المعلومات الإستراتيجية بالشركة	1.77	0.865	.159-

وللإجابة على التساؤل المتعلق بمستوى المعلومات التسويقية تم إيجاد المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة على جميع العبارات المتعلقة **بمستوى المعلومات التسويقية** واستخدام اختبار Z حول المتوسط (3) فكانت النتائج كما في الجدول رقم (7) حيث كانت الفرضية الصفرية والبديلة لها على النحو التالي:

الفرضية الصفرية: . المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة على العبارات المتعلقة **بمستوى المعلومات التسويقية التي يوفرها نظام المعلومات التسويقية** لا يختلف معنويا عن (3).

الفرضية البديلة: . المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة على العبارات المتعلقة **بمستوى المعلومات التسويقية التي يوفرها نظام المعلومات التسويقية** يختلف معنويا عن (3).

الجدول رقم (7) نتائج اختبار حول المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة على جميع العبارات المتعلقة بمستوى المعلومات التسويقية

البيان	المتوسط العام	الانحراف المعياري	إحصائي الاختبار	الدلالة المعنوية المحسوبة
متوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة على العبارات المتعلقة **بمستوى المعلومات التسويقية التي يوفرها نظام المعلومات التسويقية**	2.4963	0.66489	6.859-	0.000

من خلال الجدول رقم (7) نلحظ أن قيمة إحصائي الاختبار 6.859- بدلالة معنوية محسوبة 0.000 وهي تقل عن مستوى المعنوية 5% لذلك نرفض الفرضية الصفرية ونقبل الفرضية البديلة وحيث إن المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة 2.4963 وهو يقل عن المتوسط المفترض (3)، فهذا يشير إلى **إنخفاض مستوى المعلومات التسويقية التي يوفرها نظام المعلومات التسويقية .**

مستوى الميزة التنافسية بالشركة :-

لاختبار معنوية درجة الموافقة على كل عبارة من العبارات المتعلقة **بمستوى الميزة التنافسية بالشركة** تم استخدام اختبار ولكوكسن حول المتوسط (3) فكانت النتائج كما في الجدول رقم (8)، حيث كانت الفرضية الصفرية والبديلة لها على النحو التالي :-

الفرضية الصفرية:- متوسط درجة الموافقة على العبارة لا يختلف معنويا عن (3).

مقابل الفرضية البديلة:- متوسط درجة الموافقة على العبارة يختلف معنويا عن (3).

الجدول رقم (8) نتائج اختبار ولكوكسن حول متوسطات إجابات مفردات عينة الدراسة على العبارات المتعلقة بمستوى الميزة التنافسية بالشركة .

العبارة	المتوسط	الانحراف المعياري	إحصائي الاختبار	الدلا المعنو المحس
توجد خطط وإستراتيجيات تهدف إلى تحقيق الميزة التنافسية للشركة	2.43	1.123	-4.040	000
تهتم إدارة الشركة بتقديم خدمات ذو جودة عالية حفاظاً على مركزها التنافسي	2.91	1.188	-0.677	498
تهتم إدارة الشركة بالاستجابة إلى مطالب العملاء بسرعة وبفاعلية أكبر	2.94	1.115	-0.580	562
تسعى إدارة الشركة إلى التحسين المستمر في الأداء , وذلك من خلال سرعة الاستجابة للتغيرات من ناحية وتبسيط الإجراءات من ناحية أخرى	2.73	1.258	-1.985	047
يعتمد تحقيق الميزة التنافسية للشركة على معرفة حاجات المستهلك والسوق بوجه عام	2.93	1.163	-0.604	546
تقوم إدارة الشركة بتحليل البيئة الخارجية لتحديد مجالات الاستثمار المربحة والسعي لتجنب التهديدات	2.28	1.189	-4.889	000
تواكب إدارة الشركة التقنيات الحديثة والمتطورة التي تساعد على تطوير الأداء	3.44	0.995	-3.684	000
تضع الشركة المنافسة واحتياجات العملاء بعين الاعتبار عند تصميم اى نشاط أو خطة يراد تطبيقها	2.40	1.246	-4.003	000

525	-0.635	1.056	3.09	تمتلك الشركة طريقة مميزة وفريدة من نوعها في إيصال منتجاتها أو خدماتها من مواقع عملها إلى مواقع عملائها	
000	-3.790	1.178	2.48	تستغل الشركة نقاط قوتها الداخلية في أداء الأنشطة الخاصة بها , بحيث تؤدى إلى تحقيق التفوق والأفضلية على المنافسين	
000	-5.010	1.261	2.20	تسعى الشركة إلى تحقيق إستراتيجية النمؤ وذلك من خلال زيادة قدرتها الإنتاجية والخدمية من أجل التوسع والدخول إلى الأسواق العالمية	
001	-3.201	1.218	2.56	تستخدم الشركة نظام المعلومات لتحقيق الميزة التنافسية في تعظيم قيمة الزبون من خلال التركيز على الجودة	
000	-4.951	1.071	2.29	تستخدم الشركة نظام المعلومات لتحقيق الميزة التنافسية من خلال إدخال التحسينات المتجددة في الكلفة والجودة والسرعة للخدمات المقدمة	
124	-1.540	1.198	2.82	السمعة والمهارة التي تمتلكها الشركة بالإضافة إلى رضى المستهلك عن قيمة المنتج كلها عوامل تجعل من الصعب على المنافسين المنلفسة في أسواق الشركة	
619	-0.497	1.138	2.96	مهارات الإدارة العليا وإمكاناتها واهتماماتها بالتنافسية وراء الانطباع العام الجيد عن الشركة ومكانتها في السوق	

وللإجابة على التساؤل المتعلق بمستوى الميزة التنافسية بالشركة تم إيجاد المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة على جميع العبارات المتعلقة **بمستوى الميزة التنافسية بالشركة** واستخدام اختبار Z حول المتوسط (3) ، فكانت النتائج كما في الجدول رقم (9) حيث كانت الفرضية الصفرية والبديلة لها على النحو التالي :-

الفرضية الصفرية: . المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة على العبارات المتعلقة

بمستوى الميزة التنافسية بالشركة لا يختلف معنويا عن (3) .

الفرضية البديلة: . المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة على العبارات المتعلقة **بمستوى الميزة التنافسية بالشركة** يختلف معنويا عن(3) .

الجدول رقم (9) نتائج اختبار حول المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة على جميع العبارات المتعلقة بمستوى الميزة التنافسية بالشركة .

البيان	المتوسط العام	الانحراف المعياري	إحصائي الاختبار	الدلالة المعنوية المحسوبة
المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة على العبارات المتعلقة **بمستوى الميزة التنافسية بالشركة**	2.6967	0.92335	– 2.974	0.004

من خلال الجدول رقم (9) نلاحظ أن قيمة إحصائي الاختبار 2.974– بدلالة معنوية محسوبة 0.004 وهي تقل عن مستوى المعنوية 5% لذلك نرفض الفرضية الصفرية ونقبل الفرضية البديلة وحيث أن المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة 2.6967 وهو يقل عن المتوسط المفترض (3) فهذا يشير إلى **هناك انخفاض مستوى الميزة التنافسية بالشركة .**

إثبات فرضية الدراسة:-

لاختبار الفرضية المتعلقة بالعلاقة بين مستوى المعلومات التسويقية التي يوفرها نظام المعلومات التسويقية والميزة التنافسية ، تم استخدام معامل الارتباط (بيرسون) على متوسطات إجابات مفردات عينة الدراسة على جميع العبارات المتعلقة **بمستوى** المعلومات التسويقية ومتوسطات إجابات مفردات العينة على جميع العبارات المتعلقة **بمستوى الميزة التنافسية** فكانت النتائج كما في الجدول رقم (10) حيث كانت :

الفرضية الصفرية :- لا توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين مستوى المعلومات التسويقية والميزة التنافسية .

مقابل الفرضية البديلة :- توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين مستوى المعلومات التسويقية والميزة التنافسية .

جدول رقم (10) نتائج اختبار معنوية العلاقة بين مستوى المعلومات التسويقية والميزة التنافسية .

البيان	قيمة معامل الارتباط	درجات الحرية	الدلالة المعنوية
العلاقة بين مستوى المعلومات االتسويقية التي يوفرها نظام المعلومات التسويقية و الميزة التنافسية	0.731	82	0.000

من خلال الجدول رقم (10) نلاحظ أن قيمة معامل الارتباط (بيرسون) (0.731) بدلالة معنوية محسوبة (0.000) وهي أقل من مستوى المعنوية 5% لذلك نرفض الفرضية الصفرية ونقبل الفرضية البديلة وهذا يدل على **وجود علاقة طردية (موجبة) ذو دلالة معنوية بين مستوى المعلومات التسويقية التي يوفرها نظام المعلومات التسويقية و الميزة التنافسية حيث أن الإنخفاض في مستوى المعلومات التسويقية يؤدي إلى الانخفاض في مستوى الميزة التنافسية والعكس .**

نتائج الدراسة:

1. أسفرت هذه الدراسة عن إثبات حقيقة وجود علاقة طردية موجبة ذات دلالة إحصائية بين مستوى المعلومات التسويقية التي ينتجها نظام المعلومات التسويقية والميزة التنافسية للشركة قيد الدراسة.
2. أثبتت هذه الدراسة حقيقة أن هناك إنخفاض في مستوى المعلومات التسويقية لنظام المعلومات التسويقية بالشركة قيد الدراسة.

3. أثبتت هذه الدراسة حقيقة أن هناك إنخفاض في مستوى الميزة التنافسية للشركة قيد الدراسة.

توصيات الدراسة:

1- ضرورة اهتمام القيادات الإدارية بالجوانب التي تحقق لها التفوق ، والتميز ، والعمل على بناء المزايا التنافسية ، وتنميتها من خلال تفعيل ما تمتلكه الشركة من تقنية المعلومات والاتصالات.

2- العمل على إنتهاج إستراتيجية تدعم الميزة التنافسية، وتنميها وتطورها ، وإتخاذ التدابير التي من شأنها عرقلة دخول منافسين جدد إلى السوق.

3- استحداث إدارة جديدة تعرف بإدارة نظم المعلومات التسويقية مهمتها توفير المعلومات المهمة للمدراء عن البيئة المحيطة في الوقت المناسب للاستفادة منها في وضع وتنفيذ ومتابعة الخطط الإستراتيجية التسويقية ، الأمر الذي يؤدى إلى دعم ميزتها التنافسية ويعزز أدائها التنظيمي .

4- المراجعة الدورية للخطط والإستراتيجيات التسويقية في إطار المعلومات التسويقية المتوفرة، والإستعانة بالخبراء والأكاديميين للإستفادة منهم في هذا المجال.

5- محاولة تطوير رؤية الإدارة تجاه معايير تقييم الأداء الإستراتيجي، بما يواكب التحولات العالمية ويعزز مركز الشركة التنافسي، وإستثمار الموارد في مجالات تطوير البنية التحتية المعلوماتية حتي يتسنى للقيادات الإدارية تشخيص المستوى التنافسي وتحليل الفجوة التنافسية للشركة، الأمر الذي يخلق مبررات لأي تغييرات إستراتيجية في عمليات وخطط الشركة.

المراجع العربية:

1- أبوبكر ، مصطفى محمود ، **الموارد البشرية مدخل لتحقيق الميزة التنافسية** ، (القاهرة : الدار الجامعية ، 2006) .

2- إبراهيم ، محمد ، التسويق المعاصر ،(القاهرة : عين شمس، (د.ط)، 1999).

3- إدريس، ثابت عبد الرحمن ، المرسي ، جمال الدين محمد، التسويق المعاصر ،(القاهرة : عين شمس ، ط1، 1998).

4- إدريس، ثابت عبد الرحمن ، المرسي ، جمال الدين محمد، التسويق المعاصر ، (الإسكندرية : الدار الجامعية، ط2، 2005).

5- البكري ، ثامر ياسر ، **إستراتيجية التسويق** ، (عمان : دار اليازورى ، 2008) .

6- البلداوى ، عبدالحميد عبدالمجيد ، **الإحصاء للعلوم الإدارية والتطبيق** ، (عمان : ط1 ، 1997) .

7- البياتى ، محمود، **تحليل البيانات الإحصائية باستخدام البرنامج الاحصائى SPSS** ،(القاهرة ،2005).

8- المغربي ، عبدالحميد عبدالفتاح ؛ وآخرون ، **الإدارة الإستراتيجية بقياس الأداء المتوازن** ، (المنصورة : المكتبة العصرية ، 2006) .

9- المغربي ، عبدالحميد عبدالفتاح ، **الإدارة الإستراتيجية – مفاهيمها – مداخلها – عملياتها المعاصرة** (عمان : دار وائل للنشر ، ط2 ، 2006) .

10- العلاق، بشير عباس ، الطائي ، حميد عبد النبي ، تسويق الخدمات ،(عمان : دار زهران للنشر، ط1، 2001).

11- العلاق ، بشير عباس ، العبدلي، قحطان بدر، إدارة التسويق ،(عمان: دار زهران، ط1، 1999) .

12- النجار، فريد راغب ، إدارة منظومات التسويق ، (الاسكندارية : مؤسسة شباب الجامعة، ط1، 1998).

13- التويرقي ، بشير ، نظام المعلومات الفعال ، (طرابلس: جامعة ناصر،

(د.ط)، 1993).

14- الصحن ، محمد فريد، التسويق ،(الإسكندرية: الدار الجامعية، (ط2)، 2003).

15- الضمور ، هاني حامد ، التسويق الدولي ، (عمان: مؤسسة الوراق، ط1، 1999).

16- بيلة، عبد الرحمن دعالة ، بحوث التسويق ، (الرياض: دار المريخ للنشر،(د.ط)، 1993). . (د.ط).

17- حسين ، عمر، التسويق ،(القاهرة : مكتبة عين شمس ، (ط1)، 1995).

18- حسن، أمين عبد العزيز، استراتيجيات في القرن الحادي والعشرين ،(القاهرة : دار قباء، ط1، 2001).

19- حبيب ، مجدى عبدالكريم ، **الإحصاء اللابارامتى** ، (القاهرة : مكتبة النهضة العربية ، ط1 ، 2001).

20- داود ، جمال إبراهيم ، فاضل ، سمير سليم ، **تحليل الارتباط ونماذج الانحدار البسيط** ، (بنغازي : دار الكتب الوطنية ، ط1 ، 2004) .

21- عطاالله ، احمد القطامين ، **الإدارة الإستراتيجية : مفاهيم وحالات تطبيق** ، (عمان : دار مجدلاوى، 2002) .

22- هاريسون ، ديفيد ، **الإدارة الإستراتيجية والتخطيط الاستراتيجي** ، (ترجمة : علاء الدين ناطورية ، عمان : دار زهران، 2009).

23- كوتلر، فيليب، أرمسترونج ، أساسيات التسويق، (ترجمة: سرور علي سرور، الرياض، دار المريخ، ط2، 2007).

24- عبد الفتاح ، محمد سعيد، التسويق ، (عمان : الدار الجامعية، ط1، 1992).

25- عقيلي، عمرو صفي، مبادئ التسويق ، (عمان : دار زهران للنشر، ط1، 1996).

26- عبد السلام ، إبراهيم محمد، نظم المعلومات الإدارية ، (الإسكندرية : دار المعرفة ، (د.ط)، 2003).

27- يوسف ، ردينه عثمان ، بحوث التسويق ،(عمان : دار زهران ، (ط1)، 1999).

المراجع الأجنبية:

1- Philip Kotler , Gerry Armstrong , **Principles Of Marketing** , tenth , New Jersey : Prentice Hall International , Inc, 2004 .

2- Thompson & Strickland, **Strategic Management- Concepts and Cases**,**12th ed**, McGraw-Hill/Irwin, 2001.

3- Robert A. Pitts, David Lei,,**Strategic management: building and sustaining competitive advantage**, Thomson/South-Western, 2006.

4- Macmillan. Hugh, Tampoe. Mahen, **Strategic Management: Process, Content, Implementation**, Oxford University press INC., New York, 1999.

نظريّة علم الأمراض وأساليب التشخيص عند الأطباء المسلمين

د. زكيّة بالناصر القعود•

المقدمة

نظريّة الطب الإسلاميّ (المرض والصحة) جزء لايتجزأ من موروثات الإسلام وفلسفته، وذلك أن موضوع علم الطب (وهو الإنسان) عبارة عن عالم صغير يتمثل في ذاته كل ما في الوجود، وهو في الواقع مفتاح لفهم الوجود؛ لأنه حسب قول العرب (الإنسان رمز الوجود)، فالأطباء المسلمون اعتبروا أن جسم الإنسان هو امتداد لروحه؛ وهو بذلك متصل اتصالاً وثيقاً بالروح والنفس. كما عُنِيَ الطب الإسلامي باختراق أسرار القِوى الكونيّة، وعلاقتها ببعضها البعض وأثرها على الإنسان، وقد كان الأطباء المسلمون مدركين تمام الإدراك بوجود علاقة (تعاطف) بين جميع نُظُم الكون (الوجود) أي: بين مخلوق وأخرى من تبادل الفعل ورد الفعل، وعلى هذا الفهم اعتبروا موضوع الطب مرتبطاً ارتباطاً داخليًّا من خلال الروح والنفس، وخارجيًّا من خلال درجات التسلسل الكونيّ في جوهره ذاته.

وكذلك اعتبروا أصول الطب في العلوم التي تتناول الجوهر ومظاهره أي: المورثات والكونيّات أومهما كانت أصول تاريخ الطب الإسلامي، فلايمكن إدراك مبادئه إلا على ضوء المورثات والكونيّات الإسلامي[1].

• قسم: التاريخ كلية الآداب جامعة بنغازي

[1] ويعلق سيّد حسين نصر على ذلك بقوله: "يصدق هذاعلى جميع المدارس التقليدية في الطب سواء تلك التي أثرت في المسلمين كالطب الإغريقي، أم لم تؤثر كطب التِّبْت والصين. والواقع أن مجرد وجود عدة مدارس في الطب نجحت جميعاً في علاج الأمراض ولواختلفت طرقه يثبت أنه لا توجد طريقة واحدة لاغير في الطب تقوم على مجرد الملاحظة لمختلف الظاهرات بل إنه إلى جانب الطب الرسمي الحديث توجد عدة طرق مشتقة من مبادئ كونية مختلفة تلتقي فحسب في محتوى وحدة العقيدة الوراثية". ((حسين نصر : العلوم في الإسلام)) ترجمة: مختارالجوهري، تحقيق محمد سويسي، الدار العربية للكتاب (ليبيا،تونس، 1978م)، ص136، 137.

أخذ المسلمون الكثير عن الطب الإغريقيّ وخاصّة نظريّته، ولكن هذا التبنّي لطب الإغريق لم يكن ممكناً إلا بسبب طبيعته التقليديّة وانسجامه مع الرؤية الإسلامية للعالم، فيجب ألا ننسى أنه في ميدان الطب (مثلما في ميدان الفلسفة) كان المسلمون يرون أن أصل هذا العلم ينبُع من وحي إلهي مقدس ويتصل في الواقع بسلسلة النُّبوّة التي تبدأ بسيدنا إبراهيم (عليه السلام) والتي كان المسلمون يعتقدون أنَّها خاصة بهم[1]. فالهضم السريع لنظرية الطب عند الإغريق ضمن الرؤية الإسلامية يرجع أكثر من كل شيء إلى هذه الإمكانيّة الكامنة في هذه الرؤية الإسلاميّة نفسها، والصلة الوثيقة بين فكرة "**ابقراط وجالينوس**" عن التأليف بين الأجزاء وفكرة التوازن والانسجام التي هي من صميم الآراء في الإسلام. فليس من قبيل المصادفة أن الأصول النظريّة في الطب الإغريقيّ تنتمي إلى عين المدارس الفلسفيّة التي رفضها المسلمون[2].

بُنيت النظريّة العامة للطب على أربعة أركان وعناصر منها اثنان خفيفان هما **النار والهواء** واثنان ثقيلان هما **الأرض والماء**. وأن جميع الأجساد والأشياء تتكون من هذه العناصر. وهذه العناصر لها كيفيات أو صفات أربع هي: **الحرارة، البرودة، الجفاف، الرطوبة**. و بتوازن هذه الأخلاط في الجسم يكون في حالة صحة، وبانحراف توازنها وعدم توافقها تحدث الأمراض[3]. وهذه الأخلاط بحسب تعريفهم لها، هي أجسام سيّالة يستحيل إليها الغذاء[4]، وهي الدم والبلغم الصفراء، والأسواد، تتألف مع العناصر والطبائع[5].

---

[1] المرجع نفسه، ص137. وانظر ((هرمز والكتابات السحريّة في العالم الإسلاميّ)). ونصر((دراسات إسلاميّة)) (بيروت، 1996م)، ص63-89. وكذلك نصر ((مقدمته للنظريّات الكونيّة الإسلاميّة التمهيد)).

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه ص137.

[4] حسين : الموجز في تاريخ الطب والصيدلة...،ص340.

[5] عن نظرية الطب الإسلامي ظهرت من الكتب الجديدة في الغرب، فكان أهل الغرب حتى عهد قريب يسخرون ويستهزئون من أي نظرة إلى الطبيعة تخالف نظرة العالم الغربي الحديث، ومن الكتب التي تعرضت تعرضا ايجابياً لنظريات الطب الإسلامي، جرونر (رسالة في قانون الطب مع ترجمة الكتاب

وقد يختلف الأطباء المسلمون عن أطباء اليونان في هذه العناصر، ويرجع اختلافهم هذا إلى موروثهم الإسلامي الذي يؤكد أن الإنسان خُلِق من تراب وماء الذي جعل فيه الحياة، فهم بذلك اتفقوا في شيء وهو: أن من مكونات الأجسام التراب والماء، وإن لكل مزاج حرارته الخاصة، إلى جانب الحرارة الطبيعية التي توجد في كل شيء؛ ولكن لا الأخلاط ولا امتزاجها هو السبب في الحياة؛ فهي ليست إلا الأداة التي تجعل في الإمكان بعث الحياة، فأطباء المسلمين كانوا يؤمنون بالروح[1]، التي تهبط على هذا المزيج من الأخلاط، وهي هذا الجسم الرقيق المتوسط بين الجسم المادي المكوَّن من الأخلاط وقوة الحياة الواردة من العالم العلوي[2].

ولقد شرح الدكتور"**كمال السامرَّائي**" هذه الفكرة (النظريّة) بشيء من التفصيل في كتابه "**مختصر تاريخ الطب**": في قوله عن العناصر الطبيعيّة الأولى أو الإسطقسات[3]: "العناصر الطبيعية هي جوهر الجزئيات التي تتكون منها الكائنات من جماد ونبات وحيوان. بما في ذلك جسم الإنسان، وهذه العناصر هي: النار والهواء والماء والتراب، وتسمى أيضاالأركان الأُوَل، ومنها تتكون الأغذية، ومن الأغذية تتكون الأخلاط، ومن الأخلاط تتكون الأعضاء، ومن مجموعة الأعضاء تتشكل أجهزة البدن.

إن نظريّة الأخلاط التي تنسب أصولهاالأولى إلى "**ابقراط**" (37 ق.م). وقد سارالأطباء الإسكندرانيون على هديها في ممارسة المهنة. كما عمل بها الأطباء العرب

الأول، لندن،1930)، مطبوعات مؤسسة همدارد، (نظرية الطب وفلسفاته)،نودلهي،لندن، 1930، بيترز، "أمة الله " ص137، أولمان "الطب الإسلامي، ص97-100.

[1]نصر، العلوم في الإسلام،ص37 .

[2]نفس المصدر، ص37-40.

[3]الاسطقساط: الأشياء المفردة التي اجتمعت وصارت منها أشياء مؤلفات، تناول هذا الموضوع كلٌّ من الرازي في كتاب الفصول، ص 18 – 21، وفي كتاب المدخل الى الطب (منشورات سلمنقة بإسبانيا)، في الفصلين 1-2 المجوسي، 1 / 15 – 18، ابن سينا في القانون، 1 / 65 . ابن العباس المجوسي، كتاب الكامل في صناعة الطب، الجزء الاول، المقالةالثانية.

دون أن يدخلوا عليها تغييرات جذرية، إلا أنهم كانت لهم نظريات خاصة بهم في أسباب الأمراض وأعراضها ومنهم من انتقدها.

ويمكن أن نلخص ما سبق في أن الأخلاط أوالأمشاج نوع من سوائل الجسم، وتتكون من عناصرالأغذية، وتسمى أيضا "زائدة الأركان أوالأخلاط الأربعة" وهي : (دم ، بلغم، مُرّة صفراء، مُرّة سوداء) فإذا كانت هذه الأخلاط الأربعة متعادلة ومتناسقة بصفاتها ومقاديرها في الجسم حصلت منها العافية، وهي حالة يكون فيها مزاج الجسم في حالة الاعتدال، ويكون منها المرض إذا كان المزاج خارج الاعتدال .

الأمزجة: Tempers (الفطرة – الخصلة– الطبع)

جسم الإنسان المعافى هو ماتعادلت فيه تلك العناصر(الأخلاط) فإن اختلفت بكميَّتها أو بكيفيّة الامتزاج فيما بينها اختلف تبعاً لذلك مزاج الشخص وفقد عافيته.

وأكثرالأمراض ناجمة عن ازدياد في البرودة أو الحرارة، فالمرض حسب نظرية الأخلاط ناجم عن عدم التعادل بين هذه الأخلاط أوسبب فساد بعضها، أوزيادتها أو نقصانها، ويرى أطباء منهم "**جالينوس**" أن لها علاقة بطبائع البشر وأن للفصول الأربعة أثراً على الطبائع الأمزجة. أما العلم الحديث فينسب تغير السوائل إلى المرض ولا يعدها سببا له.

ويقول الأطباء اليونان إن هذه الأخلاط تتغير فتنقلب من واحدة إلى أخرى أو من واحد إلى آخر وهكذا يتحول البلغم إلى دم بواسطة الحرارة الغريزية وينقلب الدم إلى الصفراء إذا أصبح ثقيلا بسبب ازدياد الحرارة، ولكنه لا يستطيع الانقلاب إلى بلغم، وقد تتحول الصفراءُ سوداءَ إذا أحرقتها حرارة شديدة إلاأن الصفراء لايمكن لها أن تتحول إلى دم أو بلغم كذلك السوداء لاتتحول إلى دم أو صفراء غير أن "**ابن العباس**" اعترض على هذه النظرية قائلاً: "أنْ ليس ثمة أربعة عناصر، بل عنصر واحد ربما كان الماء. ويقول بأن الجسم لا يحتوي على أربعة أخلاط بل خلط واحد هو الدم، وتخضع الأمزجة باختلاف أنواعها (بالإضافة إلى طبيعة عناصرها الأول وأخلاطها) لمؤثرات خارجية كثيرة، منها الهواء أو: فصول السنة، والأبراج السماوية، ودورة القمر، والبيئة الجغرافيّة

وطبيعة العضو المعتل، وعمر المريض، وجنسه، وتؤخذ جميع هذه العوامل بعين الاعتبار في تشخيص الأمراض ومعالجتها"[1].

وكما حاول الأطباء المسلمون إدراك منافع الأعضاء لتشخيص الأمراض فقسمواوظائف الأعضاء (الفسيولوجية) إلى ثلاثة أنواع هي: الطبيعية والحيوانية والوظائف الروحيّة[2].

كما كان للأطباء المسلمين أساليبُ خاصةٌ في دراسة الأمراض لتشخيصها[3]، يقول "**الرازي**": لتشخيص أي مرض يجب معرفة عدد من العناصر هي: التعريف بالمرض، أسباب المرض، أقسام المرض، العلامات أو أعراض المرض، التشخيص المقارن، مناعته، الاستفراغ (القيء) البُحران من حيث أوقاته ودلالاته، الإنذار (علامات السلامة وعلامات الخطر)، العلاج، مدى الاستعداد للمرض.

وأما بخصوص الأمراض اختلف الأطباءالمسلمون في تقسيمها **فـ"ابن العباس"** يقسم الأمراض إلى ثلاثة أقسام هي:

1- أمراض الأعضاء المتشابهة الأجزاء:

أمراض الأعضاء الآلية: وهي أربعة أنواع :

أمراضالخَلْق : التشوهات.

أمراض المقدار: وكبر العضو وصغره.

أمراض العدد : تكون في زيادة أو نقص عدد الأعضاء.

أمراضالوضع : وتتعلق بمكان العضو المصاب[4].

2- أمراض العامة:

---

[1] ابن العباس المجوسي، كتاب الكامل في صناعة الطب،الجزء الاول، المقالة الثانية.

[2] السامرائي، مختصرالطب، 236/2 .

[3] اقرأ عنه في كتاب الفصول للرازي، وابن سينا، القانون، ابن العباس، كامل الصناعة، ابن هبلا البغدادي، المختارات

[4] خيرالله، امين اسعد، الطب العربي، (بيروت، 1946) ،ص 100 – 101 .

وتشمل: إصابات لأعضاء المتشابهة والآلية وتفصل بين أجزائها، وتحدث في العظام والعضلات وخلافهما كالوجه، والقدم، وغيرهما، من الأعضاء المركبة، وحينما تحدث في العظام تسمى كسوراً، وفي العضلات تسمى جروحاً وإذا استمرت تسمى قروحاً. أما "**ابن سينا**" فيختلف عنه قليلاً حيث قسّم الأمراض إلى قسمين بسيطة ومركبة، فالبسيطة تكون في الأجزاء المتشابهة، أو في الأجزاء العضوية، أو في كليهما معاً، وتدعى الأمراض العامة، والمركبة تنتج عن حجم العضو المصاب، شكله، عدده، مركزه.**أين التهميش**

أما عن أسباب الأمراض فقسمها الأطباء إلى ثلاثةأنواع[1]:

الأمراض الظاهرة أو الخارجيّة كالجرح بالسكين والمرض بالحجر ولدغ الحشرات وحرارة الشمس والنار وفعل البرد والثلج وخلافها التي تحصل للجسم من الخارج وتدخل في هذه الأسباب الأمور الستة غير الطبيعية إذا أسيء استعمالها.

الأسباب الباطنية: وتكون سبب تغيير الأخلاط.

الأسباب المرافقة: "المصاحبة".

كما أنهم قسموا الأعراض إلى ثلاثة أنواع[2]:

أحوال البدن

أعراض المرض.

أعراض الحالة المتوسطة بين الصحة والمرض.

وقالوا: وكل هذه الأعراض تدل علي مرض سابق، مرض حاضر، مرض قادم.

وأن بعض الأعراض تكون عارضة **كالأملنخزي** بين الأضلاع في الالتهاب الرئوي، وبعض الأعراض تحصل عند قرب انتهاء المرض كأعراض الاستفراغ . وقسمها الأطباءإلى أعراض عمومية وخصوصية، فالعمومية: تحصل في جميع أمراض الجسم، والخصوصية: تدل على مرض خاص، تفرقه عن الأمراض الأخرى. وقد تحصل

[1] المرجع السابق، ص 102 .

[2] كامل الصناعة الطبية، 1 / 32 .

الأعراض من اضطراب الإفرازات أوالأعضاء وهذه يدل عليها النبض، والتنفس، والبول، والعرق، والبصاق.

ثانيا: أساليب التشخيص :

أخذ الأطباء المسلمون نظرية الأخلاط والأمزجة الأربعة عن اليونان في تشخيص الأمراض الباطنية إلا أن هذا لم يمنعهم من ممارسة منهج الاستقرار والتفسير في هذا العلم حتى لا ينحصروا فيما أخذوا لتشخيص الأمراض الباطنية، ونظراً لهذه المنهجية وضع الأطباء المسلمون قواعد وطرقاً عامة لتشخيص الأمراض الباطنية، يستدل بها على العضو المصاب ، يقول "**المجوسي**": "الطرق التي تسلك في معرفة كل واحد من العلل والأمراض الباطنية والقوانين تبني عليها الأمراض في معرفتها ....وهي ثمانية :

إحداها : الطريقة المأخوذة من ضرر الفعل.

الثانية : الطريقة المأخوذة من وضع العضو.

الثالثة : الطريقة المأخوذة من الوجع الخاص بالأعضاء.

الرابعة: الطريقة المأخوذة من الورم .

الخامسة : الطريقة المأخوذة من الأعراض الخاصة للورم.

السادسة : الطريقة المأخوذة من البحث والمسألة .

السابعة : الطريقة المأخوذة من المشاركة في العلة"[1].

وأساليب التشخيص عند العرب والمسلمين لم تأت على شكل منظم موحد، بل إنها جاءت متفرقة دون ضابط ، وقد حاولنا في بحثنا هذا جمع تلك الآراء وتوحيدها من أجل الخروج بنظرية عربية شاملة عن أساليب التشخيص في الطب العربي .

أساليب التشخيص في الطب العربي هي[2]:

[1] محمد محمود الحاج قاسم، أساليب التشخيص في الطب العربي، مجلةافاق الثقافة، السنةالثامنة،العدد (31)، مركزالماجد، (دبي 2000)، ص 133 – 139 .

[2] اجفو علي، الاطباء الأندلسيون ودورهم، مجلة افاق الثقافة. ص143 .

أولاً : حسن الاستماع لقصة المرض وتحليل شكوى المريض: (complaint history and presenting).

اعتمد الأطباء العرب في تشخيصهم الأمراض المختلفة إلى حسن الاستماع لشكوى المرض، استقصاء أحوالهم وزيارة منازلهم عند الضرورة، وقصة مرضهم وتحليل أعراضه وعلاماته[1]، ونظراً لعدم وجود وسائل التشخيص الحديثة كالفحص بالأشعَّة والمنظار والمختبرات نذكر على سبيل المثال:

قروح المريء والمعدة والأمعاء: لقد استطاع الأطباء أن يفرقوا بتفهم واع وتحليل بين موضع الألم وشدته وعلامته بإعطائه طعاماً ثم متابعة استجابته للعلاج، يقول "**الرازي**" في ذلك: "إن كانت القرحة في المريء وجد له لذع ساعة، يبلغ قبل أن يصل كثيراً إلى أسفل وإن كان في المعدة فإنه لا يحسن البتة أو بحين بعد زمن طويل فأما في المرور عند الازدراد فلا" ، ويقول: "إن رأيت الوجع من قدّام فالقرحة في المعدة، وإن كان عالياً ففي فمها وإن كان أسفل ففي قعرها، وإن كان الوجع من الخلف فالقرحة في المريء" استدل على مكانه من موضع الوجع، ثم وصف علامة قرحة المعدة (peptieulcer)بشكل علمي وصحيح فيقول: "علامة القرحة في المعدة وجع شديد عند الأكل وقيء دموي ويتأذى بالشيء المالح والحامض والحريق والحار والبارد جداً"[2]. كذلك استطاع "**الرازي**" عن طريق الاستماع إلى مرضاه ومتابعتهم أن يفرق بين القولنج (التهاب الزائدة) وحصاة الكلى وإيلاوس (انسداد) الأمعاء تفريقاً يدل علي خبرة طويلة وتجربة رائدة في حقل التشخيص الجراحي يقول:"إن مع القولنج مغصا وانتفاخ المراق وفساد الهضم والوجع قدام وينتقل ويتحرك ومع القولنج يأخذ مكاناً أكبر ووجع الكلى يحتبس معه البول إيلاوس يكون إما عن ورم حار في الأمعاء الدقائق، وإما من سدة تحدث من ثقل صلب ويعرض تمدد مؤلم وانتفاخ وغثيان يعم هذين الوجعين احتباس البطن في الابتداء

[1] الحاوي، 5 /23 -28- 40 .

[2] الرازي: المرشد أو الفصول، حسين : طب الرازي، 150، كذلك محمد الحاج قاسم، أساليب التشخيص في الطب العربي، ص 133 .

والوجع الشديد والمغص ... والوجع في القولنج من الناحية اليمنى من المراق الأكثر ويحبس الثقل حبساً شديد حتى أنه لايخرجولايريح أيضاً أما في وجع الكلي فإنه يحس بالوجع دائماً على الكلى بعينها كالشوك المغروز وتألم (كذا) التي بحذاء الكلية العليا"[1].

ثانيا : الفحوص (التأمل والمراقبة) الفحص السريري .

يقصد بالفحوص السريريّة الطرق التي تستعمل لفحص المريض في سريره، وهذا التعبير بأية حال مستحدث لم يرد في لسان الأطباء العرب، إلا أنهم مارسوا أكثر الفحوص التي تطبق باسمه في هذا اليوم (مضافاً إلى ذلك فحص إفرازات المريض كالبِراز والبول والبصاق ليستدل من جميعها على تشخيص المريض). وينظر الطبيب الفاحص إلى المريض المستلقي على سريره ليعرف لون بشرته وبياض عينيه وحركتهما وشرودهما، ويسأل المريض عن استمرائه الطعام، ومواضع الشكوى من جسمه ثم يحبس نبضه ويتلمس تحت الأضلاع وقرب المعدة عن الكبد المتورمة، وينظر إلى القدمين عن وجود الوذمة التي تدل على برودة الكبد بعد ذلك ينظر إلى قارورة البول والبِراز والبصاق ليقدر ما فعله المرض في الكلى والأمعاء والرئتين[2].

وقد وضع "**رضوان المصري**" خطة لفحص المريض وتشخيص مرضه فيها مؤشرات سريرية جديرة بالذكر قال: "تعرف العيون هو: أن تنظر إلى هيئة الأعضاء والسخنة، والمزاج، وملمس البشرة، وتتفقَّد أفعال الأعضاء الباطنة والظاهرة، مثل أن تناديه من بعيد فيظهر بذلك حال سمعه وأن تعتبر بصره بنظر الأشياء البعيدة والقريبة، ولسانه بجودة الكلام، وقوته بحمل الثقل والمسك والضبط والمشي مقبلا ومدبراً، ويؤمر بالاستلقاء على ظهره ممدود اليدين قد نصب رجليه وصفهما، وتعتبر بذلك حال أحشائه، وتتعرف حال مزاج قلبه بالنبض وبالأخلاق، ومزاج كبده بالبول وحال الاخلاط وتعتبر عقله بان تسأل عن أشياء، وفهمه وطاعته بأن يؤمر بأشياء، وأخلاقه إلى ماتميل بأن يعتبر كل

[1] السامرائي، مختصر الطب، 257/2 .

[2] ابن أبي أصعبة، ص565، راجع ابن رضوان .

واحد من الأعضاء والاخلاق"[1]. وأكثر الفحوص السريريّة تطوراً وممارسة عند العرب هما النبض والبول التي سنقوم بشرحها .

ثالثا: في التشخيص التأمل والمراقبة (Inspection):

يقوم أساس هذا المحور على ملاحظة الأعراض والتغيرات المرضيّة على المريض بالنظر إليه ومراقبته عند قيامه بالأفعال الحيوية الطبيعية ويشمل ذلك:

أ. ملاحظة اللّون: نجد **لـ"الرازي"** وصفا سريرياً جيدا لأمراض الكبد المختلفة وكيفية التفريق بينها بملاحظة اللون، حيث يقول: "إن اللّون من الأشياء التي تدل على أكثر الأمراض على أحوال الكبد فإن المكبود في أكثر الأمر يضرب إلى صفرة وبياض، وربما ضرب إلى دلالة أخرى وليس لذلك اللّون اسم يدل عليه مناسب خاص"[2].

والبِراز والبول الشبيهان بماء اللحم يدلان في أكثر الأمر على أن الكبد لا يتصرف في توليد الدم تصرفاً قويّاً الذي يكون بسبب المرارة، فقد يدل عليه اللون اليرقاني، وربما كان معه بِراز أبيض إذا كانت السدة بين المرارة والأمعاء[3]

ب. ملاحظة التنفس: أعطى الأطباء العرب والمسلمون لوضع المريض عند تنفسه أهميّة قصوى بصفته وسيلة مهمة في التشخيص، وجاء تعريفهم لأسباب ضيق التنفس مطابقاً للنظرة الحديثة، يقول "**الرازي**":"من عرض له أن يتنفس متواتراً من غير حركة ولا حمى فإن به ربواً ويسمى نفس الانتصاب (orthopnea) فهم ينتصبون وقت النوم كي يسهل نفسهم ويكون صدره أعلى كثيراً؛ لأن تنفسه آنذاك أسهل[4]". ويقول: "ضيق النفس يدل على ثلاث علل، ورم حار حادث في الدم، وإما لضيق مجاري التنفس، وإما لضعف القوة التنفسية"[5].

---

[1] الحاوي، 2 /360 سنة 1979، الهند .

[2] محمدالحاج قاسم، أساليب التشخيص، ص134 .

[3] الحاوي، 3/4 .

[4] المصدر نفسه، كذلك محمدالحاج قاسم، أساليب التشخيص،ص34.

[5] تدبير الحبالي، ص181 .

ج. ملاحظة المولود حديث الولادة: ذكرالأطباء المسلمون صفات وعلامات يستدل بها علي تشخيص حال الطفل إن كان طبيعيا أو مريضا أو ناقصا أو خديجا، وهي في جملتها لا تختلف كثيرا عما يؤكده أطباء الأطفال اليوم ممّا يجعلنا نقف بإجلال لتلك العقول النيِّرة. وهذه الدلائل عندهم هي: **بكاء الطفل ساعة الولادة، وسلامة حواسه**[1]، **قدرة الطفل على الرضاعة**، يقول "**ابن الجزار القيرواني**": "فإن وضعت حَلْمة الثدي في فم المولود وجدته يعصرها ويعين عليها بشفتيه، ثم يثبت بلسانه فيندفع اللّبن إلى حَلْقِه كأنه قد تعلم ذلك وتفنَّن منذ دهر طويل".[2]**كثرة النوم عند الطفل المولود**[3]**،سلامة مداخل ومخارج الطفل المولود:** وفي هذا يقول "**البلدي**": "وأما الطفل فإن مداخله كثيرة كالفم والمنخرين، ومخارجه كثيرة كمخرج البول والبِراز ... فيجب أن تكون هذه المداخل والمخارج سليمة متفتحة".[4]

وهذا النوع من الفحص كان وسيلة مهمة في تشخيص بعض أنواع تشوهات الأصابع المعقودة غير المتقوّبة، انسداد مجرى البول الولادي الخنثي، تجمع الماء في رؤوس الصبيان، أمراض العين الولادية :(الحول، انسداد مجرى الدمع، الشُّتْرة)، صغر الرأس الولادي[5].

د. ملاحظة الطفح في الجلد: لقد كانت ملاحظة التغيرات وأشكال الطفح ومراقبتها من الوسائل المعتمدة في الحميقاء (الجدري الكاذب)، وكان "**البلدي**" أوَّل من قدم وصفا دقيقا لمرض الحميقاء ومن استعراض وصفه لهذا المرض يظهر أنه يقصد مانسميه اليوم بجدري الماء أو الجدري الكاذب (chickenpox)، كما أن "**ابن سينا**" أول من أشار إلى مرض الجمرة الخبيثة من خلال الملاحظة.

---

[1] ابن الجزار، سياسة الصبيان، ص11 .

[2] البلدي، تدبير الحبالي، ص185.

[3] محمد الحاج قاسم، تاريخ طب الأطفال عند العرب، ص 166 .

[4] محمد الحاج قاسم، أساليب التشخيص، ص134 – 135.

[5] أجفواعلي: الأطباء الأندلسيون، ص140 .

رابعا: من أساليب التشخيص عند الأطباء المسلمين الاستعانةباليد في الفحص :

أ.الجس(palpation):

لقد كان في استطاعة الأطباء المسلمين أمثال "**الرازي والطبري، وابن سينا، والزهراوي، وابن زهر**" تشخيص كثير من أمراض الحلق والحنجرة بالفحص المباشر وبالتحسس بأصابع اليد، فلقد كانوا قادرين على تشخيص كثير من الأمراض حتى تلك النادرة الحدوث، ولقد جاء وصف ذلك بتفصيل كبير في كتاب التيسير "**لابن زهر**"[1].

وفي تشخيص السرطان يقول "**مهذب الدين بن هبل**": "هذا هو الداء العياء، لكن إذا لحق في أوله أمكن له أن يوقف فلا يزيد، لكني لم أره في إنسان إلا وقتله، وهو ورم صلب له أصول ناشبة فيه خشونة وتمدد في جوانبه وعروق خضر، ويتزايد ويعظم مع ألم مبرح، وربما ابتدأ وكان كالحمصة ثم صار كالبطيخة وأعظم، ويبتدئ مع ألم شديد في تسكينه طلاء ملمسه حار، فيكون في أول الأمر بلون البدن ثم يكمد، وقد لا يؤلم ألما شديدا وهذا يقبل العلاج حتى يقف ولا يزيد"[2].

ب. النبض[3]:

اهتم الأطباء العرب بالنبض باعتباره علامة مهمة في التشخيص والتوقعات المرضية، وألف في موضوعه كثير من الأطباء، كان منهم "**حنين بن إسحاق، وجيش الأعسم، وثابت بن قرة، وقسطا بن لوقا، وإسحاق بن عمران**"، بالإضافة إلى ماكتبه بالتفصيل كل من "**الرازي والمجوسي وابن سينا**" في كتبهم عن الطب العام. يقول "**الرازي**" إنه: "قرأ في النبض ست عشرة مقالة من كثرة التجربة على النبض والمشاهدات السريرية عليه، عرفت له أنواعا يختص كل واحد منها بطبيعة من طبائع الجسم وعلله".

---

[1] المختارات في الطب، 197/4، كذلك محمد الحاج قاسم، أسالي بالتشخيص، ص 135 .

[2] اقرأ عن النبض في الفصول للرازي، ص73 – 75، والحاوي، 17 / 35 – 38 – 40 – 45، علي ابن العباس والملكي 254/1 – 271، وابن سينا، القانون، 163/1 – 166، وإسماعيل الجرجاني، الزيدة في الطب، ص12 –12.

[3] نفس المصدر، الرازي، فصول، ص73 – 75 .

وهكذا عرَّف الأطباء المسلمون النبض على أنه حركة من أوعية الروح (أي الشرايين) مؤلفة من انبساط وانقباض لتبريد الروح بالنسيم، وفحصوه بالجس لتشخيص الأمراض، والجس عملية تحتاج إلى معرفة بتشريح الأوعية الدموية ومواقعها في البدن وطول مران على تلمسها في حالتي الصحة والمرض، ولا يمكن تشبيه النبض بشيء يقاربه ليكتفي الفاحص بالقراءة عنه دون التجربة والمران فيه.

ويفحص النبض أثناء الراحة والهدوء النفسي لا بعد الرياضة أو دوام الجوع أو الافراط في الأكل[1] وتعرف حالته من الأوصاف الآتية[2]: (حجمه في حالة انقباضه، تناوبه (أي درجة سرعته) شدة قرعة للأصابع، استواؤه، وانتظامه في القوة، زمان كل حركة فيه ودوام سكونها، حرارة ملمسه وبرودته، قوام الأوعية (أي القوة الآلية التي فيها) بالامتلاء أو الخواء، حالة جدران الأوعية).

ويقدر حجم النبض بأبعاده الثلاثة (طولا وعرضا وعمقا)، ويقدَّر تناوبه بالسرعة أو بالاعتدال، وقوته وانقباضه، والنبض المستوي هو النبض الطبيعي في قوته وسرعته، والنبض المختلف هو الذي لا نظام له، المتواتر ويكون هذا قصيراً متتابعا، ونوع آخر يعرف بالمتفاوت وهو الذي يكون فيه الانبساط طولا، أما النوع الثالث فيعرف بالمتراخي أو المخلخل[3]، وهذا الاختلاف قد عرفه "**الرازي**" وأدركه في قوله: "النبض إنما يختلف إما لأن القلب لم يقوَ على حركته التي كانت له، وإما لأنه اضطر إلى ماهو أكثر منها، وفي الحالة الأولى يختلف بأن يصير أضعف وأصغر من الطبيعي، يفرق بينها بذلك وبالأحوال الخارجية أيضا، فكلما كانت النبضات الصغيرة أقل فهو أجود، فالخاص يحس حال القوة الحيوانية النبض القوي العظيم، وذلك أنه لا يكون مع سقوطها وإنما يكون مع شدة الحاجة، فمتى أردت أن تعرف حال القوة فتفقد الشدة ولاستواء"[4].

---

[1] ابن سينا: القانون،124/1 .

[2] السامرائي: مختصر تاريخ الطب، 259/2 .

[3] الحاوي، 41/4 –51، كذلك ابن العباس: الكامل، ص 255 .

[4] الحاوي، 7 / 23 –30 .

ويقول "**الرازي**" أيضا: "الخفقان يعرض في القلب من أجل الدم الغليظ الأسود ... استدل على وجع القلب بالخفقان والغشي ... يحتاج أن يفرق بين الخفقان الكائن في القلب والكائن في المعدة ... الاختلاج يكون إما من رطوبة مجتمعة في غلاف القلب، وإما من ورم يكون فيها، وإما من رطوبة، وإما من غير رطوبة ترد منه"[1]. وذكر "**الرازي**" أن من أمراض القلب ضيق النفس وعدم الاكتفاء، وهو تعبير صحيح لما يصيب القلب بما يشبه الربو وهو ما نسميه ربو القلب (Cardiac asthma) كما أن سرعة النبض تدل على علة في القلب[2].

وقال "**علي بن العباس المجوسي**":"القلب والعروق الضوارب تتحرك كلها حركة واحدة، حتى إنه يمكن أن يقاس بواحد منها على جميعها، ولذلك صرنا نتعرف حال حركة القلب في حركة الشريان"[3]، وقال أيضا: "إن النبض رسول يكذب ومناد أخرس يخبر عن أشياء خفية بحركاته الظاهرة"[4]، ولا حاجة أن ننبه إلى الإبداع والعذوبة في هذه العبارة الغنية بالمادة العلمية[5].

ومما قال "**ابن سينا**" عن النبض عند الحوامل: "أما الحاجة فيهن فتشتد بسبب مشاركة الولد في النسيم المستنشق، فكأن الحبلى تستنشق لحاجتين ونفسين، فأما القوة فلا تزداد لا محالة ولا تنقص أيضا كبير إنقاص إلا بمقدار ما يوجبه يسير أعباء الثقل؛ ولذلك تغلب أحكام القوة المتوسطة والحاجة الشديدة، فيعظم النبض ويسرع ويتواتر"[6]، ومما قاله "**ابن العباس**" عن النبض عند الحمل: "فأما المرأة الحامل فإن نبضها يكون عظيما شديد السرعة والتوتر؛ وذلك لأن الحرارة الغريزية في أبدان الحوامل قوية بسبب ما ينضاف إلى مزاجها من حرارة الجنين لما يتأذى من حرارته إلى شرايين المرأة لاتصال

[1] محمد الحاج قاسم، أساليب التشخيص، ص 136

[2] ابن العباس المجوسي، ص 269/1.

[3] ابن العباس المجوسي : المصدر نفسه ، ص1/ 278.

[4] السامرائي، مختصر تاريخ الطب، 258/20 .

[5] ابن سينا، القانون، ص 133/1.

[6] كامل الصناعية الطبية، ص266.

شرايين الجنين التي في المَشِيمة بشراييها .. وأما نبضهن في القوة والضعف فإنه يكون على تمام الشهر الخامس متوسطا لأن قوتها في هذا الوقت تكون كذلك لأن الجنين في هذا الوقت يكون خفيفا لصغره لا يجتذب من أبدانهن غذاء كثيراً ويكون معتدلا في السرعة والتواتر وإذا كان في الشهر السادس ابتدأت قوتهن تنقص لأن الجنين يكبر فيثقل على الطبيعة ويضغطها ويجتذب من الغذاء مقداراً كثيراً أكثر مما كان يجتذبه قبل ، فتضعف قوة الحامل فيصير النبض لذلك ضعيفا بطيئا[1].

ويقول"**الطبري**": "أما النبض عند المرأة الحامل فعظيم سريع متواتر إلا فيما يوجبه ثقل الحمل فيوجب إعياء يقع بسببه ضعف ما"[2].

ج. القرع (percussion)[3] عندما تحدث "**ابن سينا**" عن أنواع الاستسقاء سمى إحداهما الاستسقاء الطبلي (Tympanitis)(السبب مادة ريحية)، ومن أعراضه تخرج فيه السرة خروجا كثيراً وتكون البطن كأنها وتر ممدود، وإذا ضرب باليد سمع صوت كصوت الزّق المنفوخ فيه، ليس الزّق المملوء ماء، ويكون صاحبه مشتاقاً إلى الجشاء دائما ويستريح إليه وإلى خروج الريح[4]

د. فحص النساء: لا ريب في أن القيود العرفية والشرعية التي تخضع لها المسلمة قد أوجدت صعوبة في ممارسة الطب النسوي بسبب ما تتطلبه المهنة من الفحص والمعالجة الأمر الذي جعل الأطباء العرب والمسلمون في معظم الأحيان لا يفحصون النساء بأنفسهم بل يجعلون القابلات يقمن بذلك بتوجيه منهم، وكانت القوابل تصف ما تحس به المريضة فيعتمد الأطباء على هذا الوصف في التشخيص والعلاج[5].

---

[1] المختارات 167/1.

[2] محمد الحاج قاسم، أساليب التشخيص،ص 136 .

[3] القانون في الطب، 384/2

[4] الرازي، 75/9، كذلك: محمد الحاج قاسم، أساليب التشخيص، ص136.

[5] حسين كامل، طب الرازي، دراسة تحليله ص 401.

ويقول "**الرازي**" إذا رأيت احتباس الطمث ويبس الثقل (البِراز) في جميع الجسم، وذهاب الشهية واضطراب واقشعرار وغثي وشهوة الأشياء الرديئة، فقل للقابلة تجس عنق الرحم فإن كان منضما بلا صلابة دلّ على حبل ويعد "**الرازي**" أوّل من قام بفحص الباكرات بجس بالإصبع عن طريق الشرج[1].

هـ. اختبارات الحس والحركة:

يوصي "**الرازي**" بفحص العضو بواسطة الحركة للتأكد من سلامته في حالة الاشتباه بوجود كسر[2]، ويعرف "**الرازي**" السكتة بقوله: "السكتة هي أن يعدم البدن كله بغتة الحس والحركة خلا حركة التنفس وحدها، فإن عدمها فذلك أعظم وأدهى مايكون منها[3]"، ويفرّق بين السكتة والسبات بقوله: "ليس متى وجدت العليل بقى لا يحس ولا يتحرك فهي سكتة، وفي الأكثر لا تخلو من فالج يحدث"[4].

شلل الأطفال: وعند الحديث عن شلل الأطفال يقول "**الرازي**": "يحدث الشلل في الأطفال إما في طرف واحد أو في الجسم كله، ويمنع الطفل من المشي أو أي نوع من الحركة، ويحدث من سبب رطوبة لطيفة تشل العصب[5]..." وفي محل آخر يقول: "فإذا كان العضو عصباً حِسِّياً و حركيّاً فربما حديث الآفة بأحدهما"[6].

خامساً: فحص الإفرازات في التشخيص:

أ. مراقبة القيء: نذكر على سبيل المثال ما ذكروه عن قيء الدم ونفثه، فقد عدَّد الأطباء العرب مصادره، فهو قد يكون من المريء أو المعدة أو من رُعاف سال إلى المعدة من حيث لم يشعر به، أو انصباب الدم إلى المعدة من الكبد أو الطِّحال أو غيرها

---

[1] الحاوي،160/13، كذلك محمود الحاج قاسم، أساليب التشخيص، ص 137)

[2] الحاوي، 14 /6 .

[3] نفس المصدر، 6/14 .

[4] الرازي، رسالة في امراض الاطفال والعناية بهم تعليق محمد الحاج قاسم، مجلة آفاق عربية، تصدر عن بغداد،ع 6، سنة 1982 ،ص72.

[5] الموجز، ص 60 .

[6] القانون، 339/2 ،الحاج قاسم، أساليب التشخيص، ص137 .

من الأعضاء، وخاصة إذا احتبس ماكان يجب أن يُسْتفرَغ من الدم، والسبب فيه إما انفجارعرق وانصداعه أو قطع، وكثيراً مايكون ذلك عقب القيء الكثير. وهذه الجملة الأخيرة من كلام "**ابن سينا**" تصف ما نعرفه اليوم (بلزمة مالوريوفايس (Mailory – weisssyndrom)). وفيها يبدأ القيء بلا دم من أي سبب كان، ولكن ما يلبث المرء أن ينقطع غشاؤه المخاطي من أسفل من شدة القيء؛ فيأتي القيء بعد ذلك مخضَّبا بالدم، ومن الأسباب التي يذكرها الأطباء أيضاً شرب دواء حار، وانقطاع لحم زائد ثؤلول، أو انفجار ورم غير نضيج، ثم يفرقون بين السببين الرئيسين للقيء الدموي: قرحة المعدة، وبواسير المريء تفسيراً علمياً صحيحاً، يقول "**ابن سينا**": "فأما الذي من تآكل المعدة فينفصل عن الذي في المريء لموضع الوجع، ويدل عليه علامة قرحة سبقت، ويكون الدم يخرج عنه في الأول قليلاً، ثم ربما انبعث شيء كثير وربما كان حامضا، أما الذي عن بواسير المريء فيكون ذلك حينا بعد حين لا وجع معه ويكون الدم أسودَ عكِراً ويكون لون صاحبه أصفر[1].

ويقدم "**الطبري**" أيضاً عرضا لمسألة نفث الدم، وهو في عرضه استطاع أن يفرق بين أنواع الدم وغيره، يقول: "متي نفث الطفل الدم ... فهو علي وجهين، إما دم ينزل من رأسه ... أو رئته، فإن كان مما ينفث من الصدر لا يخفى علي الطبيب الماهر ذلك لأنه يخرج بالسعال والتنحنح، وإن كان مما ينزل من رأس فعلامته أن يخرج من مناخيره واحتمال ذلك يعرض الطفل إلى مرض لضعفه وضعف قوته[2].

ب– مراقبة البراز والديدان: أما عن مراقبة البِراز فنذكر على سبيل المثال هذا القول لـ"**الرازي**": "ويتكرر حدوث الإسهال في الأطفال بسبب ظهور الأسنان، أو بسبب البرد أثناء لفّه بالقماط، أو بسبب تعفّن الحليب من الصفراء والبلغم، وعلامة كونه من الصفراء

[1] محمد الحاج قاسم، أساليب التشخيص، ص138 .

[2] المرجع السابق، ص 38، كذلك الرازي، رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم، ص 138 .

كون لون بِراز الطفل ليمونيّا ذو رائحة حادة ويخرج دون توقف، وعلامة البرد والبلغم هو كون البِراز الأبيض يخرج متقطعاً، وإذا كان البلغم لزِجاً فالخروج يأتي سريعًا"[1].

أما عرض الأطباء المسلمين لموضوع الديدان فقد اعتمد أساساً على شكل الديدان البالغة كما يبدو للعين المجردة (وما كان لهم أن يذهبوا إلى أبعد من ذلك) حيث إنهم لم تكن لديهم المجاهر التي تكشف عن دقائق تركيب الديدان وأطوار نموها كالبويضات واليرقات، أما أهم الديدان المعربة التي جاء ذكرها فهي:

- الديدان الطوال العظام (الحيات) وهي تشمل الديدان من صنف الإسكارس .
- الديدان الصغار (دون الخل) وهي تشمل الأوكزيورس.
- العراض (حب القرع) الديدان الشريطية، ويقول "**البلدي**" عنها إنها إن خرجت كلها تخلَّصَ المريض منها وإن انقطعت تولدت ثانية، وهذا قول صحيح لاشك فيه[2].
- الديدان المستديرة : ذكرها "**ابن سينا**"، ويقال أنها دودة الإنكلستوما[3].

ج. مراقبة الطمث والدم في النساء: لقد فرق "**ابن سينا**" بين الدم الذي يأتي نتيجة الطَّمث أو من أسباب أخرى، فقال: "إن كان الترف على سبيل دفع الطبيعة فعلامته أن لا يلحقه ضرر، بل يؤدي إلى المنفعة ، وأما ما كان سببه الامتلاء أو عن غلب غالب فعلامته امتلاء الوجه والجسد و درور العروق، ويكون معه وجع أو لا يكون، وأما ما كان سببه ضعف الرحم وانفتاح العروق فيدل عليه خروج الدم صافياً، وأما الكائن لرقة الدم عن مادة مائية ورطوبة، فيكون معه مدة ووجع، وأما الكائن عن الآكلة فيكون قليلاً وأسود، وإن كان عن البواسير فيكون له أدوار غير أدوار الحيض"[4].

---

[1] مقدمة كتاب تدبيرالحبالي والأطفال والصبيان.

[2] محمد الحاج قاسم، أساليب التشخيص، ص 138.

[3] القانون، 2 / 586.

[4] الرازي، الفصول، 55 – 56، والحاوي، الجزء التاسع، فصل البول وما يتعلق به، ابن العباس: كامل الصناعة الطبية، 1 / 281 – 285، ابن سينا، القانون، 1 / 136 – 146، البغدادي، مختارات في الطب، 1 / 171 – 184 .

د. مراقبة البول : ويسمى الفحص على البول (التفسرة)، ويجب أن تكون العينة للفحص من الصباح أو بعد النومة الطويلة، وأن يتم الفحص عليها في خلال ساعة بعد استحضارها من المريض، كما يوصى المريض الذي يفحص بوله أن لا يشرب ولا يأكل ما يغير لون البول أو قَوامه، فإن الزعفران يصبغه بلون أصفر، والرمان بلون أحمر، والبقول بلون أخضر، فتعطي هذه الألوان المكسبة لون البول على غير طبيعته، كذلك يوصي المريض أن لا يشرب المشروبات المسكرة والتي تفرز في البول، ويوصى أيضاً أن لا يأكل بإفراط قبيل التفسرة، ولا يكون صائماً على الطعام، وأن تعذَّر أخذ البول في الصباح فلا يجب جمعه بعد التعب والرياضة أو الغضب، بل بعد الراحة التامة أو بعد القيلولة[1].

ويستهدف من فحص البول معرفة مقداره ولونه وقواه وصفاته وكدره والرسوب الذي يتجمع فيه، والزبد الذي يعلو سطحه ورائحته وطعمه[2].

وكان الأطباء يفحصون أبوال النساء لتشخيص الحبل، يذكر أن "**أبا قريش**" طبيب "**الخيزران**" عرف أن سيدته "**الخيزران**" كانت حاملاً في فحص بولها، كما ادعى "**أبو قريش**" أنه يعرف بفحص بول الجنين في بطن أمه، ونجح "**أبو قريش**" (حدسه) على "**الخيزران**" مرتين وأيَّد"**الطيفوري**" الذي صار بعدئذٍ طبيب الخليفة "**موسى الهادي**" تشخيصَ الحبل من فحص البول، غيرأنه نفى تشخيص جنس الجنين قبل ولادته[3]، وبعد أن جاء "**ابن هبل البغدادي**" المتوفي سنة(610 هـ / 1213م) وبيَّن البول الكدِر الذي يشبه لون الشراب الرديء، أو ماء الحمص إذا لم يكن عن مواد تقيُّحيَّة في الأحشاء فهو بول الحبالى .

ويقول "**البغدادي**" عن بول النساء (أغلظ إلى البياض من أبوال الرجال لكثرة فضولهن وقلة رياضتهن وسعة منافذ أبوالهن، وما يصحب من سيلان أرحامهن .. وبول

---

[1] الرازي، الفصول، 55 – 56 .

[2] السامرائي: مختصر تاريخ الطب، 2 / 261 .

[3] المختارات في الطب، 1 / 171 – 184.

الحبلى كأن عليه ضباب يتبين فيه كالقطن المنفوش أو يرى فيه كالحب يصعد وينزل.. وإذا كان بول الحبلى يميل إلى الزرقة فهو دليل أول الحمل وإلى الحمرة فهو دليل آخره.. وبول النفساء فيه قطع سود؛ وذلك من الطمث المحتبِّس في الحبل[1].

وكما أن "**الرازي**" يشخص العديد من الحالات المرضية من خلال مراقبة البول، يقول: "بول الدم بغتة خالصاً غزيراً بلا سبب يكون من انسداد عرق في الكلى؛ لامتلائه من الدم، وقد يكون من وثبة أو سقطة".[2] نجد أن "**الرازي**" هنا يعلم أسباب تلك الأعراض التي يشكوا منها مريض الكلى بأسلوب اكلينكي صحيح.

ومن أقواله الأخرى في هذا الباب: "إذا رأيت بول الدم والمِدَّةَ فتوقف واستدل، فإن كان الذي يبول القيح قد وجد ذلك وجعاً في أسفل الظهر، وكان يصيبه اقشعرار على غير نظام ونافض يسير مع حمى، علمت أنه من الكلى، وإن كان وجد الوجع في المثانة مع النافض والحمى الخصوص بها المثانة ففي المثانة اختلاط القيح بالبول. أما أن يكون مختلطاً اختلاطاً شديداً حتى يكون البول كأنه قد ضرب به، فإن كان كذلك فإنه يدل على أنه يجيء من فوق، وإن كان دونه في الاختلاط فمن مواضع أسفل منه ضم إلى ذلك مكان الوجع وسائل الدلالات، والاختلاط المتوسط يدل على أنه يجيء من الكلى وإن كان يخرج بلا بول أو قبل، فذلك دليل على أنه من المثانة وإن خرجت قشرة القرحة فاستدل بها في شكلها وفي اختلاطها على نحو ما قلنا في قروح الأمعاء، والخارجة من الكلى معها فتات لحم والخارجة من المثانة قشور" ويقول: "إنْ جمعت في الكلى مِدَّة فإنه يعرض وجع في القطن ونتوء فيما بين الشراشيف... ويتبع ذلك حمى ونافض، ويكون بوله نارياً، فإذا انفجرت المِدَّة سكنت الحمى والنافضة البتة ... وإن مال إلى فيها نقص".[3]

لاشك في أن طريقته في التمييز بين مصدر القيح بناء على قدر اختلاطه بالبول واستدلالاته على مصدر القيح بمواضع الوجع، وكذلك التفريق بما يكون من خروج

---

[1] الحاوي، 10 / 10.

[2] الحاوي، 10 / 28 – 7 ، 5 ، 35.

[3] محمد الحاج قاسم، أساليب التشخيص، ص 139.

الصديد قبل البول وبعده، ثم وصفه لأغراض التقيَّح والتمدُّد في الكلى وتأكيده أن بقاء القيح في الكلية أشد ضرراً ويحتاج إلى فتح طريق لإخراجه ، وان اندفاعه إلى المثانة أقل ضرراً، كل ذلك صحيح ومقبول علمياً حتى اليوم و**لـ"الرازي"** معلومات أخرى عن البول لا يتسع المجال لذكرها[1].

سادسا: البيئة:

ومما اهتم به أطباء المسلمين في تشخيص المرض البيئة التي يعيش فيها المريض، فنجد "**الزهراوي**" هنا يستقصي أصل الداء دون تساهل أو تسرع، ومن ذلك إرجاع العلة إلى سبب واحد وإغفال بقية الأسباب مركّزاً على أثر تلوث البيئة في حصول الأمراض في قوله في علاج الناصور "إن كل قرحة لا تبرأ ولاينبت فيها لحم فإنما ذلك لأحد تسعة أسباب: أحداها إما لقلة الدم في البدن، وإما لرداءته، وإما لأن في داخلها وعلى شفتيها لحم صلب يمنع نبات اللحم من جديد، وإما لأنها كثيرة الوضر والوسخ، وإما لأن القرحة نفسها عفنة والمادة التي تمدها رديئة الكيفية، وإما لأن الدواء غير موافق في علاجها، وإما لفساد وقع في البلدة من جنس الوباء، وإما (الخاصية) في البلدة مثلا على ذلك تعسر نضج الأورام وبرؤها في مدينة "**سرقسطا**"، وإما لأن فيها عظماً واحداً أو عدة عظام[2].

والله ولي التوفيق

[1] الزهراوي، سميو،ص 334.

.

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر

- ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد (م: سنة 668هـ/1269م) .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء – دار الثقافة (بيروت ، 1979م).
- ابن الجزار ، أبو جعفر أحمد إبراهيم بن أبي خالد (م: سنة 360هـ/970م).
  - سياسة الصبيان وتدبيرهم – تحقيق محمد الحبيب الهيله – دار المنار (تونس، 1968م)
- ابن العباس ، أبو الحسن على بن العباس (م: خلال ق.4هـ/10م).
  - كامل الصناعة الطبية المعروف "بالملكي" – مطبعة بولاق (القاهرة ،1294هـ).
- ابن سينا ، أبو الحسين بن عبد الله (م: سنة 428هـ/1036م)
- 1–القانون في الطب – طبعته دار الفكر بالأوفست عن مطبعة بولاق (القاهرة، 1294هـ).
- البغدادي، مهذب الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل:
  - كتاب المختارات في الطب، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، 1362هـ .
- البلدي، أحمد بن محمد بن يحي:
  - كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم، تحقيق، محمد محمود الحاج قاسم، (بغداد، 1980).
- الزهراوي، أبو القاسم خلف بن عباس:
- كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، مخطوط موجود في الخزانة العامة للكتب والثائق بالرباط، تحت رقم(134) المقالة الثلاثون، الورقة

- الرازي ، أبو بكر محمد زكريا (م: 320 هـ/932م)
  - 1-الحاوي – مطبعة دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد الدكن، 1374هـ/1955م)
- 2- كتاب المدخل الى الطب (منشزرات سلمنقة بأسبانيا) ،في الفصلين 1-2 ،
- 3- المرشد أو الفصول،
- 4 -كتاب المنصوري في الطب – تحقيق: حازم البكري الصديقي – منشورات معهد المخطوطات العربية (الكويت ، 1987م).
- 5- رسالة في امراض الاطفال والعناية بهم تعليق محمد الحاج قاسم،مجلة افاق عربية،تصدر عن بغداد،ع 6 ،سنة 1982 ،
- ثانيا المراجع
- أولمان: مانغويد:
  الطب الإسلامي، ترجمة يوسف الكيلاني، (الكويت، 1981).
- جرونر:
  رسالة في قانون الطب ،مطبوعات مؤسسة همدارد،(لندن،1930)
  نظرية الطب وفلسفاته ،نودلهي،(لندن، 1930)

حسين ، محمد كامل

-الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب-مطبعة الجامعة الليبية (بنغازي ، د.ت.).

– دراسة تحليلية لطب الرازي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد السابع (القاهرة، 1961م)

- خليل ، ياسين

الطب والصيدلة عند العرب-منشورات جامعة ... (بغداد ، 1979م).

-خير الله ، أمين أسعد

الطب العربي (بيروت ، 1949م).

- السامرائي، كمال:

مختصر تاريخ الطب، منشورات وزارة الثقافة العراقية، (بغداد، 1984)

- علي ، اجفو علي: الأطباء الاندليسون ودورهم،مجلة افاق الثقافة السنة الثامنة،العدد (31) ؛مركز الماجد، (دبي، 2000)

- محمد محمود الحاج قاسم

أساليب التشخيص في الطب العربي،مجلة افاق الثقافة،السنة الثامنة،العدد (31) ؛مركز الماجد، (دبي، 2000)

الطب العربي والمسلمين، تاريخ ومساهمات، الدار السعودية (جدة، 1987م)

– نصر ، سيد حسين:

– العلوم في الإسلام،ترجمة ، مختار الجوهري،تحقيق محمد سويسي،الدار العربية للكتاب (ليبيا،تونس، 1978م)

– النظريات الكونية الإسلامية، بيروت 1976م

معيارية الصورة الأدبية قراءة في نقد النيهوم

د. سالم امحمد سالم العواسي[1]

كتاب صغير عنوانه (الكلمة و الصورة) للناقد و الأديب الليبي (الصادق النيهوم) و يعد هذا العمل حلقة من سلسلة خرجت للنور سنة 2002م بعد وفاة الناقد (بجنيف) سنة 1992م.

و الفضل الكبير يرجع للكاتب (سالم الكبتي) الذي تحمل مشقة جمعها و تحقيقها و إخراجها للمتلقي في ملمح لطبيعة التفكير النقدي العربي في العصر الحديث يمثله الناقد الليبي (الصادق النيهوم)، و من أشهر عنوانات هذه السلسلة النقدية: (أسئلة)، و (نزار قباني و مهمة الشعر)، و (نوارس الشوق و الغربة) و (الكلمة و الصورة)، و قد احتوت الأخيرة على سبيل المثال –لا الحصر– على دراسات نقدية لنتاجات شعراء عرب أمثال: (عبدالباسط الصرفي، و عبدالوهاب البياتي، و الشابي)، و شعراء عالميين أمثال الشاعر الإنجليزي: (توماس اليوت)، و الشاعر الروسي (الكسندر بوشكين) في محاولة لإيجاد معيار لدراسة و تقييم الأعمال الأدبية عن طريق دراسة الصورة، بالإضافة إلى إجراء بعض المقارنات بين الأسس البلاغية عند العرب، و بين القواعد الجمالية في الآداب الغربية.

و قد قصد الناقد (النيهوم) من هذه المجاورة في العنوان: (الكلمة و الصورة) إلى بيان عجز الكلمات وحدها عن التعبير الفني، و هي قضية نقدية شغلت بال المهتمين بالدراسات النقدية في أدبنا العربي القديم أمثال (الجاحظ) و (قدامة بن جعفر) و (ابن قتيبة) و (ابن رشيق) .....الخ.

[1] جامعة بني وليد / كلية التربية / قسم اللغة العربية.

و تأسيسا على ما تقدم فقد حاولت تسليط الضوء على قراءة نقدية عربية لقضية من قضايا النقد القديم في أعين المحدثين، من خلال تحديد زوايا الرؤية عند (النيهوم) لهذه القضية، فكتبت هذا العمل المتواضع بعنوان (معيارية الصورة الأدبية – قراءة في نقد النيهوم).

لم يكن موضوع الصورة أو البحث عن طبيعتها و فهم الوظيفة التي تؤديها في الأعمال الإبداعية بعيدا عن مناقشات النقاد، في أي زمان و مكان، ليس في أدبنا العربي القديم و الحديث فحسب، و إنما حتى في الآداب الغربية القديمة و الحديثة؛ لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بتقدير قيمة النص الأدبي.

ففي النقد اليوناني القديم، و قد بدأنا به؛ لأن المؤرخين لا يملكون مادة أقدم منه في تاريخ الإنسانية، فهم يولون (الصورة) اهتماماً ظاهراً يتجلى عند الفلاسفة (فأفلاطون) الذي ارتبط اسمه بمجالات الوجود، الأخلاق و المعرفة، و الحق المطلق تتألف كل هذه عنده من "الصورة الخالصة أو المثل، و يتسم هذا العالم المثالي بالكمال و النموذجية، و لهذا العالم وجوده المستقل عن عالمنا، و ليست الموجودات و الأشياء التي ندركها سوى خيالات و ظلال لعالم النماذج و المثل، إن العالم المدرك ليس عالماً حقيقياً و إنما هو محاكاة لذلك العالم الحق، عالم الصورة الخالصة، و النماذج التامة و المثل الخالدة"[1]

و كان الاهتمام بعنصر الصورة واضحا في التراث الروماني ، ففي كتاب (السمو) كان البحث في عظمة الأسلوب من خلال خمسة منابع، هي أساس كل موهبة و إبداع، الأول منها يتمثل في ملكة الاستيعاب، و الثاني مرتبط بالعاطفة قوة و ضعفاً، أما الثالث فهو العنصر المرتبط ببحثنا و هو معرفة الدور الخاص للصورة، و ينقسم هذا النمط إلى قسمين: صور للفكر، و صور للكلمات، و الرابع يتعلق باختيار الكلمات و استخداماتها الحقيقية و المجازية، و الخامس الأخير مرتبط بالتنظيم الذي يظهر وقار الأسلوب و رفعته[2].

و في النقد العربي قبل الإسلام كان النظر إلى الصورة الشعرية من أبرز معايير الحكم على النص الأدبي، و قصة احتكام الشاعرين (علقمة بن عبدة) و (امرىء القيس) إلى (أم جندب) مشهورة في الكتب التي أرخت لملامح النقد العربي في العصر الجاهلي، حيث قالت: قولا شعراً تصفان فيه الخيل على قافية واحدة:

فقال امرؤ القيس: خليليّ مرا بي على أم جندب لنقضي حاجات الفؤاد المعذب[3]

و قال علقمة: ذهبت من هجران في كل مذهب و لم يك حقاً كل هذا التجنب[4]

فقالت لامرئ القيس : علقمة أشعر منك' فقال: كيف ذلك؟!، فقالت لأنك قلت :

فللسوط ألهوبٌ و للساق درة و للزجر منه وقع أهوج منعب[5]

و قال علقمة: فأدركهن ثانيا من عِنَانه يمر كمرّ الرائح المتحلب[6]

و هكذا فقد ببرت حكمها النقدي هذا ، مستعينة بالدليل الذي لجأت فيه إلى معيار الصورة، من حيث قدرة الشاعر (علقمة) و تفوقه على (امرىء القيس) الذي اجهد فرسه بالضرب بالعصا و السوط على عكس منافسه الذي أدرك طريدته بيسر و لم يلجأ إلى ضرب فرسه بسوط لا غيره.....

هذا الإدراك الواضح لقيمة عنصر الصورة في البناء الشعري أولاً و دوره في تقدير قيمة النص ثانيا كان بارزا في طروحات الدرس النقدي القديم، و الحقيقة هنا تظهر لنا قضية اللفظ و المعنى، و يعد (الجاحظ) من أوائل الذين أثاروا هذا الموضوع بقوله: "المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي و العربي ، و البدوي و القروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، و تخير اللفظ و سهولة المخرج و كثرة الماء، و في صحة الطبع،

و جودة السبك، فإنما الشعر صناعة، و ضرب من النسج، و جنس من التصوير"[7]

يظهر من كلام (الجاحظ) السابق، و بالتحديد عندما أراد أن يحدد أو يضع تعريفا للشعر أنه جعل الشعر جنس من التصوير، و أن هذا التصوير يبرز من خلال توظيف المعاني مع بعضها ، و اقامة الوزن المناسب، و الابتعاد عن المفاضلة، فهذا التصوير ليس سهلاً، بل يحتاج إلى مقدرة حتى يظهر بشكل جيد.

ومن نافلة القول إن (قدامة بن جعفر) قد سار على طريق (الجاحظ) في النظر إلى الشعر بأنه صناعة مثل كل الصناعات التي يحتاجها الإنسان في حياته، فقرر أن "المعاني كلها معرضة للشاعر، و له أن يتكلم منها في ما أحب و آثر....، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، و الشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة، من أنه لابد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها"[8]

و قد كثرت التأويلات المفسرة لهذين الرأيين السابقين مبررة ما صدر من هذين العلمين (الجاحظ) و (قدامة) في هذه القضية، فمنهم من يرى أن فكر المعتزلة الفلسفي هو المصدر الأول الذي رسّخ فكرة الثنائية، و النظر من خلالها و حسب إلى أي عمل فني ، فأدخل النقد الأدبي العربي و من غير قصد في هذه الدوامة التي لا انفكاك منها، بعد أن افترضوا أن الشعر صناعة مثل غيره من سائر الصناعات فأصبح كل نص أدبي صناعة، ينقسم إلى ملموس يقرأ و يسمع، و إلى صورة ذهنية لذلك المسموع أو المقروء.

و تأسيسا على ما تقدم فقد تعمقت هذه الرؤية عند البلاغيين و النقاد و وضع الأساس الفلسفي " للفكرة القديمة التي ترى أن المعنى الواحد يمكن التعبير عنه بطرائق متعددة، تتفاوت قيمتها تبعا لما فيها من صياغة، و أصبح من الممكن أن يبرر ثبات المعنى المتعدد الصياغة تبريراً فلسفياً، يستند إلى ثبات الهيولى التي لا تتغير بتغير صورها و أشكالها"[9]

و قد تجد من النقاد من يذهب مذهباً آخر في تبرير انحياز القدامى للفظ على

حساب المعنى، و من ذلك أن (الجاحظ)_على سبيل المثال_ آمن بأن (النظم) هو الطريق الموصل إلى بيان الإعجاز، و لذا لم يعد قادراً على أن يتبنى نظرية تقديم المعنى على اللفظ، بالإضافة إلى أن عصر (الجاحظ) كان يشهد بوادر حملة عنيفة لكشف السرقات في مجال الشعر و معانيه، فحاول إبعاد نفسه عن تلك المعارك بعدم الالتفات إلى موضوع السرقات كما فعل معاصروه، وقرّر أن الأفضلية للشكل، لأن المعاني قدر مشترك بين كل الناس.[10]

و السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام: لماذا كل هذا البحث عن مبررات لمثل هذه المواقف النقدية تجاه قضايا مفصلية تخصّ عملية التقييم الفني بشكل عام و الأدبي على وجه الخصوص؟

و هل أدرك المحدثون أخطاء وقع فيها بعض المفكرين من النقاد العرب القدامى؟

إن الجهد الذي بذله بعض النقاد العرب في العصر الحديث يصب في عمق هذه القضية، و لا يمكنه الخروج عن جاذبيتها، و ليس من أهداف هذا البحث المتواضع الانحياز إلى فكرة بعينها و تبنيها، أو البحث عن أدلة تقوي هذا الطرح النقدي على ذاك، بل كان الهدف هو ربط الحديث بالقديم من الموروث النقدي العربي، حتى و إن كان هذا الربط بالمخالفة لذلك القديم كما فعل الناقد الليبي (الصادق النيهوم) الذي تناول قضية (اللفظ و المعنى) من خلال كتابه (الكلمة و الصورة) إذ تناول مجموعة من الموضوعات المكونة للفكرة التي يحملها، مستعيناً بالأمثلة الأدبية التطبيقية، حتى لا يهتم بالتنظير على حساب التطبيق.

ظلال الكلمات و المفهوم النقدي عند النيهوم:

إن المتتبع للكتابات النقدية الحديثة سيلحظ كثرة استخدام مصطلح (ظل الكلمة) أو (ظلال الكلمات) أو (العبارة الشعرية)، و الحقيقة أن توظيف هذا المصطلح النقدي له

دلالة عند مستخدميه، و له أصل في النقد العربي القديم.

و الرومنسيون على سبيل المثال يعتبرون اللفظة أساساً للإبداع الأدبي، فنجد أحد المهتمين بالتأريخ للمذاهب الأدبية يرى أن "الفضيلة الكبرى التي ساقها الرومنسيون وجددوا بها كانت فضيلة اللفظة ذات الماء و النسغ، اللفظة الانفعالية، ذات الذكريات و الوشائج بالحنين و الحنان و الألم و الندم، اللفظة التي تفيض عن النفس و الحدس و لا تنقل نقلاً عن الذاكرة ...' فاللفظة الرومنسية إذا جاز لنا أن نفصلها عما دونها، هي لفظة شعرية بطبيعة اختيارها، لفظة مستمدة من التعامل اليومي مع الحياة و مع الانفعالات...."[11]

و قد بذل الناقد (النيهوم) جهداً لبيان عجز الكلمات وحدها عن أن تقول شيئاً مفيداً و نافعاً، متهماً أنصار اللفظ قديماً، و الرومنسيين حديثاً بالجري وراء السراب، و في هذا الصدد يقول بصراحة: "ثمة كلمات يخيل لنقادنا أنها تحمل شيئاً غامضاً في أعماقها، ممتلكة ظلالاً داخلية، مستمدة من داخل الكلمة، دون أن تعتمد على أي سند خارجي، و أنا أعتقد أن هذه الكلمات هي المذبح الحقيقي الذي ظل عليه الرومانتيكيون بأنفسهم مثل الفراشات الحمقاء....."[12]

و حتى ينأى بنفسه عن تهمة التنظير الفج، استعان بقصيدة للشاعر (أبي القاسم الشابي) يقول فيها:

كل ما هبّ، و ما دبّ، و ما نام، أو حام على هذا الوجود

من طيور، و زهور، وشذى و ينابيع، و أغصان تميد

و بحار، و كهوف، و ذرى و براكين، و وديان، و بيد

و ضياء، و ظلال، و دجى و فصول، و غيوم، و رعود

و ثلوج، وضباب عابر و أعاصير ، و أمطار تجود

و تعاليم، و دين، و رؤى و أحاسيس، و صمت، و نشيد

كلها تحيا بقلبي، حرة غضة السحر، كأطفال الخلود[13]

يرى (النيهوم) أن مجموعة هذه الكلمات المكونة لهذه الأبيات قد أساءت إلى (الشابي)؛ وذلك أن الشاعر قد قام بعملية خاسرة ليست مجدية، رغم اختياره هذه الكلمات المنتقاة بشكل واضح و جلي.

و لبيان هذه المسألة أكثر، و من زاوية أخرى، يأتي (النيهوم) بمثال من النثر المترجم ليؤكد على عدم قدرة الكلمات وحدها على أن تكون مفيدة أو غير مفيدة، فيقصد إلى بعض الألفاظ التي رأى أن المبدع قد نجح في اختيارها لتكون مؤثرة و إيحائية و مشعة، فيعمد إلى حذفها و استبدالها بكلمات أخرى لم يكن يرغب صاحب النص في استعمالها، و مع ذلك كله يؤكد (النيهوم) أن النص ما يزال يحافظ على نقل إحساسات الموقف، و النص مترجم إلى العربية من رواية (لمن تقرع الأجراس) للكاتب (همنجواي) يقول فيه:

"قال (بابلو) مغتراً: و لكني ثمل، و الشراب ليس بالأمر المهم إن المهم هو أن يثمل المرء، فرد عليه روبرت: و لكني أشك في ذلك يا جبان.

و كان الهدوء يخيم على الكهف كله حتى أنه استطاع أن يسمع اشتعال الحطب في النار حيث تواصل (بيلار) الطهو، و سمع صوت الجليد يصرّ تحت قدميه.. و خيل إليه أيضاً أن في وسعه أن يسمع صوت الريح في الخارج و صوت سقوط الثلج...."[14]

لقد أقدم (النيهوم) على هذه القطعة الصغيرة من الرواية المذكورة و اختصرها في مجموعة من الكلمات، فأدت المعنى المراد، و أصبحت على هذا النحو:

"فرد عليه (روبرت): و لكني أشك في ذلك أيها الجبان، و توترت أعصاب الخصمين، و كانت (بيلار) تطهو الطعام، و الريح تعوي في الخارج، و الثلج يسقط"[15]

ما قام به الناقد من تصرف في النص، كان الهدف منه، إقناعنا بأن الكلمات أو الألفاظ وحدها ليست مفيدة أو ضارة للنص الأدبي مالم يأت سند و دعم خارجي، هذا السند الخارجي هو (الصورة)، إذ بفضل موهبة الروائي' و اهتدائه إلى أكثر الطرق ملاءمة لربط هدفه بخيالنا نجح في ايصال احساسات الموقف، فهو لم يضع أية حدود أمامنا، و لم يقل أية كلمة عن (الأعصاب) و توترها، بل ترك لنا مهمة إنهاء الحدث عندما بدأ بوصف الأصوات القادمة من الخارج في تفصيل رائع.

يقول (النيهوم)معلقاً على دلالة النص المقطوع من الرواية الأصلية: "لقد أراد همنجواي أن يصف تلك المرحلة الدقيقة من توتر الأعصاب التي تسبق أي معركة بحيث يقف الخصمان مشدودين مثل وترين في حساسية بالغة بجميع الأصوات، مستعدين على نحو غريزي للقيام برد الفعل تجاه أي تغيير في نغمة الصوت فوراً و مباشرة"[16]

هذا النجاح و الإبداع الذي يحمله النص الروائي المترجم قبل و بعد اختصاره و تغيير ألفاظه راجع في نظر (النيهوم) إلى مقدرة كاتب الرواية على رصف (صوره) ذهنياً قبل وضعها ألفاظاً دالة كما هي عليه في النص السابق.

أما الضلال النافعة في نظر (النيهوم)فهي المرتبطة بأسماء بعض الشخصيات التاريخية، سواء الحقيقية منها أم الاسطورية، فهي تضفي على الصورة في النص معاني لا يمكن لأي (كلمة) غيرها أن تمدنا بتلك الأحاسيس و المشاعر إذا استبدلناها، و بالتالي فهي تحتاج إلى موهبة كبيرة و معرفة بطرائق استدعاء الشخصيات و توظيف الاسطورة و التراث و الفلكلور، و لتوضيح ذلك يستعين (النيهوم) بهذه القطعة للشاعر (عبدالباسط الصوفي)[17]كتبها عندما كان مدرساً في (غينيا) سنة 1960م، حيث صادفته زنجية "تحمل في جسدها الابنوسي ملايين هائلة من الظلال التي لا يمكن تحديدها قط، بينما يثير

عقدها المصنوع من ودعات البحر ملايين أخرى من الظلال الأكثر تعقيداً، و إذ يبدأ الشاعر في البحث عن كلمات مجدية لشرح مشاعره يكتشف في لحظة واحدة أن ذلك مستحيل، فليس ثمة كلمات تستطيع أن تنقل إلى الخارج تلك اللفائف من المشاعر المعقدة، و فجأة يجد الشاعر طريقة فيهتف مخاطباً مكادي[18]:

أنا جئت

افتش عن شهرزاد برونزية

طوقتها كنوز البحار"[19]

يعتقد (النيهوم) أن الشاعر (عبدالباسط الصوفي) قد نجح في إعطاء الصورة جميع أبعادها، ثم يستدرك فيتساءل: هل قامت الكلمات بذلك وحدها، أم أن شيئاً غامضاً آخر قد قام بذلك؟

يقول الناقد مجيباً عن هذا السؤال المقصود: "أبعدوا شهرزاد و ضعوا مكانها أي اسم لا يملك الظلال التاريخية الغنية التي خلقتها ألف ليلة و ليلة، ثم دعونا نرى ما الذي استطاعت الكلمات وحدها أن تفعله حيال التعقيد الفني للصور ذاتها"[20]

و تأسيسا على ما تقدم فإن (الصور) في نظر (النيهوم) هي التي تحدد قيمة النص قبل كتابة المبدع لكلماته على الورق، و قبل الظلال، و الموسيقى الداخلية، و قبل الوزن و القافية في حالة الشعر مثلاً.

ثم لم يلبث أن يقرر بناء على الأمثلة السابقة التي أوردناها و غيرها أنه يملك مقياساً لتحديد قيمة معظم النصوص الأدبية بطريقة واضحة.[21]

الصورة و الوظيفة التي تؤديها:

يعتقد (النيهوم) أن فهم الوظيفة التي تؤديها الصورة في العمل الأدبي هو مفتاح

الموصل لأسباب النجاح عند المبدعين، و هو المقياس الموضوعي للحكم المنصف على النتاجات الأدبية، فقوة النص تعتمد على الإيحاء بالأفكار عن طريق (الصور) لا في التصريح بها مجردة.

إن جمال النص الأدبي و نفعه _في نظر (النيهوم)_ يتوقفان بالدرجة الأولى على قدرته أو عدم قدرته على خلق الانطباع، و إذا كان الأمر كذلك فإن (الكلمات) تؤدي وظيفة ليست غاية للنص، و ذلك بحسب رأي الناقد يقع في كل الفنون الأخرى.

و بناء على ما تقدم يحاول (النيهوم) أن يبرهن على صحة افتراضاته، فيأتي بمثال فحواه: أن الغاية من الحركة الرياضية بالنسبة للرقص، هي نفس الغاية من (الكلمة) بالنسبة للنص الأدبي، فليست (الحركة الرياضية) غاية في حد ذاتها، و كذلك بالنسبة (للكلمة)، ثم يندفع من خلال هذا الطرح إلى سؤالين : الأول: عندما يكتب المبدع هل يشعر بالصورة أولاً، أم بالكلمة أولاً؟

و الثاني: أيهما يحدث أولاً في عملية الإبداع الأدبي الصورة أو الكلمة؟ يؤكد (النيهوم) أن (الصورة) سابقة و أولية في وجودها، و أننا لا نبدأ الفكرة عن طريق (الكلمة)، فهو يتمسك بقوله: "إننا نفكر بالصورة و إن الكلمة اختراع متأخر جداً، خلقها الإنسان عندما أراد أن ينقل فكرته إلى الخارج، و اختراع الكلمة ذاته مجرد فكرة أخرى، إذا كنا نفكر عن طريق الكلمات، فكيف أمكننا أن نخلق ما نفكر عن طريقه....، أريد أن أقرر أن الكلمة مجرد أداة تعبيرية مثل الإشارة، مثل الخط في الرسم، مثل النغمة... مثل أي شيء آخر...."[22]

و يعزي (النيهوم) ارتباك الكلمات إلى اتبارك الأصل و هو (الصورة) و لكن إدراك ذلك ليس بالأمر السهل حسب رأيه؛ لأن الصورة لا تغيّر من طبيعة المعنى في حد ذاته، بل تغيّر في طريقة عرضه و تقديمه، ثم يورد هذا المقطع الشعري لتوضيح ذلك:

من أنتِ... من أنتِ ؟

يا طفلة في البرد و الصمت

لو كنت ذات اسم

لكنت هذا الوقت في البيت[23]

مضمون هذا المقطع الشعري يدور حول رؤية الشاعر لفتاة ترتعد من البرد، يسأل عن اسمها، ثم ما يلبث أن يتراجع عن سؤاله؛ لأنه لو كان لها اسم وعائلة و بيت لما وقفت في هذه الساعات في البرد متشردة في الطرقات.

هذا هو المعنى العام، و لكن أين يكمن الارتباك في الصورة الذي أدى إلى ارتباك الكلمات حسب رأي (النيهوم)؟

يرى الناقد أن الرؤية المتفحصة تؤدي بنا إلى معرفة موضوع الارتباك فقد أراد الشاعر "أن يعبّر مباشرة دون أن يتورط في أية تفسيرات، فهتف أولاً يسأل عن اسم تلك الطفلة التي تقف وحدها في الصقيع، و كنا ننتظر منه أن يواصل الأمثلة لكي تنسجم صورة لهفته التي كان قد أبداها عندما كرر سؤاله مرتين..، و لكنه توقف فجأة و بتر بذلك الصورة الأولى بتراً حاداً، لكي يرسم صورة أخرى مغايرة تماما عندما أجاب عن السؤال بنفسه و في تقريرية حادة..، و بذا اهتزت الصورة، و تحطمت أجزاؤها، و شلت لهفة الشاعر التي أملاها تكرار السؤال..."[24]

يعتقد (النيهوم) أن (الصورة) هي الأصل في أفكارنا، و هي سابقة في وجودها للكلمات كما ذكرنا، و هي المقياس الخفي الذي نقيس به أو عليه الأنماط بمجرد أن نبدأ بالتعامل معها، و لكل مناسبة قدرها.

أما (الكلمة) في نظره فهي لا تملك أي تأثير في النص إلا بقدر ما تملكه أية أداة تعبيرية أخرى، و لعل عدم إدراك هذه الحقيقة بقصد أو من دون قصد عند (النيهوم) كان سبباً في تجمّد أو تصلب الأدوات النقدية المحفزة لنشاط الفنانين و الأدباء إلى يومنا

هذا، و في هذا الصدد يقول بصراحة: "لعل أسوأ ما أصاب الأدب هو عدم إدراك هذه الحقيقة في الوقت المناسب، و إن المرء ليعتريه حزن مفاجئ عندما يذكر تلك السنوات الثمينة الهائلة التي سلخ الشعراء جلدها باحثين عن كلمة مزخرفة، عن كلمة تتفجر بالألوان مثل ألعاب رأس السنة، متناسين في عمقهم أن تلك الكلمة لا تعدوا أن تكون إشارة عادية إلى شيء مهم، و ثمين، و حقيقي، و قد تركز ذلك بصورة فجة في ما نسميه عصور انحطاط الأدب...، مازال أدبنا يدفع ثمنه إلى الآن"[25]

و ينبه (النيهوم) إلى أنه ليس ضد (الكلمات) لمجرد أنها ألفاظ، أو أنه من أنصار المعاني و الصور التي تؤديها، بل كان يقصد بطرحه إلى أن أسباب التراجع الرهيب في الدرس النقدي مرده إلى كل تلك المشاكل التي أثارتها (الكلمات) في أدبنا العربي، مقترحاً أن تطرح (الكلمة) جانباً ريثما تنضج (الصورة) و تكتمل، و حينما يبدأ الكاتب المبدع في إعادة الصياغة تكون تلك مهمة على الكلمات أن تؤديها.

تعريف الصورة و حدودها:

وضع التعريفات مهمة ليست سهلة؛ لأنها غالباً ما توقع صاحبها إمّا في الإيجاز و الضيق،و إما في التطويل و التوسع، و وضع الحدود للمصطلح قد يضعه في زاوية الجمود و التحجر، فلا يقبل أي جديد يخرج عن دائرة هذا القالب المحكوم به مسبقاً.

و لكن مع ذلك وقع (النيهوم) في شرك التحديد و التعرف، فقال إن الصورة تعني: "ذلك اللقاء الباهر بين الفنان و بين موضوعه في إطار محدد بثلاثة حدود: المكان، و الحقيقة، و الأثر"[26]

و لكي لا يكون هذا التعريف مجرد تنظير فج أسرع (النيهوم) إلى المثال الذي يوضح المقال، فاستعان بمقاطع شعرية (لعبد الوهاب البياتي)، يقول إن الصور الجزئية فيها ترتبط معاً بتناسق الأنماط التي حددها و هي المكان، و الحقيقة، و الأثر،، يقول الشاعر:

قمري الحزين:

البحر مات و غيبت أمواجه السوداء قلع السندباد

و لم يعد أبناؤه يتصايحون مع النوارس و الصدى المبحوح عاد

و الأفق كفنه الرماد

و البحر مات

و العشب فوق جبينه يطفو و تطفو دينوات

غرقت جزرتنا و ما عاد الغناء

إلا البكاء

و القبّرات

الكنز في المجرى دفين

في آخر البستان، تحت شجيرة الليمون، خبأه هناك

السندباد لكنه خاو، و ها إن الرماد

و الثلج و الظلمات و الأوراق تطمره و تطمر بالضباب الكائنات

أكذا نموت بهذه الأرض الخراب؟

و يجفّ قنديل الطفولة في التراب؟

أهكذا شمس النهار

تخبو و ليس بموقد الفقراء نار؟[27]

تعكس هذه القطعة الشعور الحقيقي للشاعر، و هو الإحساس باليأس، فهو يعاني مشاعر بائسة مشحونة بالخيبة، و هذا الجزء من الصورة يسميه (النيهوم): بالأثر، الذي يحاول المبدع أن يوصله إلى الناس، و إن لم يفعل لكان مثل أي إنسان آخر يمارس أو يشعر باليأس و لا يدري عنه أحد، أما المبدع فإنه سيجد منطلقاً إلى الخارج (المتلقي)، و هنا تبدأ " الرؤية الشعرية ذاتها، إنها تلك اللحظة الهائلة التي يحمل فيها الفنان مشاعره باحثا عن طريق إلى الخارج عبر كل تجاربه و معاناته و أفكاره...، لابد أن يحمل مشاعره معه لكي يحدث ذلك الموقف الغامض الذي سمّاه الأقدمون (التهيؤ) ....، و يبدأ متخذاً طريقه في البحث عن (قالب) يرتضيه لمشاعره، و يتركز البحث دائما في إيجاد (المكان المناسب) و اكتشاف (الحقيقة الطبيعية) لذلك الأثر الذي بدأ في الداخل"[28]

بالإضافة إلى ذلك اختيار المبدع للمكان، سواء أكان حقيقيا أم متخيلاً، فهذا المقطع بدأه الشاعر بنداء طفله، و هو رمز لتجدد الحياة، حيث ناداه بالقمر الذي تفتقده أوروبا، كما يفتقد الشاعر ابنه، و هو في بلد الجليد و الظلام بعيداً عن الشمس و الإشراق في (بغداد).

و يصر (النيهوم) أنه كلما فتّش في أي نتاج أدبي ناجح حديث أو قديم إلا وجَد هذه العناصر المشكلة للصورة في النص، و لهذا فقد استعرض الناقد نصاً مشهوراً من الشعر القديم:

ولما قضينا من منى كل حاجة و مسح بالأركان من هو ماسحُ

و شدت على حدب المطايا رحالنا و لم يعرف الغادي الذي هو رائحُ

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا و سالت بأعناق المطي

الأباطحُ[29]

يرى (النيهوم) أن الصحراء هي مركز الرؤية، و قد أشار الشاعر إلى المكان (منىً)، و فيه يتم الاستعداد للرحلة، و الاستعداد هذا نوعان: الأول: مادي (قضاء الحاجات)، و الثاني: روحي(التمسح بالأركان)، و هو طواف الوداع للحجاج، ثم تأخذ القافلة طريقها في الصحراء، و هي (المكان) المفتوح بلا نهاية، و قد سارع النص بربط الرفاق (بأطراف الأحاديث)؛ لأن الحديث هو وسيلة الاتصال الوحيدة، و بهذا تم الاتحاد بين الرجال فيما بينهم في القافلة، و هو اتحاد جزئي يتبعه اتحاد آخر بين الرجال و الصحراء.

إن الهدف الذي حققته (الاستعارة) في (سالت بأعناق المطي) هو التأكيد على أن السيل يأخذ طريقاً واحداً، و إلا ضاع و تبدد في الأرض، و كذلك حال القافلة في الصحراء، ثم إن حركة أعناق الإبل تمتد ثم ترتد هي كحركة تقدم الماء.[30]

يعتقد (النيهوم) أن الإحساس بالرؤية الشعرية الناضجة في هذه الأبيات من الشعر القديم سببه اكتمال العناصر المشكلة للصورة و هي (المكان، و الحقيقة، و الأثر) ، و قد تجلت (الحقيقة) التي تخص استعدادات القافلة و الانطلاق في خط واضح و مدروس مسبقاً بشكل لا لبس فيه، أما تحديد (الأثر) فيرتبط بالإحساس بالفراغ الذي لا يملؤه إلا الحديث بين الرفقاء، فيقصر الزمن بوجود الصاحب و الأنيس.[31]

إن الرؤية الشعرية الكاملة _عند النيهوم_ لا ترتبط بالاستعارة و الجناس في الأبيات، بل بالصورة المتكاملة الأركان في داخل المبدع، و أما هذه التسميات للفنون البلاغية من استعارة أو غيرها فهي مجرد مظاهر شكلية لرؤية متكاملة حدثت وراء الشكل و السطح و الكلمات.

الخيال مشكّل أساسي للصورة:

اهتم (النيهوم) بالخيال على اعتباره المكون الأساسي في بناء الصورة،

و ليس ذلك من الأمور الجدلية، فالثابت في الدرس النقدي الحديث أن (الخيال) هو سبب نجاح النص الأدبي قديمه و جديده.

هذا النجاح الذي يتحدث عنه (النيهوم) يرتبط بقدرة الأديب على نقل الانفعالات الخاصة و العامة الي (المتلقي) ,فيعمد الي إثارة (التخيل) عند القارىء فجأة و دون انقطاع.[32]

و يعرف الناقد (النيهوم) الخيال بأنه: " تلك الملكة المعقدة تعقيداً يضاهي تعقيد المشاعر نفسها، و هو الطريق الوحيد أمامنا جميعاً لكي نحدث أي اتصال إلى الخارج أو لكي نعبر عن مشاعرنا تعبيراً نرتضيه، و لذا فنحن نحلم بالأشياء التي نتمنى الحصول عليها، و نفعل ذلك بيسر بالغ بينما نجد صعوبة حقيقية في التعبير عنها"[33]

و لتوضيح هذا المفهوم أكثر، لجأ الناقد إلى هذه القطعة للشاعر (نزار قباني)، و فيها يقول:

في حُرجنا المدروز شوحاً

سقف منزلنا اختفى

حرسته خمس صنوبرات

فانزوى.. و تصوفا

نسج الثلوج عباءة

لبس الزوابع معطفا

و بدخنة من غزل مغزله

اكتسى .. و تلفلفا

الطيبُ بعضُ حُدُودهِ

أتريدُ أنْ لا يُعْرفا

و حدودُ بيتي.. غيمةً

عبرتْ، و جُنْحٌ رفرفا

حَمَلْتهُ ألفُ فراشةٍ

بيتي، فلا مات الوفا

قرميدُة، حضن المواويل

الجريحة، و اكتفى

قِطَعُ الحصى في أرضه

ضوء تجمّد أحرفَا"[34]

يعتقد (النيهوم) أن الشاعر قد نجح في حشد صوره بدرجات متفاوتة من حيث الألوان على النحو الذي نرغب في تصوره، إذ بدأ باللون (الأبيض) و هو عباءة البيت الثلجية، و هنا يحدث الاتصال بالمتلقي، و ذلك عن طريق إثارة الحواس، ثم يضيف صورة أخرى عديمة اللون (الزوبعة)، و هي مدركة بالحواس عن طريق الحركة، و لما كان (البيت) رمزاً للهدوء و الراحة، فقد جعله في حراسة خمس صنوبرات، ثم انطلق في إثارة (التخيل) في بقية القطعة الشعرية دون انقطاع، حائما حول جدران البيت، و القرميد، و الفراشات، و ضياء قطع الحصى المتناثرة في فناء البيت.[35]

هذه هي الجزئيات الصغيرة الواقعية التي التقطها خيال الفنان، و نحن في النص الأدبي لا نرى الأشياء إلا من خلال إحساس المبدع و خياله الذي أنتج هذه الصورة

الكلية كما هي موجودة في القطعة الشعرية.

إنّ ما قام به الشاعر (نزار قباني) في القطعة الشعرية السابقة، هو ما يسميه (النيهوم): (بالموهبة)[36]، و هي عنده تعني: ربط صور المبدع بخيال المتلقي ربطاً محكماً، و ذلك بإيجاد طريق عبر تجارب المتلقين ينفذ من خلالها إليهم، و هو ما يسميه الناقد بخلق الانطباع الصحيح، الذي نفهم من خلاله الفكرة العامة للنص عن طريق الصورة.[37]

إن مفهوم الخيال عند (النيهوم) يرتبط بعنصري (الزمان و المكان)، و قد أوضحنا عند حديثنا عن مفهوم الصورة أنها ترتبط بثلاثة حدود: (المكان و الحقيقة و الأثر).

أما اهتمام (النيهوم) بعنصر (الزمن) فقد جاء في سياق تناوله لمفهوم الصورة الكلي الناشئ عن الخيال، إذ أكد على أن السبب في تجزئة الصورة داخل حدودها الثلاثة هو عمل مفتعل لتسهيل فهم الصورة، كما نفعل عندما نقسم الأدب العربي إلى: (جاهلي، و إسلامي، و أموي، و عباسي، و أندلسي، و حديث...،الخ؛ لغرض تسهيل الدراسة على الطلاب في الجامعات، و الحقيقة إن الأدب واحدٌ من الناحية الموضوعية و الفنية، لا تفصلُهُ إلا الحقب و التغيرات السياسية التي تصبح علامة فارقة في طريق التاريخ و الإنسانية.

إن الخيال الفني المكون للعمل الأدبي لابد أن يرتبط بعنصري (الزمان و المكان)، و إلا دخلنا في دوامة الخيال المطلق، فهناك الخيال العلمي، و الخيال الفلسفي و الخيال السيكولوجي، و الخيال الصوفي....الخ.

إن الخيال الذي تحدث عنه (النيهوم) هو الخيال المقيد بعنصري (الزمان و المكان)، فعلم الرياضيات مثلاً يعتمد على (الخيال) المنفصل عن الزمان و المكان' حيث إننا نقسم الأعداد و ننقصها و نزيدها بخيالنا المنفصل عن هذين العنصرين، و هو ما

يعرف (بالخيال المجرد)، و في هذا الصدد يقول (النيهوم): " إننا نقسم الأعداد و نضيفها أو ننقصها بخيالنا، رغم أن الرياضيات في ذاتها حقائق عملية معقولة، و أنا اعتقد أن ذلك نفسه يحدث بالنسبة للرؤية الشعرية بطريقة مغايرة في اتساعها، و هذا ما دفع الناس إلى اعتناق تلك الفكرة الخاطئة التي تعتبر (الفن) كله وليداً للخيال الجامح..."[38]

و تأسيساً على ما تقدم فإن النص الأدبي _في نظر النيهوم_ ليس معادلة رياضية مجردة من وحدتي الزمان و المكان، و لذلك فإن الخيال المنتج للنص الأدبي ليس مطلقاً، و بالتالي فإن الحكم عليه بأنه معقد أو غير مفهوم أمرٌ غير مقبول من وجهة نظر الناقد.

و في هذه القطعة الشعرية التي قام (النيهوم) بترجمتها يتضح دور عنصر (الزمان) في بناء الصورة، و مضمون هذه القطعة يعرض (حادثة الموت)، إذ تنعدم العواطف المرتبطة بالأمل المحكوم عادة بمبدأ التجدد و التغيير في الزمان و المكان.

و يبدأ هذا النص ببيان لحظات الحقيقة التي تنتاب الإنسان عندما يقف على حافة الموت، و يرى عدم جدوى الحيرة في وجوه الأحياء:

كل الأشياء...

صارت بسيطة و مضحكة..

الحب.. و الحياة..

و أن كل شيء سيموت

صارت مضحكة..

فاهدأ الآن أيها القلب

اهدأ..

فليس ثمة من يتبعك

و ليس على الطريق سواك..

و النجم المعتم المحزون

فانشري عطرك فوق قبري..

يا أعشاب الوادي

التي لم تزهر من قبل

فأنا أموت الآن..

مثل ظل..!![39]

يعتقد (النيهوم) أن النص يشير إلى فكرة العزلة (الموت) ذلك المصير الفردي المحتوم، الذي يقابل فكرة الحركة و المشاركة الاجتماعية (الحياة)، و النجم المعتم المخزون إشارة ثانية إلى "الليل أو الظلمة التي نتصور الموت خلالها مرغمين، و ليس ثمة سبيل إلى ربط فكرة الموت بغير الظلمة و العزلة، رغم أننا في الواقع لا ندري شيئاً حقيقياً واحداً عن طبيعة الموت سوى ما تمدنا به المقارنة الساذجة بين الحياة و بين وجه الحياة الآخر، و الفكرة منذ البداية وليدة الخوف الطبيعي من (المجهول) رغم محاولات الأنبياء تشجيعنا على الخلاص من ذلك الخوف...، و ما زال الموت فكرة محزنة مظلمة في معظم النصوص و هذا ما يحاول النص أن يعالجه هنا متعمداً"[40]

أما بقية النص و هي تكملة للقطعة الشعرية السابقة، فيعرض لفكرة حياة الموتى، و أن مفهوم الأحياء عن (الموت) بوصفه مناقضاً للحياة أمرٌ غير منطقي، فالموت هو

الحقيقة الثابتة، في مقابل أن الحياة ظل صغير مخادع، يقول النص:

المعاناة لا يعرفها الميتون

في هجوعهم العميق..

بعيداً عن العالم

بعيداً..

و فوقهم يطفو غبار الصيف

و براعم الأغاني..

و الشمس الضبابية

و تواصل الحياة تدفقها صامته

عبر صرخات المبتهجين..

و الذين يبكون بلا انقطاع..

فانشري عطرك فوق قبري

يا أعشاب الوادي

التي لم تزهر من قبل..[41]

يرى الناقد أن الصور في هذه القطعة ارتبطت بعنصر الزمان، فموسم الإزهار المعبر عن الربيع الدائم لا تستطيع الحياة القصيرة أن تحتمل مداهُ ، و افتقار الحياة إلى صفة الخلود يحرمها من القدرة على خلق الربيع الدائم، و يحرم الأحياء من إدراك هذه اللذة، ثم بدا الزمن و كأنه سبب الفوضى، إذ يمارس الأحياء عواطفهم في لحظات زمنية

متغيرة و مختلفة، نتيجة تغير الزمان و المكان، فعنصر (الزمن) مرتبط بحدوث التغيير، و لا سيما في وحدتي المكان و الأثر، و من هذا يمكن الاعتماد على هذا العنصر في فهم و دراسة الصورة في النص[42].

نتائج البحث:

1. الصادق النيهوم ناقد يحمل رؤية جديدة، يحاول قدر الإمكان أن يبرهن على صحتها و جدواها من خلال النصوص التطبيقية المختلفة في دراساته المتنوعة.

2. عالج موضوع الصورة الأدبية بطريقة تختلف عن الطرح القديم، حيث قام بتعريفها و تحديد أركانها، و الاستدلال على ما ذهب إليه من خلال شواهد من الأدب الحديث و القديم على حد سواء.

3. تناول عنصر الخيال و قام بتعريفه، و بين دوره في صناعة الصورة، و شرح الفارق بين الخيال الأدبي و بين الخيال العلمي، و لم يخف تأثره بطروحات (كولردج) في كتابه: (السيرة الذاتية).

4. تأثره الواضح ببعض أقطاب النقد الحديث، مثل الناقد الأمريكي (ت.س.اليوت)، و إعلان الإعجاب به في أكثر من موضع من دراساته.

5. يرى في (بعض) قواعد البلاغة العربية القديمة و النقد القديم قيوداً معيقةً للتجديد و التغيير، و سبباً في تأخر النقد العربي الحديث عن مجاراة غيره في عالمنا اليوم.

6. تشجيع (النيهوم) للطرائق الجديدة في صناعة الصورة، مثل توظيف التراث الشعبي، أو استدعاء الشخصيات التاريخية و الاسطورة، و غيرها من الوسائل الحديثة المعتمدة في تشكيل الصورة في الأدب الحديث.

الهوامش

1.رامز الحوراني، نشوء النقد الأدبي و تطوره، ط1،ليبيا: جامعة سبها، 1996م، مج1-ص 14.

2. لاسل آبر كرومبي، قواعد النقد الأدبي، ط2، تر: محمد عوض محمد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986م، ص 164.

3. ديوان امرئ القيس، دط، بيروت: دار صادر، دت، ص 64.

4. ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، ط3، تحقيق :أحمد شاكر، القاهرة: دار الحديث، 2001م، مج 1، ص 218-219.

5. ديوان امرئ القيس، ص 69.

6. ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، مج 1، ص218-219.

7. أبو عثمان الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: عبدالسلام هارون، دط، 1992م، مج 3، ص 131-132.

8. قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد خفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية، دت، ص 65.

9. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، ط 3، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1992م، ص 316.

10. ينظر رامز الحوراني، نشوء النقد الأدبي و تطوره، مج 1، ص 116.

11. إيليا الحاوي، الرومنسية في الشعر الغربي و العربي، ط 3، بيروت: دار الثقافة، 1998م، ص 102.

12. الصادق النيهوم، الكلمة و الصورة، ط 1، تح، سالم الكبتي، بيروت: تالة للطباعة و النشر، 2002م، ص 14.

13. أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة، قصيدة (قلب الشاعر) ط 1، دار و مكتبة الهلال، 2003م، ص 34.

14. قطعة من رواية (لمن تقرع الأجراس) للروائي همنجواي ، قام النيهوم بترجمتها ، ينظر كتابه (الكلمة و الصورة) ص 23.

15. الصادق النيهوم، الكلمة و الصورة، ص 24.

16. السابق، ص 24.

17. الشاعر عبدالباسط الصوفي، ولد في حمص سنة 1931م، و توفي في غينيا سنة 1960م، و هو صاحب ديوان (أبيات ريفية)

18. مكادي: جزيرة في المحيط الأطلسي مقابل ساحل إفريقيا الغربي، و هناك من يقول إنها إسطورة إفريقية تتحدث عن فتاة زنجية ذات شأن في التراث الأفريقي.

19. الصادق النيهوم، الكلمة و الصورة، ص 8

20. السابق، ص.8

21. ينظر السابق ص 25.

22. السابق، ص 33.

23. قطعة قام النيهوم بترجمتها و هي مجهولة القائل، ينظر الكلمة و الصورة، ص 34.

24. الصادق النيهوم، الكلمة و الصورة، ص 34

25. السابق، ص .36

26. السابق، ص .38

27. عبد الوهاب البياتي، ديوان سفر الفقر و الثورة، الأعمال الشعرية الكاملة، بغداد: دار الحرية، 2001م، ص 39-41.

28. الصادق النيهوم، الكلمة و الصورة، ص .42

29. شرح ديوان كعب بن زهير، ط3، صنعة أبي سعيد السكري، القاهرة: دار الكتب و الوثائق القومية، 2002م، ص .242

30. ينظر الصادق النيهوم، الكلمة و الصورة، ص .59

31. ينظر السابق، ص .60

32. ينظر السابق، ص .21

33. السابق ، ص .21

34. نزار قباني، ديوان قصائد، قصيدة بيتي، ط 29، بيروت : منشورات قباني، 1999م، ص .51

35. ينظر الصادق النيهوم، الكلمة و الصورة، ص .22

36. أنكرها الفيلسوف (أفلاطون)، و اعترف بها و أثبتها تلميذه (أرسطو) في كتابه فن الشعر.

37. ينظر الصادق النيهوم، الكلمة و الصورة، ص .23

38. السابق ص: 102.

39.قطعة قام النيهوم بترجمتها ، مجهولة القائل، ينظر كتابه الكلمة و الصورة، ص 110.

40. الصادق النيهوم، الكلمة و الصورة، ص 110.

41. السابق، ص 112.

42. ينظر السابق، ص 113.

المصادر و المراجع

1.أبو عثمان الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: عبدالسلام هارون، دط، 1992م.

2. أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة، قصيدة (قلب الشاعر) ط 1، دار و مكتبة الهلال، 2003م.

3. ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، ط3، تحقيق :أحمد شاكر، القاهرة: دار الحديث، 2001م.

4. إيليا الحاوي، الرومنسية في الشعر الغربي و العربي، ط 3، بيروت: دار الثقافة، 1998م.

5. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، ط 3، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1992م.

6. ديوان امرئ القيس، دط، بيروت: دار صادر، دت.

7. رامز الحوراني، نشوء النقد الأدبي و تطوره، ط1،ليبيا: جامعة سبها، 1996م.

8. شرح ديوان كعب بن زهير، ط3، صنعة أبي سعيد السكري، القاهرة: دار الكتب و الوثائق القومية، 2002م.

9.الصادق النيهوم، الكلمة و الصورة، ط 1، تح، سالم الكبتي، بيروت: تالة للطباعة و النشر، 2002م.

10.عبد الوهاب البياتي، ديوان سفر الفقر و الثورة، الأعمال الشعرية الكاملة، بغداد: دار الحرية، 2001م.

11. قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد خفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية، دت.

12.لاسل آبر كرومبي، قواعد النقد الأدبي، ط2، تر: محمد عوض محمد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986م.

13.نزار قباني، ديوان قصائد، قصيدة بيتي، ط 29، بيروت : منشورات قباني، 1999م.

دراسة تحليلية لاتجاهات الأمطار في النطاق الشمالي من ليبيا للفترة من (1971- 2002)

د.شرف الدين أحمد سالم

مقدمة:

يعد المطر من أشكال التساقط، ومن العناصر ذو الأهمية البالغة في المنظومة المناخية، ومن المعروف أن سجل أي عنصر مناخي عبارة عن مجموعة من التغيرات في القيم المرصودة لهذا العنصر، ولكن التغير المناخي هنا له معنى آخر. فهو لا يعنى التباينات الطبيعية أو العادية التي تحدث في النظام المناخي، مثل التباين في الدورة اليومية مابين الليل والنهار، أو في الدورة السنوية بين الفصول الأربعة، ولكنه يعنى التغير Change الذي يحدث في هذا التباين الطبيعي من عام لأخر، لذا يطلق علية Change in Climatic Variability.

لقد ظهرت منذ بداية العقد السابع من القرن الماضي، بعد حدوث كارثة المحل الشهيرة (نوبة الجفاف Dry Spill)، التي اجتاحت إقليم الساحل السوداني الإفريقي، ومناطق أخرى من العالم، دراسات عديدة تتخوف من تغيرات المناخ نحو الجفاف[1]. وبناء علية لجأ الكثير من الباحثين إلى تحليل السجلات المطرية السنوية في مناطق مختلفة من العالم، بغية إيجاد علاقات إحصائية بيانية ورياضية تظهر طبيعة الاتجاهات المطرية من خلال سلاسل زمنية محدده، منها دراسة (هير، 1977، لاتجاهات الأمطار في كل من: أغادير في النيجر، وأباتشي في تشاد)، و(شحاتة، 1968، في الأردن)، و(الجابورى، 1985، في العراق)، و(أمحمد عباد مقيلي، 2003، محطة أرصاد طرابلس، ليبيا)،

[1] - نادر محمد صيام، اتجاهات الأمطار في بعض المواقع في سوريا، دراسة إحصائية تحليلية، الجمعية الجغرافية الكويتية، 1995، ص5 .

وغيرهم. وفي هذه الدراسة يهدف الباحث إلى تحليل الاتجاهات المطرية في بعض المحطات داخل ليبيا.

فرضيات البحث:

طرحت الدراسة الفرضيات التالية بغية التحقق منها من خلال بعض العلاقات الإحصائية وهذه الفرضيات هي:

$$HO : r = 0$$

$$HA : r \neq 0$$

- ❖ فالفرضية الأولى تقول بعدم وجود اتجاه هام نحو الزيادة أو التناقص في الإمطار.
- ❖ الفرضية البديلة تقول بان اتجاه الأمطار ذو دلالة إحصائية، أي أن الاتجاه هام.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1- اشتقاق اتجاهات الأمطار خلال سلاسل زمنية للفترات المتاحة.

2- إخضاع بيانات الاتجاهات المطرية لفحوص الأهمية الإحصائية.

3- تحليل ظاهرة اتجاهات التغير في كميات الأمطار السنوية، وانحرافاتها عن الاتجاه العام وحدوث فترات الجفاف والرطوبة، ومعرفة إذا كانت تتبع نظاماً معيناً أم أن حدوثها عشوائي.

أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث من دوره في معرفة نمط اتجاهات الأمطار، وبالتالي إمكانية الاعتماد عليها في توجيه النشاط البشرى وبخاصة الزراعي منة، ومدى تكرار دورات الجفاف وتأثيرها على المنطقة.

حدود منطقة الدراسة:

تقع منطقة الدراسة بين دائرتي عرض 30 ° و 33 ° شمالا، وبين خطى طول 9° و 25° شرقا متمثلة في النطاق الشمالي من ليبيا يحده البحر المتوسط من ناحية الشمال،

والحدود التونسية غرباً، والحدود المصرية شرقاً، أما من الناحية الجنوبية فكانت الحدود متماشية مع النطاق الصحراوي وشبه الصحراوي الليبي، خريطة (1). وقد تم اختيار هذا النطاق لكونه يمثل النطاق الأوفر حظاً في التساقطات المطرية، ويكتنف بالتالي جل سكان البلاد وأراضيها الصالحة للزراعة وتمركزاتها العمرانية.

مناهج البحث:

ارتبط موضوع البحث بالجانب التطبيقي، لدراسة وتحليل بيانات اتجاهات كميات الأمطار في النطاق الشمالي من ليبيا، مما أدى إلى الاعتماد على منهجين : المنهج الوصفي الذي تم من خلاله وصف الظاهرة المناخية، وجمع البيانات المطرية لعدد 15 محطة أرصاد جوية. المنهج التحليلي: حيث تم تحليل البيانات الكمية ذات الصلة بالموضوع، والخروج بالنتائج المرتبطة بها.

مصادر وأساليب البحث:

اعتمدت الدراسة على مصلحة الأرصاد الجوية الليبية في جمع البيانات المطرية لعدد 15 محطة، موزعة على إقليم الدراسة، جدول (1)، والخريطة (1)، وتراوحت فترة البيانات من 22– 34 سنة، خمس محطات منها تقل فيها فترة الدراسة عن 30 سنة.

ويستخدم عادة في تحليل السلاسل الزمنية المطرية وتحديد اتجاهاتها عدد من الأساليب الإحصائية وهى: طريقة الرسم البياني البسيط، طريقة المتوسطات المتحركة، طريقة المتوسطات

خريطة (1) موقع منطقة الدراسة

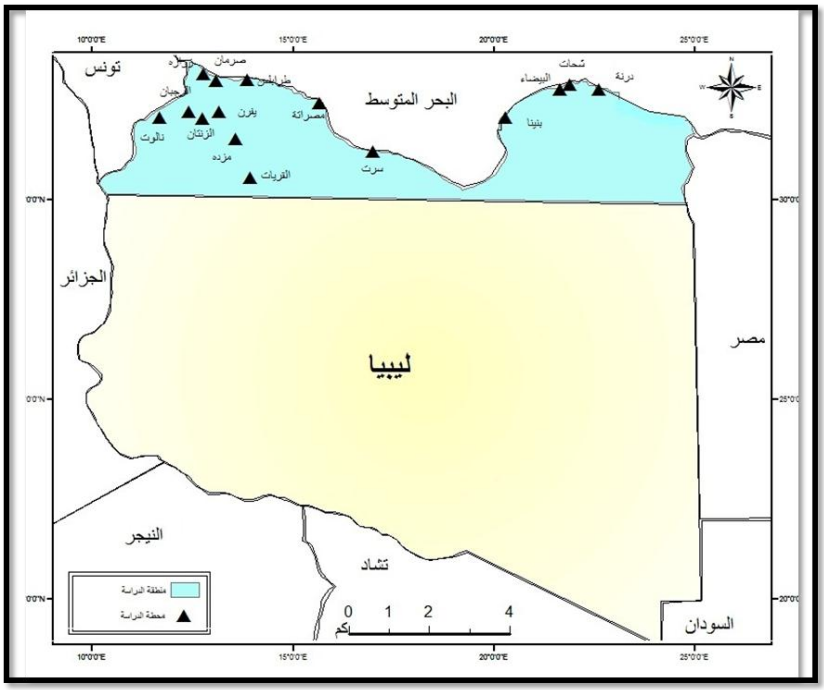

بتصرف من البحث إستناداً إلي: الأطلس التعليمى، (1985)، أمانة التعليم ومصلحة المساحة الليبية، طرابلس.

النصفية، وطريقة انحدار الخط المستقيم، واعتمد البحث على الطريقة الأخيرة في تحليل البيانات للأسباب التالية:

1- تمكن من اشتقاق اتجاهات واضحة.

2- بمكن إخضاع الاتجاه لفحوص الأهمية الإحصائية.

3- حساب معامل ارتباط انحدار الخط المستقيم، وإخضاعه مع معامل الانحدار لفحص الأهمية الإحصائية.

وتم التحليل الإحصائي للقيم المستخدمة في البحث باستخدام برنامج spss، كما يبين دلك بعض نماذج التحليل الإحصائي لمحطات الدراسة بالملحق (1).

جدول رقم (1) محطات الأرصاد الجوية التي تعتمد عليها الدراسة

اسم المحطة	الارتفاع (متر)	خط العرض (شمال)	خط الطول (شرق)
درنة	26	32 47	22 35
شحات	621	32 49	21 51
البيضاء	532	32 45	21 42
بنينا	129	32 05	20 16
سرت	13	31 12	16 35
مصراتة	32	32 19	15 0 3
طرابلس	25	32 45	13 11
صرمان	23	32 45	12 35
زواره	03	32 0 5	12 05
نالوت	621	31 52	10 59
الزنتان	713	31 56	12 14
الرجبان	688	31 57	12 06
يفرن	691	32 05	12 33
القريات	497	30 23	13 35
مزده	476	31 27	12 59

المصدر: عمل الباحث إستناداً إلى:

Climatologically Bulletin.(1997) Meteorological Department. Tripoli. Libya: p 2.

أولاً: الأمطار في ليبيا:

يعد المطر من العناصر المناخية المهمة في ليبيا بصفة عامة، باعتباره عاملاً رئيسياً في توزيع السكان، وتحديد نوع النباتات والحيوانات في الأقاليم المختلفة. ويتضح أن الموقع الجغرافي لليبيا بين البحر والصحراء يلعب دوراً رئيسياً في تفسير كثير من الاختلافات في توزيع كميات المطر، فالمنطقة التي تستلم 60 ملم فما فوق تنحصر في نطاق محدود لايتعدى 18% من مساحة البلاد[1] .

في حين يتوقف توزيع المطر في مناطق المرتفعات على عدة عوامل منها؛ عامل الارتفاع وبعدها وقربها من البحر، واتجاه منحدراتها بالنسبة لاتجاه الرياح الممطرة، هذا ما جعل مرتفعات شمال شرق ليبيا، أو ما يعرف مجازاً (بالجبل الأخضر) من أكثر المناطق في إقليم الدراسة وفى ليبيا ككل مطراً، مع تباين كميات المطر الساقطة عليه، حيث تصل كمية المطر حوالي 551 ملم في البيضاء، وتتناقص لتصل إلى 100 ملم في المخيلى، وتتباين معدلات المطر على المنطقة المرتفعة في شمال غرب الإقليم لتتدرج من 372 ملم في غريان إلى أقل من 161 ملم في نالوت.

ويلي منطقة الجبل الأخضر من حيث كمية المطر السهول الساحلية، وأكثر أجزاء هذه السهول مطراً الجوانب التي يبرز فيها الساحل نحو الشمال، وأكبرها الممتد ما بين جنزور غرب طرابلس حتى الخمس شرقا، والمنطقة الممتدة بين توكره ودرنة، ففي هاتين المنطقتين تتراوح كمية المطر السنوي ما بين 300 و 400 ملم [2]. أما أقل المناطق مطراً في الإقليم فهي السواحل الغربية والجنوبية لخليج سرت، وكذلك السواحل الغربية والجنوبية لخليج البومبا، هذا ويتناقص المطر بصفة عامة في هذه السهول كلما اتجهنا

[1] - محمد مبروك المهدوي، جغرافية ليبيا البشرية، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 1998، ص71.

[2] - خالد رمضان بن محمود، ، الترب الليبية، الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس، ليبيا، 1993، ص81 .

جنوبا إلى أن نصل إلى المناطق الجافة خارج إقليم الدراسة، والتي تكاد تنعدم فيها الأمطار.

ويتحليل الشكل (1) نلحظ أن أعلى معدل سنوي للمطر سجل في البيضاء، وهو حوالي 551 ملم، وأقل كمية مطر كانت في القريات 50 ملم، وكانت كميات المطر مقاربة لها في مزده، أما في باقي المحطات فكانت كمية المطر الساقطة عليها ما بين 161 و 535 ملم، ويتأثر المطر بشكل الساحل واتجاهه.

وبمقارنة كمية المطر في طرابلس وبنغازي نجد أن الأولى أكثر مطراً لكونها أكثر امتداداً نحو الشمال، ولأنها أكثر الجهات تعرضا لغزو الأعاصير الشتوية الممطرة، أما سواحل خليج سرت فيقل فيها المطر حيث يظهر الطابع الصحراوي بالقرب من الساحل، وذلك لتراجع السواحل في خليج سرت على هيئة قوس نحو الداخل وموازاتها للرياح الممطرة .

أما ارتفاع معدل المطر في شمال هضبة الجبل الأخضر فيعزى لتأثير الرياح الغربية بأعاصيرها المعروفة، إضافة لظروف عامل الارتفاع وتوجه السفوح، ويرجع انخفاض كمية المطر في هضبة البطنان والدفنة إلى قلة ارتفاعها من ناحية، ووقوعها في منطقة ظل الجبل الأخضر من ناحية أخرى فلا يصل إليها من المطر إلا القدر اليسير.

ويبدأ المطر في التساقط مع حلول فصل الخريف، بدءاً من شهر سبتمبر بكميات قليلة جداً ولفترات محدودة، ومع زيادة التساقط في شهر أكتوبر الذي يبدأ فيه المطر بالسقوط بشكل فعلى، ويستمر في ذلك إلى أن يصل إلى أعلى معدلاته في فصل الشتاء، وبالتحديد في شهر ديسمبر، وبعد ذلك يبدأ معدل المطر في الانخفاض خلال فصل الربيع بشكل ملحوظ إلى أن ينعدم في فصل الصيف بداية من شهر يونيو، وبذلك فإن المطر يستمر في التهاطل في أغلب مناطق الإقليم لحوالي تسعة أشهر، يختلف فيها معدل المطر من شهر إلى أخر، ومن منطقة إلى أخرى داخل الإقليم.

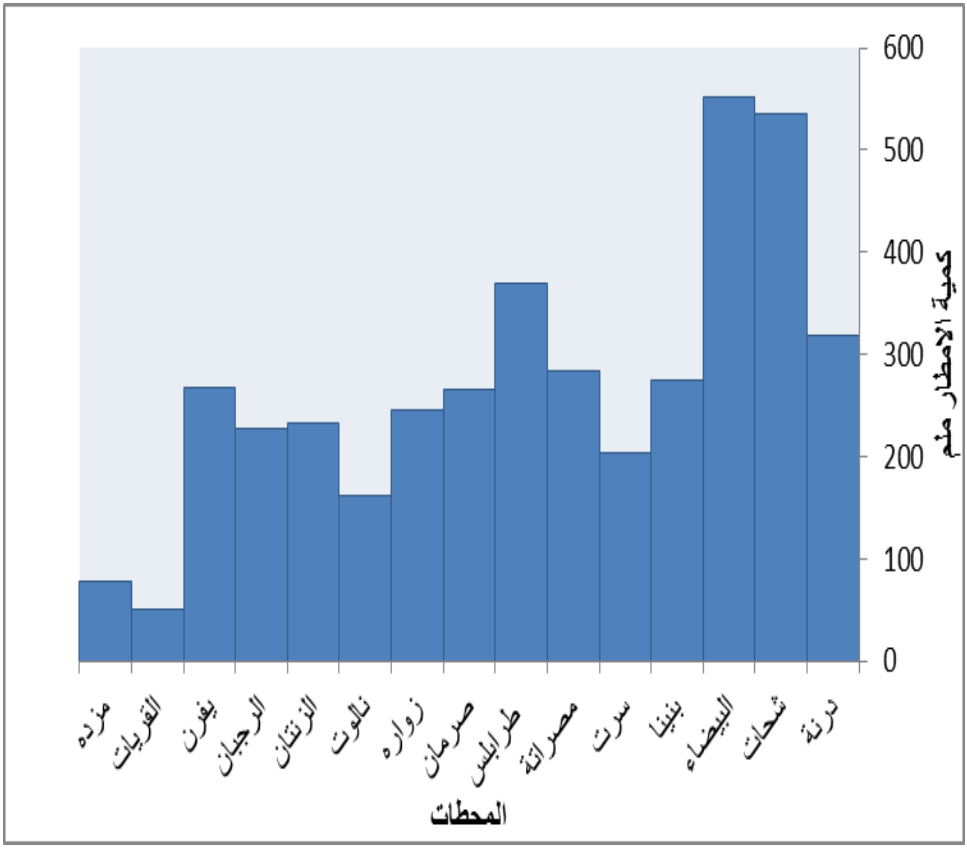

المصدر : عمل الباحث إستناداً إلى: بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، إدارة المناخ والأرصاد الزراعية، طرابلس، ليبيا.

شكل (1) معدل المطر السنوي في الإقليم للفترة (1971 – 2007)

وعليه فقد قسم مناخ ليبيا إلى عدة تقسيمات على النحو التالي:

1- إقليم مناخ البحر المتوسط، ويمتد على طول ساحل البحر المتوسط يضيق ويتسع تبعاً لأثر البحر وتوغل أعاصيره الشتوية، وبمناخه المعروف حار جاف صيفاً دافئ

ممطر شتاء، مع ارتفاع نسبة الرطوبة وقلة المدى الحراري اليومي والفصلي [1] ، ويزيد معدل المطر عن 300 ملم.

2- مناخ المرتفعات؛ ويشمل مرتفعات (الجبل الأخضر، والجبل الغربي)، ويحده من الجنوب خط مطر 200 ملم، وبه أعلى المناطق مطراً على قمة مرتفعات (الجبل الأخضر) حيث يسقط ما يزيد عن 500 ملم.

3- المناخ شبه الجاف؛ إلى الجنوب من المرتفعات، وينحصر بين خطى مطر 150 و 50 ملم، ويشمل مناطق وسواحل خليج سرت وغرب سهل الجفارة.

4- المناخ الصحراوي؛ ويغطى 90% من الأراضي الليبية، ويتسم بالحرارة والجفاف، ويقل فيه المطر السنوي عن 50 ملم، مع زيادة المدى الحراري اليومي والفصلي[2].

وبالتباين من منطقة إلى أخرى حيث ترتفع درجة الحرارة التي لا تقل عن 22°م في فصل الصيف، مع سقوط المطر واعتدال في درجة الحرارة التي لأتقل عن3 °م، ولأتزيد عن 18°م في فصل الشتاء، وسقوط ما لا يقل عن 70% من مجموع المطر السنوي في فصل الشتاء[3].

وبناء على ما سبق، ومن تحليل الخريطة (2) لتوزيع المطر في الإقليم يمكن تقسيم المنطقة إلى خمس مناطق على النحو التالي:

---

1 - Hans- Jurgen Boll, Mediterranean Climate variability and trends, (2003), p8.

2 – [2]عطية محمود محمد الطنطاوي، موارد المياه في الجماهيرية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1997، ص ص 12- 13.

3 – يوسف عبد المجيد فائد، وآخرون ، مناخ مصر ، دار النهضة العربية، 1997، ص132 .

1- منطقة يزيد مطرها عن 500 ملم سنوياً، وتمثلها المنطقة العليا لمرتفعات المنطقة الشرقية (الجبل الأخضر)، وتظهر واضحة في شحات والبيضاء.

2- منطقة مطرها مابين 400-500 ملم، وتشكل مساحة أكبر من المنطقة الأولى، وتمتد على شكل بيضاوي يحيط بالمنطقة الأولى، متمثلا بشكل واضح في المرج.

3- مناطق مطرها مابين 300-400 ملم، وتظهر بوضوح في ثلاث مناطق؛ الأولى في شمال غرب ليبيا، وتمتد من جنزور غرباً إلى الخمس شرقاً، والثانية ترتكز في وسط مرتفعات المنطقة الغربية (الجبل الغربي) في أعلى مناطقه غريان، والثالثة تمتد من مدينة درنة في الشرق إلى منطقة مابين المرج والأبيار.

4- مناطق معدل مطرها مابين 200-300ملم، وتتمركز حول زواره في شمال غرب ليبيا، وأغلب الأجزاء الشرقية لمرتفعات المنطقة الغربية (لجبل الغربي) وسهل الجفارة، والجزء الشرقي من سهل بنغازي (من بنغازي حتى توكرة).

5-مناطق مطرها مابين 100-200ملم، وتمتد من الشرق إلى الغرب على هيئة شريط يتراوح عرضه مابين 20-35 كم. وتتمركز حول خليج سرت واجدابيا، ومناطق متفرقة من المرتفعات الغربية (الرجبان، الزنتان) ، وهوامش المرتفعات الشرقية.

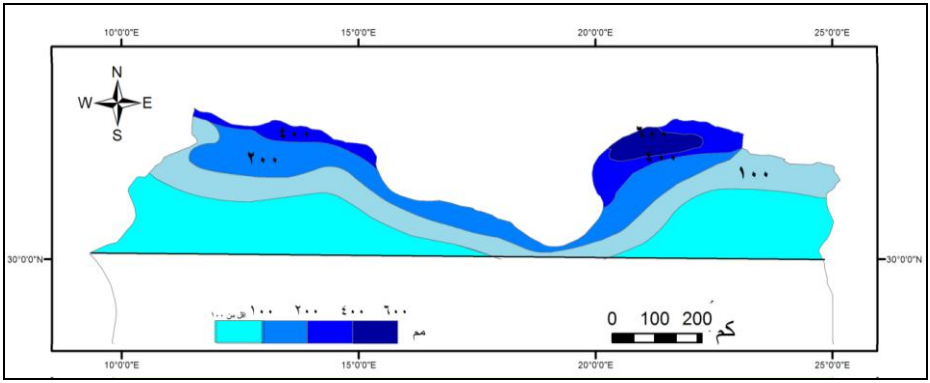

المصدر : بتصرف من الباحث: الأطلس التعليمي، أمانة التعليم ومصلحة المساحة الليبية، طرابلس، (1985) .

خريطة (2) توزيع المطر في إقليم الدراسة.

ثانياً: الاتجاه العام للأمطار:

يظهر من خلال الملحق(2) أن الاتجاه العام لكميات الأمطار السنوية يميل نحو التناقص في أغلب محطات الدراسة مع وجود تباين مكاني في مقدار هذا التناقص مابين هذه المحطات، وعندما تكون قيم كل من معامل الانحدار ومعامل الارتباط في المعادلتين موجبة يكون اتجاه الأمطار متزايداً، وعندما تكون سالبة يكون اتجاه الأمطار متناقصاً، وتوضح نتائج اتجاهات الأمطار التي تم التوصل إليها.

أولاً: معادلة انحدار الخط المستقيم:

بتطبيق معادلة انحدار الخط المستقيم المتمثلة في التالي[1]:

معادلة خط الاتجاه العام: $y = a + bx$

حيث أن :

Y = القيمة الاتجاهية للأمطار.

a = ثابت نقطة الأساس لعلاقة الانحدار.

b = يمثل كمية التغير في y الناتجة عن تغير x درجة واحدة (معامل الانحدار).

إن قيم معامل الانحدار (b) المبينة بالجدول (2) كانت موجبة 2.116، 0.655، 0.345، في كل من البيضاء، درنة، طرابلس، على التوالي. وتراوحت قيمه السالبة في باقي المحطات بين −0.157 في محطة شحات و−2.759 في محطة زواره.

[1] – أبو القاسم عمر الطبولى، مبادئ الإحصاء، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا، 1993، ص190.

ثانياً: اختبار (T) ستيودنت لمعامل الانحدار:

وقد دل فحص الأهمية الإحصائي t ستيودنت المبين نتائجه بالجدول (2) عدم أهمية قيم معامل الانحدار(b) الإحصائية في جميع المحطات عند مستوى الأهمية الإحصائية 5% إذ جاءت قيم t_b المحسوبة، اقل من قيم t المحددة عند مستوى الأهمية الإحصائية 5%، وهذا يدل على أنها انحدارات ظاهرية وغير جوهرية حصلت بمحض الصدفة. وفق المعادلة[1] :

$$t_b = \frac{b\sqrt{\Sigma y^2 - \frac{(y)^2}{n}}}{\sigma_\chi}$$

حيث أن:

t_b = فحص الأهمية الإحصائية لمعامل الانحدار.

b = قيم معامل الانحدار.

y = المتغير التابع (الأمطار).

σ_χ = الانحراف المعياري للمتغير المستقل (الزمن).

n = عدد القيم.

[1] – نادر محمد صيام، مرجع سابق، ص 12.

جدول (2) يوضح قيم معادلة خط الاتجاه العام، وفحص الأهمية الإحصائية t استيودنت لمعامل انحدار خط اتجاه الأمطار في محطات الدراسة.

المحطة	N	B	A	d.f	t المحسوبة	t 5%	الأهمية الإحصائية
درنة	23	0.655	987.870-	21	0.148	2.080	غير مهم
شحات	33	0.157-	846.809	31	0.201	2.040	غير مهم
البيضاء	25	2.116	3664.02-	23	0.494	2.069	غير مهم
بنينا	34	0.602-	1470.430	32	0.541	2.032	غير مهم
سرت	34	1.551-	3248.651	32	1.294	2.032	غير مهم
مصراتة	34	0.481-	1240.001	32	0.414	2.032	غير مهم
طرابلس	33	0.345	315.545-	31	0.084	2.040	غير مهم
صرمان	29	2.253-	4745.588	27	1.150	2.053	غير مهم
زواره	34	2.759-	5730.199	32	1.745	2.032	غير مهم
نالوت	34	1.864-	3867.371	32	1.162	2.032	غير مهم
الزنتان	33	0.465-	1156.673	31	0.354	2.040	غير مهم
الرجبان	22	1.622-	3457.388	20	0.746	2.086	غير مهم
يفرن	22	2.336-	4924.977	20	0.928	2.086	غير مهم
القريات	33	o.543-	1128.679	31	0.989	2.040	غير مهم
مزده	33	0.901-	1868.237	31	0.943	2.040	غير مهم

المصدر: من عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، طرابلس، ليبيا.

d.f = درجات الحرية، وتحسب من المعادلة: d.f = n – 2.

ثالثاً: معامل ارتباط بيرسون :

وتبين علاقة الارتباط التي تشرحها المعادلة التالية [1] :

معامل الارتباط بيرسون:

$$r = \frac{N\sum XY - (\sum X)(\sum Y)}{\sqrt{[N\sum X^2 - (\sum X)^2][N\sum Y^2 - (\sum Y)^2]}}$$

حيث إن:

r = معامل ارتباط بيرسون ، وتتراوح قيمته ما بين (1 ، و –1).

X = السنوات (المتغير المستقل).

Y = كمية المطر (المتغير التابع).

إن قيم الارتباط (r) المبينة بالجدول (3) الموجبة والتي بلغت 0.118، 0.043، 0.033، في كل من البيضاء، درنة، طرابلس، على التوالي. وقيمه السالبة التي تراوحت بين – 0.013 في محطة شحات و – 0.283 في محطة زواره، تدل على وجود علاقات ارتباط خطية موجبة وضعيفة جداً بين الأمطار والزمن في ثلاث محطات ووجود علاقات خطية سالبة وضعيفة جداً ببن الأمطار والزمن في 13 محطة.

رابعاً: اختبار (T) ستيودنت لمعامل الارتباط:

وقد تم فحص الأهمية الإحصائية t ستيودنت لمعامل الارتباط بالمعادلة التالية[2] :

$$t_r = \frac{r\sqrt{n-2}}{\sqrt{1-r^2}}$$

[1] –Norman Bailey, Statistical, Great Britain, (1988), p 95.

[2] – أمحمد عياد مقيلي، مخاطر الجفاف والتصحر والظواهر المصاحبة لهما، دار شموع الثقافة، الزاوية، ليبيا، 2003، ص54.

حيث إن:

t_r = فحص الأهمية الإحصائية لمعامل الارتباط .

r = قيمة معامل الارتباط .

r^2 = مربع قيمة معامل الارتباط .

n = عدد السنوات

قد تبين أن جميع القيم المطرية غير جوهرية، ووجدت بمجرد الصدفة، جدول (3) حيث لم يرقى أي منها إلى مستوى الأهمية الإحصائية 5% لأن جميع قيم tr المحسوبة جاءت اقل من قيم t المحددة عند مستوى الأهمية الإحصائية 5%.

ويدعم عدم أهمية علاقات الارتباط وخطوط انحدارها الممثلة للاتجاهات المطرية في المحطات جميعها، قيم معامل التفسير التي توضح النسبة الحقيقية من متغيرات الأمطار التي يستطيع خط الانحدار تفسيرها جدول (4)، فيلاحظ أن قيم معامل التفسير لم تتجاوز 0.08 % في محطة زواره، بينما قلت عن ذلك في باقي المحطات، وتدل هذه القيم المنخفضة على أنها قيم مهملة، وعدم صلاحية علاقة الارتباط أو خط انحدارها إذا كانت قيمة r أقل من 50% وقيمة r^2 أقل من 25% [1]. وتعكس بذلك الطبيعة العشوائية للأمطار التي تتذبذب كمياتها من سنة إلى أخرى دون أن يكون لتغيرات الزمن أي علاقة ملحوظة بها وباتجاهاتها.

[1] –Oliver,J,E, Climate and Mans Environment. An Introduction to Applied Climatology. New York, London, ,(1973), p472.

جدول (3) يوضح قيم معامل الارتباط، وفحص الأهمية الإحصائية t ستيودنت لمعامل ارتباط الأمطار مع الزمن في محطات الدراسة.

المحطة	r	d.f	tr المحسوبة	t 5%	الأهمية الإحصائية
درنة	0.043	21	0.195	2.080	غير مهم
شحات	0.013-	31	0.074-	2.040	غير مهم
البيضاء	0.118	23	0.569	2.069	غير مهم
بنينا	0.078-	32	0.44-	2.032	غير مهم
سرت	0.210-	32	1.214-	2.032	غير مهم
مصراتة	0.056-	32	0.319-	2.032	غير مهم
طرابلس	0.033	31	0.183	2.040	غير مهم
صرمان	0.205-	27	1.086-	2.053	غير مهم
زواره	0.283-	32	1.670-	2.032	غير مهم
نالوت	0.193-	32	1.113-	2.032	غير مهم
الزنتان	0.051-	31	0.283-	2.040	غير مهم
الرجبان	0.154-	20	0.69-	2.086	غير مهم
يفرن	0.193-	20	0.878-	2.086	غير مهم
القريات	0.167-	31	0.945-	2.040	غير مهم
مزده	0.160-	31	0.903-	2.040	غير مهم

المصدر: من عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، طرابلس، ليبيا.

خامساً: الخطأ المعياري لعلاقة الانحدار:

وتعكس قيم الخطأ المعياري للتقدير (S.E) لكل علاقات الانحدار الخطية لمحطات

الدراسة، عشوائية كميات الأمطار السنوية التي تراوحت قيمها المعيارية بين 31.4 في القريات و 134.1 في البيضاء وبالتالي عدم ارتباطها بتغيرات الزمن بشكل واضح، والموضحة نتائجها بالجدول (4) والمحسوبة من المعادلة[1]:

$$S.E = Q_Y - \sqrt{1 + r^2}$$

حيث إن:

S.E = الخطأ المعياري للتقدير.

Q_Y = أفضل تقدير للانحراف المعياري.

r^2 = معامل التفسير.

سادساً: الانحراف المعياري النسبي:

وتدعم قيم الانحراف المعياري النسبي عشوائية الأمطار، وتؤكد وجود عوامل أخرى، غير كميات الأمطار والزمن تدخل في تحديد اتجاه خط الانحدار(اتجاه الأمطار) بنسب عالية تراوحت بين 21.6% في محطة شحات و69.3% في محطة مزده، وقد تنتج هذه العوامل من الإجراءات المتبعة عند تسجيل وقياس الأمطار أو بعوامل طبيعية أخرى يصعب الكشف عنها وقياسها. كما يوضح الجدول (4) والمحسوبة من المعادلة[2]:

$$\%\sigma = \frac{S.E}{\bar{y}} \ 100$$

حيث إن:

$\%\sigma$ = النسبة المئوية للانحراف المعياري.

S.E = الخطاء المعياري.

---

[1]- نادر محمد صيام، مرجع سابق، ص 11.

[2]- نفس المرجع، ونفس الصفحة.

$\bar{y}$ = المتوسط .

جدول (4) يوضح قيم معامل التفسير، وقيم الخطأ المعياري للتقدير، وقيم النسبة المئوية للانحراف المعياري في محطات الدراسة.

المحطة	n	% r^2	S.E	% Q
درنة	23	0.002	106.6	33.54
شحات	33	0.000	116.1	21.66
البيضاء	25	0.04	134.1	24.29
بنينا	34	0.006	78.18	28.47
سرت	34	0.04	73.0	35.99
مصراتة	34	0.003	86.2	30.30
طرابلس	33	0.001	102.9	27.86
صرمان	29	0.04	93.4	35.22
زواره	34	0.08	94.5	38.45
نالوت	34	0.03	95.8	59.20
الزنتان	33	0.003	89.8	38.66
الرجبان	22	0.02	69.2	30.54
يفرن	22	0.03	79.1	29.52
القريات	33	0.02	31.4	62.26
مزده	33	0.02	54.5	69.39

المصدر: من عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، طرابلس، ليبيا.

النتائج:

بناء على الدراسة التفصيلية للعناصر السابقة تم التوصل إلى النتائج التالية :

1- وجود اتجاهات مطرية متزايدة واتجاهات مطرية متناقصة في محطات الدراسة.
2- أكدت جميع الفحوص الإحصائية أن كل الاتجاهات ظاهرية لا تتمتع بأي أهمية إحصائية أو عملية ونتجت عن الطبية العشوائية لكمية الأمطار السنوية.
3- القبول بالفرضية الصفرية التي تقول بأن الاتجاه العام للأمطار السنوية ليس له أهمية في إقليم الدراسة، ورفض الفرضية البديلة التي ترى بأهمية الاتجاه ودلالاته الإحصائية.
4- أن التذبذب في الأمطار الذي يمر به الإقليم أدي إلى هشاشة البيئة الطبيعية، مما يوجب دراستها تفصيلياً بكل عناصرها عند محولة تنميتها.
5- تبين الاتجاهات المطرية صعوبة الاعتماد عليها في أقامة مشاريع زراعية بالإقليم، ألا بعد أيجاد مصادر مائية بديلة.

المراجع

1- أبو القاسم عمر الطبولى، مبادئ الإحصاء، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا، (1993).

2- أمحمد عياد مقيلي، مخاطر الجفاف والتصحر والظواهر المصاحبة لهما، دار شموع الثقافة، الزاوية، ليبيا، (2003).

3- خالد رمضان بن محمود، الترب الليبية، الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس، ليبيا، (1993).

4- محمد مبروك المهدوي، جغرافية ليبيا البشرية، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، (1998).

5- يوسف عبد المجيد فائد، وآخرون، مناخ مصر، دار النهضة العربية، (1997).

6- عطية محمود محمد الطنطاوي، موارد المياه في الجماهيرية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، (1997).

7- نادر محمد صيام، اتجاهات الأمطار في بعض المواقع في سوريا، دراسة إحصائية تحليلية، الجمعية الجغرافية الكويتية، (1995).

8- Climatologically Bulletin, Meteorological Department. Tripoli. Libya, (1997).

9- Hans- Jurgen Boll, Mediterranean Climate variability and trends, (2003).

10- Norman Bailey, Statistical, Great Britain, (1988).

11- Oliver,J,E, Climate and Mans Environment. An Introducation to Applied Climatology. New York, London, (1973).

الملاحق

ملحق (1) بعض نماذج التحليل الإحصائي لمحطات الدراسة باستخدام برنامج spss.

Model Summa

محطة بنينا

Std. Error of the Estimate	Adjusted R Square	R Square	R	Model
78.18597	−.025	.006	.078(a)	1

a Predictors: (Constant), years

ANOVA(b)

Sig.	F	Mean Square	Df	Sum of Squares		Model
.663(a)	.194	1184.830	1	1184.830	Regression	1
		6113.046	32	195617.481	Residual	
			33	196802.311	Total	

a Predictors: (Constant), years

b Dependent Variable: BENINA

Coefficients(a)

Sig.	t	Standardized Coefficients Beta	Unstandardized Coefficients Std. Error	Unstandardized Coefficients B		Model
.592	.541		2716.448	1470.430	(Constant)	1
.663	-.440	-.078	1.367	-.602	yars	

a Dependent Variable: BENINA

البيضاء

Model Summary

Std. Error of the Estimate	Adjusted R Square	R Square	R	Model
134.13880	-.029	.014	.118(a)	1

a Predictors: (Constant), years

ANOVA(b)

Sig.	F	Mean Square	Df	Sum of Squares		Model
.575(a)	.324	5823.232	1	5823.232	Regression	1

		17993.218	23	413844.025	Residual
			24	419667.258	Total

a Predictors: (Constant), years

b Dependent Variable: BIEDA

Coefficients(a)

Sig.	t	Standardized Coefficients Beta	Unstandardized Coefficients Std. Error	B		Model
.626	-.494		7410.968	-3664.027	(Constant)	1
.575	.569	.118	3.720	2.116	yars	

a Dependent Variable: BIEDA

تابع ملحق (1)

Model Summary محطة طرابلس

Std. Error of the Estimate	Adjusted R Square	R Square	R	Model
102.97708	-.031	.001	.033(a)	1

a Predictors: (Constant), years

ANOVA(b)

Sig.	F	Mean Square	Df	Sum of Squares		Model
.856(a)	.034	355.474	1	355.474	Regression	1
		10604.279	31	328732.647	Residual	
			32	329088.122	Total	

a Predictors: (Constant), years

b Dependent Variable: TRIPOLI

Coefficients(a)

Sig.	t	Standardized Coefficients Beta	Unstandardized Coefficients Std. Error	Unstandardized Coefficients B		Model
.933	-.084		3740.784	-315.545	(Constant)	1
.856	.183	.033	1.883	.345	yars	

a Dependent Variable: TRIPOLI

القريات

Model Summary

Std. Error of the Estimate	Adjusted R Square	R Square	R	Model
31.40266	-.003	.028	.167(a)	1

a Predictors: (Constant), years

ANOVA(b)

Sig.	F	Mean Square	Df	Sum of Squares		Model
.352(a)	.893	881.042	1	881.042	Regression	1
		986.127	31	30569.937	Residual	
			32	31450.979	Total	

a Predictors: (Constant), years

b Dependent Variable: GHARIAT

Coefficients(a)

Sig.	t	Standardized Coefficients	Unstandardized Coefficients			Model
		Beta	Std. Error	B		
.330	.989		1140.745	1128.679	(Constant)	1
.352	-.945	-.167	.574	-.543	yars	

a Dependent Variable: GHARIAT

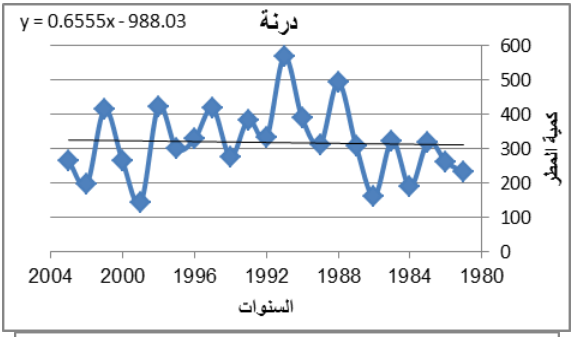
y = 0.6555x - 988.03
درنة
600
500
400
300
200
100
0
كمية المطر
2004 2000 1996 1992 1988 1984 1980
السنوات

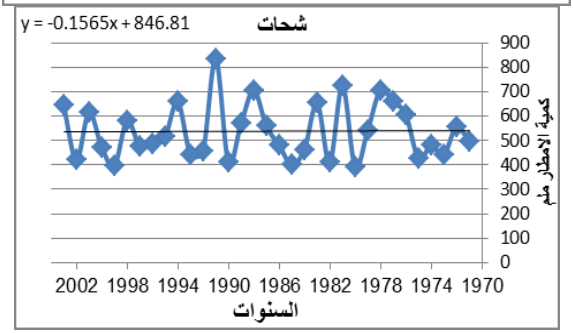
y = -0.1565x + 846.81
شحات
900
800
700
600
500
400
300
200
100
0
كمية الامطار مم
2002 1998 1994 1990 1986 1982 1978 1974 1970
السنوات

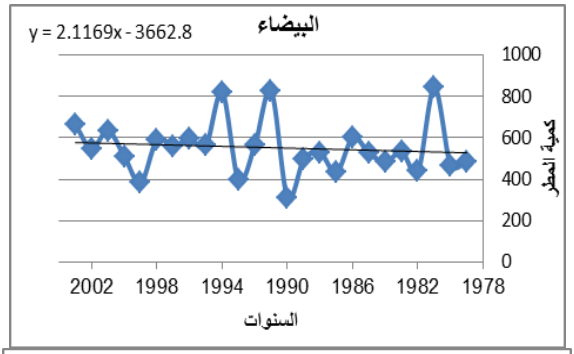
y = 2.1169x - 3662.8
البيضاء
1000
800
600
400
200
0
كمية المطر
2002 1998 1994 1990 1986 1982 1978
السنوات

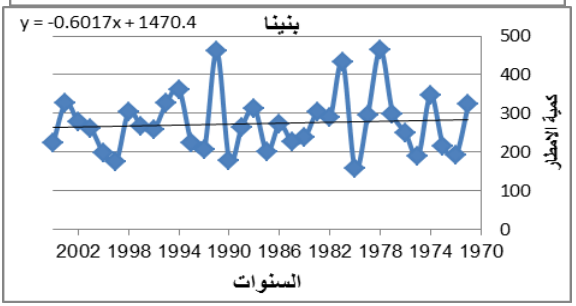
y = -0.6017x + 1470.4
بنينا
500
400
300
200
100
0
كمية الامطار
2002 1998 1994 1990 1986 1982 1978 1974 1970
السنوات

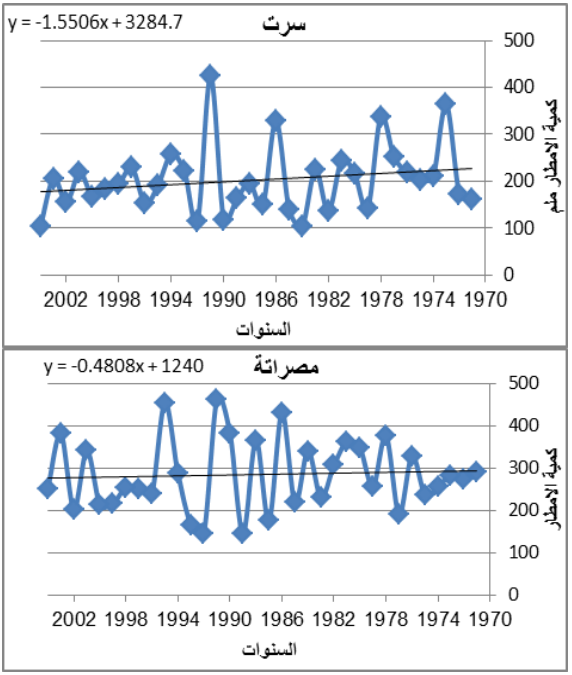
y = -1.5506x + 3284.7
سرت
500
400
300
200
100
0
كمية الامطار ملم
2002 1998 1994 1990 1986 1982 1978 1974 1970
السنوات
y = -0.4808x + 1240
مصراتة
500
400
300
200
100
0
كمية الامطار
2002 1998 1994 1990 1986 1982 1978 1974 1970
السنوات

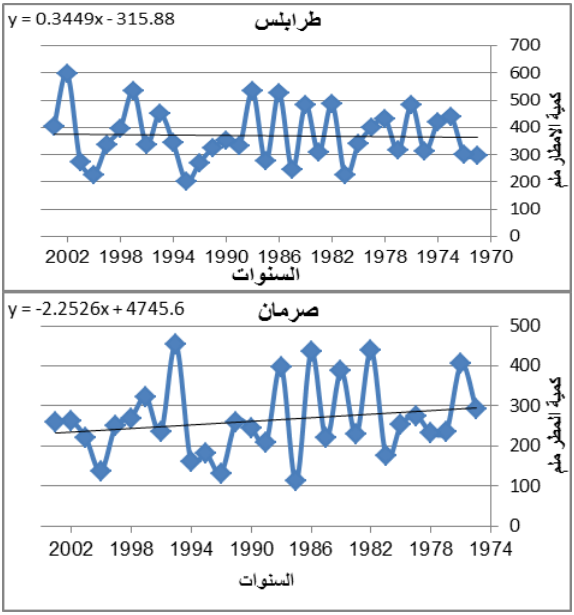
y = 0.3449x - 315.88
طرابلس
700
600
500
400
300
200
100
0
كمية الامطار ملم
2002 1998 1994 1990 1986 1982 1978 1974 1970
السنوات
y = -2.2526x + 4745.6
صرمان
500
400
300
200
100
0
كمية المطر ملم
2002 1998 1994 1990 1986 1982 1978 1974
السنوات

ملحق (2) السلسلة الزمنية وخط الاتجاه العام للأمطار في محطات الدراسة.

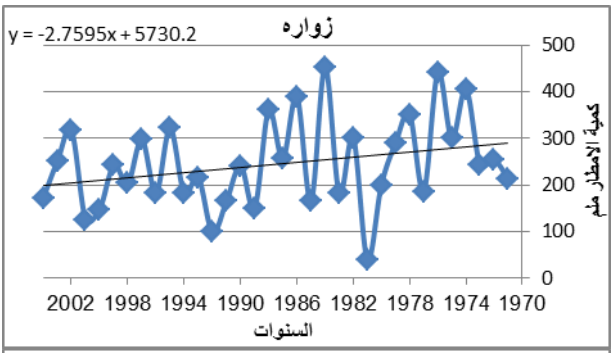

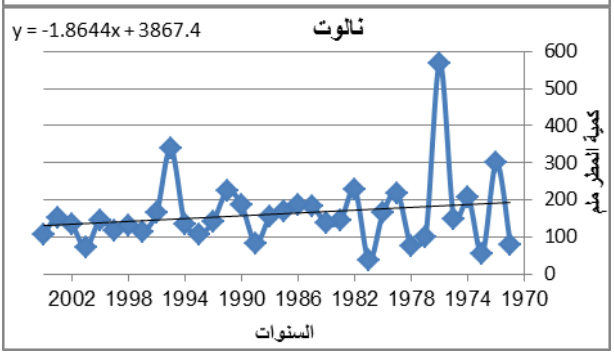

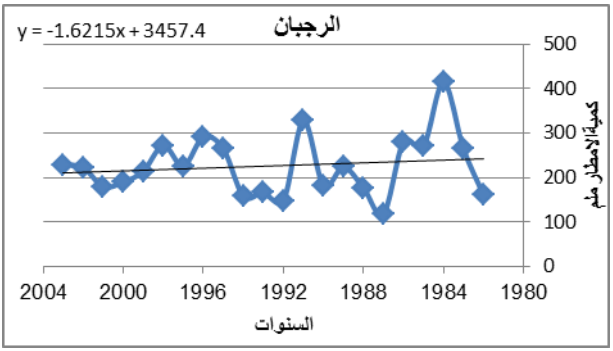

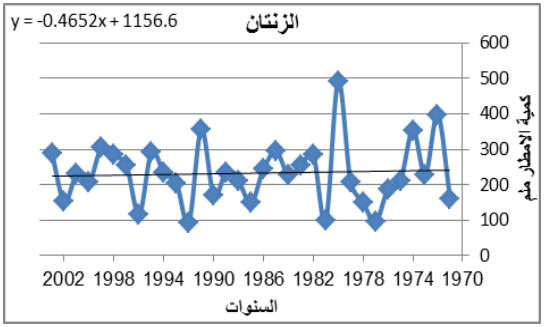

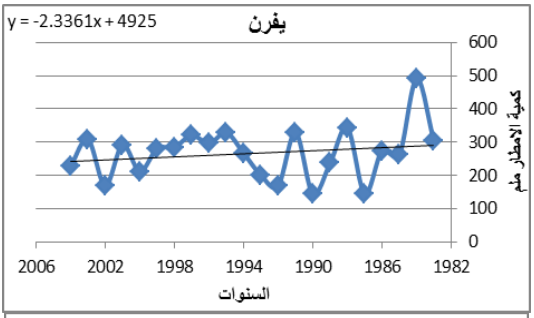

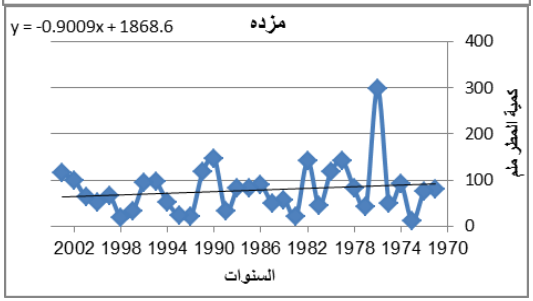

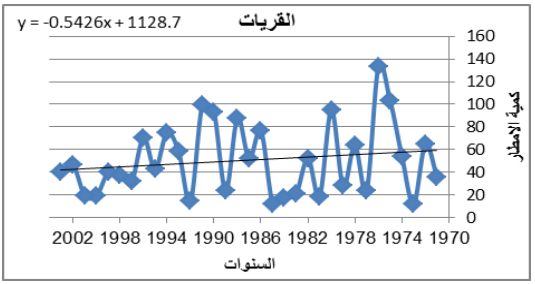

المصدر: من عمل الباحث، اعتماداً على بيانات مصلحة الأرصاد الجوية، طرابلس، ليبيا.

الاقاليم السياحية بليبيا وامكانية تنميتها

د.صالحة علي اخليف فلاح•

المقدمة

إن السياحة وإن كانت صناعة إلا أنها تختلف عن باقي الصناعات في طبيعة مواردها وفي طبيعة استثمارها فالسياحة كصناعة تعتمد علي الموارد الطبيعية التي ترتبط بالمكان وتعتمد في استثماراتها علي إقامة المشروعات التي تستثمر هذه الموارد والخصائص الطبيعية.

كما أنها تركز علي خصائص وسمات البيئة المحلية، ومن ثم العمل علي استثمار الموارد المتاحة والمتوفرة في المنطقة ، وإبراز خصائص الإقليم ومميزاته بما يحقق له الاستثمار المناسب دون الإخلال بالعوامل الجاذبة المميزة للإقليم ودون المساس بموارده الطبيعية بالانتقاص منها أو استغلالها[1].

وتعتبر ليبيا من اهم الدول التي تمتاز بتوفر جميع الخصائص المتاحه لاستثمار السياحة حيث من ابرز مميزاتها انها تحتل مساحة شاسعة من طرف افريقيا الشمالي ،وموقعا فريدا ضمن مجموعة الأقطار المطلة على البحر المتوسط ، التى تعد من اكثر مناطق العالم جذبا للسياح، كذلك فقد جعلها هذا الموقع قريبة من أوربا حيث يعد خليج سرت النافذة الافريقية على العالم. شكل (1).

شكل (1) الموقع الجغرافي العام لليبيا على مستوى العالم

• عضو هيئة تدريس بقسم الجغرافيا كلية الآداب الخمس/جامعة المرقب

(1) ماجدة محمد جمعه: جغرافية السياحية،مطبعة التوحيد الحديثة ، مصر، 2000 ،ص660.

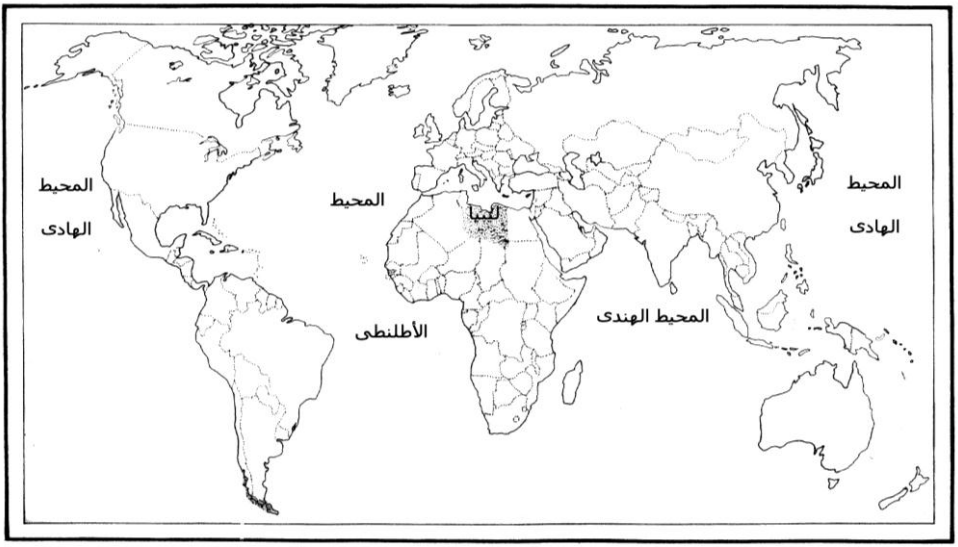

المصدر:الأطلس الوطني1978م.

وهذه المساحة الشاسعة لليبيا ساعدت على تقسيمها من حيث الموارد السياحية إلي أربع أقاليم سياحية شكل (2) تعكس إلى حد كبير المزايا الجغرافية والثقافية والتاريخية في البلاد، كما تعتبر مناطق مثالية لإغراض التخطيط السياحي. وتختلف هذه الأقاليم فيما بينها من حيث نمط السياحة ومقوماتها في كل منها مما يعطي لكل إقليم منها سماته الخاصة به سواء جغرافيا أو سياحيا، ويمكن لكثير من الأقاليم أن تتكامل بعضها البعض سياحيا خاصة مع اختلاف أنماط السياحة السائدة بكل منها ، يدعم ذلك شبكة من الطرق الجيدة ووسائل النقل المتنوعة التي تربط بين هذه الأقاليم بكفاءة عالية[1].

([1]) احمد حسن إبراهيم : جغرافية السياحة،الفجر للطباعة والتصوير، مصر، 2000 ،ص219.

شكل (2) الأقاليم السياحية ومواقع المدن في ليبيا

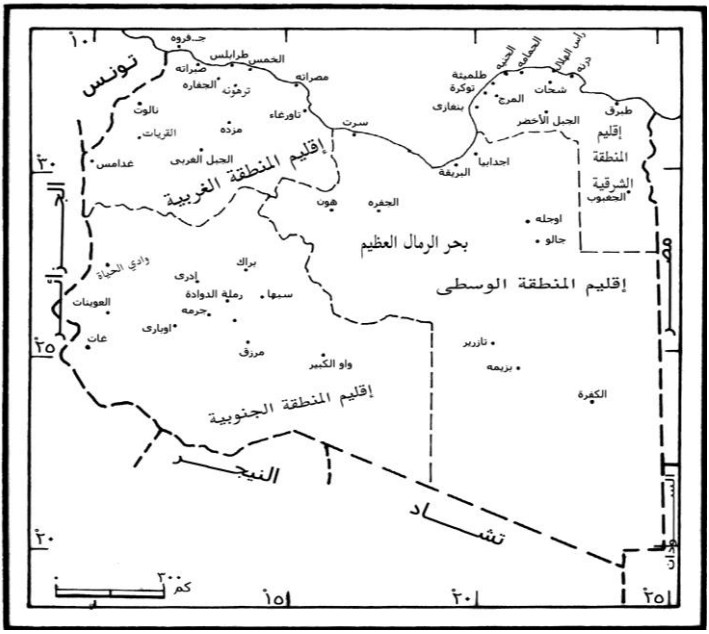

المصدر :. من عمل الباحثة استنادا الأطلس الوطني التعليمي 1978.

مشكلة البحث:.

تتمحور مشكلة البحث في عدم كفاءة النشاط السياحي ومحدوديته بليبيا ولما لم يتم الاستفادة والاستثمار بشكل امثل للاماكن السياحية بليبيا.

فرضية البحث:

ـ ان تنوع البيئات في منطقة الدراسة يساعد على توفر العديد من الموارد الطبيعية والبشرية.

ـ تتعدد انماط السياحة التى يمكن تنميتها في منطقة الدراسة.

هدف البحث:

يهدف البحث الى القاء الضوء على اهمية امكانيات ليبيا السياحية المتعددة والتى لم تنل حقها من الدراسات السابقة الجغرافية والاقتصادية والسياحية والتعرف على ماسيترتب عن

تنمية القطاع السياحي في كل الاماكن السياحية بليبيا من تطور وخاصة المناطق النائية

اهميته:

تتمثل اهميته في توضيح التوزيع الجغرافي للاماكن السياحية بليبيا وتمثيلها بالخرائط ، وتوضيح تنوع الموارد السياحية بليبيا بين موارد طبيعية مثل اعتدال المناخ وايضا توفر موارد السياحة البشرية مثل المواقع الاثرية التى مرت بعدة عصور مختلفة.

مجالاته:

ـ المجال المكاني:

يحدها من الشمال البحر المتوسط وتستمر جنوباً إلى أن تلتقي مع حدود كل من جمهوريتي النيجر وتشاد، أما شرقاً فتسير حدودها مع حدود جمهوريتي مصر العربية والسودان، وغرباً مع حدودها مع جمهوريتي تونس والجزائر. [1] وينحصر هذا المد الواسع فلكياً بين خطي طول 58 ° – 9 °ق 25 °ق تقريباً وما بين خطي عرض 45 – 18° ش و 10 ° – 33 °ش تقريباً. [2] وتضم مساحة تبلغ حوالي 1.751.500 كم2.

وليبيا بهذا الموقع الاستراتيجي قد جعلها منذ زمن بعيد معبر الحضارات القديمة التي تعاقبت عليه،كما اصبغ الموقع على البلاد أهمية بالغة يمكن استثمارها سياحياً وذلك من خلال:

1ـ ليبيا لها علاقات جوار تاريخية واقتصادية واجتماعية، مما يجعلها همزة وصل بين المشرق العربي والمغرب العربي وكذلك مع دول الصحراء الأفريقية ،وكذلك علاقاتها مع دول حوض البحر المتوسط عبر التاريخ.

([1]) لطيف هاشم كزار، عبد السلام محمد الحشاني: الجماهيرية العظمى دراسة في قوة الدولة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولي، 2005، ص 85.

([2]) سالم على الحجاجي: ليبيا الجديدة، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ليبيا، الطبعة الثانية، 1989، ص14.

2- يتمتع الساحل الشمالي لليبيا المطل على البحر المتوسط بعمق نحو" 40 كم " جنوباً[1] وهو معتدل أغلب فصول السنة وهذا يعد أحد عوامل الجذب الهامة للسائحين أغلب فترات السنة، كما يسودها المناخ الصحراوي الجاف الذي يمكن أن يكون جاذباً للسياحة في فصل الشتاء.

3- إن إطلالة ليبيا على ساحل البحر المتوسط والذي يمثل احد مناطق العرض السياحي في العالم حيث تنتشر على سواحله الشمالية والجنوبية والشرقية عدد من الدول السياحية لعل من أهمها اسبانيا وايطاليا واليونان وتركيا ولبنان ومصر وتونس ،يمكن معه لليبيا الاستفادة من موقعها ضمن دول حوض هذا البحر الهام سياحيا وتجاورها شرقاً مصر وغرباً مع تونس مما يمكنها من الاستفادة من هذا الجوار الجغرافي لها مع هاتين الدولتين السياحيتين ويلعب مفهوم السياحة الشاملة دوراً هاماً في هذا المجال، وتشكيل برامج سياحية تضم برامج سياحية تضم ليبيا مع هاتين الدولتين.

المنهجية المتبعة في البحث:

اعتمدت الباحثة في بحثه هذا على المنهج الاقليمي الذي يستند في تحديد دراسة تفصيلية عن السياحة في ليبيا وسبل تنميتها وكذلك المنهج الوصفي للاستفاذه منه في وصف الاماكن الاثرية والسياحية على حد سوء ، وايضا المنهج الاصولي لتحليل ظاهرة السياحة بليبيا وخصائصه .

واستعانت الباحثة بتقنيات الحاسوب مثل AutoCAD في رسم الخرائط.

مصادر البحث:

(1) محمد المبروك المهدوي: جغرافية ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1990، ص 29

اعتمدت الباحثة في جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بموضوع بحثه على المصادر الاتية:.

1. المصادر المكتبية :وتتمثل في الكتب والرسائل والمراجع والابحاث العلمية .

2. المصادر الرسمية: وتتمثل في البيانات والمعلومات والخرائط التى تم الحصول عليها من الدوائر والمؤسسات الحكومية.

3: المسح الميداني: ويتمثل في البيانات والمعلومات التى تحصلت عليها الباحثة من الجهات المختصة بالسياحة.

محاور البحث:

الأقاليم السياحية في ليبيا

على ماتزخر به ليبيا من مقومات طبيعه كانت او بشريه وعوامل جذب سياحي متباينه فإنه يمكن تقسيم ليبيا سياحياً الى إقليمين وذلك حسب المشاريع الاستثمارية المبرمجة من قبل وزارة السياحة وهما:

1. الإقليم الساحلي. 2 . الإقليم الصحراوي

حيث تتركز اغلب المشاريع الاستثمارية السياحية على طول الشريط الساحلي ويرجع ذلك الى عدة اسباب ، منها تركز نحو 80% من سكان ليبيا في هذا الإقليم ، وتتركز معظم المناطق السياحية بهذا الإقليم كالمدن الاثرية والشواطئ والامان ذات المقومات الخاصة من حيث جمالها ومناظرها الطبيعية وقربها من مصادر المياه ، اضافة الى ان هذه الاماكن والمواقع قريبة من وسائل النقل البرية والبحرية والجوية ، وهو ما اعتمدت الهيئة العامة للسياحة والصناعات التقليدية بتخريطها من الشرق الى الغرب وتحديد المميزات السياحية لكل موقع .

اما المنطقة الصحراوية فهي داخلية صحراوية وهي تشكل نسبة كبيرة من مساحة ليبيا من الشرق الى الغرب تنتشر فيها مجموعة من المواقع السياحية كالمدن الاثرية الاسلامية مثل غدامس وغات وزويله وغيرها والمواقع التى تعود الى عصور ماقبل التاريخ مثل واو الناموس وجبال اكاكوس، إضافة للمناظر الطبيعية الخلابة من خلال رمال الصحراء وجمالها وانتشار الواحات فيها والبحيرات مثل بحيرة قبرعون وأم الماء

ومن خلال بعض القوانين الخاصة بالسياحة في السنوات الماضية تبين أن مخطط التنمية السياحية في ليبيا قد اعتمد تقسيما سياحيا تنمويا يشمل أربعة أقاليم سياحية مميزة وهي :

أولا: الإقليم الغربي:

يقع هذا الإقليم في الشمال الغربي من ليبيا يحده من الشمال البحر المتوسط ومن الجنوب الحمادة الحمراء ومن الغرب الجزائر ومن الشمال الغربي تونس ومن الشرق يحده مجري وادي بي الكبير. كما يتضح من شكل (3). وينتمي هذا الإقليم مناخيا إلى إقليم البحر المتوسط المتميز باعتدال درجة الحرارة صيفا و كونه دفئ ممطر شتاءا، بذلك نجد أن مناخه يسمح بممارسة كافة الأنشطة السياحية والترويحية لكافة الأعمار،وخاصة في فصل الصيف ، كما إن موسمية السياحة في هذا الإقليم هي مابين شهر سبتمبر إلى مايو.

وتتركز الحركة السياحية فيه علي الموارد السياحية الموجوده به كما يتضح من شكل (4)، حيث تنتشر بكل منطقة العديد من الموارد البيئية السياحية، مثل جمال الطبيعة والهدوء والبعد عن التلوث بما يشكل مورد سياحي تتميز به المنطقة، هذا بالإضافة إلي العديد من الموارد التي يجب

شكل (3) موقع بعض المدن بالاقليم الغربي

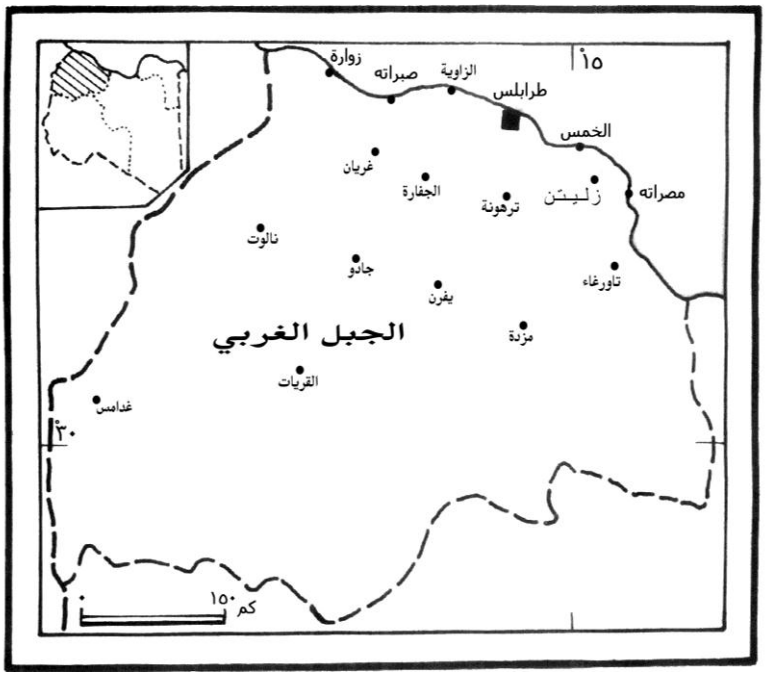

المصدر: عمل الباحثة استنادا لخرائط مصلحة التخطيط العمراني.

العمل علي النظر إليها كمورد سياحي يمكن أن يستفاد منه في عملية التنمية السياحية[1]، كالمدن الأثرية كمدينة صبراته، مدينة طرابلس التي تعتبر مدينة فينيقية الأصل وكانت تسمي بمدينة (ماركااوياتmarca aiat) أسماها الفينيقيون فيما بين القرنين السابع والثامن عشر قبل الميلاد[2] (انظر الصورة 1)، فيلا سيلين،لبده الكبري،ونالوت. ويتوفر لهذا الإقليم شاطئ ذا رمال ناعمة بيضاء و مياه قليلة العمق يمارس فيه أنشطة مختلفة كالغوص مثلا.كشاطئ مصراتة،زليتن ، الخمس ، القربوللي، بسيس (انظر الصورة 2)،

(1)إيهاب حسين عواد: إمكانات التنمية السياحية المستدامة في منطقة رأس سدر(باستخدام نظم المعلومات الجغرافية)،جامعة عين شمس،كلية البنات،قسم الجغرافيا،رسالة ماجستير،2008،ص45 .

(2) دليل طرابلس ، صدر عن اللجنة الشعبية للإعلام والثقافة ، شعبية طرابلس ،2003،ص42 .

وكذلك تاجوراء، ولاننسي جزيرة فروة ذات المنظر الخلاب الموجودة في عرض البحر يتم الوصول إليها بقوارب صغيرة . بالإضافة للمدن الأثرية توجد كذلك المقابر الإسلامية في زواره والمساجد الإسلامية في زليتن ، وأيضا المتاحف كمتحف صبراته ومتحف جنزور ومتحف طرابلس ومتحف لبده ومتحف جادو، و لاننسي المناظر الطبيعية الخلابة كما هو في النقازه و بسيس وكذلك الطبيعة الصحراوية الخلابة تسحر السائح وتتمثل في مدينة غدامس الموجودة وسط الصحراء وتسمي بجوهرة الصحراء[1] (انظر الصورة3)، وهي منطقة خضراء تنقسم إلى ثلاث أقسام منها: المدينة العتيقة حيث السور وعدد من الجوامع القديمة وغابة النخيل، ثم مدينة حديثة بمنشآتها وشوارعها ومبانيها، كما تتميز بتراثها الشعبي الأصيل. وهناك الطوارق بلباسهم المميز، وهناك الطراز العمراني الشعبي الجميل وفنونها الشعبية المكتنزة بتراث الصحراء وغابات نخيلها الظليلة كما تحظي سنويا بمهرجان غدامس السياحي وله مكانه محليا ودوليا، كما تشتهر بصناعات عدة منها الأواني الفخارية (انظر الصورة4) والنحاسية والخناجر والسيوف و الأطباق و الحصران وغيره وهي ذات جاذبية سياحية جيدة [2]، ويتميز هذا الإقليم بالناحية الثقافية والاجتماعية باحتفاظه بأنماط الحياة مميزة في المناسبات الاجتماعية لها جاذبيتها السياحية،كما توجد العديد من المنتزهات كمنتزه طرابلس للأحياء البرية،ومنتزه صبراته الوطني،منتزه النقازة،منتزه القره بوللي[3]، التي تعتبر ذات جذب سياحي للسياحة الداخلية.

ولعل توفر وسائل النقل المختلفة سهلت عملية الوصول للإقليم محليا ودولياكما يتضح من شكل(5)، حيث لايجد السائحون المقيمون أي صعوبة في الوصول سوء بالسيارات

([1]) مصطفي عبد اللطيف ، مرحبا بك في الجماهيرية العظمي، دار الأنيس ، مصراته ،ليبيا،الطبعة الرابعة ،2008ف،ص18.

([2])الصيد صلاح الجيلاني، إبراهيم الهادي دخيل، مرجع سابق،ص260.

([3])نادية عبدالله عبدالسلام التواتي،التوزيع المكاني للمحميات والمنتزهات الطبيعية في شمال الجماهيرية ودورها في بناء الاقتصاد الوطني، قسم الجغرافيا ،كلية الآداب ، جامعة الفاتح ، رسالة ماجستير، 2005 ،ص16 .

الخاصة أو الحافلات(الباص) وكذلك عن طريق الجو بوجود مطار طرابلس الدولي ومطار معيتيقة ومطار مصراته، وهذا بالإضافة إلى عدد من الموانئ كميناء طرابلس وميناء الخمس ، وقد تؤدي طرق النقل الى ازدهار ونمو مراكز عمرانية لكونها مناطق استراحة مثل مدينة مزده التي تقع على طريق رئيسي الذي يربط بين مدينتي طرابلس وسبها في الجنوب او مناطق عبور حدودية مثل غدامس التي تقع على الحدود الليبية مع تونس والجزائر، كما تتوفر في الإقليم مرافق إيواء سياحي إذ يصل عدد الفنادق بالإقليم 141فندقا عام 2006/2005 [1]

شكل (4) المراكز السياحية بالاقليم الغربي

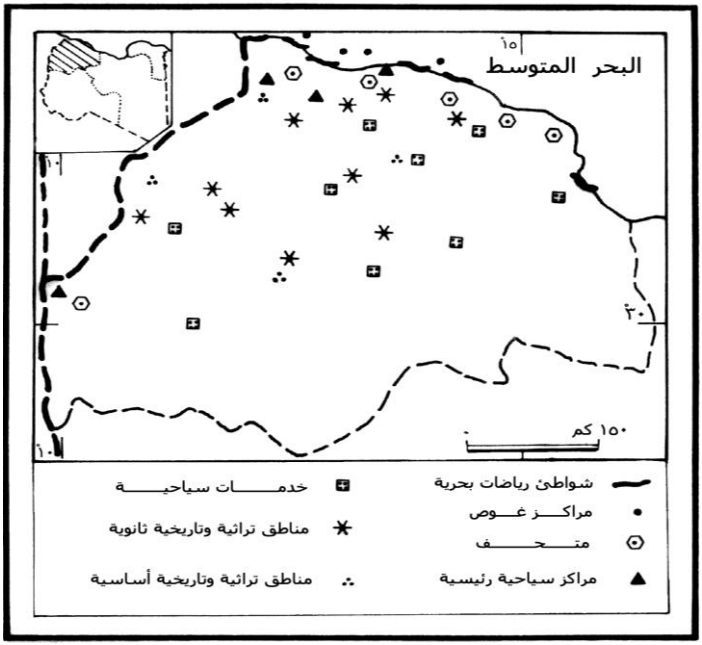

المصدر:من عمل الباحثة استنادا لخرائط مصلحة التخطيط العمراني.

(1) اللجنة الشعبية العامة للسياحة، مكتب الإحصاء .

شكل (5) الطرق البرية والموانى البحرية والمطارات الجوية بالاقليم الغربي

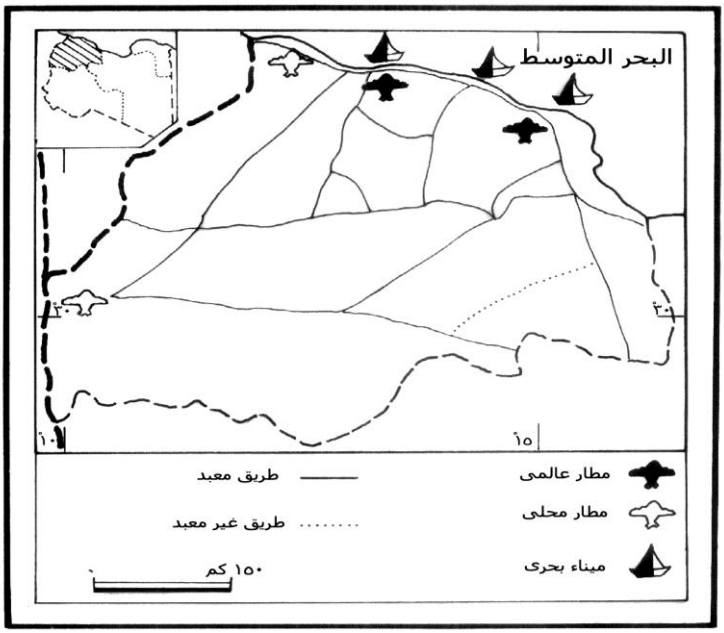

المصدر :من عمل الباحثة استنادا لخرائط مصلحة التخطيط العمراني.

ـ الاستراتيجية الانمائية السياحية للاقليم الغربي:.

الإستراتيجية الإنمائية السياحية التي جاءت به الخطة الخماسية للأقاليم التخطيطية الأربعة علي النحو التالي حيث تشمل الإستراتيجية الإنمائية السياحية للإقليم الغربي المستهدفات التالية:. انظر شكل (6).

شكل (6) الفنادق المقترحه2013 على مستوى الاقاليم السياحية بليبيا

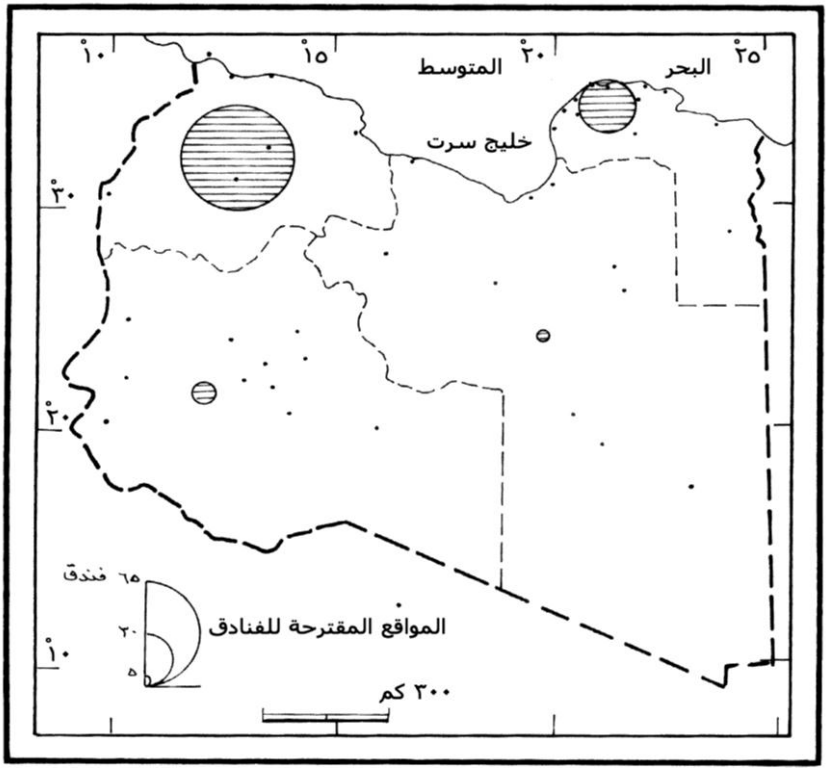

المصدر :من عمل الباحثة استنادا لخرائط مصلحة التخطيط العمراني

1. إقامة وتطوير المشروع السياحي التقليدي الذي يشمل صيانة وترميم المواقع الأثرية في صبراته ولبده الكبرى وفيلا سيلين والمحافظة عليها، وإنشاء مرافق ترويحية في الجوار ووضع العلامات الإرشادية اللازمة.

2 . ترميم الآثار الواقعة في المناطق الصحراوية في كل من مدينة قرزة ومزده.

3. تعزيز المنتوج السياحي التقليدي وذلك بإقامة وتطوير فنادق سياحية مميزة صغيرة بالقرب من المواقع الأثرية التقليدية الواقعة شرقي وغربي مدينة طرابلس وفي مدينة

طرابلس القديمة.

4. ترميم المواقع والمباني التاريخية والثقافية في الإقليم كل من : طرابلس ، غدامس ، تونين ، سينأون ، نالوت ، كاباو، فورساطة ، جادو، تموغت ، طورميسة ، قصر الحاج ، يفرن ، القلعة.

5. إقامة المرافق السياحية (كالفنادق ، استراحات ، مطاعم ، مقاهي) في مواقع المدن القديمة كغدامس ومدينة طرابلس القديمة، بهدف الحفاظ عليها وإعادة الحياة إليها.

6. حماية البيئة الطبيعية من خلال إنشاء محميات سياحية في جزيرة فروه والشريط الساحلي الواقع بين زواره وأبي كماش وبين الخمس والقره بوللي .

7. إقامة وتطوير شواطئ ومنتجعات متميزة التصميم ، ومراكز للرياضة المائية البحرية في جزيرة فروه و تاجوراء ومرافق الغوص البحري في كل من تاجوراء و صبرا ته و القره بوللي.

8 . تطوير وتسويق منطقة الجبل الغربي سياحيا ، لقضاء العطلات الأسبوعية والإقامة القصيرة والاستراحة أثناء الرحلات السياحية بالنسبة للمواقع الأثرية الثقافية والمعمارية والمناظر الطبيعية[1].

ولقد تم إنشاء مقترح لتنمية المرافق السكنية الفندقية المقترحة في الإقليم الغربي والجدول التالي يوضح ذلك .

جدول (1) المرافق الايوائية السياحية المقترحة حتى سنة (2013م) وعدد الغرف للإقليم الغربي.

([1]) نفس المرجع السابق ، ص 20/16/5.

الموقع	مدينة طرابلس	المنطقة الساحلية الغربية ،صبراته ، جزيرة فروة	المنطقة الساحلية الشرقية القره بوللي، تاورغاء	الجبل الغربي	غدام ،مز
عدد الغرف المستهدفة(2013م)	1000	370	120	1510	80

المصدر : اللجنة الشعبية العامة للسياحة ، المخطط العام لتنمية السياحة بالجماهيرية العظمي ، 1999. 2018 ، طرابلس ، ص ص 17/5. 20.

إذاً ترتكز سياسة إنشاء مرافق الإيواء علي تلبية المتطلبات الخاصة لمختلف قطاعات الأسواق السياحية خلافا للوضع القائم ، حيث اقترح إنشاء فنادق ذات نوعية صغيرة وراقية ومتوسطة وذلك لتلبية متطلبات السياحة الدولية ، وإقامة مصائف كبيرة تحتوي على عدة غرف بأسعار متوسطة ومنخفضة لتلائم احتياجات السياحة الداخلية ، وكذلك إقامة مخيمات واستراحات ، والتوسع في بيوت الشباب بشكل متواضع في مواقع جيدة.

ثانياً: الإقليم الجنوبي:

يشغل هذا الإقليم مساحة واسعة من البلاد ويعتبر بمثابة مناطق الاستطلاع الصحراوية الرئيسية في ليبيا إذا يحده من الشمال الحمادة الحمراء وجبل الحساونة أما من ناحية الشرق فيحده سرير القطوسه وجبل غنيمة ومنحدرات تيبستي ومن ناحية الجنوب كل من تشاد والنيجر ويحده من الغرب الجزائر[1] .(شكل 7) ويتميز مناخه بشتاء دافئ وصيف حار، كما يعتبر جاذباً للسياحة لما يوجد فيه من موارد سياحية مختلفة وتمتد موسمية السياحة فيه مابين شهر أكتوبر إلى مارس ،ويوضح شكل (8) موارده السياحية، حيث

(1) سعيد صفي الدين الطيب، مقومات التنمية السياحية في ليبيا، قسم الجغرافيا، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، رسالة دكتوراه، 2001، ص199 .

توجد به العديد من رسومات لإنسان ماقبل التاريخ ، بالإضافة إلى المناظر الطبيعية الخلابة (انظر الصورة5)، حيث تقع داخل هذا الإقليم الصحراوي العديد من المدن والواحات بما يميزه بوجود تجمعات سكانية كبيرة من أهمها : مدينة سبها تلك المدينة الصحراوية التي تقع علي الطريق الآتية لمدينة طرابلس ، وتعرف بمصنوعاتها التقليدية وبإنتاج التمور وتاريخها العريق فمن آثارها القلاع وقنوات الري التي ترجع إلى ما يزيد علي عشرة قرون ، وكذلك مدينة زويلة وهي من أهم المواقع الإسلامية في ليبيا وكانت احد أهم المراكز التجارية مع أفريقيا، كما توجد به أثار إسلامية تعود إلى أيام الفاطميين وجامع العتيق وبعض المقابر ، هذا بالإضافة إلى السلسلة الجبلية متمثلة في جبال أكاكوس التي تعتبر من أهم مواقع فنون ماقبل التاريخ، وهي مسجلة علي لائحة التراث العالمي حيث تظهر على صخورها النقوش والرسوم الصخرية وأبرزها نقوش لإشكال الحيوانات الاستوائية الكبيرة كالفيلة والزرافات ووحيد القرن..وغيرها[1]. ويتميزالإقليم سياحياً بالهندسة المعمارية التقليدية كما في وادي الشاطئ ووادي الحياة ، والعديد من البحيرات كبحيرة قبرعون الساحرة المحاطة بالنخيل والرمال التي تبهر من يراها (انظر الصورة6) ، حيث تعتبر مقصداً سياحياً مهماً، فهي تتميز بمياهها الساخنة جدا ، وأنه لا أحد يغرق فيها وكل شي يطفو علي سطحها بسبب ملوحة مياهها الشديدة، وعلي الرغم من وجودها وسط الصحراء إلا أن كثبان الرمال لايمكن لها أن تمتد إليها أو تردمها، وبذلك فهي من أنذر البحيرات في العالم إذا لم تكن هي الأندر علي الإطلاق [2]

([1])علي عبدالسلام عمار النعاجي، التخطيط لإنشاء مركز للمعلومات السياحية في الجماهيرية(دراسة وصفية لواقع المعلومات السياحية وإمكان تطويرها)، قسم المكتبات والمعلومات ، كلية الآداب،جامعة الفاتح ،رسالة ماجستير ،2006،ص108.

([2]) معلومات تحصلت عليها الباحثة من/ هيئة السياحة.

شكل (7) موقع المدن بالاقليم الجنوبي

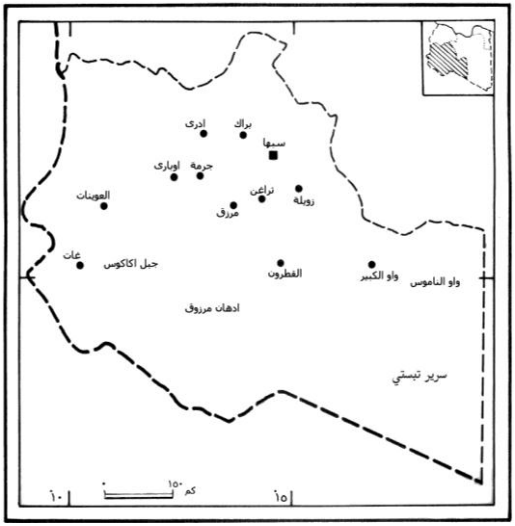

المصدر: من عمل الباحثة استنادا لخرائط مصلحة التخطيط العمراني

شكل (8) المراكز السياحية بالاقليم الجنوبي

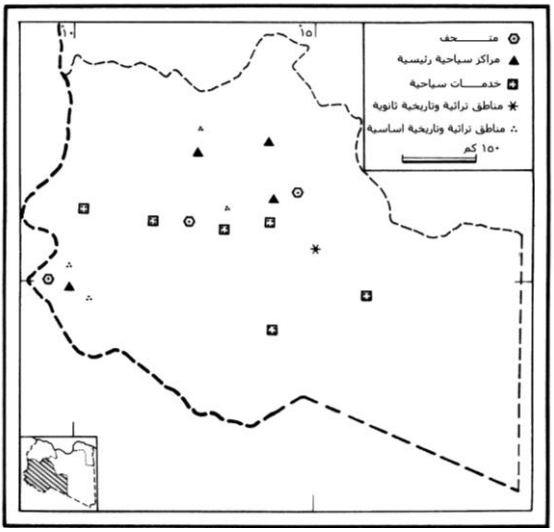

المصدر:من عمل الباحثة استنادا لخرائط مصلحة التخطيط العمراني

كما يتميز هذا الإقليم بوجود شبكات نقل بري جيدة مرتبط بالأقاليم الأخرى كما يتضح من الشكل (9) ، وكذلك مطار دولي واقع في مدينة سبها ومحلي بمدينة غات.ويوفر هذا الإقليم خدمات إيواء سياحية يبلغ عدد الفنادق حوالي 26 فندقا[1].

شكل (9) الطرق البرية والمطارات الجوية بالاقليم الجنوبي

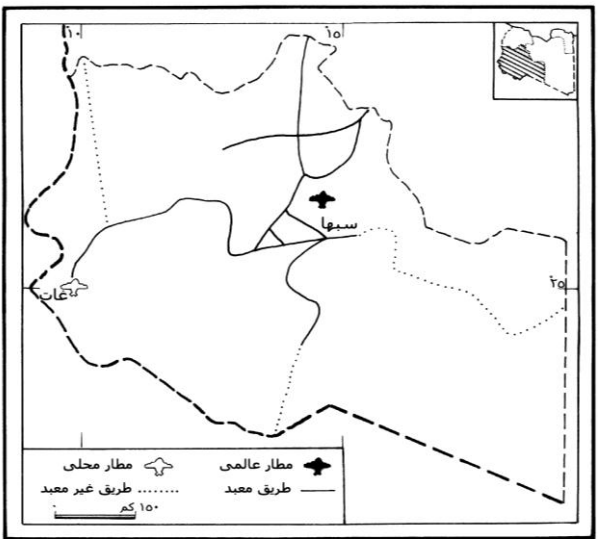

المصدر: من عمل الباحثة استنادا لخرائط مصلحة التخطيط العمراني

يعتبر هذا الإقليم بمثابة مناطق الاستطلاع الصحراوية الرئيسة في ليبيا وينبغي تطويرها وتسويقها سياحيا ، ويشمل الإقليم كافة العناصر الأساسية للسياحة الصحراوية وتمثل المحور الأساس لاهتمام السياح الدوليين .

ـــ الاستراتيجية الانمائية السياحية للاقليم الجنوبي:ـ

وتشمل الإستراتيجية الإنمائية السياحية للإقليم جنوبي المستهدفات التالية[1]: انظرالشكل السابق شكل(6).

(1) اللجنة الشعبية العامة للسياحة، مكتب الإحصاء .

1. إقامة منتزهات وطنية تشمل مساحات بالغة الأهمية من حيث البيئة والآثار الفنية في جبل أكاكوس ومسالك مليت ومساك مستافت ووادي مكنوس ووادي برجوج.

2. تحديد مناطق الحماية في المواقع التي تتوفر فيها بيئة طبيعية جميلة.

3. الحفاظ علي التصاميم الحضارية والعمارة التقليدية في الواحات خاصة في غات و البركت و مرزق و تراغن و أم الأرانب و زويلة وقطة وبراك.

4. الحفاظ على المواقع الأثرية المتعلقة بحضارة الجرمنت [2] وحمايتها.

5. إقامة وتطوير المرافق السياحية في منطقة سبها.

و مقترح التنمية للمرافق السكنية السياحية المقترحة يوضحه الجدول التالي، وإنشاء مرافق الإيواء المختلفة سيؤدي إلى تحقيق توسع كبير في الطاقة الاستيعابية ولكل موقع.

جدول (2) المرافق الايوائية السياحية المقترحة حتى سنة (2013م) وعدد الغرف في الإقليم الجنوبي.

الموقع	مدينة سبها	غات،العوينات	وادي الحياة، جرمه،رمله،الوادة	وادي الشاطئ ،ادري،براك	مرزق،واو الكبير
عددالغرف المستهدفة(2013م)	150	160	190	110	70

المصدر : اللجنة الشعبية العامة للسياحة ، المخطط العام لتنمية السياحة بالجماهيرية العظمي ، 1999 . 2018 ، طرابلس ، ص ص 18/5. 20.

([1]) نفس المرجع السابق ، ص 20/16/5.

([2]) سعد القزيري ، التخطيط للتنمية السياحية في ليبيا، مرجع سابق ،ص95.

ثالثاً:الإقليم الأوسط :

يمتد هذا الإقليم من مدينة زويتينة شرقا حتى منطقة بويرات الحسون غربا كما يتضح من شكل(10)، ويعتبر مناخه شبه صحراوي ويمتد الموسم السياحي به طوال العام، بينما يتمتع الإقليم بموارد سياحية متنوعة كما يتضح من شكل (11)، حيث يتميز ساحله بشواطئ ممتذه ذات رمال ناعمة ومياه قليلة العمق صالحة لممارسة شتى أنواع الرياضات البحرية، كما يوجد بالإقليم مناظر طبيعية خلابة في الواحات الصحراوية ، كما يظهر في منطقة الجفرة الفن المعماري التقليدي والفنون التاريخية القديمة والقلاع والحصون، كما يوجد به آثار إسلامية والمسجد الفاطمي الموجود في أجدابيا ،وللمتاحف دور مهم في هذا الإقليم لما تحويه من آثار كما في متحف سلطان ومتحف الجفرة.

شكل (10) موقع المدن بالاقليم الاوسط

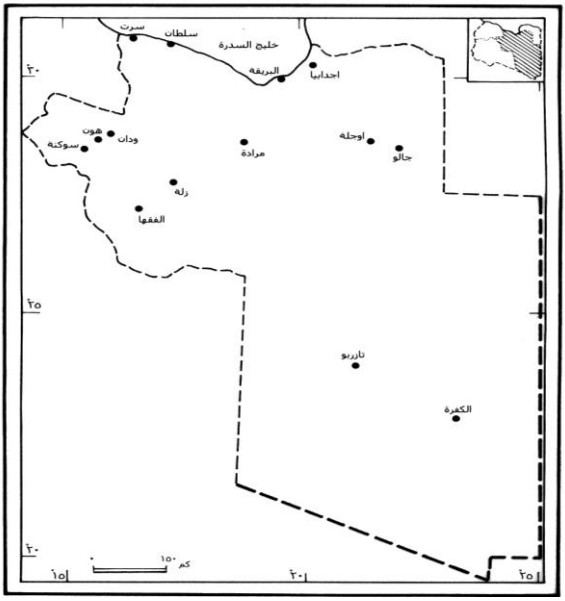

المصدر: عمل الباحثة عن مصلحة التخطيط العمراني .

شكل (11) المراكز السياحية بالاقليم الاوسط

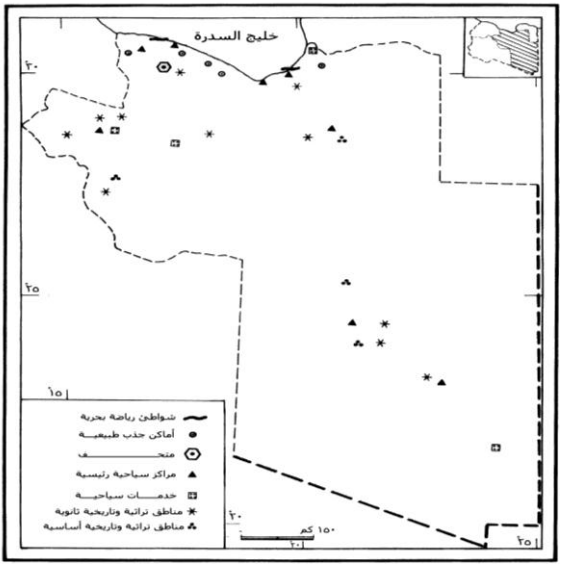

المصدر: من عمل الباحثة استنادا لخرائط مصلحة التخطيط العمراني.

ويربط الإقليم شبكات طرق مختلفة برا وجوا كما يتضح من شكل (12) حيث يوجد به مطار دولي في سرت وعدة مطارات محلية وموانئ نفطية شهيرة كميناء البريقة والسدرة ورأس لأنوف وتعتبر أهم مدنه مدينتي سرت و أجدابيا.

ـــــ الاستراتيجية الانمائية السياحية للاقليم الاوسط:ـ

تشمل مقترحات تنمية وتطوير السياحة وإقامة المشاريع في الإقليم كالتالي[1].: انظر الشكل السابق شكل (6).

([1]) المكتب الوطني الاستشاري والمنظمة العالمية للسياحة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، مرجع سابق ص19/5

شكل (12) الطرق البرية والمطارات والموانئ البحرية بالاقليم الأوسط

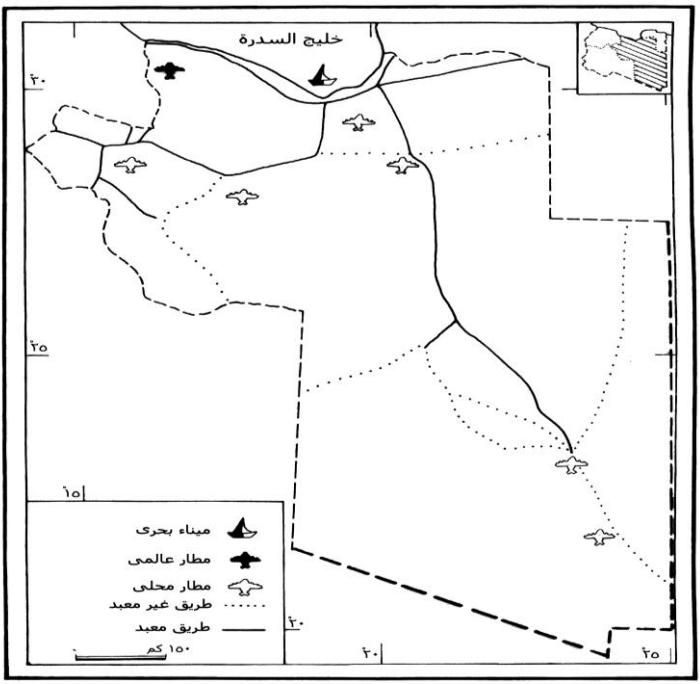

المصدر: من عمل الباحثة استنادا لخرائط مصلحة التخطيط العمراني.

1. إقامة وتطوير منتج سياحي دولي على الشاطئ في موقع سلطان ، كمنطقة وقوف أو استراحة في منتصف الطريق بين منطقتي طرابلس وبنغازي ، وإقامة فندق للمسافرين ، وتخصيص الغابات المجاورة كمنطقة سياحية طبيعية.

2. تدعيم عملية تطوير اجدابيا كمركز مساند للخدمات السياحية .

3. تطوير وتسهيل طرق الاستطلاع الصحراوي الجديدة والمواقع السياحية المستهدفة في منطقة الخليج ، وشرق واو الناموس إلى تازربو وبزيمه وربيانه و الكفرة وإلى الحدود مع مصر و السودان في جبل اركنوا و العوينات.

وكذلك إمكانية تطوير الطريق الترابي الصحراوي الممتد جنوبا من جغبوب عبر بحر

الرمال العظيم إلي الكفرة ومن جغبوب شرقا إلى أوجله ومراده ومن الجفرة جنوبا إلى واو الناموس عن طريق ألفقها والهروج الأسود.

جدول (3) المرافق الايوائية السياحية المقترحة حتى سنة(2013م) وعدد الغرف للإقليم الأوسط .

الموقع	سرت،البريقة	اجدابيا	الجفرة،هون	أوجله،جالو،تازربو	الكفرة،بزيمة
عدد الغرف المستهدفه(2013م)	120	40	50	20	80

المصدر : اللجنة الشعبية العامة للسياحة ، المخطط العام لتنمية السياحة بالجماهيرية العظمي ، 1999. 2018، طرابلس ، ص ص 18/5 20.

هذا يعني أن الأعداد المقترحة في الغرف توسعاً لا بأس به في القدرة الفندقية واستيعاب السياح في السنوات القادمة.

رابعاً:. الإقليم الشرقي:

يمتد هذا الإقليم في محور شمالي شرقي جنوبي غربي في شبه جزيرة محصورة بين خليج بمبة شرقا وساحل البحر المتوسط شمالا وخليج سرت غربا بينما يتصل جنوبا بالسهول الصحراوية الجنوبية[1] كما يتضح من شكل (13) ، ويتمتع هذا الإقليم بمناخ معتدل وانخفاض الرطوبة النسبية ويمتد موسم السياحه من شهر سبتمبر إلى شهر يونيو، بالإضافة إلى أنه يعتبر من بين الأقاليم السياحية التي تتوافر فيه موارد سياحية هائلة لكونه يحتل مساحة واسعة ولامتلاكه إمكانيات سياحية تؤهله أن يكون إقليما سياحيا

([1])فاطمة السيد محمد عوض الله، المشكلات البيئية لمنطقة الجبل الأخضر في ليبيا ومواجهة الإنسان لها، قسم الجغرافيا، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة ، رسالة دكتوراه ، 2005 ،ص 12.

يضاهي الأقاليم السياحية في العديد من دول العالم [1] ، ويتضح من الشكل (14) توفر الشواطئ البحرية الجذابة التي تصلح لأن يقام عليها جميع الانشطة البحرية كالغوص البحري مثلا في الشواطئ العميقة كما هو الحال في سوسة ،رأس الهلال و طلميثة والبردي (انظر الصورة7)، بينما تصلح الشواطئ الضحلة للرياضات الأخرى كالسباحة واستخدام المراكب والتزحلق علي الماء وغيرها كما هو الحال في درنة والجزء الغربي من طلميثة.[2]

شكل (13) موقع المدن بالاقليم الشرقي

المصدر: من عمل الباحثة استنادا لخرائط مصلحة التخطيط العمراني .

([1])الهام الهاشمي: الإستراتيجية السياحية للجبل الأخضر (مدينة شحات كنموذج)، الملتقي الجغرافي الحادي عشر، جامعة عمر المختار، كلية الآداب ، قسم الجغرافيا، ورقة بحثية،2006، ص5 .

([2])فاطمة السيد محمد عوض الله، المشكلات البيئية لمنطقة الجبل الأخضر في ليبيا ومواجهة الإنسان لها، نفس المرجع السابق ، ص143.

شكل (14) المناطق السياحية بالاقليم الشرقي

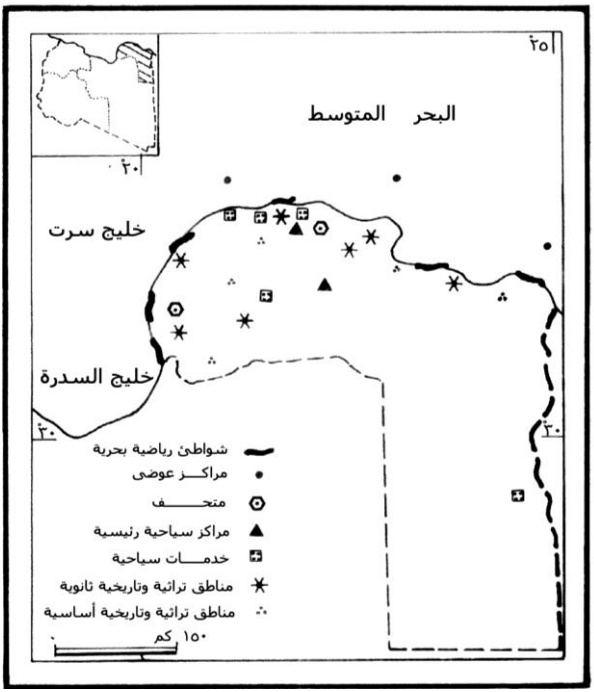

المصدر: من عمل الباحثة استنادا لخرائط مصلحة التخطيط العمراني.

وهذا بالاضافة الى العديد من المواقع الأثرية التي تعكس تاريخاً عريقاً يمنحها أهمية تاريخية وسياحية في الوقت ذاته، كما يمكن استغلالها لتعزيز الحركة السياحية في الإقليم كمدينة المرج والعقورية وبنغازي وقصر ليبيا الذي توجد به الآثار البيزنطية والمسيحية القديمة، كما يوجد بالإقليم المعبد الليبي القديم ، هذا بالإضافة إلى تميز تلك المدينة بمنظر خلاب ورائع إذا نظرت إليها كمدينة سوسة ، وأيضا مدينة شحات تلك المدينة التي جاءت نتاج خلفية تاريخية عريقة يعرفها العالم برمته منذ مايربو على الاف الأعوام عندما كانت من بين أكبر المناطق التي كونت تجمعا إنسانيا من الإغريق في قورينا(شحات) (انظر الصورة 8). وتأتي هذه الخطوة من بين أهم الخطوات التي تهدف لاستقطاب

ملايين السياح يوميا للأرض الليبية، ولذلك أعلنت االهيئة العامة للسياحة بأن تكون شحات مدينة للتنمية المستدامة [1]، ومدينة درنة التي تشتهر بشلالاتها الرائعة ، كما توجد بها مقبرة للصحابة وبعض المساجد والقلاع وبعض المتاحف التاريخية التي تحتاج إلى الترميم والصيانة[2]. و يعد هذا الإقليم من أخصب أقاليم ليبيا حيث تنتشر به المحاصيل الزراعية المختلفة وتزرع فيه أشجار الفاكهة لظروف المناخ الملائمة ولجودة التربة وكمية الأمطار المتساقطة ، كما تتوفر فيه شبكة نقل تربط بينه وبين بقية الأقاليم الأخرى كما يتضح من شكل (15) ويوجد به مطار محلي ومطار دولي وميناء بحري وهو ميناء بنغازي الذي يمثل أهمية كبرى كموقع حيوي من مواقع ليبيا الجغرافي بشكل عام وباعتباره أقدم موانئ البحر المتوسط . وترجع أهميته إلى تاريخ إنشائه في العصر الإغريقي [3]وتواصل حتى يومنا هذا مع مراعاة تطويره مع كل عصر، كما تبرز أهميته كمقوم سياحي لما يتمتع به من إمكانيات لإنشاء مرافئ إضافية لاستقبال الرحلات السياحة الداخلية والدولية وتزويده بمرافق خدمات سياحية أخرى، وكذلك قربه من موانئ أوربا، أما خدمات الإيواء السياحي فمنتشرة في مختلف مناطق الإقليم من فنادق ومطاعم ومقاهي حيث تسهم في توفير الراحة والتسهيلات الضرورية للسائح كما هو الحال مثلاً في فندق البردي الموجود بمنطقة الجبل الاخضر حيث يتميز بواجهته للبحر وتوفر جميع وسائل الراحة فيه .

ـ الاستراتيجية الانمائية السياحية للاقليم الشرقي:ـ

([1])مصطفي حمودة : عام خير ونماء وعطاء(الإعلان عن شحات مدينة للتنمية المستدامة)،مجلة الحضارة، العدد 211، مطابع الأهرام التجارية . قليوب . مصر‘2007،ص 59.

([2])الجماهيرية – المخطط العام لسياحة الجماهيرية – البرنامج الخماسي – مرجع سابق،ص9 .

([3])سعد القزيري ، التخطيط والتنمية السياحية في ليبيا ، مرجع سابق،ص202.

أهم المشاريع والاستراتيجيات الإنمائية السياحية للإقليم الشرقي المستهدفة كالتالي[1].:انظر الشكل السابق شكل(6).

1. تطوير مدينة بنغازي كبوابة للمناطق الشرقية من ليبيا.

2. استكمال إنشاء متحف بنغازي.

3. تجديد مطار بنغازي العالمي.

شكل (15) الطرق البرية والموانئ البحرية والمطارات الجوية بالاقليم الشرقي

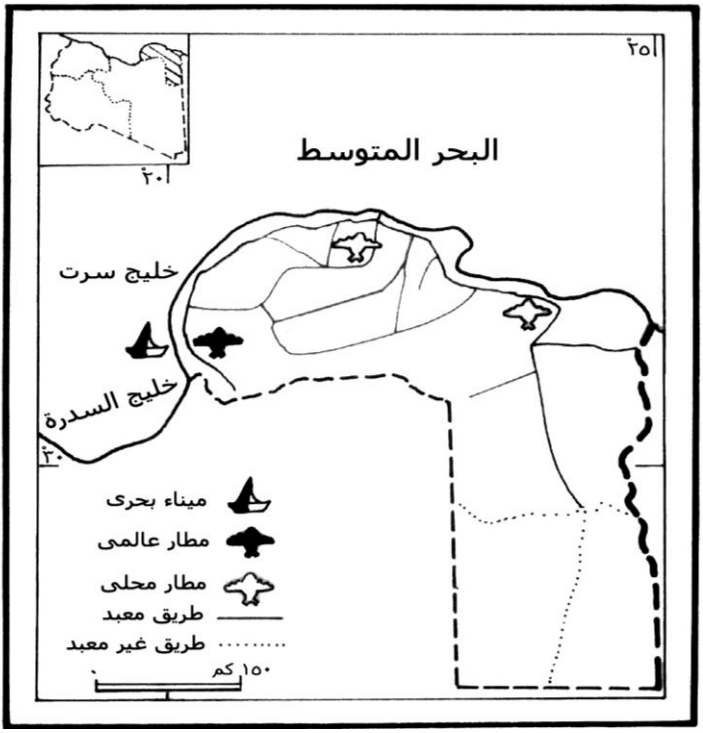

المصدر: من عمل الباحثة استنادا لخرائط مصلحة التخطيط العمراني.

(1) المكتب الوطني الاستشاري والمنظمة العالمية للسياحة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، مرجع سابق 20/5.

4. إعداد برنامج للحفاظ والتطوير السياحي في شحات ، وإقامة متحف جديد ، وترميم وحماية الفسيفساء ، وإقامة مركز للمعلومات ومرافق خدمية .

5. تطوير المصائف الشاطئية في سوسة والحمامة ودرنه وطبرق.

6. إقامة وتطوير فنادق صغيرة دولية لخدمة السوق السياحي الأثري في كل من توكره و طلميثه وسوسة.

7. تطوير مراكز الرياضة البحرية والغوص البحري في كل من طلميثه وسوسه وطبرق.

8. تخصيص شريط ساحلي غربي من كريسة إلى رأس الهلال كمحمية طبيعية ، وكذلك فرض قيود علي تطوير المواقع ذات القيمة البصرية ، وخاصة علي قمم الهضاب وسفوح الجبال والشواطئ .

9. وضع إستراتيجية تخطيطية وإدارية للمنتزه الوطني في وادي الكوف ، والحفاظ علي الموارد السياحية الطبيعية ، مع التوسع في المرافق السياحية والترفيهية.

10. توفير مرافق سياحية في سلطنه وقصر ليبيا.

11. الاهتمام بوادي مرقص والكنائس في المنطقة الممتدة من رأس الهلال إلى درنة لتصبح مواقع جذب سياحي.

12. إعداد مخطط مفصل للتطوير السياحي في منطقة واحة الجغبوب ، مع إمكانية ربطها بالحدود إلى واحة سيوه في مصر .

وسوف تؤدي عملية التطوير السياحي إلى زيادة حجم الطلب علي الفنادق والمرافق السكنية السياحية الأخرى في الإقليم خلال السنوات العشرين القادمة ، والجدول التالي يبين مقترحة تنمية الإقليم الشرقي للمرافق السكنية السياحية المقترحة.

جدول (4) المرافق السكنية السياحية المقترحة حتى سنة (2013م) وعدد الغرف للإقليم الشرقي.

الموقع	مدينة بنغازي ،المصائف الساحلية المجاورة لها	الجبل الأخضر، شحات	توكرة، طلميثه	الحنية، سوسه	رأس الهلال، درنة ، طبرق	الج
عدد الغرف المستهدفه(2013م)	660	200	100	380	130	

المصدر : اللجنة الشعبية العامة للسياحة ، المخطط العام لتنمية السياحة بالجماهيرية العظمي ، 1999. 2018، طرابلس ، ص 19/5. 20.

وبإنشاء هذه المرافق المستهدفة سيتم تخطي العقبة التي تواجه السياحة في الإقليم وهي الإيواء ، لان الإمكانات التي تتوفر حاليا قليلة لا تتناسب مع أعداد السواح المقدر مستقبلا ،لذلك فان من اللازم تحقيق توسع كبير في الطاقة الاستيعابية.

الخاتمة

تمحضت الدراسة عن مجموعة من النتائج والتوصيات المهمة التى كشفت اهم العقبات والمشكلات التى تقف حائلا امام تنمية السياحة بليبيا ويمكن تناولها فيمايلي:.

اولا: النتائج :.

1 . تتميز ليبيا بمقومات طبيعية وبشرية هائلة ، فهي تمتلك موقع جغرافي له أهمية مباشرة في تنشيط السياحة وذلك لما له من تأثير واضح في تحديد خصائص المُناخ وأشكال النباتات وتحديد مدة الإقامة ، كما تعتبر ليبيا همزة وصل للوطن العربي ،إضافة لكونها من أبرز مناطق سياحة العبور في العالم.

2 . قدر لليبيا أن تحتضن أراضيها اغلب الحضارات منذ عصور ما قبل التاريخ ، مما يدل على أنها أرض جذب وليست أرض طرد ، فالرسومات الصخرية على جبال اكاكوس في الجنوب الليبي والتي تعود للعصور الحجرية دليل على ذلك ، إضافة لما تحمله آثار جرمه من حضارة قبائل الجرامنت الليبية وسط الصحراء ، وحضارة وفنون الإغريق في المنطقة الشرقية ، وآثار الفينيقيين في المناطق الغربية وعمارة وفنون الرومان والبيزنطيين شرقاً وغرباً في أغلب المواقع الساحلية والداخلية ، وما تحمله روائع الفن الإسلامي في كامل أرجاء ليبيا بصبغاته المحلية المختلفة لخير دليل على تنوع الحضارات التي مرت بها ليبيا عبر العصور المختلفة مشكلة بذلك متحفاً متكاملاً لكل الحضارات من شأنها النهوض والدفع بعجلة السياحة للأمام.

3 . تمتلك ليبيا شبكة هائلة من الطرق الرئيسية والفرعية التي تربط شمالها بجنوبها وشرقها بغربها ،تم تزويدها بالجسور والإنارة والحواجز الجانبية اللازمة وإن افتقرت بعضها للوحات الإرشادية للمواقع السياحية باللغتين العربية والأجنبية،كما تمتلك العديد من الموانئ البحرية الا انها يقل فيه النشاط السياحي بسبب قلة السفن السياحية الخاصة بنقل السياح.

4 . تنقسم ليبيا إلى أربعة أقاليم سياحية متنوعة المُناخ وبالتالي شكلت تنوع في أنماط السياحة سواء كانت ساحلية أم صحراوية وهي الإقليم الغربي والشرقي والأوسط والجنوبي ولكل إقليم مميزاته ومقوماته الطبيعية والبشرية.

5 . قلة الفنادق المصنفة من فئة خمسه نجوم والأربع نجوم وإن وجدت فهي تتركز في مدينتي طرابلس وبنغازي مع ملاحظة انتشار الفنادق من فئة ثلاثة نجوم لقلة تكاليفها مقارنة بالفئتين السابقتين .

6 . اتجاه الدولة الواضح لوضع قاعدة صحيحة للاستثمار السياحي والعمل على تطويره

مستقبلا وذلك بإقامة العديد من المشاريع والاتفاقيات مع مختلف الشركات المحلية والأجنبية.

ثانياً: التوصيات : خرجت الدراسة بعدة توصيات منها مايلي:.

1. إجراء مسح لحصر الموارد والإمكانيات الطبيعية والبشرية والتاريخية لاستثمارها كعوامل جذب سياحي لليبيا ومراجعة المخططات الشاملة والعامة والاقليمية للاستفادة منها في وضع البرامج والخطط السياحية.

2. ضرورة الاهتمام وتشجيع السياحة الداخلية باعتبارها الركيزه للسياحة الدولية عن طريق التوجه الى السوق المحلي وتوفير جميع الخدمات التي يفضلها السياح المحليين وتلبية احتياجاتهم .

3. بدل المزيد من المجهودات لتطوير وتحسين الموارد البشرية خاصة فيما يتعلق بوسائل النقل والمواصلات والاتصالات وغيرها وادخال التقنيات الحديثة في إدارة وتنظيم النشاط السياحي في كافة مؤسساته.

4. استثمار الشواطئ الليبية الاستثمار الأمثل عن طريق الاستفادة من الآثار المغمورة والمنارات والمدن القائمة بالقرب من الشواطئ.

5. اقامة العديد من مرافق الايواء في المناطق الصحراوية ذات الجذب السياحي لكي يستطيع السائح البقاء قدر ما يمكن،والاهتمام باماكن الايواء بمختلف انواعها وتطورها وإنشاءها وتوزيعها بشكل مناسب في جميع المناطق السياحية بليبيا وذلك لخلق التوازن والتنوع في تصنيفات الفنادق في جميع أنحاء البلاد .

6. تعزيز وسائل النقل البحري الحديثة كالسفن السياحية والعبارات واليخوت ومراكب بحرية شراعية ، وسيما وان من شان النقل البحري تعزيز أواصر الرحلات السياحية بين أقطار

المغرب العربي.

7. العناية بالصناعات التقليدية والفنون الشعبية والتركيز على نهوضها حيث يمكن ان تسهم هذه الصناعات والفنون في نقل الصورة السياحية في إطار جميل وجذاب تنال إعجاب السياح وتساهم في تنمية صناعة السياحة في البلد.

المصادر:

1) أبو القاسم العزابي، النقل والمواصلات الجماهيرية، دراسة في الجغرافيا، تحرير الهادي مصطفى بولقمة، سعد خليل القزيري، الدار الجماهيرية، للنشر والتوزيع والإعلان، سرت، ليبيا، الطبعة الأولي، 1995.

2) ايهاب حسين عواد، امكانات التنمية السياحية المستدامة في منطقة راس سدر(باستخذام نظم المعلومات جغرافية)،جامعة عين شمس ،كلية البنات ،قسم الجغرافيا ، رسالة ماجستير ،2008.

3) احمد ابراهيم حسن، جغرافية السياحة،الفجر للطباعة والتصوير،مصر،2000.

4) ر.ج. جود تشايلد،دراسات ليبية، ترجمة عبد الحفيظ فضيل الميار ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس 1999.

5) سالم عبد السلام أرحومه: مؤشرات التنمية الاجتماعية في ليبيا (1970 – 1980)، الدار الجماهيرية للنشر، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمي، 1988.

6) سالم على الحجاجي: ليبيا الجديدة، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ليبيا، الطبعة الثانية، 1989.

7) سعد القزيري : السياحة في ليبيا الإمكانيات والمعوقات ، الزاوية، دار ساريا للطباعة والنشر، 2002.

8) سعد القزيري ، التخطيط لتنمية السياحة في ليبيا ، دار النهضة العربية ، بيروت،الطبعة الأولي ، 2006.

9) مصطفي عبد اللطيف ،الصناعات التقليدية الليبية، دار الأنيس للطباعة والنشر

،مصراته ،ليبيا، الطبعة الثانية،2008.

10) الجماهيرية ، المخطط العام لتنمية السياحة بالجماهيرية العظمى ، البرنامج الخماسي 1999–2003، اللجنة الشعبية العامة للسياحة، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، المكتب الوطني الاستشاري ، 1998.

الملاحق

الصورة (1) مدينة طرابلس (اويا الاثرية)

المصدر الهيئة العامة للسياحة والصناعات التقليدية

الصورة (2) شواطئ الغوص في بسيس

المصدر عدسة الباحثة

الصورة (3) مدينة غدامس (جوهرة الصحراء)

المصدر عدسة الباحثة

الصورة (4) صناعة الاواني الفخارية في ليبيا

المصدر عدسة الباحثة

الصورة (5) مناظر خلابة من الصحراء الليبية

المصدر الهيئة العامة للسياحة والصناعات التقليدية

الصورة (6) بحيرة قبرعون

المصدر الهيئة العامة للسياحة والصناعات التقليدية

الصورة (7) شواطئ منطقة البردي

المصدر عدسة الباحثة

الصورة (8) الاعمدة الاغريقية (مدينة شحات)

المصدر عدسة الباحثة

التَّرجيحُ بالتَّصْحيحِ عِندَ ابنِ عَقيلٍ في شَرحِ الأَلفِيَّةِ (دراسةٌ وصفيَّةٌ تحليليةٌ)

د. علي محمد علي ناجي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده،،، وبعد:

فالترجيح في اللغة مداره على الرَّزانة والثِّقل[1]، وفي الاصطلاح: "إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر"[2]، وتظهر قوَّة القول والرأي النحوي ورجحانه على غيره من الأقوال والآراء عند أيِّ مصنِّف من خلال ذكره صيغة من صيغ التَّرجيح للقول الذي يختاره، ومن خلال تدريسي شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، جذب انتباهي ما تميَّز به الشرح من ترجيحٍ للأقوال والآراء النحويَّة، وما استعمله ابنُ عقيل من صيغ للترجيح، لها مراتب مختلفة في بيان قوَّة القول وضعف رأي المخالف، منها: والصواب[3]، والراجح[4]، الأرجح[5]، والحقُّ[6]، المُختار[7]، الأصحُّ[8]، أحسن[9]، والأحسن[10]، الأَولى[11]، والظاهر[12]، والمشهور[13]، والأشهر[14]، خلافاً[1].

---

(1) انظر: لسان العرب، لابن منظور: مادة (رجح).

(2) التعريفات، للشريف الجرجاني: ص60.

(3) انظر: شرح ابن عقيل: 273/1، 274.

(4) انظر: السابق: 38/1.

(5) انظر: السابق: 104/1، 140/2.

(6) انظر: السابق: 211/1، 229، 110/2.

(7) انظر: السابق: 307/1، 118/2، 212، 213، 218، 224، 59/3، 154/4، 155.

(8) انظر: السابق: 176/2، 47/4.

(9) انظر: السابق: 122/1، 265.

(10) انظر: السابق: 386/1.

(11) انظر: السابق: 198/1، 78/3، 331، 107/4، 175، 187.

(12) انظر: السابق: 246/1.

(13) انظر: السابق: 337/1، 58/2، 212، 232، 70/3، 157، 113/4.

(14) انظر: السابق: 150/1.

غير أنَّ أكثر الصِّيغ التي استعملها ابنُ عقيل وأقواها في الترجيح صيغة: (الصحيح)، فهي الأكثر تداوُلاً في ترجيحاته للأقوال والآراء النحوية الخلافيَّة التي قوَّاها واختارها، لذلك اقتصرتُ في هذا البحث المختصر على مسائل قليلة اعتمد فيها على هذه الصِّيغة، وهدفي من هذا البحث التنبيه إلى أهميَّة دراسة صيغ الترجيح عامَّة عند النحويين، وتتبُّعها في كتبهم، أمّا الاقتصار في هذا على صيغة (الصحيح) فهو لمجرَّد الاختصار، فمثل هذه البحوث لا يناسبها الاستقصاء

والتطويل.

وقد قسَّمته إلى مقدِّمة، وتمهيد، وسبع مسائل، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، سائلاً الله أنْ ينفع به.

تمهيـد:

أكثر ابنُ عقيل ـ كغيره من النحاة ـ من الاعتماد على صيغة التصحيح في ترجيح الأقوال والآراء التي يرضى عنها، وتَرِدُ عنده بطرق مختلفة، منها[2]: والأوَّل هو الصحيح، والصحيح...، وهو الصحيح، على الصحيح، والصحيح أنَّ ...، ولستُ بصدد التفصيل في الحديث عن استعماله لهذه الصيغة، وسأكتفي بسبع مسائل لبيان منهجه في الاعتماد عليها، وكيفيَّة توظيفها لدعم اختياراته.

المسألة الأولى/ الإعراب أصل في الأسماء فرع في الأفعال:

اختصر ابن عقيل القول في مسألة أصالة الإعراب والبناء، مصحِّحاً ما ذهب إليه البصريون، فقال: "... ومذهب البصريين أنَّ الإعراب أصلٌ في الأسماء فرعٌ في الأفعال، فالأصل في الفعل البناء عندهم، وذهب الكوفيُّون إلى أنَّ الإعراب أصلٌ في الأسماء وفي الأفعال. والأوَّلُ هو الصحيح"[3].

---

(1) انظر: السابق: 68/1، 185، 303، 309، 195/2، 261، 269، 12/3، 17، 57، 61، 103، 138، 157، 181، 199، 234، 316.

(2) انظر: شرح ابن عقيل: 65/1، 270،323، 376، 105/2، 153،203، 242.

(3) شرح ابن عقيل: 37/1.

وخلاصة هذا الخلاف أنَّ البصريّين[1] ذهبوا إلى أنَّ الإعراب أصلٌ في الأسماء، فرعٌ في الأفعال، واستدلُّوا على ذلك بأنَّ الأسماء تكون على صيغة واحدة، تختلف معانيها، ولا يُفرَّق بينها إلا بالإعراب، فقولك: ما أَحْسَنَ زيدٌ، نفيٌ لإحسانه، وما أَحْسَنُ زيدٍ؟ استفهامٌ عن أحسن أعضائه، وما أَحْسَنَ زيداً، تعجُّبٌ من حسنه، ولولا الإعراب لما اتَّضحت هذه المعاني، وصورة الألفاظ واحدة[2].

ومن المعاني التي تعتور الأسماء الفاعليَّة، والمفعوليَّة، والإضافة، ولا تتضح إلاَّ بقرينة الإعراب، وهي قرينة لا بديل عنها، فلو لم تُعرَبْ لالتبست هذه المعاني بعضُها ببعض، فالإعراب في قولك: ضربَ زيدٌ عَمْراً، هو الدليل على أنَّ زيداً هو الضاربُ، لأنَّه فاعل مرفوع، وأنَّ عَمراً هو المضروب؛ لأنَّه منصوب على المفعوليَّة[3].

واعترف الكوفيُّون بصحَّة ما احتجَّ به البصريُّون للأسماء من استحقاقها الإعراب لاختلاف

المعاني، لكنَّهم استدلُّوا بالحجة ذاتها على استحقاق الأفعال ـ أيضاً ـ للإعراب، لأنَّ الأفعال ـ في رأيهم ـ تعتورها معانٍ لا يَفصِلُ بينها إلاَّ الإعراب، فذهب الفرَّاء ومن تابعه إلى أنَّ الأفعال تقع على الأوقات الطويلة المتَّصلة الزمن، فقولك: يقوم زيدٌ، يحتمل معنى قائم، وتأويل: سوف يقوم على الاستقبال[4]، واحتجُّوا أيضاً بأنَّها تكون ماضية ومستقبلة، وموجبة، ومنفيَّة، ومُجازى بها، ومأموراً بها، ومنهيّاً عنها، وتأتي للمُخاطَب، والمتكلِّم، والغائب، وللذكر، والأنثى، فكما أوجب اختلاف المعاني الإعراب للاسم، فإنَّه يوجب ـ أيضاً ـ الإعراب للفعل، لذلك ذهبوا إلى أنَّ الإعراب أصلٌ في الأسماء والأفعال على حدٍّ سواء، وأنَّ البناء يختصُّ بالحروف.

---

(1) انظر: الإيضاح في علل النحو، للزجاجي: ص77، والتوطئة، لأبي علي الشلوبين: ص117، والتبصرة والتذكرة، للصيمريِّ: ص15، وأسرار العربية، للأنباري: ص46، وعلل النحو، للورَّاق: ص198، 199.

(2) انظر: علل النحو، للورَّاق: ص199، 200، والمقاصد الشافية، للشاطبي: 92/1، 93.

(3) انظر: الجمل، للزجاجي: ص260.

(4) انظر رأيه في الإيضاح في علل النحو للزجاجي: ص79.

وقد احتجَّ بهذا القول بعض المتعصبين لمذهب الكوفيين كأبي بكر بن شُقير[1].

وردَّ النحاة مذهب الكوفيين بأنَّ الأفعال تدلُّ على معانيها التي وضعت لها بصيغتها، دون حاجة لقرينة أخرى، فعدم إعرابها لايخل بمعانيها، ولا يؤدِّي إلى اللبس فيها[2].

وصحَّح الشاطبيُّ مذهب البصريين بأنَّ الإعراب أصلٌ في الأسماء، وعلل ذلك بأنَّ باب المعرب من الأسماء أوسع من المبني بكثير، والكثرة لها الأصالة، فالإعراب إذاً هو الأصل في الأسماء[3].

وبمفهوم المخالفة فإنَّ باب المبني في الأفعال أوسع بكثير من باب المعرب، وهو يدلُّ على أصالة البناء في الأفعال بخلاف ما ذهب إليه الكوفيُّون.

أمّا الفعل المضارع فقد أُعرِبَ لمشابهته الاسم من وجوه: "أحدها: أنَّه يقع في معناه كقولك: كان زيدٌ يقوم، في معنى: قائماً.

والثَّاني: أنَّ لام الابتداء تدخل عليه في خبر (إنَّ)، كما تدخل على الاسم، تقول: إنَّ زيداً ليقوم، كما تقول: إنَّ زيداً لقائم.

والوجه الثَّالث: أنَّ الحرف ينقله من احتمال زمانين إلى اختصاصٍ بواحد بعينه، كما أنَّ الحرف ينقل الاسم من احتمال الجنس إلى اختصاص واحد بعينه..."[4].

وذهب بعضهم إلى أنَّ المضارع: "أُعرب حملاً على الاسم لشبهه به في الإبهام، والتخصيص، ودخول لام الابتداء، والجريان على حركات اسم الفاعل وسكناته"[5].

وذهب المراديُّ إلى أنَّ علَّة إعراب المضارع مشابهته الاسم في أنَّ كلاً منهما تعتوره معان

---

[1] انظر: السابق: ص81.

[2] انظر: أسرار العربية: ص46، والتبصرة: ص15، وشرح ابن النَّاظم: ص14.

[3] انظر: المقاصد الشافية: 92/1، 93.

[4] التبصرة والتذكرة: ص15، 16.

[5] شرح ابن النَّاظم: ص14.

تتعاقب على صيغة واحدة، لا تتميَّز إلاَّ بالإعراب، لكنَّه فرَّق بين احتياجهما له، فذهب كغيره من النحاة إلى أنَّ الاسم لا يستغني عن الإعراب؛ لأنَّ معانيه تتوقَّف عليه، أمّا الفعل المضارع فقد يغنيه تقدير اسم مكانه عن الإعراب، كاستغنائك عن: زيدٌ يقوم، بقولك: زيدٌ قائم[1]، لذلك كان الإعراب أصلاً في الأسماء وفرعاً في الفعل المضارع.

ومن خلال هذا العرض الموجز يتَّضح أنَّ ابن عقيل سار على ما سار عليه أكثر النحويين من تصحيح مذهب البصريين في هذه المسألة.

المسألة الثَّانية/ إعراب الأسماء الستَّة:

في معرض حديثه عن الإعراب بالنيابة، شرع ابنُ مالك في حصر الأسماء التي تنوب فيها الحروف عن الحركات في إعرابها، ومنها الأسماء الستَّة: (أبوك، أخوك، حموك، هنوك، فوك، ذو بمعنى صاحب)، فقال[2]:

وَارْفَعْ بِوَاوٍ وَانْصِبَنَّ بِالأَلِفْ وَاجْرُرْ بِيَاءٍ مَا مِنَ الأَسْمَا أَصِفْ

ومسألة نيابة الحروف عن الحركات في إعراب هذه الأسماء الستَّة مختلفٌ فيها بين النُّحاة، وسأختصر مذاهبهم فيما يأتي:

الأوَّل: مذهب قطرب، والزيادي، والزجَّاجي، من البصريين، وهشامٍ الضرير من الكوفيين، أنَّها معربةٌ بالحروف نيابةً عن الحركات، وهو المذهب المشهور[3].

وقد اعتمده ابنُ مالك في الخلاصة، وأيَّده في شرح التسهيل بقوله: "وهذا أسهل المذاهب وأبعدها عن التكلُّف؛ لأنَّ الإعراب إنَّما جيء له لبيان مقتضى العامل، ولا فائدة في جعل مقدَّرٍ متنازع فيه دليلاً، وإلغاء ظاهرٍ وافٍ بالدِّلالة المطلوبة، ولا يمنع من ذلك أصالة الحروف، لأنَّ الحرف المختلف البيان صالح للدَّلالة، أصلاً كان أو زائداً، مع أنَّ

---

[1] انظر: توضيح المقاصد: 302/1، 303.

[2] ألفيَّة ابن مالك: ص12.

[3] انظر آراءهم في: جمل الزجاجي: ص18 ـ 20، وشرح المفصَّل، لابن يعيش: 52/1، والارتشاف: 837/2، وتوضيح المقاصد: 314/1، وتمهيد القواعد: 254/1، وهمع الهوامع: 123/1، وفي الإيضاح للزجاجي ص72 : أنَّه لايكون الإعراب بالحروف إلاَّ على رأي الكوفيين.

في جعل الحروف المُشار إليها نفس الإعراب مزيدَ فائدة، وهو كون ذلك توطئة لإعراب المثنَّى والمجموع على حدِّه؛ لأنَّهما فرعان على الواحد، وإعرابهما بالحروف لا مندوحة عنه، فإذا سبق مثله في الآحاد أمِنَ مِنَ استبعاد، ولم يحد عن المعتاد"[1].

ومن الذين قالوا بإعراب الأسماء الستة بالحروف نيابة عن الحركات ابنُ جنِّي، وأكَّده بقوله:

"واعلم أنَّ في الأسماء الآحاد ستة أسماء تكون في الرَّفع بالواو، وفي النَّصب بالألف، وفي الجرِّ

بالياء، وهي: أبوك ... والواو حرف الإعراب، وهي علامة الرَّفع، والألف حرف الإعراب، وهي علامة النَّصب، والياء حرف الإعراب، وهي علامة الجرِّ"[2].

وصحَّح ابنُ الحاجب هذا الرأي بقوله: "... والصَّحيح أنَّها معربة بالحروف الأصليَّة، أو الحروف بدل عنها، كإعراب التثنية والجمع بحرفَي التثنية والجمع ..."[3].

ومنهم أيضاً ابنُ هشام في شرح الشذور، وفي الأوضح[4]، والفاكهي في الفواكه الجنيَّة على متمِّمة الآجرُّوميَّة[5]، والصَّيمريُّ في التبصرة والتذكرة[6]، والميلاني في شرحه على مغني الجاربردي[7].

الثَّاني: مذهب سيبويه، والفارسيِّ، وأبي علي الشلوبيني، وجمهور البصريين، واختاره ابنُ الفخَّار[8]، أنَّها معربةٌ بحركات مقدَّرة في الحروف، وأنَّها أُتبع فيها ما قبل الآخر للآخر[1].

---

(1) شرح التسهيل: 47/1.

(2) اللمع في العربية: ص7.

(3) الإيضاح في شرح المفصَّل: 77/1.

(4) انظر: شرح شذور الذهب: ص51، وأوضح المسالك: 38/1.

(5) ص62.

(6) ص20.

(7) ص47.

(8) انظر: شرح الجمل: 82/1.

واستدلَّ بعض النحاة لصحَّته بأنَّ: "أصل الإعراب أنْ يكون بحركات ظاهرة أو مقدَّرة، فإذا أمكن التقدير مع وجود النظير لم يعدلْ عنه"[2].

وقوَّى ابن مالك مذهب سيبويه ومن معه، ثمَّ صحَّحه بقوله: "... وهو مذهب قويٌّ من جهة القياس، لأنَّ الأصل في الإعراب أنْ يكون بالحركات ظاهرة أو مقدَّرة، فإذا أمكن التقدير على وجه يوجد معه النظير فلا عدول عنه، وقد أمكن ذلك في هذه الأسماء، فوجب المصير إليه، واقتصر القول عليه، ... وإذا بطلت تلك الأقوال صحَّ ما اختاره سيبويه وتعيَّن المصير إليه"[3].

وقد تبع ابنَ مالك في تصيح قول سيبويه والفارسي أبو حيَّان، وناظرُ الجيش، وابنُ الفخَّار،

وابنُ فضَّال المُجاشعي[4]، وغيرهم.

وكان ابنُ عقيل ممَّن صحَّح هذا الرأي، مشيراً إلى أنَّ المشهور الأوَّل الذي قبله، فقال: "... والمشهور أنَّها معربة بالحروف؛ فالواو نائبة عن الضمَّة، والألف نائبة عن الفتحة، والياء نائبة عن الكسرة، وهذا هو الذي أشار إليه المصنِّف بقوله: وارفع بواو، إلى آخر البيت، والصَّحيح أنَّها معربة بحركات مقدَّرة على الواو والألف والياء ... فعلى هذا المذهب الصَّحيح لم ينُبْ شيءٌ عن شيءٍ"[5].

---

[1] انظر آراءهم في: الإنصاف: 17/1، والتذييل والتكميل: 175/1، 176، وشرح الأشموني: 54/1، وتوضيح المقاصد: 313/1. ونسبه الزجاجي في مجالس العلماء: ص252 إلى الكوفيين، ورأي الفارسي في: التعليقة على كتاب سيبويه: 28/1، والبغداديَّات: ص539، ورأي الشلوبيني في التوطئة: ص122.

[2] همع الهوامع: 124/1.

[3] شرح التسهيل: 53/1.

[4] انظر: الارتشاف: 836/2، وتمهيد القواعد: 256/1، وشرح الجمل لابن الفخَّار: 82/1، وشرح عيون الإعراب، لابن فضَّال: ص55 ـ 57.

[5] شرح ابن عقيل: 44/1.

الثَّالث: مذهب المازني والزَّجَّاج، أنَّها معربة بالحركات التي قبل الحروف، أمّا الحروف فهي إشباع[1].

وردَّه السيوطيُّ بـ"أنَّ الإشباع بابه الشعر، وبقاء (فيك) و(ذي مال) على حرف واحد"[2].

الرَّابع: مذهب الرَّبعي أنَّها معربة بالحركات التي قبل الحروف، وهي منقولة من الحروف[3].

واعتُرض بأنَّه مخالف للنظائر من ثلاثة أوجه: النقل في غير وقف إلى متحرِّك، وجعل حرف الإعراب ليس آخراً، والتِباس فتحة الإعراب بفتحة البنية[4].

الخامس: مذهب الأعلم، وابنِ أبي العافية أنَّها معربة بالحركات التي كانت لها قبل الإضافة[5].

واعترضه أبو حيَّان بقوله: "هو فاسدٌ لأنَّه إمّا أنْ تكون الحروف لاماتِ الكلمات رُدَّت إليها حالة الإضافة، أو تكون زائدة نشأت عن الحركات، فإنْ كانت زائدة نشأت عن الحركات فهو المذهب الثَّالثُ [الإشباع]، وقد تبيَّن فساده، وإنْ كانت لامات الكلمات رُدَّت إليها فيلزم من ذلك جعل الإعراب في عينات الكلمات، أو في فاءاتها مع وجود اللامات التي هي حروف الإعراب، أو العينات التي هي محلُّ الإعراب عند فقد اللامات، وذلك لا يجوز لأنَّ الإعراب إنَّما يكون في آخر الكلمة لفظاً أو تقديراً"[6].

---

[1] انظر رأيهما في: الإنصاف: 17/1، والإيضاح في شرح المفصَّل، لابن لحاجب: 76/1، وشرح المفصَّل لابن يعيش: 52/1، الارتشاف: 837/2، ونسب الزجاجي في مجالس العلماء: ص252 هذا الرأي إلى البصريين.

[2] همع الهوامع: 125/1، وانظر الإنصاف: 31/1.

[3] انظر رأيه في: الإنصاف: 17/1، والإيضاح في شرح المفصَّل:76/1، والتذييل والتكميل: 177/1، وتمهيد القواعد: 255/1، وهمع الهوامع: 125/1.

[4] انظر: تمهيد القواعد: 257/1.

[5] انظر رأيهما في: الارتشاف: 837/2، 838، وهمع الهوامع: 125/1.

[6] التذييل والتكميل: 183/1.

السَّادس: مذهب الكسائي، والفرَّاء أنَّها معربة من مكانين، بالحروف والحركات معاً[1].

واعتُرض بأنَّه لا نظير له[2].

السَّابع: مذهب الجرمي أنَّها معربة بالتَّغيُّر والانقلاب حالة النَّصب والجرِّ، وبعدم الانقلاب حالة الرَّفع[3].

ورُدَّ بأنَّه لا نظير له، وبأنَّ عامل الرَّفع غير مؤثِّر، وبأنَّ عدم التغيير والانقلاب لا يكون علامة[4].

الثَّامن: مذهب السُّهَيلي، وأبي عليٍّ الرُّنْديِّ أنَّ فاك، وذا مالٍ معربان بحركات مقدَّرة في الحروف، وأنَّ بقيَّة أخواتهما معربة بالحروف[5]، وحكاه ابنُ الفخَّار عن ابن الطَّراوة[6].

وهو مردود بما رُدَّ به القول بأنَّها معربةٌ كلَّها بالحروف نيابة عن الحركات[7].

التَّاسع: مذهب الأخفش أنَّ الحروف دلائل إعراب[8].

وسار على هذا الرأي القاسم بنُ محمد الضرير في شرحه على لمع ابن جنِّي، واستدلَّ له بأنَّ من هذه الأسماء الستة ما هو على حرفين: (فو، ذو)، ولو جعلنا الواو إعراباً لبقي الاسم على حرف واحد، ولا نظير له[9].

---

(1) انظر: رأيهما في: الإيضاح في شرح المفصَّل: 77/1، والارتشاف: 838/2، همع الهوامع: 125/1، ونسب الأنباري في الإنصاف: (17/1) والرضي في شرح الكافية (77/1) هذا الرأي للكوفين عامة.

(2) انظر: الإنصاف: 20/1، وهمع الهوامع: 125/1.

(3) انظر رأيه في: التذييل والتكميل: 177/1، وقد نسبه لهشام أيضاً، وانظر: همع الهوامع: 125/1 .

(4) انظر: التذييل والتكميل: 184/1، وتمهيد القواعد: 257/1، وهمع الهوامع: 126/1.

(5) انظر: نتائج الفكر، للسهيلي: ص77 ـ 80، والارتشاف: 838/2، وهمع الهوامع: 126/1.

(6) انظر: شرح الجمل: 82/1.

(7) انظر: تمهيد القواعد: 258/1.

(8) انظر رأيه في: المسائل البصريات، للفارسي: 896/2، والتذييل والتكميل: 178/1، ونسب الزجَّاجيُّ هذا الرأي في الإيضاح: ص130، للمازني، والمبرِّد، والأخفش.

(9) انظر: شرح الضرير على اللمع: ص20.

العاشر: حكى ابنُ أبي الربيع أنَّها معربة في الرَّفع بالنقل، وفي النَّصب بالبدل، وفي الجرِّ بهما معاً[1].

وبالعَود إلى رأي ابن عقيل في هذه المسألة، نلحظ أنَّه:

أوَّلاً: صدَّر المسألة باعتماد رأي ابن مالك في الخلاصة إعراب الأسماء الستة بالحروف نيابة عن الحركات.

ثانياً: بيَّن ابنُ عقيل أنَّ هذا الرَّأي موافق لما اشتهر عند النُّحاة.

ثالثاً: أشار إلى أنَّ في المسألة خلافاً، واكتفى بذكر الرأي المشهور والرأي الصحيح عنده.

رابعاً: حرصاً منه على الاختصار ضرب عن نسبة الرأيين لأصحابهما صفحاً.

المسألة الثَّالثة/ إعراب ما سُمِّي به من جمع المؤنَّث السَّالم:

تحدَّث ابنُ مالك في الخلاصة عن إعراب جمع المؤنَّث السَّالم والملحق به، والمسمَّى به، فذكر أنَّه يُرفع بالضمَّة، ويُنصبُ ويجرُّ بالفتحة، فقال[2]:

وَمَـا بِتَـا وَأَلِـفٍ قَـدْ جُمِـــــعَا يُكْسَرُ فِي الجَرِّ وَفِي النَّصْبِ مَعا

كَذَا أُولاَتُ، وَالَّذِي اسْماً قَدْ جُعِلْ كَأَذْرِعَـاتٍ فِيــهِ ذَا أَيْضــاً قُبِــلْ

وشرح ابنُ عقيل[3] مراد ابن مالك من قوله: "والذي اسماً قد جُعل، كأذرعاتٍ"، فذهب إلى أنَّ ما سمِّي به من جمع المؤنَّث السالم نحو: أذرعات ـ اسم بلد بأطراف الشَّام ـ يرفعُ بالضمَّة، ويُنصَبُ ويُجَرُّ بالكسرة، مع التنوين، كما كان قبل التسمية به، فتقول: هذه أذرعاتٌ، وزرتُ أذرعاتٍ، ومررتُ بأذرعاتٍ، وذكر أنَّ هذا هو الصحيح من مذاهب النحاة، وأنَّ في المسألة مذهبين آخرين: الأوَّل: الرَّفع بالضمَّة والنَّصبُ والجرُّ بالكسرة مع حذف التنوين، نحو: هذه أذرعاتُ، وزرتُ أذرعاتِ، وأقمتُ في أذرعاتِ.

---

[1] انظر رأيه في: همع الهوامع: 126/1، 127. وما نُسِب إليه هنا مخالف لما في شرحه على جمل الزجَّاجي: (190/1، 191)، حيث قال: "... وإنَّما هذه الأسماء معربة بحركات مقدَّرة في الحروف، ... ففيه في الرفع حذفُ الحركة، وفيه في النَّصب القلبُ، وفيه في الخفض الحذف والقلبُ ...".

[2] ألفية ابن مالك: ص13.

[3] انظر: شرح ابن عقيل: 77/1، 78.

والثَّاني: إعرابه إعراب ما لاينصرف من الرفع بالضمَّة، والنصب والجرِّ بالفتحة مع زوال التنوين، نحو: هذه أذرعاتُ، وزرتُ أذرعاتَ، ومررتُ بأذرعاتَ، واستدلَّ على هذه المذاهب بالروايات الثلاثة التي وردت في قول الشاعر[1]:

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا بِيَثْرِبَ، أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي

والرأي الأوَّل الذي صحَّحه ابنُ عقيل هو السَّائد بين النحاة البصريين، قال سيبويه: "... وكذلك المرأة لو سمَّيتها بهذا انصرفت، وذلك أنَّ هذه التاء لمّا صارت في النَّصب والجرِّ جرّاً أشبهت عندهم الياء في مسلمين، والياء في رجُلَينِ، وصار التنوين بمنزلة النون، ألا ترى إلى عرفاتٍ مصروفة في كتاب الله عزَّ وجلَّ وهي معرفة، الدليل على ذلك قول العرب: هذه عرفاتٌ مباركاً فيها، ويدلُّك أيضاً على معرفتها أنَّك لا تُدخِل فيها ألفاً ولاماً، وإنَّما عرفاتٌ بمنزلة أبانينِ وبمنزلة جمعٍ، ومثل ذلك أذرعاتٌ، سمعنا أكثر العرب يقولون في بيت امرئِ القيس:

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا بِيَثْرِبَ، أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي

ولو كانت عرفات نكرة لكانت إذاً عرفات في غير موضع. ومن العرب من لا ينوِّن أذرعات ويقول: هذه قُرَيشِيَّاتُ كما ترى، شبَّهوها بهاء التَّأنيث؛ لأنَّ الهاء تجيء للتأنيث... فإن قلتَ: كيف تشبِّهها بالهاء وبين التاء وبين الحرف المتحرِّك ألِفٌ؟ فإنَّ الحرف السَّاكن ليس عندهم بحاجز حصين، فصارت التاء كأنَّها ليس بينها وبين الحرف المتحرِّك شيء"[2]. وهذا دليل على اختياره ما عليه أكثر العرب، وهو كسر أذرعاتٍ وعرفاتٍ مع التنوين، مع نقله ترك التنوين عند بعض العرب، إلاَّ أنَّه لم يصرِّح بأنَّ تركهم التنوين مصاحب للكسر نحو: عرفاتِ، أو أنَّه مع الفتح، نحو: عرفاتَ.

---

[1] من الطويل، لامرئ القيس في ديوانه: ص136، والكتاب: 233/3، ومعاني القرآن وإعرابه للزجَّاج: 272/1، والشاهد فيه: (أذرعات) فقد رُوي بالكسر والتنوين، وبالكسر وحذف التنوين، وبالفتح وحذف التنوين.

[2] الكتاب: 233/3، 234.

وفَهِم السيرافيُّ وابنُ خروف من قول سيبويه: "شبَّهوها بهاء التأنيث" أنَّ بعض العرب يعاملونها معاملة الممنوع من الصرف، فيقولون: مررتُ بأذرعاتَ[1].

وذهب الأخفش إلى مثل ما ذهب إليه سيبويه، من أنَّ التنوين في عرفاتٍ ومسلماتٍ بمنزلة النون، فإذا ما سُمِّي به تُرك على حاله، فيجرُّ ويُنصب بالكسرة مع التنوين[2].

وتبعهما المبرِّد فيما ذهبا إليه، فقال معلِّقاً على بيت امرِئ القيس: "... والأجود ما بدأنا به من إثبات التنوين في أذرعاتٍ ونحوها؛ لأنَّها بمنزلة النون في مسلمين إذا قلتَ: هؤلاء مسلمون، ومررتُ بمسلمين، ومن ذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾[3] بالتنوين"[4].

وقد سار كثير من النحاة على نهج سيبويه والأخفش والمبرِّد، من نصب ما سُمِّي به من جمع المؤنَّث السَّالم بالكسرة كما كان قبل التسمية به، ولا يُحذف منه التنوين، ومن النحاة الَّذين اختاروا هذا المذهب:

1 ـ الزجَّاج، ووصفه بأنَّه القراءة والوجه[5].

2 ـ ابنُ خروف، والشَّاطبي، ووصفاه باللغة الفاشية الشائعة التي نزل بها القرآن[6].

3 ـ ابن النَّاظم، ووصفه بالأكثر، ونقل أبو حيَّان أكثريَّته عن صاحب البسيط[7].

4 ـ الأندلسيُّ، والسيوطيُّ، ووصفاه بالمشهور والأشهر[8].

5 ـ ابنُ يعيش، والمراديُّ، والأشمونيُّ، والعينيُّ، ووصفوه بالأفصح[1].

---

[1] انظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي: 46/12، وتنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب، لابن خروف: ص323.

[2] انظر: معاني القرآن: 177/1.

[3] البقرة: من الآية 198.

[4] المقتضب: 38/4.

[5] انظر: معاني القرآن وإعرابه: 272/1.

[6] انظر: شرح جمل الزجَّاجي، لابن خروف: 269/1، والمقاصد الشافية، للشاطبي: 209/1، 210.

[7] شرح ابن الناظم: ص29، والتذييل والتكميل: 156/1.

[8] انظر: شرح الأندلسي على الألفية: 137/1، وهمع الهوامع: 84/1.

أمّا الرأي الثَّاني وهو الرَّفع بالضمَّة والنَّصبُ والجرُّ بالكسرة مع حذف التنوين، فقد نقله البصريُّون ـ أيضاً ـ عن العرب، ويفهم من نقلهم تجويزهم له، قال سيبويه: "... ومن العرب من لا ينوِّن أذرعاتٍ، ويقول: هذه قريشيَّاتُ كما ترى، شبَّهوها بهاء التَّأنيث..." [2]، وقال الأخفش:

"... ومنهم من لا ينوِّن أذرعاتٍ ولا عاناتٍ، وهو مكان"[3].

وقال الزجَّاج معلِّقاً على (أذرعاتٍ) في بيت امرِئ القيس: "... وقد أُنشد بالكسر بغير تنوين..."[4].

وذهب السيرافيُّ إلى أنَّ البصريين أجازوا الكسر مع ترك التنوين، ونسب إلى الأصمعي القولَ بأنَّ ترك التنوين مع الكسر خطأ[5].

وقال أبو حيَّان: "والمنقول عن البصريين أنَّه إذا سُمِّي بهذا الجمع يجوز فيه وجهان: أحدهما: إعرابه كإعرابه قبل أنْ يُسمَّى به، والآخر: أنْ يُحذفَ منه التنوينُ، ويبقى مرفوعاً بالضمَّة، منصوباً ومجروراً بالكسرة، من غير تنوين في الأحوال الثلاثة"[6].

وذكر المراديُّ أنَّ هذا المذهب منقول عن العرب[7]، وذهب الأندلسيُّ إلى أنَّه منقول عن البصريين[8].

وذهب ابنُ عصفور إلى أنَّ هذا الرَّأي باطل، وأنَّ رواية (أذرعاتِ) بالكسر من غير تنوين غير صحيحة[1].

---

[1] انظر: شرح المفصَّل: 46/1، وتوضيح المقاصد: 340/1، و شرح الأشموني: 71/1، والمقاصد النحويَّة: 127/1.

[2] الكتاب: 234/3.

[3] معاني القرآن: 177/1.

[4] معاني القرآن وإعرابه: 273/1.

[5] انظر: شرح كتاب سيبويه: 45/12، 46.

[6] التذييل والتكميل: 154/1.

[7] انظر: توضيح المقاصد: 340/1.

[8] انظر: شرح الأندلسي: 137/1.

أمّا الرأي الثالث وهو إعراب جمع المؤنَّث السَّالم المسمَّى به إعراب ما لا ينصرف فقد نسبه بعض النحاة للكوفيين، قال السيوطيُّ: "وأجاز الكوفيَّةُ نصب هذا الجمع بالفتحة مطلقاً، ... وما سمِّي به من هذا الجمع ... يجوز ترك تنوينه مع الكسرة، وإعرابه إعراب ما لا ينصرف"[2].

وفي معرض حديثه عن (أذرعاتٍ) في بيت امرِئ القيس ذكر العينيُّ أنَّ البصريين منعوا إعرابه إعراب ما لا ينصرف، وأنَّ الكوفيين أجازوه، وأنشدوا البيت بفتح (أذرعات)[3].

وقال به ابن عصفور[4]، ووصفه الأخفش بأنَّه قبيح ضعيف[5]، وذكر الأعلم أنَّها لغة قليلة ضعيفة[6].

وذهب بعض النحاة إلى تخطئة أصحاب هذا الرأي، قال الزجَّاج متحدِّثاً عن عرفات: "وأمّا الفتح فخطأ؛ لأنَّ نصب الجمع وفتحَه كسرٌ"[7].

أمّا ابنُ مالك فقد ذهب إلى ما ذهب إليه البصريُّون في المسألة، إلاَّ أنَّه عبَّر عن رأي الكوفيين بقوله: "... ومنهم من يقول: رأيتُ عرفاتَ، ومررتُ بعرفاتَ، فيلحقُ لفظه بلفظ ما لا ينصرف، وإلى هذه اللغة الإشارة بقولنا: وقد يجعل كأرطاة علماً ..."[8].

وقد فسَّر أبو حيَّان كلام ابن مالك بأنَّه جعل إعرابه إعراب ما لا ينصرف لغة، واعترضه بأنْ ليس للكوفيين دليل في ذلك من سماع، وإنَّما قاسوه على فاطمة، ونقل عن

---

[1] انظر: شرح جمل الزجَّاجي: 352/2، 353.

[2] همع الهوامع: 68/1.

[3] انظر: المقاصد النَّحويَّة: 128/1.

[4] انظر: شرح جمل الزجَّاجي: 352/2.

[5] انظر: معاني القرآن: 177/1.

[6] انظر: تحصيل عين الذهب في علم مجازات العرب بهامش الكتاب: 21/2.

[7] معاني القرآن وإعرابه: 273/1.

[8] شرح التسهيل لابن مالك: 46/1.

بعض النحويين القول بأنَّ الكوفيين أجازوا ذلك في الشعر، وأنشدوا عليه بيت امرئ القيس[1].

ثمَّ نصر مذهب البصريين فقال: "قال أصحابنا: ومذهب البصريين صحَّت به الرِّواية، ويقتضيه القياس؛ لأنَّ التَّاء في هندات بعد التَّسمية باقية على حكمها؛ ألا ترى أنَّها لا تنقلب هاءً في الوقف، كما كانت لا تقلب قبل التسمية، ولو كانت محكوماً لها بحكم فاطمة لقلبت هاءً في الوقف، كما تقلب في فاطمة، فإذا ثبت أنَّها محكوم لها بحكم تاء الجمع وجب أنْ تكون مكسورةً نصباً وخفضاً"[2].

وفي رأيي أنَّ ابنَ مالك لم يقصدْ ما فهمه أبو حيَّان من النَّصِّ، وإنْ كان كما فسَّره فقد سبقه إليه الأعلم[3] وغيره.

وعوداً على بَدْءٍ فقد صحَّح ابنُ عقيل المذهب الأوَّل، وقدَّمه في العرض، وذلك دليل على اختياره له، وهو في ذلك موافق لجمهور النحاة البصريين، ثمَّ اكتفى بذكر المذهبين الآخرين بعده، ودون ترجيح لأحدهما على الآخر، وأنَّه قصداً للاختصار أعرض عن نسبة هذه المذاهب إلى أصحابها.

أمّا استشهاده بأذرعات في بيت امرئ القيس فهو إشارة إلى أنَّ المذاهب الثلاثة مرويَّة عن العرب.

المسألة الرَّابعة/ القول في الألف واللام في نحو: جاءني القائم، والمركوب:

تحدَّث ابنُ عقيل في باب الموصولات الاسميَّة فذكر ـ تبعاً لابن مالك ـ أنَّ منها الألف واللام، وذكر أنَّها تكون للعاقل نحو: جاءني القائم، ولغير العاقل نحو: جاءني المركوب، ثمَّ أشار ـ باختصار ـ إلى أنَّ في عدِّها اسماً موصولاً خلافاً، فذهب بعضهم إلى أنَّها اسمٌ

---

[1] انظر: التذييل والتكميل: 155/1.

[2] التذييل والتكميل: 155/1.

[3] انظر: تحصيل عين الذهب في علم مجازات العرب بهامش الكتاب: 21/2.

موصول، وذهب آخرون إلى أنَّها حرف موصول، وذهب غيرهما إلى أنَّها حرف تعريف فقط[1].

وبتتبُّع هذه الأقوال التي ذكرها ابنُ عقيل نصل إلى الآتي:

أوَّلاً: القول بأنَّها اسمٌ موصول هو مذهب الجمهور[2]، وقد استدلُّوا على اسميَّتها بأمور: "الأوَّل: عود الضمير عليها في نحو: قد أفلح المُتَّقي ربَّه ... الثاني: استحسان خُلُوِّ الصِّفة عن الموصوف، نحو: جاء الكريمُ، فلولا أنَّها اسمُ موصول قد اعتمدت الصِّفة عليه كما تعتمد على الموصوف، لَقَبُح خلُوُّها من الموصوف.

الثَّالث: إعمالُ اسم الفاعل معها بمعنى المُضيِّ... الرابع: دخولها على الفعل ..."[3].

ثانياً: القول بأنَّها حرف موصول للمازني[4]، وقد ردَّ ما احتجَّ به الجمهور من عود الضمير إليها بأنَّه يعود على موصوف محذوف، لا عليها، واستدلَّ على حرفيَّتها بأنَّ العامل يتخطَّاها فالمجرور في قولك: مررتُ بالضَّاربِ، هو الضَّارب، وليس (أل)، ولا موضع لها من الإعراب، ولو كانت (أل) اسماً لكان لها موضع من الإعراب[5].

ثالثاً: القول بأنَّها حرف تعريف للأخفش[6]، وذهب إلى أنَّ اسم الفاعل، واسم المفعول إذا اقترنا بـ(أل) لا يعملان، فإذا وُجِد بعدهما منصوبٌ فناصبه التشبيه بالمفعول به[7].

---

[1] انظر: شرح ابن عقيل: 149/1.

[2] انظر: الكتاب: 181/1، 182، والأصول في النحو: 265/2، وشرح التسهيل لابن مالك: 195/1 ـ 199، ورصف المباني: ص162.

[3] توضيح المقاصد، للمرادي: 434/1، 435، وانظر: ارتشاف الضرب: 1013/2، وشرح الأشموني: 195/1، 196.

[4] انظر: الجنى الداني: ص202، وارتشاف الضرب: 1013/2، وأوضح المسالك: 139/1، وشرح ابن طولون على الألفية: 145/1، 146، وشرح الأشموني: 195/1، 196.

[5] انظر: توضيح المقاصد: 434/1، 435، وشرح الأشموني: 195/1، 196.

[6] انظر: توضيح المقاصد: 434/1، والجنى الداني: ص202، والارتشاف: 1013/2، وشرح الأشموني: 195/1، 196.

[7] انظر: الارتشاف: 1013/2.

ونسب ابنُ مالك هذا الرأي للمازني، وعليه فإنَّ له في المسألة قولين، وردَّ عليه ذلك وضعَّفه بما لا يتَّسع المجال لذكره، فارجع إليه في موضعه إنْ شئت[1].

ولم يخالفْ الجمهور ـ فيما اطَّلعتُ عليه من آراء ـ إلاَّ ابنُ يعيش، وأبو علي الشَّلوبين، فأمَا الأوَّل فقد ذكر تبعاً للزمخشريِّ أنَّ (أل) موصولة بمعنى (الذي)، وأنَّ مدخولها اسم الفاعل واسم المفعول، ثمَّ صرَّح بوجود خلاف في أمرها، وحصره في أنَّ بعضهم عدَّها حرفاً وإنْ نُوِي بها مذهب الاسميَّة، وأنَّ بعضهم عدَّها اسماً موصولاً، ثمَّ رجَّح حرفيَّتها بقوله: "... والصَّواب الأوَّل أنَّها حرف، إذ لو كانت اسماً لكان لها موضع من الإعراب، ولا خلاف أنَّه لا موضع لها من
الإعراب ..."[2].

أمّا الشلوبين فقد عدَّها حرف تعريف، فقال: "ويلحق بالموصولات الاسميَّة الألف واللام، بمعنى الذي والتي، وليست منها، ولو كانت منها لكان لها موضع من الإعراب، ولو كانت كذلك لبقي المخفوض والمنصوب والمرفوع في قولك: جاءني القائم، ورأيتُ القائم، ومررتُ بالقائم، معرباتٍ بلا معربٍ لها، وذلك لا يجوز، فالذي ينبني هو له أنْ تكون الألف واللام في ذلك حرف تعريف لما بعدها، دخلت عليه لتُعرِّفه، ويعرب ما بعدها بالعامل الداخل عليها..."[3].

وقد أجاب ابنُ مالك على ما احتجَّ به الشلوبين على حرفيَّتها، بقوله: "والجواب عن شُبهة الشلوبين أن يُقال: مقتضى الدليل أنْ يظهر عملُ العامل الموصول في آخر الصِّلة؛ لأنَّ نسبتها منه نسبة أجزاء المركَّب منه، لكن منع من ذلك كون الصِّلة جملة، والجُملُ لا تتأثَّر بالعوامل، فلمّا كانت صلةُ الألف واللام في اللفظ غير جملة جيء بها على مقتضى الدليل لعدم المانع"[4].

---

[1] انظر: شرح التسهيل: 195/1.

[2] شرح المفصَّل: 144/3.

[3] التوطئة: ص168، 169.

[4] شرح التسهيل: 199/1.

وبالعود إلى كلام ابن عقيل في هذه المسألة نلاحظ أنَّه قدَّم رأي الجمهور، ثُمَّ رجَّحه بالتصحيح قبل أنْ يذكر غيره، وضعَّف الرأيين الآخرَينِ بقوله: "وقيل"[1]، ولم ينسبْ هذه الآراء الثلاثة لأصحابها؛ لأنَّ شرحه على الألفية ـ عامَّة ـ تعمَّد فيه الاختصار، واقتصر فيه على ذِكْر ما لا يمكن تجاوزه من المسائل.

المسألة الخامسة/ دخول لام الابتداء على السين وسوف:

فصَّل ابن عقيل الكلام في خبر (إنَّ)، فذكر أنَّه إذا كان فعلاً مضارعاً دخلت عليه اللام، إذا لم تقترن به السين أو سوف، نحو: إنَّ زيداً ليرضى، ثمَّ أشار إلى خلاف النحاة في جواز دخول اللام على المقترن بالسين أو سوف، ورجَّح جواز دخولها على المضارع المقترن بسوف مصحِّحاً له، أمَّا السين فدخوله عليها قليل[2].

والمسألة خلافية بين البصريين والكوفيين، ملخَّصها:

جوَّز جمهور البصريين دخول لام الابتداء على الفعل المضارع المقترن بسوف، وعبَّروا عنه بحرف التنفيس، ولكنَّهم مثَّلوا بسوف دون السين، قال الزمخشريُّ: "ويجوز عندنا: إنَّ زيداً لسوف يقوم، ولا يجوِّزه الكوفيُّون"[3]، وقال الرضيُّ: "وإذا كان الخبر مضارعاً مصدَّراً بحرف التنفيس

جاز دخول هذه اللام عليه، نحو: إنَّ زيداً لسوف يقوم..."[4].

وصرَّح أبو حيَّان بأنَّ مراد البصريين بحرف التنفيس (سوف) دون السين، فنقل عن بعضهم منع إدخال اللام على السين فقال بعد تجويزه دخولها على سوف: "... وقال بعض أصحابنا: وأمّا السين فامتنعت العرب من إدخال اللام عليها، وإنْ كانت كحرف من حروف الفعل..."[5].

---

[1] انظر: شرح ابن عقيل: 149/1.

[2] انظر: شرح ابن عقيل: 369/1، 370.

[3] المفصَّل: ص452.

[4] شرح الرضي على الكافية: 358/4.

[5] الارتشاف: 1263/3، وانظر: التذييل والتكميل: 115/5، 116.

ونقل المراديُّ عن النحويين أنَّ لام الابتداء تدخل على سوف ولا تدخل على السين، منعاً من اجتماع حرفين مفتوحين زائدين على الفعل[1].

وعلل مانعو دخول اللام على السين بأنَّ تجويزه يؤدي إلى توالي الحركات، فالفعل (يَتَدَحْرَجُ) يصير مع السين: (سَيَتَدَحْرَجُ)، وبدخول اللام يصير: (لَسَيَتَدَحْرَجُ)، حيث توالت فيه خمس حركات، فمنعوا ذلك وحملوا عليه ما لا تتوالى فيه الحركات[2].

وذهب السيرافيُّ إلى جواز دخول لام الابتداء على المضارع المقترن بالسين وسوف، فيجوز عنده: إنَّ زيداً لسيقوم، وإنَّ زيداً لسوف يقوم[3].

أمَّا الكوفيُّون فلا يجوز عندهم دخول لام الابتداء على الفعل المضارع المقترن بالسين أو سوف، وعللوا ذلك بأنَّهما تخصصانه للاستقبال، ولام الابتداء تخصصه بالحال، فالجمع بين اللام والسين أو سوف جمعٌ بين متناقضين[4].

والبصريُّون يرون أنَّ اللام الداخلة على سوف هي لمجرَّد التوكيد، فلا يضرُّ دخولها على سوف[5].

ولذلك نصر ابنُ مالك مذهب البصريين فقال: "وأجاز البصريُّون: إنَّ زيداً لسوف يقوم، ولم يجزه الكوفيُّون، ولا مانع من ذلك فجوازه أولى"[6].

وقد أيَّد عبَّاس حسن مذهب الكوفيين، فذهب إلى وجوب حذف اللام من نحو: إنَّ الطائرة لستحضر، أو: لسوف تحضر[7].

وعوداً إلى رأي ابن عقيل في هذه المسألة، فالواضح أنَّه اطَّلع على ما قاله النحاة فيها، فاتَّخذ لنفسه مذهباً وسطاً، وهو ما سار عليه أغلب البصريين، من جواز دخول لام

---

(1) انظر: الجنى الداني: ص459.

(2) انظر: الارتشاف: 1263/3.

(3) انظر: شرح كتاب سيبويه، للسيرافي: 27/14.

(4) انظر: شرح الرضي على الكافية: 17/4.

(5) انظر: السابق، والموضع أيضاً، والجنى الداني: ص459.

(6) شرح التسهيل: 410/1.

(7) انظر: النحو الوافي: 662/1.

الابتداء والتوكيد على (سوف)، وذهب إلى تصحيحه، ولكنَّه لم يُنكر جواز دخولها على السين، بل جعله من القليل، وقد انفرد بهذا الرأي عن غيره من النحاة، ومما لاحظته على شرَّاح الألفيَّة أنَّ أغلبهم لم يناقش هذه المسألة، كالمرادي، والمكودي، وابن النَّاظم، وابن هشام، والأندلسي، وابن طولون، والأشموني.

المسألة السَّادسة/ القول في جواز حذف مفعولي (ظن)، أو حذف أحدهما:

اختلف النحاة في جواز حذف مفعولي (ظن)، أو حذف أحدهما اختصاراً، أي إذا دلَّ على المحذوف دليل، فذهب الجميع[1] إلى جواز حذف المفعولين إذا دلَّ دليل على حذفهما، كقول الشاعر[2]:

بِأيِّ كِتَابٍ أمْ بِأيَّةِ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهُمْ عَاراً عَلَيَّ وَتَحْسِبُ

أي: وتحسِبُ حبَّهم عاراً عليَّ.

وأمّا حذف أحدهما اختصاراً فقد جوَّزه جمهور النحاة، ومنعه بعضهم، وقد نسب كثير من النحويين المنع لابن ملكون، قال ابنُ هشام: "... ويمتنع بالإجماع حذف أحدهما اقتصاراً، وأمّا اختصاراً فمنعه ابنُ ملكون، وأجازه الجمهور ..."[3].

وقال الأزهريُّ: "... وأمّا حذف أحدهما اختصاراً، أي لدليل فمنعه أبو إسحاق ابنُ ملكون من المغاربة وطائفة"[4].

ونقل أبو حيَّان عن ابن عصفور أنَّ حذف أحد مفعولي (ظنَّ) اختصاراً قليل لا يقاسُ عليه، وعدَّه أبو حيَّان جنوح إلى مذهب ابن ملكون[5].

---

[1] انظر: توضيح المقاصد: 567/1، وأوضح المسالك: 70/2، والارتشاف: 2098/4، وشرح التصريح: 378/1.

[2] من الطويل، للكميت في: توضيح المقاصد: 566/1، والتذييل والتكميل: 9/6، والمقاصد النحوية، للعيني: 167/2، وشرح التصريح: 377/1، وغير منسوب في: شرح التسهيل لابن مالك: 73/2، وأوضح المسالك: 63/2، والشاهد فيه حذف المفعولين، وهو جائز بالإجماع.

[3] أوضح المسالك: 64/2.

[4] شرح التصريح: 378/1.

[5] انظر: التذييل والتكميل: 16/6.

وقد ذهب أبو حيان نفسُه إلى جوازه على قلَّة، فقال: "... وإنْ حذفتَ أحدهما اختصاراً جاز عند الجمهور على قلَّة"[1].

ونسب السيوطيُّ مذهب المنع إلى ابنِ الحاجب، وذكر أنَّ ابنَ عصفور وابنَ ملكون صحَّحاه، قياساً على باب كان[2].

وما وجدته عند ابن عصفور أنَّ حذف أحد المفعولين اختصاراً جائزٌ، ولكنَّه ضعيف[3].

وعلَّل المانعون من حذف أحد مفعولي (ظنَّ) المنع بأنَّهما متلازمان، لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر، فهما في الأصل مبتدأ وخبر، وإنْ جاز حذف المبتدأ أو الخبر فلعدم اللبس، وهنا يؤدِّي حذف أحد المفعولين إلى التباس ما يتعدَّى لمفعولين بما يتعدَّى لواحد[4].

وقد ردَّ كثير من النحاة مذهب المانعين، فوصفه بعضهم بعدم الصِّحَّة[5]، ووصفه غيرهم بمخالفة القياس والسماع[6]، فقد ورد السماع بالحذف، كقول الشاعر[7]:

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلا تَظُنِّي غَيْرَهُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ المُحَبِّ المُكْرَمِ

أي: واقعاً.

أمّا ابنُ عقيل فقد أيَّد ابنَ مالك في اشتراط ما يدلُّ على المحذوف، فقال: "فإنْ لم يدلَّ دليل على حذف لم يجُز، لا فيهما، ولا في أحدهما، فلا تقول: طننتُ، ولا ظننتُ زيداً، ولا ظننتُ قائماً، تريد: طننتُ زيداً قائماً"[1].

---

(1) الارتشاف: 2098/4.

(2) انظر: همع الهوامع: 226/2.

(3) انظر: المقرِّب: ص179.

(4) انظر: شرح الرضي على الكافية: 155/4، والهمع: 226/2.

(5) انظر: توضيح المقاصد: 567/1.

(6) انظر: المقاصد الشافية، للشاطبي: 493/2.

(7) من الكامل، لعنترة العبسي في: شرح التسهيل، لابن مالك: 72/2، وتوضيح المقاصد: 567/1، وشرح وشرح التصريح: 379/1، والمقاصد النحوية، 167/2، والشاهد فيه قوله: (فلا تظني غيره) حيث حذف المفعول الثاني، وتقديره: فلا تظني غيره واقعاً.

وقد أشار ابنُ عقيل إلى رأي الجمهور، ورأي المخالفين لهم في المسألة إشارة عابرة، وبعبارة مختصرة، مفادها أنَّ ابنَ مالك موافقٌ لرأي جمهور النحاة في جواز حذف مفعولي (ظنَّ) أو أحدهما إذا دلَّ على الحذف دليلٌ، ورجَّح ابنُ عقيل هذا الرأي بتصحيحه، فقال: "وهذا الذي ذكره المصنِّف هو الصحيح من مذاهب النحويين"[2].

المسألة السَّابعة/ هل يجوز حذف حرف الجرِّ المعدِّي للفعل اللازم ؟:

ذهب النحاة إلى أنَّ الفعل اللازم يتعدَّى بالجارِّ، نحو: عجبتُ منه، وجلستُ إليه، وغضبتُ عليه، وذهب جمهورهم إلى منع حذف حرف الجرِّ إلاَّ مع أفعال مسموعة تحفظ ولا يُقاس عليها، نحو قولهم: استغفرتُ الله ذنباً، أي من ذنبٍ[3]، ونصحته، وشكرته، أي: نصحتُ له، وشكرتُ له[4]، ولا يحذف الجارُّ قياساً مطَّرداً إلاَّ مع (أنَّ، وأنْ)[5]، نحو: عجبتُ من أنَّك قائمٌ، فيجوز: عجبتُ أنَّك قائمٌ، بشرط أمن اللبس، فإنْ ترتَّب على حذفه معهما لبسٌ امتنع حذفه، نحو: رغبتُ في أنْ تفعلَ، أو: عن أنْ تفعل، فلا يجوز في المثالين حذف حرف الجرِّ لعدم وضوح المراد بعد الحذف[6].

وعلَّل بعضهم جواز حذف الجارِّ مع (أنَّ، وأنْ) دون غيرهما بطولهما بالصلة، والطول يستوجب التخفيف[7].

ومما يجدر ذكره هنا أنَّ بعض النحويين نسب للأخفش الصغير القول بجواز حذف الجارِّ قياساً إذا تعيَّن، وإنْ كان مع غير (أنَّ، وأنْ)[1]، مخالفاً بذلك ما عليه جمهور

---

[1] شرح ابن عقيل: 57/2.

[2] انظر: السابق، والموضع أيضاً.

[3] انظر: شرح الرضي على الكافية: 484/1.

[4] انظر: أوضح المسالك: 159/2.

[5] انظر: أمالي ابن الحاجب: 686/2، وشرح الجمل لابن عصفور: 279/1، وشرح التسهيل لابن مالك: 150/2، والارتشاف: 2089/4.

[6] انظر: أوضح المسالك: 162/2، وشرح الأشموني: 164/2.

[7] انظر: شرح الجمل لابن عصفور: 279/1، وشرح الأشموني: 165/2.

النحاة، وقد ضعَّف ابن عصفور مذهبه بقوله: "وزعم علي بن سليمان الأخفش أنَّه يجوز حذف حرف الجرِّ إذا تعيَّن موضع الحذف والمحذوف قياساً على ما جاء من ذلك، نحو: بريتُ القلمَ السِّكِّينَ، يريد: بالسكين ..."[2]، وردَّ ابنُ مالك ما ذهب إليه الأخفش الصغير بقوله: "والصحيح أنْ يُتوقَّف فيه على السَّماع"[3].

أمّا ابنُ عقيل فقد أفاض في تفاصيل المسألة، فذكر أنَّ مذهب الجمهور أنَّه لا ينقاس حذف الجارِّ مع غير (أنَّ، وأنْ)، بل يُتوقَّف فيه على المسموع، ونسب إلى الأخفش الصغير ما نسبه له ابنُ عصفور وابن مالك وغيرهما من القول بجواز حذف الجارِّ مع غير (أنَّ، وأنْ) قياساً، بشرط تعيُّن الحرف، ومكان الحذف، ثمَّ رجَّح رأي الجمهور مصحِّحاً له، فقال: "وحاصله: أنَّ الفعل اللازم يصل إلى المفعول بحرف الجرِّ، ثمَّ إنْ كان المجرور غير (أنَّ، وأنْ) لم يجز حذف حرف الجرِّ إلاَّ سماعاً، وإنْ كان (أنَّ، وأنْ) جاز ذلك قياساً عند أمن اللبس، وهذا هو الصَّحيح"[4].

خاتمة:

وبعد، فإنَّ البحث خلُص إلى:

أوَّلاً: أكثَرَ ابنُ عقيل من استعمال التصحيح في ترجيح الأقوال والآراء النحويَّة التي اختارها.

ثانياً: يذكر ـ أحياناً ـ الرأيين أو الآراء الواردة في المسألة، وينسبها إلى أصحابها، ثمَّ يرجِّح ما يراه صحيحاً منها، كما في المسألة الأولى.

ثالثاً: ينبِّه ابنُ عقيل ـ أحياناً ـ إلى المذهب المشهور، ثمَّ يرجِّح خلافه، كما في المسألة الثانية.

---

[1] انظر: شرح الجمل لابن عصفور: 285/1، وشرح التسهيل لابن مالك: 150/2، وشرح الرضي على الكافية: 484/1.

[2] شرح الجمل: 285/1.

[3] شرح التسهيل: 150/2.

[4] شرح ابن عقيل: 153/2.

رابعاً: قد يقدِّم في العرض الرَّأيَ الذي يميل إليه ثمَّ يرجِّحه مصحِّحاً له.

خامساً: قد لا ينسب الآراء إلى أصحابها، ويكتفي بالإشارة إليها بإشارات عابرة؛ قصداً للاختصار، كما في المسألة الثالثة والسَّادسة.

سادساً: يملك ابنُ عقيل الجرأة والشجاعة في ترجيح الآراء الخلافية، والمسائل التي أحجم عن الخوض والترجيح فيها أغلب شُرَّاح الألفية، كما في المسألة الخامسة.

سابعاً: ترجيحاته ـ في عمومها ـ لا تخرج عن مذهب الجمهور من النحاة.

والحمد لله أوَّله وفي آخره، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّه وآله وصحبه.

فهرس المصادر والمراجع

ـ ارتشاف الضّرب، لأبي حيّان، تحقيق/ رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1998م.

ـ أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري، تحقيق/ الدكتور فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط1/1415هـ ـ 1995م.

ـ الأصول في النّحو لابن السرّاج، تحقيق/ عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط3، 1988م.

ـ ألفيَّة ابن مالك، ضبطها وقدَّم لها/ سليمان إبراهيم البلكيمي، دار الفضيلة، القاهرة، 2005م.

ـ أمالي ابن الحاجب، دراسة وتحقيق/ فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت، ودار عمار، عمان، ط/ 1409هـ ـ 1989م.

ـ الإنصاف، لابن الأنباري، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، 1998م.

ـ أوضح المسالك، لابن هشام، تحقيق/ محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ط/ 2004.

ـ الإيضاح في شرح المفصّل، لابن الحاجب، تحقيق الأستاذ الدكتور/ إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2/ 1431هـ ـ 2010م.

ـ الإيضاح في علل النحو، للزجاجي، تحقيق/ الدكتور مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط5/ 1406هـ.

ـ تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي، للصيمري، تحقيق د/ يحي مراد، دار الحديث، القاهرة ط/2005م.

ـ تحصيل عين الذهب في علم مجازات العرب، للأعلم الشنتمري، بهامش كتاب سيبويه، من دون تحقيق، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط3/ 1410هـ ـ 1990م.

ـ التذييل والتكميل في شرح التسهيل، لأبي حيَّان، تحقيق/ حسن هنداوي، دار القلم،

دمشق، ط1418/1هـ.

ـ التعريفات، للشريف الجرجاني، وضع حواشيه/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط3/ 2009م.

ـ التعليقة على كتاب سيبويه، للفارسي، تحقيق/ عوض القوزي، مطبعة الأمان ، القاهرة، ط1/ 1410هـ.

ـ توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي، تحقيق/ عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2001/1م.

ـ التوطئة، لأبي علي الشلوبيني، دراسة وتحقيق الدكتور/ يوسف أحمد المطوَّع، ط2/ 1981م.

ـ الجمل، للزجاجي، اعتنى بتصحيحه وشرح أبياته/ ابن أبي شنب، مطبعة جول كربونل بالجزائر، سنة 1926م.

ـ الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق الدكتور/ فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1413هـ ـ 1992.

ـ ديوان امرئ القيس، اعتنى به وشرحه/ عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط5/ 1433هـ ـ 2012م.

ـ رصف المباني، للمالقي، تحقيق الدكتور/ أحمد محمد الخرَّاط، دار القلم، دمشق، ط2/ 1405هـ.

ـ شرح ابن طولون على الألفيَّة، تحقيق وتعليق الدكتور/ عبد الحميد جاسم محمد الفيَّاض الكبيسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1423هـ ـ 2002م.

ـ شرح ابن عقيل على الألفية، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1980/20م.

ـ شرح ابن الناظم، تحقيق/ عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط/ 1998م.

ـ شرح الأندلسي، تحقيق/ الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية

للتراث، القاهرة، ط/1420 هـ ـ 2000م.

ـ شرح الأشموني، تحقيق/ محمد محي الدّين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1955م.

ـ شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق/ محمد عطا، وطارق السيِّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2/ 2009م.

ـ شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لناظر الجيش، تحقيق/ علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1/ 2007م.

ـ شرح التّصريح للأزهري، إعداد/ محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 2000م.

ـ شرح جمل الزجاجي، لابن خروف، من الأول حتى نهاية باب المخاطبة، إعداد الدكتورة سلوى محمد عمر عرب، بحث مقدم درجة الدكتوراه في النحو، كلية اللغة العربية بمكة المكرمة، سنة 1419هـ.

ـ شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه/ فوَّاز الشَّعَّار، إشراف الدكتور/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1419هـ ـ 1998م.

ـ شرح جمل الزجاجي، لابن الفخار، تحقيق/ الدكتورة روعة محمد ناجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1434 هـ ـ 2013م.

ـ شرح الرّضيّ على الكافية، تحقيق/ يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2/ 1996م.

ـ شرح شذور الذهب، لابن هشام، تحقيق/ حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط1/ 1408هـ ـ 1988م.

ـ شرح عيون الإعراب، لابن فضَّال المجاشعي، حققه/ الدكتور عبد الفتاح سليم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1/ 1428 هـ ـ 2007م.

ـ شرح كتاب سيبويه، المسمى تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب، لابن خروف، دراسة وتحقيق/ خليفة محمد بديري، منشورات كلية الدعوة ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، ط1/ 1995م.

ـ شرح كتاب سيبويه، للسّيرافيّ، تحقيق/ أحمد حسن مهدلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2/ 2012م.

ـ شرح اللمع في النحو، للضرير، تحقيق/ رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1/ 1420هـ.

ـ شرح مغني الجاربردي، للميلاني، تحقيق/ الدكتور عبد القادر الهيتي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1/ 1998م.

ـ شرح المفصّل لابن يعيش، من دون تحقيق، عالم الكتب، بيروت، من دون تاريخ.

ـ علل النحو، للورَّاق، تحقيق/ محمود محمد محمود نصار، دار التب العلمية، بيروت، ط2/ 2008م.

ـ الفواكه الجنية على متممة الآجرُّومية، للفاكهي، تحقيق/ محمود نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1425 هـ ـ 2004م.

ـ الكتاب لسيبويه، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

ـ لسان العرب لابن منظور، تحقيق/ عبد الله علي الكبير، وآخرَين، دار المعارف، القاهرة، من دون تاريخ.

ـ اللمع، لابن جنِّي، حققه الدكتور/ فائز فارس، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد ـ الأردن، ط2/ 1421هـ.

ـ مجالس العلماء، للزجاجي، تحقيق/ عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3/ 1420هـ.

ـ المسائل البغداديَّات، للفارسي، دراسة وتحقيق/ صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، 1983م.

ـ المسائل البصريَّات، للفارسي، تحقيق ودراسة/ الدكتور محمد الشاطر أحمد، مطبعة

المدني، القاهرة، ط1/1405 هـ ـ 1985م.
ـ معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، شرح وتحقيق/ الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1/1408 هـ ـ 1988م.
ـ معاني القرآن، للأخفش، تحقيق الدكتورة/ هدى قراعة، الناشر/ مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1/ 1411هـ.
ـ المفصَّل، للزمخشري، تحقيق الدكتور/ علي أبو ملحم، الناشر/ مكتبة الهلال، بيروت، ط1/ 1993م.
ـ المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي، تحقيق الدكتور/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1/ 2007م.
ـ المقاصد النّحويّة، للعينيّ تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 2005م.
ـ المقتضب للمبرّد، تحقيق/ محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، من دون تاريخ.
ـ المقرِّب، لابن عصفور، تحقيق/ عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1998م.
ـ نتائج الفكر، للسهيلي، حققه الشيخ عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1412هـ.
ـ النحو الوافي، لعباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط3/1974م.
ـ همع الهوامع للسيوطي، تحقيق/ عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، من دون تاريخ.

* * *

الحكـم الرشيــد "دراسة في المقومات والتحديات "

د. علي محمد مصطفى ديهوم
أ. عزالدين عبدالحفيظ أبوشينة

مقدمـة:

تزامنت الفترة الأخيرة من القرن العشرين، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بتصاعد موجة المطالبة بالديمقراطية في مختلف دول العالم، وارتبط ذلك بظهور أنماط حكم وفلسفات دعت إليها المنظمات الدولية بهدف التقليص من مستويات الفقر ودفع التنمية لتحقيق أهداف تكون أكثر اهتماماً بالإنسان.

لذا فقد طرحت الدوائر السياسية والبحثية مفهوم الحكم الرشيد كمفهوم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتحقيق التنمية البشرية الشاملة والمستدامة، حيث استخدم هذا المفهوم في نهاية عقد التسعينات من القرن العشرين، من قبل مؤسسات الأمم المتحدة لإعطاء حكم قيمي على ممارسة السلطة السياسية لإدارة شئون المجتمع باتجاه تطويري وتقدمي، حيث يستند الحكم فيها إلى قيادات سياسية منتخبة وكوادر إدارية ملتزمة بتطوير المجتمع وبتقديم المواطنين وتحسين نوعية حياتهم وذلك برضاهم ومشاركتهم ودعمهم، وجدية أسلوب الحكم في التعامل مع المجتمع وأفراده على أساس الحوار بين الحاكم والمحكوم، ووجود أدوات المراقبة والمحاسبة وآليات فعالة وسليمة لاتخاذ القرارات التي تؤثر في حياة الأفراد ويشجع على العدالة والمساواة ويخلق ويحفز الاحترام والثقة المتبادلة.

إشكالية البحث:

تدور مشكلة البحث حول التساؤل الرئيسي وهو: ماهي طبيعة الحكم الرشيد والتحديات التي تواجهه ؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من خلال تعرضه لموضوع مهم يشغل اهتمام الباحثين والمفكرين والسياسيين وهو الحكم الرشيد .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

1. تحديد طبيعة الحكم الرشيد.
2. تحديد مقومات الحكم الرشيد .
3. تحديد التحديات التي تواجه الحكم الرشيد.

منهجية البحث:

سيتم استخدام المنهج التحليلي والمقارن.

تقسيمات البحث:

وللبحث في هذا الموضوع سيتم تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة محاور هي:

- **أولاً:** مفهوم الحكم الرشيد.
- **ثانياً:** مقومات الحكم الرشيد .
- **ثالثاً:** تحديات بناء الحكم الرشيد.

أولاً: مفهوم الحكم الرشيد:

تعتبر هذه المفاهيم مثيرة للجدل بين الباحثين والمفكرين في مجال العلوم السياسية والعلوم الاجتماعية بصفة عامة، كما تعتبر محاولة ضبط المفاهيم الخطوة الأولى والمفتاحية التي من خلالها يتم الولوج في عالم البحث حيث سنحاول في هذا الجانب ضبط أهم المفاهيم التي تمثل متغيرات هذا البحث وهي مفهوم الحكم الرشيد، حيث يمكن القول أن هذا المصطلح ولد مع الدعوات الجديدة إلى إعادة بناء الديمقراطية وتبني الإصلاحات الاقتصادية، وتوسيع وظيفة المجتمع المدني في ظل أطر عمل تتسم بالشفافية والمشاركة.

نشير في البداية إلى أن مفهوم الحكم الرشيد تعتريه عدة إشكالات منهجية كباقي المفاهيم الاجتماعية الأخرى منها إشكالية الترجمة، فلا يوجد هناك ترجمة حرفية باللغة العربية تعكس نفس الدلالة التي تعكسها اللغة الإنجليزية والفرنسية فعلى سبيل المثال

هناك عدة دلالات للمفهوم منها، الحكم الرشيد، أسلوب الحكم، الحاكمية، الحاكمة، الحكم الجيد، إدارة شئون الدولة والمجتمع ...الخ.

إلى جانب هذا لا يوجد هناك تعريف واحد موحد يعبر عن المعنى الدقيق للمفهوم بل هناك أكثر من تعريف وهذا ما يثير الجدل حول طبيعة ومحتوى هذا الأخير.

حيث أسهم الكثير من المفكرين والعلماء بالإضافة إلى العديد من المؤسسات في وضع تعريف لهذا المفهوم وسنحاول إبراز أهم التعريفات لمصطلح الحكم الرشيد:

1. إسهامات المؤسسات والمراكز الدولية:

- **تعريف البنك الدولي:**

لقد قدم البنك الدولي أول تعريف للمفهوم حيث عرفه بأنه "أسلوب ممارسة القوة في إدارة الموارد الاقتصادية والاجتماعية، وهو بذلك يقترب من تعريف عالم السياسة الأمريكي "ديفيد أستون" لعلم السياسة "التوزيع السلطوي للقيم" حيث يتضمن كلاهما ممارسة السلطة أو القوة في توزيع القيم.

استخدم أستون السلطة في تعريفه بينما البنك الدولي حرص على استخدام كلمة القوة "تشمل السلطة والنفوذ" وتعبر أيضاً عن الأساليب الرسمية وغير الرسمية في الإدارة والحكم.

وبالتالي تسمح بوجود أدوار فاعلين رسميين وغير رسميين، وينطلق البنك الدولي من فكرة تطوير المؤسسات "مجموعة القواعد الرسمية وغير الرسمية، وسلوكيات الأفراد والمنظمات ويتضمن العمليات والمؤسسات التي تمارس من خلالها السلطة في بلد ما،

معتمدة في ذلك على التسيير الحسن للمؤسسات واختيار السياسات وتنسيقها، من أجل تقديم خدمات جيدة وفعالة". [1]

- **تعريف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي "UNDP":**

يعرفه البرنامج بأنه "ممارسة السلطة الاقتصادية والسياسية والإدارية لإدارة شئون الدولة على كافة المستويات، ويشمل الآليات والعمليات والمؤسسات التي من خلالها يعبر المواطنون والمجموعات عن مصالحهم ويمارسون حقوقهم القانونية ويوفون بالتزاماتهم ويحاولون حل خلافاتهم عن طريق الوساطة".

والجدير بالذكر أن هذا التعريف تضمن كل الجوانب السياسية والإدارية والاقتصادية، ويعد الحكم الرشيد بمثابة الحكم الذي يمكن الإنسان من العيش بحرية واستقرار من جهة، وتشارك المؤسسات والآليات والقواعد الرسمية وغير الرسمية في تجسيد الرفاهية والمصالح العامة في الواقع من جهة أخرى. [2]

- **تعريف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية:**

حيث يشمل هذا "التعريف مجموع العلاقات بين الحكومة والمواطنين سواء أفراد أو كجزء من المؤسسات السياسية والاقتصادية، ويؤكد هذا التعريف على أن مفهوم الحكم لا يرتكز فقط على فعالية المؤسسات وإنما يشمل القيم التي تحتويها المؤسسات مثل المسألة والرقابة والنزاهة". [3]

- **تعريف تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام (2002):**

([1])– حسين عبد القادر، الحكم الراشد في الجزائر وإشكالية التنمية المحلية، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة أبي بكر بلقايد الجزائر، 2012، ص25.

([2])– بشره وعلي محمد أمين، آليات الحكم الراشد في إدارة التنوع الثقافي "دراسة تحليلية مقارنة"، رسالة ماجستير في العلوم السياسية من جامعة السليمانية العراق، 2014، ص10.

([3])– سلوى شعراوي جمعة وآخرون، إدارة شئون الدولة والمجتمع، ط1، (القاهرة: مركز دراسات واستشارات, بلا. ت)، ص4.

وفقاً لهذا التقرير فإن الحكم الرشيد هو "الحكم الذي يعزز ويدعم ويصون رفاه الإنسان ويقوم على توسيع قدرات البشر وخياراتهم وفرصهم وحرياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويسعى إلى تمثيل كافة فئات الشعب تمثيلاً كاملاً، ويكون مسئولاً أمامه لضمان مصالح جميع أفراد الشعب". [1]

وبهذا يركز هذا التعريف على الهدف النهائي من الحكم الرشيد ويؤكد على التمثيل الكامل للشعب في الحكم، لكي يحقق المصالح العامة لكل فئات الشعب.

- **تعريف منظمة الأمم المتحدة:**

لقد تم استخدام مصطلح الحكم الرشيد من قبل الأمم المتحدة منذ أكثر من عقدين من الزمن لإعطاء حكم قيمي على ممارسة السلطة السياسية لإدارة شئون المجتمع باتجاه تطويري تنموي وتقدمي أي أنه يرمز إلى "الحكم الذي تقوم به قيادات سياسية منتخبة وكوادر إدارية ملتزمة بتطوير موارد المجتمع وبتقدم المواطنين وبتحسين نوعية حياتهم ورفاهيتهم وذلك برضاهم وعبر مشاركتهم ودعمهم". [2]

- **تعريف لجنة الحكم العالمية:**

حيث تعرف الحكم الرشيد بأنه "مجموع مختلف الطرق والأساليب التي يقوم بها الأفراد والمؤسسات العمومية والخواص بتسيير أعمالهم المشتركة بطريقة مستمرة يطبعها التعاون والمصالحة والتوفيق بين المصالح المختلفة وتلك المتنازع حولها، كما يدير هذا الحكم تدرج المؤسسات الرسمية والأنظمة المزودة بالصلاحيات التنفيذية والترتيبات

([1])– البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، تقرير التنمية الإنسانية العربية، 2007، عمان الأردن، ص101.

([2])– حسن كريم، مفهوم الحكم الصالح في ندوة الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص96.

والتعديلات الرسمية التي على أساسها تكون الشعوب والمؤسسات قد وقعت بصفة توافقية لخدمة مصالحها العامة خدمة للجميع". [1]

- **تعريف الوكالة الكندية للتنمية الدولية:**

حيث عرفت الحكم الرشيد بأنه "الحكم القادر على بناء المؤسسات الديمقراطية القادرة على إيجاد حلول للمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية توسيع المشاركة السياسية". [2]

2. إسهامات المفكرين والشخصيات الدولية:

- **تعريف السيد "كوفي عنان" الأمين العام السابق للأمم المتحدة:**

يعرفه بأنه "ضمان احترام حقوق الإنسان وحكم القانون، وتعزيز الديمقراطية، والشفافية والقدرة في مجال الإدارة العامة، فالحكم الرشيد هو مصطلح يرمز إلى فعل نقلة نوعية لدور الحكومات تجاه الحقوق والكفاءة في الإدارة والشفافية في الحكم بما يخدم المواطنين في نهاية المطاف". [3]

- **تعريف "Marcou, Rangeon et Thiebault":**

يعرف الحكم الرشيد بأنه هو "الأشكال الجديدة والفعالة بين القطاعات الحكومية والتي من خلالها يكون القطاع الخاص وكذلك المنظمات العمومية والمجتمعات الخاصة بالمواطنين أو أي أشكال أخرى يأخذون بعين الاعتبار المساهمة في تشكيل السياسة". [4]

- **تعريف عبد الرزاق مقرئ:**

يعرفه بأنه هو الحكم الذي يقدر على ضمان حاجات الناس الآن، وحاجات

([1])– حسين عبد القادر، مصدر سابق، ص27.

([2])– ستار شرهان الزهيري، الإصلاح الاقتصادي بين الإدارة والديمقراطية واقتصاد السوق، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد السابع، ص77.

([3])– بشيرة وعلي محمد أمين، مصدر سابق، ص11.

([4])– حسين عبد القادر، مصدر سابق، ص28.

الأجيال القادمة، ولا يكون ذلك إلا بإدراك الحاكم لضروريات التنمية الاقتصادية وآثارها على حياة الناس وفي استقرار البلد وانسجامه وسيادته. [1]

- **تعريف "Hewit, cyntyia":**

بأنه "القدرة على التسيير الفعال لكل المنظمات ويتجلى ذلك في اتخاذ القرارات الملائمة بدقة والبحث عن الديناميكية على مستوى النشاط الجماعي لخدمة الصالح العام والخاص".[2]

وفي ظل هذه التعريفات يمكن القول بأن تعريف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أكثر دقة ووضوحاً من التعريفات الأخرى، وأكثر قابلية للبحث والتقصي وخاضع للمعايير التي يمكن قياسها واستخدامها في المقارنة بين الحالات المختلفة، وبهذا فإنه في ظل الحكم الرشيد تكون موارد الدولة في خدمة التطور والتنمية وخاضعة للتوزيع العادل بين المواطنين بشكل شفاف وقابل للمساءلة ويراعى فيه المشاركة والمساءلة والشفافية وحكم القانون والتنظيم والتخطيط الإستراتيجي.

ثانياً: مرتكزات ومقومات الحكم الرشيد:

يقوم الحكم الرشيد في الدول على مجموعة من المبادئ والمرتكزات والمقومات التي تشكل مضمون هذا النوع من الحكم، وقد استقر في الذهن السياسي والإنساني أن الحكم الرشيد يعتمد على تكامل عمل الدولة ومؤسساتها، والقطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني التي تتكون من مجموعات منظمة أو غير منظمة، ومن أفراد يتفاعلون اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وينظمون بقواعد وقوانين رسمية وغير رسمية، وهو ممارسة السلطة السياسية والاقتصادية والإدارية لإدارة شئون بلد ما على المستويات كافة، وهو

(1)– عربي محمد، الديمقراطية والحكم الرشيد، مجلة السياسة والقانون، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، عدد خاص، أبريل 2011، ص372.

(2)– كريمة يقدي، الفساد السياسي وأثره على الاستقرار السياسي في شمال أفريقيا، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة أبوبكر بلقايد، الجزائر، 2012، ص229.

الأنظمة والإجراءات التي تحكم على ممارسة السلطة السياسية باسم الدستور ومن ذلك اختيار القيادات وتداول السلطة ويعمل على تخصيص الثروات وإدارتها لتلبية الاحتياجات الإنسانية ويمكن إجمال أهم المبادئ والمرتكزات بالآتي:

1. المشاركة:

تعد المشاركة في إدارة الشئون العامة معياراً حيوياً وكجزء وكشرط للمساءلة الفعلية، فالمشاركة هي حجر الزاوية للحكم الرشيد، يتعين على المشاركة أن تقدم فرصة عادلة لجميع المواطنين في إدارة الشئون العامة بغض النظر عن طبقتهم ونوعهم الاجتماعي، وتكون المشاركة على المستوى الحكومي من خلال المشاركة في تحسين الأداء واستدامة السياسات والبرامج والمشاريع وتحسين تصميم وتنفيذ البرامج والمشاريع العامة.

أما المشاركة في القطاع الخاص أو في الحياة الاقتصادية تؤدي إلى تعزيز الأداء الاقتصادي الوطني وتحقيق التنمية المستدامة، هذا وتبرز أهمية المشاركة على مستوى المجتمع المدني من خلال تقديم وسيلة بديلة لتوجيه طاقات المواطنين، وتحديد مصالح الشعب وتعبئة الرأي العام لدعم هذه المصالح وتنظيم العمل وفقاً لذلك، فالمجتمع المدني يشكل حليفاً مفيداً في تعزيز المشاركة مع القطاع الحكومي والخاص. [1]

2. الشرعية:

تعد الشرعية السياسية محصلة لصورة التفاعل بين السلطة وبين المواطنين إذ أنها تقوم على القبول الطوعي للسلطة من قبل المواطن، على أساس الوثوق بها فيما تخطط وتنفذ من سياسات، ليس من حيث نجاعتها فقط، ولكن من حيث أنها أصلاً مستلهمة من تطلعات الناس، إذ هي تطابق قيم النظام السياسي مع قيم المجتمع.

([1])– عبد العزيز خيرة، الحكم الراشد بين الفكر العربي والإسلامي "دراسة مقارنة"، رسالة دكتوراه غير منشورة في العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2014، ص30.

ويرى "ماكس فيبر" أن النظام السياسي يكون شرعياً أي صالحاً وراشداً، عند الحد الذي يشعر فيه المواطنون بالرضا عن هذا النظام، وينشأ عن هذه الشرعية استقرار الحالة التصالحية بين الحاكم وبين المحكومين، ويشترط موريس أن يتأتى الرضا عن قبول اختياري وعميق، وليس ما يمكن تحقيقه عن طريق أداة خارجية أي بالضغط أو الإكراه، أو الإغراء أو الترهيب أو الترغيب، ويؤكد "ديفيد ايستون" أن اليقين والحق هما مهد الشرعية، وأن هذا اليقين لدى المواطن يعكس بشكل ضمني أو صريح، حقيقة إيمانية بأن أمور القبول والطاعة هي مطابقة لمبادئه وأخلاقه ولما هو صحيح ومحقق في المجال السياسي.

وهكذا فإن مفهوم الشرعية يشير بمدلولاته الدقيقة إلى شرعية السلطة القائمة، من حيث صلاحيتها كسلطة، أي الأمر الذي يستوجب التكلف بالطاعة، وهنا لابد من فهم شرعية المعارضة كونها تعبيراً عن وجهات نظر أخرى حول تحقيق المصلحة العليا للدولة وللمواطنين واجتهادات ربما تختلف مع آراء السلطة. [1]

3. الشفافية:

وهي ترمز إلى حق المواطنين في التعرف والاطلاع على المعلومات الضرورية والموثوقة وتعتبر الحكومة والمؤسسات الاقتصادية العامة والخاصة مثل البنوك، المصدر الرئيسي لهذه المعلومات، ويجب نشرها واطلاع المواطنين عليها بطريقة علنية ودورية من أجل توسيع دائرة المشاركة والرقابة والمحاسبة من جهة، وتقليص الفساد من جهة أخرى، كما أن للكلمة تعريفاً سياسياً واقتصادياً لها دلائل كثيرة وهو: "توفر المناخ الذي يتيح للكافة المعلومات أو البيانات أو أساليب اتخاذ القرار المتعلقة بالأفراد أو الشركات ذوي الصفة العامة، وهكذا فهناك ثلاثة مكونات المعلومات الشفافة وهي: أن تكون متاحة

(1)- أمين عواد المشاقبة، المعتصم بالله داود علوي، الإصلاح السياسي والحكم الرشيد "إطار نظري"، ط1، (عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2012)، ص ص59-60.

لجميع المواطنين وأن تكون وثيقة الصلة بالموضوع مع إمكانية الاعتماد على المعلومات. (1)

4. دورية الانتخابات:

تعتبر دورية الانتخابات، من أجل تحديد القيادات، ركناً أساسياً من الديمقراطية، ودلالة على مدى رشادة الحكم السياسي.

وهنا لابد من الانتباه إلى أن اختيار نوع النظام الانتخابي وكيفية تنظيم الانتخابات، تشكل مجالاً واسعاً للتلاعب بخيارات الناس، وتحد من مشاركتهم وبالتالي تنتقص من درجة الرشادة في الحكم. (2)

5. المساءلة والمحاسبة:

يقصد بها أن يكون جميع المسئولين والحكام ومتخذي القرار في الدولة أو القطاع الخاص أو مؤسسات المجتمع المدني، خاضعين لمبدأ المحاسبة أمام الرأي العام ومؤسساته دون استثناء، والغرض من عملية المساءلة والمحاسبة هو الحد من الفساد واستخدام الموقع الوظيفي لأغراض شخصية، وللمساءلة صور عديدة منها:

أ- **المساءلة الذاتية:** وتتجلى فيما تزرعه العقائد الدينية والمبادئ والأخلاق الفاضلة من تجنب الفساد بكل صوره، وتوسيع دائرتي الثواب، والعقاب، الأمر الذي يجعل العقيدة قوة رادعة للفساد ورقابة ذاتية، فهذا المستوى من المساءلة الذاتية النابعة من الخوف من الله والرغبة في ثوابه هو أرقى صبغة للمساءلة وأقلها كلفة.

ب- **المساءلة المجتمعية:** حين تتحقق المشاركة السياسية الفاعلة من حرية التعبير وانتخاب وتشكيل الأحزاب وشفافية القرارات واستقلالية القضاء وحرمة المال العام وتحرير الإعلام، فإننا سنصبح أمام بيئة صحية تتصف بالمساءلة.

---

(1)- هاني توفيق، "الشفافية والمساءلة .. رفاعية أم ضرورة"، مجلة الإصلاح الاقتصادي، العدد 12، يناير 2005، ص12.

(2)- أمين عواد المشاقبة، المعتصم بالله داود علوي، مصدر سابق، ص62.

ج- **المساءلة الداخلية:** وتتمثل في مجموعة الضوابط التي تحكم أداء المؤسسات من تعريف الصلاحيات وشروط التوظيف والتدريب المستمر والتدقيقين الداخلي والخارجي والشفافية وغيرها من الآليات التي تقلل من إمكانية سوء استغلال المسئولية.

كما يمكن تقسيم الرقابة والمساءلة إلى المساءلة التنفيذية والمساءلة البرلمانية والمساءلة القضائية. [1]

وبهذا فإن أي مجتمع أو نظام سياسي يعمل على تطبيق المساءلة يستطيع ضمان التقدم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ويتحقق الحكم الرشيد.

6. سيادة القانون:

يتطلب الحكم الرشيد أطر قانونية عادلة ونزيهة فسيادة القانون تعني الحفاظ على نزاهة وفعالية النظام القانوني واستقلالية السلطة القضائية وكل وكالات وجهات تطبيق القانون بصورة محايدة وغير قابلة لعدم المساءلة والمحاسبة، كما تتطلب سيادة القانون حماية الحقوق الكاملة للإنسان، والحفاظ على الإطار الجيد للقانون وتحقيق العدالة، كما يوفر القانون آليات لحل النزاعات والوصول المتكافئ إلى العدالة، فالسيادة هي بمثابة الإطار الذي يضمن فيه السير الجيد للحكم الرشيد ولذا فإنه يعد مرتكزاً أساسياً للحكم الرشيد. [2]

7. التوافق:

التوافق هو عملية تعبئة الموارد وتحديد فرص الأداء أمام الأفراد والجماعات داخل النظام والتوافق يرمز إلى القدرة على التوسط والتحكيم بين المصالح المتضاربة من أجل الوصول إلى إجماع واسع حول مصلحة الجميع، وتقوم التوافقية على فكرة جوهرية هي "أن الميول الصراعية المتأصلة في قيمة المجتمع التعددي تقابلها ميول تعاونية أو تصالحية على مستوى زعماء المجموعات المكونة له، ومن شأن السلوك التعاوني كبح

([1])- بشيرة وعلي محمد أمين، مصدر سابق، صص34-35.

([2])- خيرة بن عبد العزيز، مصدر سابق، ص31.

جماح العنف، على الصعيد القاعدي، ومن ثم تحقيق الاستقرار السياسي، وخاصة في الدول ذات التركيبة السكانية المتعددة وهي ما تعرف بالدولة التوافقية وتعني "الدولة التي يكون سكانها من أقليات عرقية ودينية ولغوية متنوعة، ولا يشكل كل واحد منها الأغلبية".[1]

8. الكفاءة والفعالية:

وهي تعني أن الحكم الرشيد بمؤسساته وآلياته يعمل على تحقيق نتائج تلبي احتياجات المجتمع بشرط الاستفادة القصوى من الموارد المتاحة لهم، ومفهوم الكفاءة في سياق الحكم الرشيد تعني أيضاً الاستخدام المستدام للموارد الطبيعية وحماية البيئة، فالفعاليات الاقتصادية تتطلب ضمانات معقولة حول السلوك المستقبلي للمتغيرات الرئيسية والحكومات بحاجة إلى الاستجابة بمرونة للظروف المتغيرة من خلال الترتيبات المؤسسية المناسبة، ولقد حدد برنامج الأمم المتحدة الإنمائي مجموعة من الأسس الخاصة بالكفاءة وهي:

- الجاهزية والاستجابة للخدمات المقدمة ولاقتراحات أفراد المجتمع.
- التوجه نحو الاجتماعية لتحقيق التوافق بين المصالح والفئات المختلفة داخل المجتمع.
- الرؤية الإستراتيجية.
- البيئة السليمة. [2]

9. المساواة:

تعد المساواة مبدأ من المبادئ الدستورية الأساسية في معظم الدساتير الوضعية وهي تعني أن الناس جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات، لا فرق بين الناس على أساس اللون والصفة ولا حاكم ولا محكوم، وهذه المساواة ضرورية لتحقيق مختلف أبعاد التنمية البشرية ومن الأدوات الفاعلة لتحقيق هذه الغاية التعليم.

([1])– بشيرة وعلي محمد أمين، مصدر سابق، صص30–31.

([2])– خبرة بن عبد العزيز، مصدر سابق، ص32.

وكذلك تعد المساواة المفتاح الرئيس للوصول إلى الديمقراطية الحقيقية وكفالة الحرية، إذ أن المجتمع الذي تنعدم فيه المساواة، وتسود روح التمييز والتفريق يصل به الأمر في النهاية إلى الإنكار التام للحرية، ولا يقصد بالمساواة بين الناس المعنى المطلق لأن المساواة في الحقوق والواجبات لا تعني أن كل المواطنين متساوون في كل شيء، بل يقوم القانون بتحديد الحقوق والواجبات والجميع متساوون أمام القانون؛ لأن الطبيعة قد فرقت بين الأفراد في القدرات والمواهب ويقصد بالمساواة على إطلاقها غياب كل معاملة تفضيلية بين الأطراف في علاقة قانونية معينة، وينطبق مبدأ المساواة بطريقة عامة على جميع المجالات، وهذا يعني أن جميع الأشخاص وجميع المراكز يجب أن تعامل بطريقة مماثلة طبقاً لنفس القواعد ولنفس النظام القانوني، ويشمل المساواة أمام القانون، ثم المساواة في ممارسة الحقوق السياسية، والمساواة في تولي الوظائف العامة، والخدمات العامة، وأخيراً المساواة أمام القضاء.

ومن هنا فإن مشكلة عدم المساواة هي المشاكل المتفاقمة في كثير من المجتمعات وتحديد المجتمعات النامية، ولذلك تعتبر المساواة من أهم مرتكزات ومبادئ الحكم الرشيد. [1]

10. بناء الثقة بين مكونات المجتمع:

وهي تقوم على أساس بناء علاقة سليمة وواضحة بين المواطنين والدولة وبين بقية المكونات في المجتمع، ومن خلال ثقة هذا المواطن بأن ما يؤديه من التزامات وواجبات نحو الدولة يلاقي كل تقدير واحترام من قبل السلطة، وبالتالي فإنها تقوم هي بدورها بأداء واجبها نحو هذا المواطن، وبذلك يكون الأمر في النهاية متعلق بحسن سلوك القائمين على الشأن العام.

وما أن تتحقق هذه الثقة حتى يصبح المواطن أكثر استعداداً للقبول بالمجهود العام، وبالتالي يغدو مستعداً لتحمل كل مسئولياته كدفع الضرائب، وتأدية الرسوم والانخراط في الخدمة العامة، كما يصبح راضياً عن أي قرار تصدره الدولة وإن كان

([1])– بشيرة علي محمد أمين، مصدر سابق، ص35.

يصيبه بشيء من الأذى الشخصي، لإيمانه أن هذه السلطات لم تعدم وسيلة إلا واتخذتها في سبيل تجنيبه هذا الأذى، ويمكن بناء مثل هذه الإستراتيجية من خلال:

- تحقيق العدالة في توزيع التكاليف العامة.
- تمكين كل المواطنين بالتساوي من الحصول على حقوقهم دون تمييز.
- جودة الخدمات والإسهام في تأديتها.
- الحرص على الملكية العامة وحمايتها.
- بيان طرق الإنفاق والكشف عن مصادر الأموال.
- اعتماد مبادئ الوظيفة العامة وأخلاقياتها. [1]

11. الرؤية الإستراتيجية:

حسب مفهوم الحكم الرشيد، فإن الرؤية تتحدد بمفهوم التنمية بالشراكة بين مؤسسات الدولة والقطاع الخاص من خلال خطط بعيدة المدى لتطوير العمل المجتمعي من جهة وأفراده من جهة أخرى والعمل على التنمية البشرية، وحتى يتم تحقيق النتائج الإيجابية في رسم الخطط ضمن إطار الحاكمية الرشيدة، يجب الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الداخلية والخارجية ودراسة المخاطر ومحاولة وضع الحلول، ويشير مصطلح الرؤية الإستراتيجية إلى التصورات الفكرية لتحقيق الأهداف التي يتعذر تحقيقها في ظل الإمكانيات والظروف الحالية، إلا أن من الممكن بلوغها على المدى الطويل، وهو بلوغ يقتضي وضوح الرؤية الإستراتيجية كونها الأساس النظري الذي تبنى عليه الخطط الإستراتيجية الهادفة لتحقيق هذه الأهداف على المدى الطويل، وتعتمد الرؤية على مبدأ التقسيم الزمني للأهداف وتوزيعها على مراحل زمنية تتسم بالمرونة التي تعطي الرؤية الإستراتيجية قدرة التكيف مع المتغيرات غير المنتظرة والمفاجآت وأيضاً قصور التخطيط الإستراتيجي وهي عوامل تؤدي إلى تأجيل تطبيق الرؤية الإستراتيجية أو تنفيذها دون أن تلغيها.

(1)– أمين عواد المشاقبة، المعتصم بالله داود علوي، مصدر سابق، ص68.

والتخطيط الإستراتيجي هو عملية اتخاذ قرارات منظمة تسلط الأضواء على القضايا المهمة وكيفية حلها وتوفر عملية تخطيط الإطار العام للعمل: أسلوب لتحديد الأولويات واتخاذ خيارات حكيمة مع تحديد الموارد "المال، الوقت، المهارات"، وذلك بقصد تحقيق أهداف متفق عليها، وينبغي على ممثلي الدولة من أجل خدمة الجيل الحاضر وتأمين المستقبل، أن تكون لديهم رؤية ومنظور طويل الأجل بشأن ما هو مطلوب لتحقيق التنمية، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والمعتقدات التاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية والاقتصادية والجغرافية.

ثالثاً: تحديات بناء الحكم الرشيد:

لقد أشرنا فيما سبق أنه لا يمكن الحديث الحاد عن الحكم الرشيد بدون الديمقراطية الحقيقية، وكذلك نشير الآن إلى أن الحكم الرشيد هو الضامن لتحويل النمو الاقتصادي إلى تنمية إنسانية مستدامة، لكن هذا التحول لا يتم من غير مواجهة العواقب والتحديات وسنحاول الإشارة إلى بعض التحديات التي تواجه الحكم الرشيد وهي كالآتي:

1. بناء الشرعية وإجراء الانتخابات:

يقوم الحكم الرشيد على أساس وجود سلطة سياسية تتمتع بالشرعية وذات بعد شعبي أي أنها وصلت إلى الحكم عن طريق الإرادة الشعبية وبواسطة انتخاب الهيئات المركزية والمحلية بطريقة شفافة ونزيهة، ولا يمكن الحديث عن حكم رشيد دون وجود المؤسسات والتداول السلمي للسلطة والإقرار بالتعددية وانتخابات عامة ودورية ونزيهة، وفي غياب الشرعية التي تستمد إلى إرادة الأغلبية لجأت معظم الأنظمة الغير ديمقراطية إلى الاستناد إلى شرعيات تقليدية قبلية وقومية، ثورية وغيرها وهذا جعلها تواجه أزمة شرعية مزمنة، وكل هذه المميزات ليست بمثابة شرعية حقيقية لأن الشرعية الحقيقية تأتي من خلال الانتخابات النزيهة والتنافسية، وهي انتخابات تؤدي إلى إتاحة الفرصة أمام الناخبين لاختيار حقيقي وحر، واختيار بين برامج متعددة وأحزاب متعددة ومرشحين متعددين، أما الانتخابات غير التنافسية فهي على النقيض تتم من أجل الحصول على

تصديق الناخبين على قوائم السلطة، والنتيجة هي أن هذا المجتمع يصبح مجتمع الفكر الواحد والحزب الواحد والرأي الواحد وبذلك تستمر أزمة الشرعية للنظام السياسي. [1]

2. الفسـاد:

يعتبر الفساد من أكبر التحديات التي تواجه بناء الحكم الرشيد ويعرف الفساد طبقاً للبنك الدولي على أنه "إساءة استعمال الوظيفة العامة للكسب الخاص"، وكما عرفه المفكر "إد يلهرنز" بأنه "فعل غير قانوني أو صور من الأفعال غير القانونية التي تم ارتكابها بأساليب غير مادية، ومن خلال أساليب سرية تتسم بالخداع القانوني والاجتماعي وذلك للحصول على أموال وممتلكات أو لتحقيق مزايا شخصية"، وهناك مجموعة من الأسباب التي تؤدي إلى هذه الظواهر وهي:

- وجود أنظمة حكم استبدادية تحتكر السلطة في البلاد ولا تقبل المشاركة.
- غياب المحاسبة وضعف النظام القضائي.
- انهيار القيم والأخلاق وضعف الوازع الديني.
- بروز ظاهرة المحسوبية على حساب المصلحة العامة.
- ضعف الأجهزة الرقابية.
- انهيار المستويات المعيشية للفرد.
- بروز قيادات ضعيفة وغير كفوءة في مجال عملها.

كما أن للفساد أشكالاً متعددة وهي:

- **الفساد السياسي:** ويتعلق بهرم السلطة أي فساد الحكام من خلال استغلال سلطاتهم لتحقيق مكاسب شخصية بطرق غير مشروعة.
- **الفساد الإداري:** وهو فساد بعض الموظفين في المستويات المتوسطة من الهرم الإداري، حيث تتم عمليات الفساد بين الموظف العام والعميل صاحب الخدمة لقاء تسهيل معاملته وإنجازها بأسرع وقت بطرق ملتوية.

([1])– بشيرة على محمد أمين، مصدر سابق، صص40–41.

ومهما اختلفت أشكال الفساد فإنه لا يخرج عن التصنيف الذي قدمته دراسة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي وهي:

- إساءة استخدام السلطة العامة للحصول على مكسب شخصي.
- السياسة غير المشروعة.
- الاختلاس.
- الرشوة.
- المحاباة.
- الابتزاز.
- إساءة حرية التصرف.
- المنافع الشخصية.
- الخداع والاحتيال. [1]

3. الظروف الاقتصادية:

لقد كان تأثير العوامل الاقتصادية على القطاعات الاجتماعية والتنمية الإنسانية بالغاً في سلبياته الكمية والكيفية، فبقدر ما يؤدي صعوبة الظروف الاقتصادية إلى تزايد التفاوت في المداخيل، وبالتالي إلى تزايد حدة التوترات الاجتماعية وانكماش لغة الحوار، يجعل تفاقم التهميش والإقصاء من الحياة الاجتماعية والسياسية يطال ملايين البشر الذين يرون في أنفسهم غير معنيين بعملية التنمية.

وتشير العديد من الدراسات إلى العلاقة الوطيدة بين العدالة التوزيعية والعنف السياسي[2]، وبهذا فإن الأوضاع الاقتصادية السيئة تعتبر تحدي كبير لبناء الحكم الرشيد وتحقيق الاستقرار السياسي والتنمية البشرية والاقتصادية.

([1])– خيرة بن عبد العزيز، مصدر سابق، صص190–198.

([2])– يوسف زدام، دور الحكم الرشيد في تحقيق التنمية الإنسانية في الوطن العربي، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 2007، ص142.

الخاتمة

يقوم الحكم الرشيد في الدول على مجموعة من المبادئ والمرتكزات والمقومات التي تشكل مضمون هذا النوع من الحكم، وقد استقر في الذهن السياسي والإنساني أن الحكم الرشيد يعتمد على تكامل عمل الدولة ومؤسساتها، والقطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني التي تتكون من مجموعات منظمة أو غير منظمة، ومن أفراد يتفاعلون اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وينظمون بقواعد وقوانين رسمية وغير رسمية، وهو ممارسة السلطة السياسية والاقتصادية والإدارية لإدارة شئون بلد ما على المستويات كافة، وهو الأنظمة والإجراءات التي تحكم على ممارسة السلطة السياسية باسم الدستور ومن ذلك اختيار القيادات وتداول السلطة ويعمل على تخصيص الثروات وإدارتها لتلبية الاحتياجات الإنسانية وهذا يؤدي إلى الاستفادة القصوى من الموارد المتاحة بما في ذلك الاستخدام المستدام للموارد الطبيعية وحماية البيئة وهذا يحقق أهم مرتكزات الحكم الرشيد وهي الرؤية الإستراتيجية والتي تحقق التنمية وفق خطط إستراتيجية محددة.

قائمة المراجع

1. أمين عواد المشاقبة، المعتصم بالله داود علوي، الإصلاح السياسي والحكم الرشيد "إطار نظري"، ط1، (عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2012).
2. البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، تقرير التنمية الإنسانية العربية، 2007، عمان الأردن.
3. بشره وعلي محمد أمين، آليات الحكم الراشد في إدارة التنوع الثقافي "دراسة تحليلية مقارنة"، رسالة ماجستير في العلوم السياسية من جامعة السليمانية العراق، 2014.
4. حسن كريم، مفهوم الحكم الصالح في ندوة الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004).
5. حسين عبد القادر، الحكم الراشد في الجزائر وإشكالية التنمية المحلية، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة أبي بكر بلقايد الجزائر، 2012.
6. ستار شرهان الزهيري، الإصلاح الاقتصادي بين الإدارة والديمقراطية واقتصاد السوق، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد السابع.
7. سلوى شعراوي جمعة وآخرون، إدارة شئون الدولة والمجتمع، ط1، (القاهرة: مركز دراسات واستشارات, بلا. ت).
8. عبد العزيز خيرة، الحكم الراشد بين الفكر العربي والإسلامي "دراسة مقارنة"، رسالة دكتوراه غير منشورة في العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2014.
9. عربي محمد، الديمقراطية والحكم الرشيد، مجلة السياسة والقانون، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، عدد خاص، أبريل 2011.
10. كريمة يقدي، الفساد السياسي وأثره على الاستقرار السياسي في شمال أفريقيا، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة أبوبكر بلقايد، الجزائر، 2012.
11. هاني توفيق، "الشفافية والمساءلة", رفاعية أم ضرورة"، مجلة الإصلاح

الاقتصادي، العدد 12، يناير 2005.

12.يوسف زدام، دور الحكم الرشيد في تحقيق التنمية الإنسانية في الوطن العربي، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 2007.

آيات بين الاستثناء المنقطع و الاستثناء المتصل

أ.فائزة محمد الكوت*

المقدمة

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة و السلام على معلم البشرية، ومن أوتي جوامع الكلم، و تفجرت من تبيانه ينابيع الحكم، أفضل الناس منطقا، وأوضحهم بيانا، سيدنا محمد ﷺ و على آله و صحبه أجمعين .

أمّا بعد، فالقرآن الكريم كتاب الله العظيم ، الذي حفظ لنا لغتنا العربية ،فقد كان له الأثر البالغ في تهذيب ألفاظها، و إحكام أساليبها، وحفظها من الضياع، فأبقاها حية قوية إلى ما شاء الله ، ومنه استمدت معظم العلوم العربية أصولها .

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع لما رأيت فيه من أهمية بالغة لتوضيح نقطة مهمة اختلف فيها المفسرون و العلماء من الفقهاء والأصوليين، وهي هل يكون الاستثناء في هذه الآيات – التي وقع عليها اختياري– استثناء منقطعا أم متصلا بالاستناد على حدي الاستثناء المنقطع و المتصل و القواعد الخاصة بالاستثناء .

فالاستثناء المتصل: هو ما كان فيه المستثنى بعضا من المستثنى منه، نحو: سقيت الأشجار إلا شجرة، فحص الطبيب الجسم إلا اليد[1].

والاستثناء المنقطع: هو ما لم يكن فيه المستثنى بعضا من المستثنى منه ،نحو : يحضر الضيوف إلا سياراتهم، اكتمل الطلاب إلا الكتب[1]، وهذان الضابطان باطلان عند شهاب الدين القرافي (ت684هـ)وذلك أنَّ المفسرين والعلماء من الفقهاء منهم

[1] الأصول في النحو 1\ 290 ، شرح الرضى على الكافية 2\83 .

وابـن كثيـر (ت 120هـ)، الزجـاج (ت311هـ)، الـرازي (ت322هـ)، القرطبـي (ت 330هـ)،وغيـرهم يقولـون فـي قولـه تعـالى :﴿لاَ يَـذُوقُونَ فِيهَـا المـوْتَ إِلا المـوْتَـةَ الأُولَى﴾[2]استثناء منقطعا[3]، مع أن﴿الموْتَةَ الأُولَى﴾ هي بعض أفراد الموت المتقدم؛ لأنه معرف باللام, فيعم جميع أفراد الموتة الأولى وغيرها. فهذا استثناء من الجنس و هو استثناء منقطع، و هذا الاستثناء من الجنس " استثناء متصل"، وقد قال به السمين الحلبي (ت 756هـ)في كتابه الدر المصون[4].

قال القرافي :"فيبطل به الحدان المذكوران في المتصل و المنقطع, فيندرج في حد المتصل؛ لكونه من الجنس، وليس متصلا فيكون الحد غير مانع، و يخرج من حد المنقطع؛ لاشتراطهم المغايرة في الجنس ،وهي مفقودة في الآية, فيكون الحد المذكور للمنقطع غير جامع (يقول القائل: كيف أستثني موتا في الدنيا وقد مضى من موت في الآخر؟

---

(1) شرح الرضي على الكافية 2/ 97 ، شرح الأشموني 1\855 ، التعريفات 227 ، الإيضاح 2\178 ، المقتصد 2\719 ، كشف المتشكل في النحو 1\496.

*عضو هيأة تدريس بقسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب/ الخمس.

(2)سورة الدخان الآية 53.

(3)معاني القران للزجاج 3\259 ، إعراب القرآن و بيانه 7\130 ، مشكل إعراب القرآن 2\291 ، المغني 1\331.

(4)6\119 ، ا لألوسي في روح المعاني 18\489، و العقد المنظوم في الخصوص والعموم ص 597.

فـ "إلا" في هذا الموضع بمنزلة "سوى"، أي (سوى الموتة الأولى)[1].

قال القرافي: إن ما بعد "إلا" ليس نقيضا لما قبلها؛ لأن نقيض (لا يذوقون فيها) (يذوقون فيها) وهو تعالى لم يحكم به، بل بالموتة الأولى في الدنيا (لا يقولون هم إن هي إلا موتتنا الأولى)اسم الإشارة تحقيراً لهم، أي: ما الموتة إلا محصورة في موتتنا الأولى.

وكان قد قال ﴿وكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكمُ ثُم يمُيتكُم ثُم يُحيكُم﴾فذكر الموتتين الأولى والثانية، و المعنى: ما آخر أمرنا و منتهى وجودنا إلا عند موتتنا.

فيتضمن قولهم هذا إنكار البعث، ثم صرحوا بما تضمنه قولهم[2]: إن الموتة الأولى وإن كانت من جنس الموت المتقدم لكن الحكم وقع بعد "إلا" بغير النقيض، فإن الحكم المتقدم عدم ذوق الموت في الجنة، ونقيض عدم الذواق الموت منها الذوق فيها، ولم يحكم به بل بالذوق في الدنيا، فإن الموتة الأولى إنما ذاقوها في الدنيا، فقدحكم بغير النقيض، فكان منقطعاً[3]للحكم بغير النقيض لا للحكم بغير الجنس. وكذلك قوله تعالى :﴿لَاتأْكلُوا أَمْوالَكُم بَيْنَكُم بِالبَاطِلِ إلا أَن تكُونَ تِجَارةُ....﴾ [4] .

يقول القرافي: "المحكوم عليه بعد "إلا" هو المحكوم عليه قبل "إلا"، وليس هو مغايرًا له في الجنس و النقل عن العلماء أنه منقطع ،فيبطل المتصل في حده لعدم المنع ،وحد

---

[1]معاني القرآن للفراء 2\44 ، مفاتيح الغيب2\253،معالم التنزيل للبغوي 4\322 ،روح المعاني في تفسير القرآن 3\391، إرشاد العقل السليم 3\391، وفتح القدير 4\823، الجامع لأحكام القرآن16\134 ،جامع البيان في تأويل القرآن 22\35،تفسير البحر المحيط 8\29،نزهة الأعين النواظر 1\125.

(2)معاني القرآن للفراء 2\44، معاني القرآن للزجاج 3\259، الكشاف4/ 498، البحر المحيط 10\27 ، \498، مشكل إعراب القرآن 2\291،العقد المنظوم 599.

(3) الكشاف 4/ 275 ،البحر المحيط 10\31، العقد المنظوم 599.

(3) سورة النساء الآية 29

المنقطع؛ لعدم الجمع فالحكم وإن لم يقع على غير الجنس لكنه وقع بغير النقيض ،أن نقيض قولنا : لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل كلوها بالباطل[1]، لأن المتقدم سلب فنقيضه إيجاب ، ولم يحكم به سبحانه وتعالى ،بل بشيء آخر غير النقيض، أي: تخصيص التجارة بالاستدراك أو بالاستثناء؛ لأنها أشد أنواع أ كل الأموال شبًها بالباطل و لأجل ما فيها من أخذ المتصدي لتجارة مالاً زائدًا على قيمة ما يبدله للمشتري قد تشبه أكل المال بالباطل ،

فلذلك خُصصت الاستدراك و الاستثناء [2] فإن تقدير الآية "إلا" أن تكون الأموال فكلها بالسبب الحق[3] وليس هذا نقيض ما تقدم ،بل ضده، فلما كان الحكم بغير النقيض كان منقطعاً"﴿إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةٌ عَن تَرَاضٍ مِنكُمْ ﴾[4]، بالرفع على إلا أن تقع تجارةٌ. و يجوز فيه النصب على إلا أن تكون الاموال تجارةً[5] لتقدم الاموال ، فتضمر .

قال مجاهد ت (324هـ): بيعا أو عطاء يعطيه أحد أحدًا، قرئ تجارة بالرفع و بالنصب وهو استثناء منقطع ، كأنه يقول : لا تتعاطوا الأسباب المحرمة في اكتساب الأموال، و لكن المتاجرة المشروعة التي تكون عن تراض من البائع و المشترى فافعلوها وتسببوا بها في تحصيل الأموال[6].

(4) الاستغناء في أحكام الاستثناء 15\419.

(1) معاني القرآن للزجاج 2\44،التبيان في علوم القرآن1\282، و المحصول 339 ،كتاب الكبائر ص597.

(2)العقد المنظوم ص 597 ،و المحصول 1\340، وشرح تنقيح الفصول 1\187،والتحرير والتنوير5\233.

(3)بالرفع رواية قالون عن نافع.

(4)بالنصب رواية حفص عن عاصم.

(6)القرآن العظيم 1\636،البحر المحيط 3\186، مفاتيح الغيب 1\431، جامع البيان في تأويل القرآن 8\21 .

وكذلك قوله تعالى :﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إلا خَطَئًا...﴾[1] هو استثناء منقطع عند العلماء، مع أن معنى الآية (إلا قتلًا خطأ)، والقتل الخطأ هو من جنس القتل[2]، فيبطل به حد الاستثناء المتصل ، لعدم المنع ،وحد الاستثناء المنقطع لعدم الجمع ،فإن هذا فرد من المنقطع ، وحد المنقطع يأباه؛ لاشتراطهم المباينة في الجنس، قال القرافي[3] : "لم يقع الحكم فيه بالنقيض ،لأن نقيض ما كان له أن يقتل كان له أن يقتل ،ولم يحكم به سبحانه و تعالى ،لأن اللام معناه في مثل هذا السياق الإباحة، فإذا قال الله تعالى لكم أن تفعلوا، كان إذنًا و إباحة ، والقتل الخطأ ليس مباحًا، بل هو معفو عنه، و المعفو عنه كالخطأ و النسيان و فعل النائم لا يقال إنه مباح ولا محرم، فإن الله تعالى لم يأذن في قتل المؤمن بغير جناية البتة، بل عفا عن جنايةٍ الخطأ فقط ، أما أنه أباحها فلا ،و كذلك الساهي و النائم و بقية النظائر. فالآية لم يقع فيها الحكم بالنقيض البتة ،فكان الاستثناء فيها منقطعا لعدم الحكم بالنقيض لا لعدم الحكم على الجنس، و الحكم على غير الجنس.

وكذلك قوله تعالى ﴿فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجمْعَوُنَ إِلاَ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَاجِدِينَ﴾[4] قال المبرد(ت 286هـ) : قوله تعالى :"كلهم "أزال احتمال أنّ بعض الملائكة لم يسجد، وقوله تعالى (أجمعون)توكيدٌ بعد توكيد ، ورجح هذا الزجاج ،

قال النيسابورى :"لأن أجمع معرفة فلا يقع حالاً، ولو صح أن يكون حالاً منتصبا، ثم استثنى إبليس من الملائكة فقيل: هذا الاستثناء متصل؛ لكونه كان من جنس الملائكة، و لكنه أبى ذلك استكباراً واستعطافاً لنفسه و حسداً لآدم، فحقت عليه كلمة الله

(7)سورة النساء الآية (91).

(8)ينظر العقد المنظوم 597،إعراب القرآن وبيانه 2\86 ،و الأحكام في أصول القرآن 1\224.

(9)الاستغناء في أحكام الاستثناء 1\419.

(1)سورة الحجر الآية30-31

و قيل : إنه لم يكن من الملائكة غلب اسم الملائكة عليه و أمر بما أمروا به ، فكان الاستثناء بهذا الاعتبار متصلا.

وقيل : إن الاستثناء منفصل بناء على عدم كونه منهم وعدم تغليبهم عليه، أي: ولكن إبليس أبى أن يكون مع الساجدين[1].

قال الفراء "إن الاستثناء من الفاعل لا من الاسم ، و استدل على ذلك بالاستثناء المنقطع في قولك: (ما رأيت أحدًا إلا حمارًا، والحمار ليس من مدلول أحد ، فيكون من مدلول (رأيت)،فاستثنى رؤيته من جملة الرؤية التي وقعت منه، لأنها من جنسها[2] ،وقال أيضًا :"و الصحيح أن الاستثناء إنما هو الاسم من الاسم ، و الفعل من الفعل ، إذا لم يقم دليل على تخصيص أحدهما دون الآخر ، فإذا قلت (قام القوم إلا زيدًا)،كنت قد استثنيت(زيدًا)من جملة القوم ،و قيامه من قيامهم ،فصفة البعض المخرج و الكل المخرج منه أن تكون معلومة القدر، و لا يجوز استثناء مجهول من مجهول[3]، ولا مجهول من معلوم[4] ولا معلوم من مجهول[5]. لا يقال (قام القوم إلا رجالاً)، و لا :(قام إخوتك إلا رجالاً)، و لا : (قام رجال إلا زيدًا).وإنما الجائز مثل :(قام إخوتك إلا زيدًا).و إنما امتنع الاستثناء من المجهول ؛لأن الفائدة في الاستغناء إخراج الثاني مما

(2)جامع البيان في تأويل القرآن 1\459 ،معالم التنزيل 4\381، البحر المحيط 3\368،القرآن العظيم 1\229،فتح القدير 4\177.

(1)الكتاب 2\231،المقضب 4\610 ، النكت 2\232-233.

(2)الجنى الداني1\86.

(3)حاشية الجمل 10\421.

(4)الجنى الداني 1\86.

دخل فيه الأول[1]، لأنك لو قلت(قام إخوتك)،ولم تقل : (إلا زيدًا)، لكان (زيد)داخلاً في القيام مع الإخوة، لأنه منهم و أما إذا كان المستثنى منه مجهولاً قد يكون كذلك ، قال القرافي[2]:(قام قوم إلا زيدًا) ، لم يكن (قوم) بظاهره يدل على أن (زيدًا) داخل في القيام معهم، فتبطل حقيقة الاستثناء الذى هو الإخراج . و إنما امتنع أن يكون المستثنى مجهولاً؛ لأنه لإبهامه لا يُعلم قدره فلا يتبين المستثنى، و الاستثناء إنما وضع لإبانة ما أريد بالأول و إزاله اللبس و كذلك قوله تعالى:﴿وَ إِذْ قُلْنَا لِلمَلائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنْ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِهِ ﴾[3].

﴿ فَسَقَ عَنْ أَمْرِ ربهِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه ، يجوز أن يكون معناه : خرج عن أمر ربه، يقال : فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرتها ، و يجوز أن يكون معناه فسق عن رد أمر ربه .

و مذهب سيبويه (ت 180هـ) و الخليل(ت 175هـ) أن معنى:﴿ فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِهِ ﴾ أتاه الفسق لمّا أُمر فعصى ، فكان سبب فسقه أمر ربه ، كما تقول أطعمه عن جوع و كساه عن عُري ،فالمعنى كان سبب فسقه الأمر بالسجود ، لما كان سبب الإطعام الجوع و سبب الكسوة العُري.

فيحتمل الحال من المستثنى عند الجمهور على أنه من الملائكة ، و عليه يكون الاستثناء متصلا، وهو متصل ,لأنه كان في الابتداء مَلَكاً ،وهو اسم أعجمي لا ينصرف ، للعجمة و التعريف ، وعند الزجاج (ت 311هـ)أنه استثناء ليس من الاول ، لأن إبليس لم يكن

(5) الأصول 81/1 ، اللمع 121، النكت 2\223.

(6)الاستغناء في أحكام الاستثناء 1\408.

(7)سورة الكهف الآية 49.

من الملائكة ، و لكنه أُمر بالسجود معهم فاستثنى منهم[1] و يحتمل الاستئناف ، و متى كان الحال من الفعل الماضي فلا بد فيها من (قد) مقدرة لتقربه من الحال.

(كان من الجن)كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين كأن قائلا قال : ما له لم يسجد؟ فقيل : كان من الجن . ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِه﴾ والفاء للتسبيب أيضا ،و جعل كونه من الجن سببا في حقه ، لأنه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر ربه[2].

وكذلك قوله تعالى :﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهةٌ إلا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [3] قال الجرجاني[4] (ت 471هـ) في هذه الآية﴿إلا﴾ بمعنى (غير الله) و أن قوله ﴿آلهة﴾ لا يجوز أن تكون في حكم الساقط ، و لو أسقطه ، لكان بمنزلة قوله﴿ لو كان فيهما إلا الله ... و هذا باطل ...﴾ إذ الغرض في ﴿ إلا﴾ إذا جاءت قبل تمام الكلام أن تثبت به ما نفيته...، و قوله ﴿ لو كان ﴾ ليس بمنفي ... لا يجوز في الآية﴿ إذا كان فيهما إلا الله ﴾ على جعل اسم الله فاعل كان و إسقاط ﴿إلا﴾ جار مجرى قولك : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا الله لفسدتا ﴾نعوذ بالله من هذا المعنى[5] .

و قال الجرجاني[6]: " لا يصح الاستثناء في قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلا الله لَفَسَدَتَا﴾ فلا يجوز النصب في هذا الكلام لكونه نكرة غير محصورة، فلا يفيد الاستثناء

(1)معانى القران و إعرابه للزجاج 3\179 ،اعراب القران للنحاس 2\297 ، و التبيان في اعراب القران 1\51 الأحكام للآمدي 2\314 ، تفسير البحر المحيط 1\247 .

(2)الكشاف 2\299

(3)سورة الأنبياء الآية 22

(4)في المقتصد 2\712

(1)شرح البهجة الوردية 16\ 143

(2)المقتصد 2\713

إخراج ما استثنى ، و الاستثناء لا يكون إلا لإخراج ما يتعين دخوله فلا تحصل هنا فائدة في الاستثناء ، و إنما تفيده في العموم ، نحو القوم أو جملة محصورة ، نحو : له علي عشرة إلا درهماً، أما (رأيت رجالا إلا زيداً) ، فلا يجوز لعدم اندراج زيد .

قال السيرافي (ت 368هـ)هذا التقرير بعينه[1]و قال الزجاج (فيهما) أي في السماء و الأرض و" إلا "في معنى "غير "المعنى لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا ، ف "إلا" صفة في المعنى غير ، فلذلك ارتفع ما بعدها على لفظ الذي قبلها[2] قال السيرافي : و ليس الأمر عندي كذلك , و لايلزم أن يكون : (لو كان إلا زيد) بمنزلة لو كان زيد[3] .

قال الرماني في شرح سيبويه : لا يجوز في الآية البدل ، لأن الذي قبله موجب ، و لكن يصلح في مثله الاستثناء بالنصب كالاستثناء من موجب ، فالبدل لا يجوز إلا في غير الموجب ، و ليس الشرط و إن لم يكن موجبا صرفا من غير الموجب الذى يجوز رفعة الإبدال، و لا يجري النفي المعنوي كاللفظي إلا في : هما ، قال و أيضا البدل لا يجوز إلا حين يجوز الاستثناء.

ولا يجوز الاستثناء ها هنا ؛ لأن (الله) غير واجب الدخول في (آلهة) المنكر ؛ لأنه غير عام و لا محصور، و لو وقع أيضا الجمع المذكر في سياق النفي ، و قصد به الاستغراق لم يجز استثناء المفرد منه ، كما تقدم ، من أنه لا يقال ما جاءني رجال إلا زيداً، على أنه استثناء متصل ، و أجاز المبرد رفع (الله) على البدل ؛ لأن في (لو)

(3) الكتاب 2\347، شرح السيرافي 4\ 117

(4)معانى القران و إعرابه : 3\ 388

(5)شرح الرضي على الكافية : 2\96 ، و كتاب الكليات : 1\ 1252، و علل النحو 1 \ 4415.

معنى النفي ، إذْ هو لامتناع الشيء لامتناع غيره ، فكأنه مثل : ﴿ ما فيهما آلهة إلا الله ﴾[1].

قال الثمانيني(ت 442هـ) في شرح اللمع : "يجوز النصب في الآية(إلا الله) على الاستثناء ،وإنما وجب للمستثنى النصب إذا تقدم ؛لأنه كان يجوز فيه لو كان مؤخرا البدل و الاستثناء و البدل تابع للمبدل منه و كان البديل فيه أقوى لما كان مؤخرا ، فلما تقدم على المبدل بطل أن يكون بدلا لتقدمه على ما كان يبدل منه ووجب الاستثناء الذي كان يضعف فيه كان مؤخرا[2]"

قال القرافي [3]:الاستثناء عبارة عن الإخراج، و هو قضاء في الإيجاب على ما بعد إلا يسلب الحكم السابق على المشهور من مذاهب العلماء أن الاستثناء من الإثبات نفي و من النفي ثبوت [4] ، فيصير معنى الكلام : لو كان فيهما آلهة ليس الله تعالى معهم و لا موجودا فيهما لفسدتا ، فيقتضي الكلام بطريق اللزوم أن الله تعالى لو كان مع الآلهة لم يحصل الفساد ، و هو مقصود المشركين ، فإنهم لم يقولوا : الله تعالى ليس مع الآلهة ، بل الجميع موجود ، فيفسد معنى الاحتجاج على المشركين . بخلاف ما إذا قلنا : إن معناها الصفة ، و رفعنا، يصير معنى الكلام : "لو كان فيهما آلهة غير الله تعالى لفسدتا" ، و ليس في هذا ما يقتضي القضاء بالسلب من جهة الله تعالى ، لأنك إذا قلت

---

(1) الإنصاف 1\ 272 ،شرح الرضى على الكافية 2\130 ، المفصل 1\ 99 ، و مغني اللبيب1 \ 199 ،كتاب الكليات : 1/ 1252 .

(2) اللمع في العربية 123

(3)في الاستغناء في أحكام الاستثناء 1\ 373

(4) كتاب الكليات : 1\ 124 ، و الكوكب المنير 2\45.

: (لو كان في الدار رجل غير زيد لسرقت) ، الظاهر في عرف الاستعمال أن زيداً في الدار ، و إن كانت اللغة تقتضي أن زيدا لم تتعرض له بالنفي و لا بالثبوت ،و أن الآية وردت بصيغة الجمع ، لقوله تعالى﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾(آلهة) بصيغة الجمع و مقصود هذا إنما هو نفي ما عدا الله تعالى فلو كانت بصيغة الإفراد لزم من نفيه الوحدانية ، و أما ما عدا الواحد إذا انتفى لا تلزم الوحدانية.

وكذلك قوله تعالى ﴿و إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنَنِي بَرَاءٌ مِمَا تَعْبُدُونَ إِلَا الذِي فَطَرَنِي﴾ [1] كان قوم إبراهيم عليه الصلاة و السلام يعبدون الله و يعظمونه كما كانت العرب ، و لكن تعبد الأصنام معه و الكواكب ، فلذلك حسن الاستثناء [2] و يكون متصلا على هذا، و قيل : لم يكونوا يعترفون بالله تعالى أصلا، و استثناء إبراهيم عليه الصلاة و السلام؛ لأنه تعالى مما يمكن أن يكون معبودا لهم في المستقبل فكان الأدب الاحتياط مع الله تعالى لهذا الاحتمال، و قيل: الاستثناء منقطع، و معنى الكلام : لكن الذي فطرني فإنه سيهدين وقال القرطبي :استثناء متصل[3].

وكذلك قوله تعالى﴿ وَلاَ يَمْلِكُ الِذينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَفَاعَةَ إِلَا مَن شَهِدَ بِالحَقِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [4] أن المراد بالذين: المعبودون، والضمير في (يدعون) للكفار الذين عبدوا غير الله تعالى، وأصل الكلام : ولا يملك الذين يدعونهم آلهة من دون الله الشفاعة عند الله تعالى فالضمير مع (الذين) الموصول متعدد في المعنى، ثم استثنى الله تعالى من

(1)سورة الزخرف25 ، 26.

(2)القرافي الاستغناء أحكام الاستثناء 1\ 480.

(3)الجامع لأحكام القران 16\67 ، و أنوار التنزيل و أسرار التأويل 5/ 162 و إرشاد العقل السليم 6\96 .

(4)سورة الزخرف :86.

المعبودين من يملك الشفاعة عنده و المعنى :أن الملائكة وعيسى وعزيزاً لا يشفعون إلا لمن شهد بالحق، أنزل الله هذه الآية . يقول: لا يقدر هؤلاء أن يشفعوا لأحد ،ثم استثنى

فقال: إلا من شهد بالحق[1] قال قتادة : المستثنى عيسى وعزيز و الملائكة [2] الذين عُبدوا من دون الله صلوات الله عليهم، فهؤلاء يملكون الشفاعة عند الله وإن عُبدوا من دون الله تعالى ، ويملكونها بإذن الله تعالى؛ لأنهم شهدوا بالحق ،بمعنى أخبروا به، وهو التوحيد ،وهم يعلمونه ،ولم يخبروا به عن ظن أو تقليد ، بل العلم اليقين وا لاستثناء على هذا استثناء متصل .

وقال مجاهد الاستثناء من المعنى المشفوع فيهم ؛ لأن الشفاعة دلت على مشفوع فيه من حيث الجملة ،ومعنى الكلام عنده:(لا يملك الملائكة و عيسى وعزيز الشفاعة إلا لمن كان يشهد بالحق عن علم الله تعالى) و على هذا أيضاً يكون الاستثناء متصلاً من حيث المعنى، وقيل الاستثناء منقطع بناءً على عدم ملاحظة المعنى [3]و التقدير: لكن من شهد بالحق من هؤلاء فإنهم يشفعون بإذن الله تعالى .

وكذلك قوله تعالى :﴿ وَ إِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَ لَوْ رَدُوهُ إِلَى الرَسُولِ وَ إِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحمْتُهُ لاَ تَبَعْتُمُ الشَيْطَانَ إلا قَلِيلًا﴾[4]

(1)تفسيرالسمرقندى 11914،ومعالم التنزيل : 224/7،و مفاتيح الغيب 497/3،الجامع لأحكام القرآن :122/16،و البحر المحيط :20/8،و اللباب في علوم الكتاب 296/17

(2)جامع البيان في تأويل القرآن654/21،والجامع لإحكام القرآن 16 /106

(3)معاني القرآن للنحاس390/12.

(4)سورة النساء الآية 82

الآية خطاب لجميع المؤمنين باتفاق في قوله:﴿ وَ لَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحمْتُهُ ﴾و اختلف في الفضل و الرحمة المشار إليهما، فقيل: فضل الله تعالى القرآن ، ورحمته رسالة محمد ﷺ . و قيل : إرشاد الله تعالى مطلقا[1]، فلولاه لكانوا كفرة.

و اختلف في المستثنى من أي شيء استثنى ؟ فقيل : هو من قوله تعالى: أذاعوا به ...إلا قليلا و قال قتادة من قوله تعالى :﴿ يَسْتَنبِطُونَهُ ....إلا قَلِيلًا ﴾ و قيل من قوله تعالى :﴿ لا تبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ على سرد الكلام من غير تقدير[2] .

ثم اختلف هؤلاء، فقيل: معناه أن الله تعالى هدى الخلق للإيمان و كان أكثرهم تعرض لهم الشبهات ،و أقلهم لا يعرض لهم ذلك، فلولا فضل الله على الجميع في التثبيت لارتدوا عن الإسلام إلا القليل الذين لا يحتاجون لصرف الشبهات، فإنهم إذا لم يأتهم صرف الشبهات لا يرتدون؛ لأنهم لا شبهات عندهم ، فلا يتبعون الشيطان بالردة، قاله الضحاك(ت 105هـ).

وقيل﴿ إلا قليلا﴾و هم القوم الذين كانوا على الدين الصحيح قبل البعثة ، فلو لم يأت فضل الله تعالى و رحمته بالقرآن و رسالة محمد عليه الصلاة و السلام لاتبع كل من هو مسلم بعد البعثة الشيطان إلا قليلا و هو أولئك العصابة ، لجمعه بين جمل كل لفظ على معنى صحيح ،فالفضل للقرآن ، و الرحمة على رسالته عليه الصلاة و السلام ، و يكون الاستثناء على الأقرب الأقرب إليه كما هو ظاهر اللفظ ، ومن هذه الفرقة التي

(5) معالم التنزيل: 1/ 254 ، و النكت و العيون 1/ 316 ، وروح المعاني 104/5 ، المحرر الوجيز 2/ 162.

(1) جامع البيان في تأويل القران : 8/ 575 ، و معالم التنزيل : 2/ 254 ، و القران العظيم : 366/2، و المحرر الوجيز 2/ 162

كانت على الهداية قبل البعثة ورقة بن نوفل (12ق هـ)، وزيد بن عمرو بن نفيل (17ق هـ) و غيرهما على ما ذكره ابن إسحاق (ت 151هـ) .

وقيل : الاستثناء من المتبع فيه ، و معناه : (لاتبعتم الشيطان فيما يأمركم به إلا قليلا من ذلك، فإن أخلاقكم تأبى اتباعه فيه لفرط قبحه ووضوح فساده، و قيل: (إلا قليلا) ، إشارة إلى العدم، فإن العرب تعبر به عن العدم ، تقول: (قل رجل يقول كذا إلا زيدًا) ، كأنهم قالوا لا يقوله أحد إلا زيد؛ لأن القلة في المعنى العدم [1] وهو بعيد من جهة اقتران القليل بالاستثناء [2]، و على هذا القول لا يكون الاستثناء لا متصلا و لا منقطعا، بل يبقى في معنى التأكيد كأنه قال : (لم يبق منكم أحد إلا اتبع الشيطان) و على القول الأول يكون الاستثناء متصلا؛ لأنه من الجنس و حكم عليه بالنقيض الذي هو عدم الاتِباع. فهذه هي أعظم آيات المشكلات في الاستثناء و أقوى في الإشكال .

وكذلك قوله تعالى:﴿ وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لَئِلاَ يَكُونَ لِلنَاسِ عَلَيكُمْ حُجَةٌ إلا الذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُم و اخشوني ﴾[3] الشطر في اللغة له معنيان : النصف [4] نحو : قولهم : شطر المال، و الجهة [5] أيضا ،فشطر البيت الحرام جهته و "لئلا "متعلقة بفعل مأخوذ

(2)مفاتيح الغيب: 5/ 305، و التفسير الوسيط: 1/ 815، وروح المعاني / 5/ 104، و إرشاد العقل السليم: 2/ 208.

(1)لباب التأويل في معاني التنزيل : 2/ 138، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب : 2/ 162.

(2)سورة البقرة 150.

(3)الفائق في غريب الحديث : 2/ 244)شطر) ، و مقاييس اللغة : 195/3) شطر) اللسان :407/4) شطر).

(4)تاج العروس: 1/ 3001 شطر، المصباح المنير: 1/ 312 شطر، اللسان: 15/ 405) .

من معنى الكلام ، تقديره : عرفكم وجه الصواب في قبلتكم لتنتقي الحجة للناس عليكم [1] .

أما حجة الظالمين ، فاختلف العلماء في ذلك ،فقيل : الناس عام في اليهود و العرب غيرهم ، و قيل : اليهود فقط[2] ، فتكون خاصا لا عاما، أي إن المستثنى كفار العرب، وضعف هذا القول لقوله تعالى :﴿ منهم﴾ ، و ذلك يقتضى اتحاد المستثنى و المستثنى منه [3] ، و على القول الأول يرى صاحبه أن الاستثناء متصل ويقول: الحجة المبنية على وجه آلتهكم، أي: حجة واضحة للذين ظلموا من اليهود و غيرهم من كل من تكلم في النازلة ، مثل قولهم: ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾[4] ، و قول قريش : "ما رجع لقبلتنا إلا و هو عازم على اتباع ديننا، وقد تحير محمد في دينه " ، إلى غير ذلك من الكلام الذي يخرجونه، فخرج مخرج الحجة، و هو ليس بحجة، فيكون الاستثناء متصلا من الجنس، و حكم بنقيض ما تقدم ، غير أن المجاز[5] داخل في إطلاق الحجة على ما تصور بصورة الحجة ، و إن لم يكن حجة ، فهو من باب التهكم ، نحو قوله تعالى :﴿ هذا نزلهم يوم الدين﴾[6] و النزل ما يصنع للضيف عند نزوله[7] من الكرامة ، و هذا عذاب و هوان ،لكن إطلاق اللفظ الحسن على المعاني الرديئة ، أو

(5)الجواهر الحسان في تفسير القران: 1/ 118 ، وروح المعاني :2/ 16.

(6)مفاتيح الغيب : 2/ 417، و اللباب في علوم الكتاب : 3/ 42.

(7)الجامع لأحكام القران 2/ 417، و التحرير و التنوير 9/ 289.

(8)القران العظيم: 1/ 39 ، و اللباب في علوم الكتاب : 327/2.

(1)الجامع لأحكام القران 2/ 77

(2) سورة الواقعة الآية 46

(3)جامع تفسير القرآن : 23/ 134 ، و معالم التنزيل : 8/ 19 ، تفسير القرطبي : 17/ 215 ، تفسيرالقرآنالعظيم : 7/ 539 ، التحرير و التنوير : 27 / 349 .

الكرامة على المذمة، تهكم عند أهل علم البيان ويجوز أن يكون من مجاز[1] الاستعارة ؛ لأجل غرض التهكم و الإزراء بالبعض الحقير، ثم استثني منه، فلا بد من المجاز أو الانقطاع في الاستثناء.

و الأصح عند المفسرين أنه متصل على هذا النوع من المجاز، و ذلك لأن اللفظ فيه مستعمل في غير ما وضع له، و قيل: بل هو حقيقة، واللفظ فيه مستعمل فيما وضع له[2] .

إذ قيل : رأيت أسدًا [3] ، مما أطلق لفظ الأسد على زيد حتى تخيل حصول معنى الأسد في زيد ، و إذا تخيل معنى الأسد في زيد ، و أطلق اللفظ عليه حينئذ كان اللفظ مطلقا على معناه في اللغة ،و لو لم يتخيل معنى الأسد في زيد لم يطلق الأسد عليه ، فصار إطلاق لفظ الأسد على زيد مشروطا بحصول معنى الأسد في زيد ،فلا يكون اللفظ فيه مجازا .

و قال الجمهور: إن العرب لم تضع لفظ الأسد لزيد المتخيل المتوهم المفروض ، إنما وضعته للأسد المتحقق في الخارج ، فإطلاقه على المتخيل إطلاق اللفظ على غير ما وضع له ، فيكون مجازا .

وكذلك القول في بقية ألفاظ الاستعارة [4]؛ لأن هذا هو الفرق بين مجاز الاستعارة و غيره من أنواع المجاز، فمجاز الاستعارة العلاقة فيه شبه محل الحقيقة لمحل المجاز، و

(4)روح البيان : 364/7 ، المغني السديد 1/ 396.

(5)السراج المنير 1/ 14.

(6)الخصائص: 1/ 291، الإيضاح: 1/ 104 ، مفتاح العلوم : 1/ 156 ، الكوكب المنير : 1/ 299 ، كتاب الكليات : 1/ 142

(1)الإيضاح : 1/ 89 ، مفتاح العلوم : 1/ 156 ، أسرار البلاغة 1/ 84 ،كتاب الكليات : 1/ 142.

العلاقة في غيرها لازمة أو سببية فإطلاق الحجة على ما لا يكون مثبتا مجاز، و على غير مسمى اللفظ ، فيلزم أن يكون الاستثناء في الآية منقطعا و الجمهور عدوه متصلا، و متى كان الاستثناء حكم فيه بعد إلا على غير مسمى اللفظ الأول كان منقطعا، و الجمهور أن الاستثناء المتصل حتى يكون لفظ الحجة مستعملا في الحجة الحقيقية. و لم يقل أحد إنه بقي لأحد على المؤمنين حجة حقيقية .

قال أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله (ت 646هـ) إنه كان يقول : قد يكون المذكور بعد إلا من مسمى اللفظ السابق[1] و يكون الاستثناء منقطعا ، بأن يقول القائل : (رأيت إخوتك) ، و تريد بعض إخوتك على التعيين ، و تذكر بعد (إلا زيدا) ، ويكون زيد هذا ليس من أولئك المعنيين ، فتقول : (رأيت إخوتك إلا زيدا) ، و يكون الاستثناء منقطعا على هذا التقدير ، لأن زيدا ليس بعض من أطلق عليه اللفظ أولا فصار كجنس آخر فيكون منقطعا .

قال القرافي [2] :(فإن قيل له : الاستثناء في كل صورة لا بد أن يكون ما بعد إلا غير مراد اللفظ الأول ، فلا تخرج (إلا) من غير مراد، فيلزم أن يكون كل الاستثناء منقطعا ؛ لأنه ليس من الفريق المراد .

يقول ابن الحاجب : ليس كذلك ، بل لا بد من صفة تكون قيدا في المذكور أولا ، منفية في المذكور بعد إلا، و هو لو قال : (رأيت إخوتك الفقهاء إلا زيدا) ، و زيد ليس بفقيه ، كان منقطعا .

(2)شرح الرضي على الكافية : 2/ 76 ، قطر الندى : 1/ 207 ، كتاب الكليات 1/ 257 ، النحو الوافي : 1/ 444

(3)الاستغناء في أحكام الاستثناء 1/ 428

أما إذا قال : (رأيت القوم) ، و أراد بلام التعريف العهد ، فكأنه قال : (رأيت القوم المعهودين إلا زيدا) ، و زيدا ليس من المعهودين ، فأشبه استثناء زيد الذي ليس بفقيه من الإخوة الفقهاء ، أو من القوم الفقهاء.

﴿ لَئِلاَ يَكُونَ لِلنَاسِ عَلَيْكُمْ حُجَةٌ إِلا الذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُم﴾[1] استثناءٌ منقطعٌ [2] أيضا لا باعتبار الناس المستثنى منهم لاعتبار الحجة ، بل هذا نوع آخر من الانقطاع ، بأن يكون الناس(المراد بهم اليهود ،و المراد بالذين ظلموا) عبدة الأوثان ، و تصير اليهودية أو غيرها من الصفات ، كالمنطوق بها في اللفظ و لو قال تعالى :﴿لئلا يكون لليهود عليكم حجة إلا عبدة الأوثان﴾ ، كان منقطعا ، فكذلك إذا أريدت الصفة باللفظ و لم ينطق بها ، فتصور الانقطاع و إن شمل السابق قبل إلا ما ذكر بعدها. إما باعتبار الجنس أو باعتبار أن الحكم فيها وقع بغير النقيض.

هناك صور أخرى كثيرة لا تحصى كثرة، و أما مع هذا التلخيص فيتضح باقي الآيات التي لم تعرض في هذا البحث بفضل الله و عونه ، فله الحمد على ما أنعم به علينا.

الخلاصة:

هذه كلها أقوال الاستثناء فيها صحيح على بابه بمقتضى ظاهر اللفظ ، و إنما يبقى الإشكال في نوع الاستثناء أمنقطعٌ هو أم متصلٌ .

1 عند القرافي : الاستثناء المنقطع يكون لعدم الحكم بالنقيض لا لعدم الحكم على الجنس، و الحكم على غير الجنس .

(1)سورة البقرة الآية 149

(2)الجني الداني في حروف المعاني : 1/ 88 ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 1/ 27 ، كتاب الكليات : 1/ 267.

فإن قلت : (قام القومُ إلا زيد مسافر) ، كان منقطعا ، لأنك حكمت على زيد الذي هو من الجنس بغير النقيض الذي هو عدم القيام بل بحكم آخر الذي هو السفر ، فحصل الانقطاع للحكم بغير النقيض الذي هو السفر ، لا للحكم غير الجنس قال القرافي ، و بهذه الطريقة يظهر لك معنى الانقطاع في الآيات[1]

2 و قيل :" إلا "بمعنى "سوى "لقوله تعالى ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾[2]أي سوى الموتة الأولى.

3 وقيل أن تكون" إلا" بمعنى" غير "على جهة الصفة و" غير" تعرب بإعراب الاسم الواقع بعد "إلا" إذا كان مفردا ، و لا يجوز إذا كان ابتداء و خبرا ، لأن" غير"لا تضاف للجملة [3] قال تعالى ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[4] أي: لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا.

(1)الاستغناء في أحكام الاستثناء 419/1.

(2)سورة الدخان الآية 156

(3)المقتضب 326/2 الأصول في النحو 1/ 285 ، البرهان في علوم القران 1/ 520 و النكت 2/ 245.

(4)سورة الأنبياء الآية 22

المصادر و المراجع

القرآن الكريم برواية قالون عن نافع

1- الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، تحقيق:سيد الجميلي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1404 .

2-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي ، أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

3-أسرار البلاغة في علم البيان ، عبد القاهر الجرجاني ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان

4-الأصول في النحو،ابن السراج تحقيق:عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ، ط 4 / 1999 م

5-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن الختار الجنكيالشنقيطي ، خرج آي و أحاديثه :محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط / 1417 ه 1996 م .

6-إعراب القرآن ، النحاس ، تحقيق : زهير غازي زاهد ، مكتبة الثقافة – مصر .

7-إعراب القرآن و بيانه للزجاج .....

8-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين و الكوفيين ، محمد محي الدين ع الحميد ، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ، ط / 1997 م .

9-أنوار التنزيل و أسرار التأويل ، المعروف تفسير البيضاوي ، إعداد و تقديم : محمد عبد الرح المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

10-الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، قدم له و بوبه و شرحه : علي أبو ملحم ، دار مكتبة الهلال –بيروت ، ط 2 / 1991 م .

11-البرهان في علوم القرآن ، الزركشى ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث القاهرة .

12-تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، تحقيق : عبد السلام أحمد فراج ، مطب حكومة الكويت ط / 1965 م ، و طبعة مكتبة الحياة بيروت .

13-التبيان في تفسير غريب القرآن ، شهاب الدين أحمد بن محمد الهاشم المصري ، تحقيق

فتحي أنور الدابوري ، دار الصحابة للتراث – طنطا – القاهرة ، ط 1 / 1992 م .
14–التحرير و التنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، دار بيضون للنشر و التوزيع – تونس ، 1997 م .
15–تفسير البحر المحيط ، ابن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي ، دراسة و تحقيق و تعليق عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض، محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط 1 / 1422 هـ ، 2001 م .
16–التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الشافعي الرازي دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط 1 / 2000 م .
17–تفسير ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، أبو الفداء ، حقق أصوله و و نصوصه و خرّج أحاديثه : طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الإيمان للنشر و التوزيع ط 1 / 417 هـ ، 1996 م .
18–التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، دار النهضة – مصر للطباعة و النش و التوزيع ط 1 / 1997 م .
19–تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : يعقوب عبد النبي ، مراجعة محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة .
20–جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري ، تحقيق : أحمد مح شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 / 2000 م .
21–الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط 5 / 1996 م .
22–الجني الداني في حروف المعاني ، المرادي ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، و محمد نديم فاض ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط 1 / 1992 م .
23–حاشية الجمل على شرح المنهج ، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، و الشيخ سليمان الجمل دار الفكر – بيروت .
–24حروف المعاني، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاج ، تحقيق الدكتور علي توفيق الح ،مؤسسة الرسالة – بيروت – ط 1 / 1984 م . الخصائص ، أبي الفتح عثمان بن جني

تحقيق : عبد الحكيم بن محمد،المكتبة التوقيفية.
25-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، الإمام شهاب الدين أبي العبّاس ، المعروف السمين الحلبي ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، جاد و خلوف زكريا عبد المجيد النوني ، ط 1 /1993 م
26-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، شهاب الدين السيد محمد الآلوس البغدادي ضبطه و صححه : علي عبد البارئ عطية ، محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط 1 / 1412 ه ، 2001 م
27-شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، تحقيق : عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد ، المك الأزهرية للتراث .
28-شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول ، الإمام شهاب الدين أبو العبا أحمد بن إدريس القرافي ، طبعة جديدة مصححة باعتناء مكتب البحوث و الدراسات ، دار الفكر ط 1 / 1997 م .
29-شرح الرضي على الكافية ، تصحيح و تعليق : يوسف حسن عمر ، جامعة قاريونس ، ط 2 .1996
30-شرح قطر الندى ويل الصدى ، لـ(أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ط 1 / 1983 م .
31-طبقات المفسرين ، الداوودي ، عباس أحمد الباز، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط / 1983 م.
32-العقد المنظوم في الخصوص و العموم ، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن ع الرحمن الصنهاجي المصري ، المعروف القرافي ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض ، و عا أحمد عبد الموجود . محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط 1 / 001 م .
33-علل النحو ، أبي الحسن محمد بن عبد الله الوراق ، تحقيق : محمود جاسم ، و مح الدرويش ، الرياض – السعودية ، ط 1 / 1420 ه ، 1999 م .

34-الفائق في غريب الحديث ، العلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، وضع هوامشه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط 1 / 1417 هـ ، 1996 م .
35-فتح القدير الجامع بين فني الدراية و الرواية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، د إحياء التراث العربي – بيروت .
36-الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، ط 3 / 1983 م .
37-الكوكب المنير شرح مختصر التحرير ، علاء الدين بن سليمان المرداوي الحنبلي .
38-كتاب الكليات ، معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية ، أبي البقاء أيوب بن موس الحسيني الكفوي ، تحقيق : عدنان درويش محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت 1998 م
39-اللباب في علوم الكتاب،أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ، تحقيق : الش عادل أحمد عبد الموجود ، و الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط 1 1419 هـ ، 1998 م .
40-لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر – بيروت ، ط 3 / 1994 م .
41-اللمع في أصول الفقه ، أبي إسحاق إبراهيم الشيرازي ،اعتنى به : أيمن صالح شعبان ، المك التوفيقية – مصر .
42-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلس ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافعي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط 1 / 993 م .
43-المحصول في علم الأصول ، الإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين فخر الد الرازي ، علق عليه و وضع حواشيه : محمد عبد القادر عطا . محمد علي بيضون – دار الكت العلمية – بيروت – لبنان ، ط 1 / 1999 م .
44-مشكل إعراب القرآن ، مكي بن طالب ، تحقيق : د . حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرس – بيروت .
45-معاني القرآن ، الفراء ، تحقيق و مراجعة : أ . محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف الترجمة .

46-معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، حققه و خرج أحاديثه : محمد عبد
النمر عثمان جمعة ضميرية ، و سليمان مسلم الحرشي ، دار طيبه للنشر و التوزيع ، ط 4
1417 هـ ، 1997 م .
47-معاني القرآن و إعرابه، الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السّري ، شرح و تحقيق : د . ع
الجليل عبده شلبي ، عالم الكتاب – بيروت .
48-مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، تحقيق : عبد الحميد هندا
، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط 1 / 2000 م .
49-المغني ، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي ، و الشرح الكبير تحقيق : مح
شرف الدين خطاب ، و السيد محمد السيد ، دار الحديث – القاهرة
50-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري، تحقيق : محمد محي الدين ع
الحميد ، دار الطلائع للنشر و التوزيع ، و مكتبة الساعي للنشر و التوزيع ، والمكتبة العصرية
بيروت ، ط 2 / 1992 م .
51-مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق:عبد السلام محمد هارون ، اتحاد الكتاب العربي ، ط 423
هـ، 2002 م.
52-المقتصد في شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : كاظم نجر المرجان ، مكتبة الثقا
الدينية – القاهرة .
53-المقتضب، المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب – بيروت .
54-نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجو
، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، مؤسسة الرسالة – بيروت –لبنان ، ط 1404 هـ
1984 م .
55-النكت و العيون ، أبي الحسن علي بن محمد البصري البغدادي ، الشهير الماوردي .
56-النكت في تفسير كتاب سيبويه و تبيين الخفي من لفظه و شرح أبياته و غريبه ، أبي الحج
يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري ، دراسة و تحقيق : أ . رشيد بالحبيب ، وز
الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، ط 1999 م .

الواجب الأخلاقي عند كانط

د.فوزية محمد مراد

المقدمة:

تقوم فلسفة الأخلاق عند كانط[1] في مجملها على مفهوم الواجب؛ والذي ينطلق بالأساس من فلسفته الميتافيزيقية ولهذا وضع كتابه (نقد العقل العملي) ليبين فيه دعائم الأخلاق التي تستند على فكرة الواجب الأخلاقي. و من هذه الدعائم أو الأسس: حرية الإرادة، وخلود الروح؛ إذ أن قوانين الواجب العقلية تستلزم إرادة حرة تفعل كل ما تريد، ولولا هذه الحرية لما كان للإلزام أو التكليف أي معنى.

ومن الجدير بالذكر أن الأخلاق عند كانط تنزع نزوعًا واضحًا إلى الحرية، فالأفعال الأخلاقية مهما كانت نتائجها إذ لم تكن صادرة عن إرادة حرة لا تعد أفعالاً أخلاقية لأنها صادرة عن إرادة خارجية. فالفعل الأخلاقي عند كانط يصدر عن الناموس الداخلي و هذا ما عبر عنه كانط في عبارته المشهورة «أن بعض الأفعال يجب أن

1 - **كانط "Kant":** [1724 - 1804] فيلسوف ألماني عُرِفت فلسفته بالمثالية النقدية. ويعتبر من: أعظم الفلاسفة المحدثين ليس في الفلسفة الحديثة فحسب، وإنما في تاريخ الفلسفة برمته؛ فقد اشتهر بنقده المزدوج للعقلانيين من ناحية لوثوقهم المطلق في قدرة العقل على إدراك المعارف دون تمييز، ولكنه كذلك انتقد التجريبيين في تهميشهم دور العقل في بناء المعرفة. من أهم مؤلفاته: نقد العقل الخالص، ونقد العقل النظري ونقد ملكة الحكم، وكتاب تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق. لمعرفة المزيد ينظر: ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، ت: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط:بدون،1993، ص 259. معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد: الثالث، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط:الأولي،1993 ، ص520.

تعتبر أوامر إلهية، لأنها ملزمة لنا إلزامًا داخليًا، ولا ينبغي أن ينظر إليها على أنها ملزمة لنا لأنها أوامر إلهية »[1] .

إذًا كانط يربط مفهوم الواجب بمفهوم الحرية و من المحال القيام بالفعل الأخلاقي إذا لم يكن يملك القدرة أو الاستطاعة للقيام بهذا الفعل الذي يمليه عليه عقله. و جعل اهتمامه الأول منصب على الطبيعة الانسانية، واعتبرها "غاية في ذاتها". ومن أجل هذا كانت الحرية هي الصفة الأولى التي يجب أن تتمتع بها الشخصيات الإنسانية المستقلة.

ومن هنا فإن الواجب هو« الذي يسمح لنا بأن نتصور امتلاك الإنسان لحرية معقولة تعلو على نطاق الظواهر، وإلا لما كان للأمر المطلق أي معنى، ولما كان هناك موضع للحديث عن قانون أخلاقي»[2] .

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما الذي نعنيه بمفهوم الواجب؟ و هل يوجد فرق بينه وبين الإلزام؟ وما هي شروط هذا المفهوم؟ وما أهم الدعائم أو المبادئ التي يقوم عليها هذا المفهوم؟ وإذا كان الواجب أمر مطلق صادر عن إرادة خالصة إلى إرادة منفعلة بميول حسية: فكيف يمكن أن تتطابق هذه مع تلك؟ و إذا كان الواجب معنى عقليًا صرفًا فكيف يمكن أن يكون دافعًا نفسيًا إلى العمل؟

أهداف البحث:

1 –عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط: الثانية، 1975، ص122.

2 – على عبد المعطى محمد، أعلام الفلسفة الحديثة، ج: الأول، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط:بدون، 1997، ص247.

بما أن الأخلاق الكانطية تقوم على العمل أو هي علم العمل من حيث اشتماله على جملة من القوانين المطلقة فإنه من التناقض أن نسلم بفكرة الواجب عنده ثم نتهرب أو نزعم بأننا لا نستطيع "أداء ما هو واجب علينا القيام به" وهنا نتوصل إلى نتيجة حتمية وهي محو هذه الفكرة من الأخلاق نهائيًا.

لهذا يهدف هذا البحث الكشف عن آراء كانط الأخلاقية وبالتحديد فكرته عن الواجب وهي تتضمن النقاط الآتية:

1- وصف وتحليل مفهوم الواجب، مع الأخذ بالاعتبار المفهوم، والشروط، والدعائم التي يقوم عليها.

2- توضيح قيمة الأفعال الأخلاقية الخيّرة الصادرة عن الإنسان دون تحقيق أغراض أو أهداف مرجوة من ورائها.

3- توضيح الترابط الوثيق بين هذا المفهوم، ومفهوم الحرية أو الاستطاعة والقدرة الإنسانية.

4- تحليل العلاقة بين الإرادة الخالصة و الإرادة المنفعلة بميولها الحسية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من خلال معرفة آراء الفيلسوف أمانويل كانط حول مفهوم الواجب, ومدى ارتباطها بمفهوم الحرية أو الاستطاعة.

منهج الدراسة:

لكي يتم تحقيق هدف هذه الدراسة لابد من استخدام المنهج الوصفي التحليلي: المتمثل في وصف وتحليل فكرة الواجب، حتى نتمكن من الإلمام بمضمون هذا المفهوم من مختلف جوانبه. وكذلك المنهج التحليلي القائم على تحليل النصوص المتعلقة بمفهوم

الواجب. و محاولة فهمها وتبسيطها. أما تقسيمات البحث فاشتملت على ثلاثة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريفات الواجب.

لمعرفة مفهوم الواجب لابد لنا من تحديد تعريف لهذا المفهوم ومعرفة شروطه، وحيثياته، ومن تم التطرق له بشيء من التفصيل عند كانط. و سوف أحاول في هذا المبحث تقديم أهم التعريفات لمفهوم الواجب الواردة في القواميس الفلسفية والمعاجم اللغوية:

1- الواجب لغة.

يقول ابن منظور في لسان العرب« وَجَبَ الشيءُ يَجِبُ وُجُوبًا أَي لزمَ وَأَوْجَبَهُ هو، وَأَوْجَبَهُ الله، وَ اسْتَوْجَبَهُ أَي اسْتَحَقَهُ »[1] .

2- الواجب اصطلاحًا Devoir.

سنوضح في هذا المبحث أهم التعريفات الواردة لهذا المفهوم بشكلٍ عام وعند كانط بشكلٍ خاص وهي على النحو الآتي:

للواجب عند لالاند معنيين« أ- معنى مجرد: ... هو الوجوبُ الأخلاقي في ذاته، وعمومًا، بمعزلٍ عن أية قاعدة عمل خاصة. يقُال بنحوٍ خاص، ولكنَّه لا يقُال

1 - ابن منظور، لسان العرب، المجلد: التاسع، دار الحديث، القاهرة، ط: الأولى، 2003، ص217.

حصْرًا، على "الأمر القطعي" الكانطيّ. ب- معنى خاص وحسّي: إن واجبًا ما هو قاعدة عمل محدَّدة، لزوم مُعيَّن (عام أو خاص بالوظيفة، بالمهنة، إلخ. »[1].

ويعرّف كذلك بـ« ضرورة إنجاز الفعل احترامًا للقانون عمومًا، والقانون يتميز بأنه كلي، أي صادق في كل الأحوال. والقانون الأخلاقي خصوصًا هو القانون الذي يقول إن الفاعل الأخلاقي يتصرف أخلاقيًا إذا احتكم إلى العقل دائمًا، وسيطر العقل على كل ميوله. والواجب آمر مطلق يربط الإرادة بالقانون، وبالقاعدة الصالحة لأن تكون مبدأ للعقل»[2] .

أضافة إلى ما سبق يطلق مفهوم الواجب عند كانط على «الأمر المطلق.... الذي يتقيّد به المرء لذاته، لا طمعًا في شيء من الأشياء أو خشية منه»[3].

يرى كانط أن الواجب يطلب لذاته لا من أجل تحقيق مصلحة معينة أو غاية ما؛ إذ أنه منزه عن جميع الأغراض أو الغايات والمنافع. ولا يستند للعواطف أو المشاعر ولا ينتمى للتجربة الحسية أيضًا. بل هو أمرًا مطلقًا لأنه يمثل القاعدة الأساسية التي تستند عليها جميع الأفعال الأخلاقية. وهو ينشأ في العقل الإنساني بشكل تلقائي وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن كانط « اعتبر الواجب قانونًا أوليًا سابقًا على كل تصور تجريبي وأنه يمثل الواقعة الأساسية للعقل العملي الخالص»[4].

1 – أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، المجلد: الأول، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة:الثانية،2001، ص271.

2 – عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط:الثالثة، 2000، ص 920.

3 – جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، ط: الأولى، 2004، ص53.

4 – على عبد المعطى محمد، مرجع سبق ذكره ص242.

وبعد أن تعرفنا على مفهوم الواجب عند كانط وغيره من الفلاسفة ننتقل للتعرف على مفهوم الإلزام لمعرفة الفرق بينه وبين مفهوم الواجب إن كان يوجد فرق بينهما:

3-تعريف الإلزام الأخلاقي Obligation morale

ما يحدد واجباتنا الأخلاقية نظريتان الأولى هي (نظرية القيمة) و تعتمد هذه النظرية بشكل كبير على العنصر التجريبي أو الحسي؛ وتحاول تحديد الأشياء التي « يرغب فيها الناس ويودّون الحصول عليها ويعتبرونها خيرًا لهم، كالمال، مثلا أو الجمال أو السلطة أو الشهرة أو الصحة أو اللذة. وقد يصح تعريف الخير بأنه كل ما يمكّننا من تحقيق رغباتنا. وخير شيء ما قد يكون مطلقًا، أي خيرًا بذاته أو قد يكون خيرًا بالواسطة لأن قيمته ليست فيه بل في كونه وسيلة للحصول على شيء آخر. فمذهب اللذة مثلا يقوم على اعتبار اللذة الخير المطلق والوحيد»[1] .

أما النظرية الثانية فهي (نظرية الإلزام) وهذه النظرية تبعد جميع الاعتبارات الحسية عن واجباتنا الأخلاقية؛ فمهمتها« تحديد ما يصح فعله وما لا يصح فعله... ولعل الصفة الأساسية التي تميز نظرية الإلزام الأخلاقي عند كانط هي أنها لا تعتمد على أية نظرية حول القيمة. وقد أصر كانط على ضرورة تحديد واجباتنا الأخلاقية بمعزل تام عن طبيعة رغباتنا ووسائل ارضائها. كما إنه رفض كل النظريات الأخلاقية التي تبدأ بنظرية حول القيمة ومن ثم تجعل "واجبنا" تحقيق الحد الأقصى من هذه القيمة»[2].

يتضح لنا الفرق بين هذين النظريتين في أن نظرية القيمة تقوم على تحقيق المكاسب المادية التي تشبع الرغبات الإنسانية؛ لأن قيمة الشيء ليست في ذاته بل في كونه وسيلة للحصول على شيء آخر. أما نظرية الإلزام فهي على العكس تمامًا من

1 – مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية "الفكر العربي"، "فلسفة الأخلاق عند كانط" ، وضاح نصر، السنة الثامنة ، العدد: الثامن والاربعون، 1987، ص137.

2 – نفس المرجع، ص137.

نظرية القيمة فالواجب الأخلاقي لابد أن يصدر بعيدًا عن جميع الاعتبارات المادية أو الحسية؛ وقد جعلت هذه النظرية جلّ اهتمامها منصبًا على تحديد ما يجب القيام به من أفعال أخلاقية وما يجب تركه.

و الإلزام يعرّف بأنه« ما ينبغي عمله دون قسر. يصدر عن طبيعة الإنسان من حيث هو كائن قادر على الاختيار بين الخير والشر.... والإلزام الأخلاقي عند كانط وثيق الصلة بفكرة الواجب. وأساسه، في رأيه الحرية، واستقلال الإرادة» [1].

وهو يمثل كذلك « الرابطة الحقوقية التي بها يكون فعل الشيء أو عدم فعله واجبًا على الشخص تجاه الآخر؛ فهو إذًا علاقة حقوقية بين شخصين يسمّى أحدهما بموجبها دائنًا والآخر مدينًا» [2] .

وبالتالي الإلزام الأخلاقي« لا ينشأ عن عقد وإنما عن طبيعة الإنسان من حيث هو قادر على الاختيار بين الخير والشر[3]. فما كان فعله أو عدم فعله ممكنًا من الناحية المادية، ثم وجب حكمه من الناحية الخلقية، كان إلزاميًا، بمعنى أنّ الشخص لا يستطيع أن يتهاون في فعله أو عدم فعله من دون أن يعرّض للخطإ واللّوم» [4] .

---

1 – مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط:الأولى، 1998، ص89 ،90.

2 – جلال الدين سعيد، مرجع سبق ذكره، ص53.

3 – « المبدأ الأخلاقي الأعلى الذي تُستمد منه جميع المبادئ الأخرى ذو صورة خاصة ليست لأى مبدأ آخر ، وهي "الأمر الجازم" أو "الواجب". وليس الخير والشر بالمعنيين الأساسيين في أخلاقيات كانت، وإنما تحديدهما تبعا لمبدأ الواجب . فـ"الشر" هو كل ما لا يمكن أن يكون موضوعاً لأمر جازم، و "الخير" هو كل ما يخضع ضرورة لهذا الأمر ، و"مادة" الأخلاق مستخلصة من "صورتها"» ايمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، ترجمة: عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط: الثانية، 2009، ص114 .

4 – جلال الدين سعيد، مرجع سبق ذكره، ص53.

يرى كانط إن الإلزام هو في جوهره الأخلاق ولهذا يرفض المنهج التجريبي في الأخلاق لأننا باعتمادنا على هذا المنهج نلغي عن الأخلاق طابع الإلزام؛ وإذا ما استقرينا« واجباتنا الأخلاقية من عالم الحس والتجربة تضيع قبْليّة الواجب وكلّيته وضرورته ويصبح مشروطًا وغير مُلزمٍ على نحو مطلق. ويحذرنا كانط في تصديره لكتابه تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق فيقول".... إن البحث عن أساس الإلزام لا يكون في طبيعة الإنسان ولا في ظروف العالم الذي وُضع فيه، إنما يكون بحثًا قبْليّاً فقط في أفاهيم العقل المحض" . وإذا سمحنا لطبيعة الإنسان ولظروف العالم الذي يعيش فيه أن تُقرر مبادئ الأخلاق فالنتيجة ستكون نوعًا من النسبية أو الأنانية أو المنفعيّة» [1] .

يتبين لنا من التعريفات السابقة أن مفهوم الواجب أعم أو أعلى من مفهوم الإلزام وإن كان المفهومان متقاربان في الهدف أو الغاية؛ إذ أن مفهوم الواجب من وجهة نظر كانط يمثل الدعامة الأساسية أو القاعدة التي تقوم عليها جميع الأفعال الأخلاقية كما مر بنا في تعريف الواجب؛ وهو في نفس الوقت لا يقوم على تحقيق غاية أو غرض وإنما هو نزيه عن جميع هذه الغايات؛ أما الإلزام فهو يقوم على علاقة شرطية إذ بالإمكان القيام به أو عدم القيام، بمعنى لا يترتب على عدم القيام به أية مسئولية، والالتزامات الخُلقية قد تتعدد وتتعارض فيفاضل الإنسان بينها ويختار ما يتوافق وينسجم مع سلم القيم عنده، في حين أن الواجب صادر من الضمير الأخلاقي عند الإنسان اتجاه الفعل الأخلاقي.

وبعد التعرّف على مفهوم الواجب ومعرفة الفرق بينه وبين مفهوم الإلزام ننتقل للحديث عن مفهوم آخر على ارتباط وثيق بمفهوم الواجب هو مفهوم(الإرادة الخيّرة) فما المقصود بهذا المفهوم؟ وما مدى ارتباطه بمفهوم الواجب؟

1 – مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية "الفكر العربي"، مرجع سبق ذكره، ص137.

4- تعريف الإرادة الخيرةGood will

إن الإرادة الخيّرة هي« التي تعمل بمقتضى الواجب دون أي اعتبار آخر، ولهذا فهي الشرط الضروري والكافي للخلقية»[1] .ويعرّفها كانط بأنها تلك الإرادة التي« لا يكون لها قانون آخر سوى قانون الواجب»[2] أو هي« إرادة تفعل ما هو واجب لمجرد أنه واجب ... إن هذه الإرادة هي الشيء الوحيد في هذا العالم الذي يصح اعتباره خيراً على الاطلاق دون قيد أو شرط»[3] .

وتعرّف بأنها الإرادة التي لا تكون« خيِّرة بما تحدثه من أثر أو بما تحرزه من نجاح، ولا بصلاحيتها للوصول إلى هذا الهدف أو ذاك، بل إنها تكون عن طريق فعل الإرادة وحده أعني أنها خيرة في ذاتها وأنها إذا نظر إليها في ذاتها فلابد لنا – بلا وجه للمقارنة– أن نقدرها تقديرا يرتفع بها درجات عن كل ما من شأنه أن يتحقق بوساطتها لمصلحة ميل من الميول أيًا كان، لا بل لمصلحة كل الميول مجتمعة. وإذا ما شاءت نقمة الأقدار أو تقتير طبيعة تتسم بصفات الحموات أن تسلب هذه الإرادة كل قدرة على تحقيق أهدافها؛ وإذا ما عجزت برغم أشق الجهود التي تبذلها عن إدراك كل شيء، ولم يبقى إلا الإرادة الخيِّرة وحدها... فسوف تلمع بذاتها لمعان الجوهرة ، مثل شيء يحتفظ في نفسه بكل قيمته»[4] .

نفهم مما سبق أن الإرادة الخيرة هي الشيء الوحيد من بين جميع الأشياء في هذا العالم الذي يمكن عدّه خيرا بذاته. صحيح أن جميع البشر تسعى لتحقيق خيرات

---

1 – مراد وهبة، مرجع سبق ذكره، ص43.

2 – زكريا إبراهيم، كانت أو الفلسفة النقدية، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط: الثانية، 1972، ص 135.

3 – مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية "الفكر العربي"، مرجع سبق ذكره، ص139.

4 – أمانويل كانت، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ت: عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط: الأولى، 2002، ص39، 40.

غيرها كالذكاء والشجاعة والنجاح في الحياة والجاه والسلطة والمال إلا أن جميع هذه الخيرات لا يمكن أن تكون خيرات في ذاتها لأننا نستخدمها لتحقيق فعل خير أو لتحقيق فعل شر وبالتالي جميعها تنزع ثوب الخيّرية عنها؛ أي لا تصبح خيّرة في ذاتها إلا بالنسبة للغاية المرجوة من وراء استخدامها. ويضرب كانط مثالاً على الإرادة الخيّرة بفضيلة السيطرة على النفس أو رباطة الجأش فيرى إن هذه الفضيلة ليست خيرًا في ذاتها لأنها لو توفرت لدى المجرم لجعلت منها مجرمًا خطيرًا ؛ إلا أن الإرادة الخيرة لا تستمد خيّريتها من الغايات أو المقاصد التي تحققها إذ أنها متعالية عن جميع الأغراض المادية أو الحسية بل هي تستمد خيريتها من باطن ذاتها "آنيتها" باعتبارها الشرط الأول والضروري لكل الأفعال الأخلاقية؛ وإذا انعدمت الارادة الطيبة من الفعل أو العمل الأخلاقي أصبح عديم الصبغة الأخلاقية. وبالنتيجة فالإرادة الخيّرة هي« إرادة تفعل من أجل الواجب» [1] .

المبحث الثاني: شروط الواجب الأخلاقي

يقوم الفعل الأخلاقي عند كانط على جملة من الشروط التي يجب أن تتوفر في الفعل حتى يكون الفعل الصادر عن الإنسان فعلا أخلاقيًا ومن هذه الشروط ما يلي:_

1- صوري محض

ينص الشرط الأول لمفهوم الواجب عند كانط على أن يكون فعل الواجب صوري محض بمعنى أنه« تشريع كليّ أو قاعدة شاملة لا صلة لها بتغيرات التجربة. ولما كان الواجب هو والعقل الخالص شيئًا واحداً، فإن الواجب لا يقوم على أي اعتبار عملي أو تجريبي، بل هو مبدأ صوريّ خالص» [2] .

1 – فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ت: حبيب الشاروني، محمود سيد أحمد، المجلد: السادس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط:الأولى، 2010، ص428 ،429.

2 – زكريا إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص 138.

يبين كانط في هذا الشرط أنه لابد أن يكون الواجب الأخلاقي صوري محض، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعمل بالواجب، ولابد أن يضع أمامه هدف أولي يقوم على أساس أن قيمة الفعل الأخلاقي لا تكون في مردوده، وإنما قيمته تزيد في بدل الجهد والعطاء دون انتظار أي مقابل أو عائد مادي أو معنوي.

2-البراءة من المصلحة أو الهوى.

يرى كانط أن الفعل الأخلاقي لابد أن يكون منزه عن كل غرض أو مصلحة وهذا ما يعبر عنه حين يقول« الفعل الذي يتم عن إحساس بالواجب لا يستمد قيمته الأخلاقية من الهدف الذي يرجى بلوغه من ورائه، بل من المسلمة التي تقرر القيام به وفقًا لها، فهي إذن لا تتوقف على واقعية موضوع الفعل، بل تعتمد فحسب على مبدأ الإرادة الذي حدث الفعل بمقتضاه بصرف النظر عن كل موضوعات الاشتهاء»[1] .

يبين كانط أن الواجب الأخلاقي يتسامى على جميع اعتبارات اللذة، والمنفعة، والغاية، والمصالح الفردية؛ إذ أن قيمته تنبع من صميم الواجب ذاته بصرف النظر عن أي فائدة أو أي مردود مادي.

يقول (الحار) في كتابه إن الفعل الأخلاقي في نظر كانط« لا يمكن أن يقوم به من أجل هدف أو غاية أو نتيجة أخرى خارجه عنه، ولكن الفعل الأخلاقي يقوم في أساسه على قرار الإرادة الإنسانية الخيّرة، فأهدافي التي أسعى إليها لا تعتمد عليّ أنا فقط، ولا يمكن أن نحكم أنها خيّرة أو شريرة طبقًا للنتائج المترتبة عنها. إن جميع أفعالنا الأخلاقية قائمة في أساسها على مبدأ عام أخلاقي شامل، وقانون، وواجب مطلق غير نسبي. إنه هو أساس جميع الأفعال الأخلاقية التي يقوم بها الإنسان» [2] .

---

1 - أمانويل كانت، مصدر سبق ذكره، ص50.

2- أحمد مصطفى الحار، دراسات في مذاهب على التفسير الحديث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ط:الأولى، 2002، ص 156.

مما سبق نستنتج أن الأفعال الأخلاقية الصادرة عن الواجب لابد أن تكون منزه عن جميع الأغراض والمصالح المادية، و يشبه كانط الواجب الأخلاقي في الشرط الثاني من شروط الواجب بالنشاط الفني في ممارسته لا في نتائجه؛ إذ أن الفعل الأخلاقي مصدره الأساسي أو اعتماده الأساسي على الجانب الروحي في الإنسان وهذا ما ينتج عنه أفعال أخلاقية منزه عن جميع الأغراض أو الأهداف.

ويبين لنا هذا الشرط أو القضية التي نادى بها كانط الفرق الشاسع بين الأخلاق الكانطية وغيرها من ضروب المذاهب الأخلاقية الحديثة منها والمعاصرة التي تجعل من الجانب البيولوجي في الكيان الانساني المنبع أو الأساس الأول الذي تصدر منه الأفعال الأخلاقية.

3- قاعدة لا مشروطة للفعل

ينص الشرط الثالث من شروط الواجب الأخلاقي على أنه « لا سبيل إلى تأسيس الواجب على شيء آخر أو إرجاعه إلى أي شيء آخر، ما دام "الواجب" هو الدعامة التي يستند إليها كل تقدير عملي وكل حكم خلقي. وبعبارة أخرى يقرر كانت أن الواجب قانون أولى سابق على كل تصور تجريبيّ، أو هو على الأصح أولى تركيبي يمثل الواقعة الوحيدة للعقل العمليّ المحض» [1] .

نستنتج من هذا الشرط أنه لابد أن يستند الواجب على قاعدة لا مشروطة للفعل الأخلاقي؛ إذ لا سبيل لرد الواجب لشيء آخر ما دام هو الدعامة والأساس الأول لجميع الأفعال الأخلاقية.

كما أن الأفعال الأخلاقية يحددها الواجب أو القانون الأخلاقي الذي يتميز بأنه ضروري وشامل وعام؛ وهو كذلك مطلق وغير نسبي. ولابد أن تكون جميع الأفعال الأخلاقية منزهة عن كل غرض أو مصلحة، وهي لا تعلمنا كيف نكون سعداء بل إنها

1 – زكريا إبراهيم، مرجع سبق ذكره ص 138.

تعلمنا كيف تكون جديرين بالسعادة. لهذا كان لزامًا علينا أولاً وقبل كل شيء أن نعمل واجبنا وإذا ما أديناه، بحثنا فيما إذا كان« الفعلُ الذي حققناه يتضمَّن الإيمان بإمكانية تحقيق الخير الأقصى لذلك الشخص الذي هو جدير به. ولئن كان الواجب في نظر كانت يفترض الحرية ويكتمل بالسعادة، إلا أنه لابد أولاً وقبل كل شيء من إطاعة الواجب بوصفه واجبًا ليس غير» [1] .

و أضاف كانط أن جميع الأهداف التي نسعى لتحقيقها والآثار الناتجة عن هذه الأهداف بوصفها غايات لا تعطينا أي قيمة أخلاقية. وذلك لأن الإرادة تقع « موقعًا وسطًا بين مبدئها القبلي، وهو شكلي، وبين البواعث البعدية الدافعة إليه، وهي مادية، وكأنها تقع على مفترق الطرق، ولما كان من اللازم أن تتحدد عن طريق شيء ما، فلابد لها أن تحدد عن طريق المبدأ الشكلي للإرادة بوجه عام، حينما يحدق فعل عن واجب، إذ يكون قد نزع عنه كل مبدأ مادي»[2]

وصفوة القول إننا خلال بحثنا عن شروط الواجب أنه لابد أن تكون جميع الأفعال الأخلاقية منزهة عن كل الأغراض أو المصالح والمنافع المادية. واستنتجنا كذلك أنه لا يمكن إرجاع الواجب إلى شيء آخر لأنه يمثل الدعامة أو القاعدة التي تستند عليها جميع الأفعال؛ لهذا لابد أن يكون مفهوم الواجب يتسامى على جميع اعتبارات اللذة لكي نصل إلى الخير الأقصى؛ وبعد التعرف على شروط الواجب ننتقل للحديث عن المبادئ أو القواعد التي يستند عليها هذا المفهوم وتوضيح مدى أهميتها في تبلور أو تشكل مفهوم الواجب.

1 – نفس المرجع، ص 138.
2 – أمانويل كانت، مصدر سبق ذكره، ص51.

المبحث الثالث: مبادئ الواجب الأخلاقي

تقوم الأخلاق عند كانط على جملة من القواعد[1] أو المبادئ يمكن حصرها في نقاط على النحو التالي:

1-قاعدة التعميم:

يقول كانط « اعمل دائمًا بحيث يكون في استطاعتك أن تجعل من قاعدة فعلك قانونًا كليًا للطبيعة، فهذه القاعدة الأساسية يعتبرها كانط مبدأ لسائر القواعد الأخرى وهي تعنى أن المحك الأوحد للسلوك الخلقي هو إمكان تعميمه من غير تناقض» [2] .

تنص هذه القاعدة أو المبدأ الذي يجعل منه كانط أساسًا لسائر القواعد الأخرى على تحويل الأفعال الأخلاقية التي نقوم بها إلى قوانين كلية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان دون أدنى تناقض وإذا ما حصل التناقض تناف الفعل الأخلاقي مع ما تنص عليه القاعدة الكانطية. ونضرب لهذه القاعدة مثالاً لنفرض أن هناك تاجرا اقترض مالاً ووعد برده لصاحبه في موعد تم الاتفاق عليه فإذا ارجع المال في وقته صح اعتبار ما قام به قانونًا عامًا يطبق في أي زمان ومكان لأن هدفه الأساسي احترام الواجب الأخلاقي في ذاته، أما إذا لم يوفٍ بما عهد وكان على علم بعدم قدرته على إيفاء الدين منذ البداية فسيكون هذا الفعل منافيًا للقاعدة ولا يمكن اعتباره قانونًا أخلاقيًا كليًا .

---

1 – نقول قواعد أو مبادئ أو مسلمات ويقصد بالمسلمة« المبدأ الذاتي للفعل الذي تجعل منه الذات نفسها قاعدة لسلوكها(أي الذي يبين كيف تريد أن تفعل) أما مبدأ الواجب فهو على العكس من ذلك ما يأمرها به العقل على نحو مطلق، وبالتالي على نحو موضوعي (ويبين كيف ينبغي عليها أن تفعل) وإذن فالمبدأ الأعلى للمذهب الأخلاقي هو كما يلي: راع في فعلك أن يكون مطابقًا لمسلّمة تصلح في نفس الوقت لان تكون قانونًا عامًا– وكل مسلمة ليست كفئاً لذلك فهي منافية للأخلاق» لمعرفة المزيد ينظر: أمانويل كانت، مصدر سبق ذكره، ص52.

2 – على عبد المعطى محمد، مرجع سبق ذكره، 244،245.

خلاصة القول في هذه القاعدة مفاده الإجابة على السؤال التالي« يكفى الإنسان العادي، العديم الخبرة، العاجز عن مواجهة كل ما يقع في الكون من أحداث أن يسأل نفسه: هل تستطيع أن تريد لمسلمتك أن تصبح قانونًا عامًا؟ فإذا كان الجواب بالنفي، فإن المسلمة تكون جديرة بأن تطرح جانبًا، أعنى لا يمكن أن تكون مسلمة أخلاقية»[1] .

2-قاعدة الغائية:

يقول كانط« اعمل دائمًا بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي أشخاص الآخرين كغاية لا كمجرد وسيلة» [2] .

يرى كانط في هذه القاعدة أنه لابد أن تعامل الناس في ذاتهم ولا تستخدمهم كوسيلة لتحقيق أغراضك، فمن شروط الواجب الأخلاقي أن يكون خاليًا من كل مصلحة أو هوى؛ وإلا لكان الفعل منافيًا للواجب الأخلاقي. فالإرادة الصالحة هي إرادة العمل بمقتضى الواجب؛ أي للواجب دون أي اعتبارات أو أهداف آخري.

3- قاعدة الحرية:

يقول كانط «اعمل بحيث تجعل إرادتك بمثابة مشرع يبين للناس قانونًا عامًا. وهذه القاعدة هي بمثابة مركب يجمع بين القاعدتين السالفتين، لأنها تنص على ضرورة خضوع الإنسان للقانون باعتباره هو مشرعه فإرادة الكائن العاقل تكون خاضعة للقانون الذي هو من وضعها أصلاً وحينما يقول كانط إن الإرادة هي المشرعة للقانون، فهو يعنى بذلك أن لديها من الاستقلال الذاتي ما يجعل منها إرادة حرة لا تصدر في كل أفعالنا إلا

1 – على عبد المعطى محمد، مرجع سبق ذكره، 240،241.

2 – المرجع نفسه، 246.

عن طبيعتها العاقلة. أن مصدر الالزام الخلقي ليس صادرًا عن سلطة خارجية، بل هو صادر عن سلطة داخلية تجعل من الارادة مصدر التشريع الخلقي كله»[1].

كانط يرى أن القيام بالأفعال لابد أن يكون صادرًا عن احترام للقانون (القانون الأخلاقي) إذ الواجب هو ضرورة القيام بفعل عن احترام للقانون، والخاصية الأساسية لهذا القانون هي الكلية أو العمومية التي لا تقبل الاستثناءات، ومما يؤكد عليه كانط أن أفعال الإنسان إذا كان يجب أن تكون لها قيمة أخلاقية لابد أن تؤدى من احترام القانون فقيمتها كما يرى كانط ليست في نتائجها سواء أكانت فعلية أم مقصودة وإنما من قاعدة الفاعل التي تنص على احترام القانون الأخلاقي النابع من أداء الفعل من أجل الواجب.

وهنا نتسأل: **إذا كان الفعل الأخلاقي لابد أن يصدر عن احترام القانون الأخلاقي الذي يتسم بالكلية والصورية فكيف يمكن نقل هذا المصطلح إلى مصطلحات الحياة الأخلاقية العينية؟**

إن الإنسان هو الكائن الأخلاقي الوحيد الذي يعمل بمقتضى القانون وهو كذلك الذي يعمل بمقتضى قاعدة يمكنه أن يسعى من ورائها الوصول إلى قانون كلي عام؛ هذا القانون من وجهة نظر كانط هو « مصدر الحرية العملية التي تحد بأنها استقلال الإرادة بإزاء ضغط الميول الحسية. فإذا ألغينا هذا القانون لم نستطع البتة أن نحصل على أدنى فكرة عن الحرية لأن القانون الخلقي ليس ضرورة آلية ننقاد لها قسرًا؛ شأن قوانين الفيزياء، بل هو وصية تحدد لنا الأعمال(الواجبة). فبدون الحرية يغدو الوعي بالقانون الأخلاقي خلواً من كل معنى. إذًا فالحرية والقانون الخلقي يتضمن كل منهما الآخر تبادليًا ولكن لا

1 – المرجع نفسه، 246،247.

وعي مباشر لدينا إلا بالقانون الخلقي الذي يعرض نفسه علينا ويقودنا مباشرة إلى فكرة الحرية»[1] .

يتبين لنا من خلال هذا النص أن كانط يربط مفهوم القانون بمفهوم الحرية إذ ما السبيل للقيام بالأفعال الخلقية إذ لم يكن الإنسان يمتلك حرية القيام بهذه الأفعال، وكيف يمكن أن تكون التجربة الأخلاقية ممكنة إذ لم تتوفر هذه الاستطاعة أو الحرية؟ كذلك لكي تكون هذه الأفعال خلقية لا يكفى أن تكون صادرة عن احترام القانون بل لابد أن تكون صادرة عن الإرادة الخيرة التي تلتزم بالواجب التزامًا خالصًا من حيث هو كذلك دون ما قيد أو شرط، من غاية أو منفعة أو غرض أو نزوة .

وهنا نلحظ أن الفعل الأخلاقي عند كانط كلى ومطلق وبالتالي فهو ضرورة حتمية، ومن جهة ثانية لابد أن يكون صادر عن حرية واستطاعة وقدرة. ومع ذلك فلابد منهما معا رغم تناقضهما لتكامل البناء الأخلاقي. وهنا يكمن التناقض عند كانط.

لحل هذا الإشكال يبين كانط إنه لا يقصد بالكلية والضرورة في الفعل الأخلاقي« أن يرضخ الإنسان للإلزام رضوخ الظاهرة الطبيعية لقانون الجاذبية. وإنما ينبع هذا الالزام الأخلاقي من ذات الإنسان، فهو ينبثق من الإرادة الخيرة، لكي يربط الإنسان كفرد بالإنسانية كمعنى ولكي يربط الإنسان في اللحظة الزمانية الزائلة بالإنسانية كلها كدوام وخلود. وإذا كان الأمر الأخلاقي مجردًا من كل غاية أو منفعة عامة، مطلقًا ضروريًا شاملاً، متعاليًا فليس معنى هذا أنه ينكر صفة الإنسان الحسية من حيث هو لحظة قلقة بين لحظات الماضي والمستقبل وليس معنى هذا أنه ينكر ذلك الصراع والتمزق بين

1 – مراد وهبه، المذهب عند كانط، ترجمة: نظمى لوقا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط: بدون، 1979، ص 79 ،80.

الرغبات والانفعالات التي تشبك الإنسان بالواقع الحسي. وإنما معنى هذا أنه الإنسان حين يمارس العمل الأخلاقي لا يمارسه راضخًا لهذا الصراع أو مستسلمًا لهذا التمزق» [1] .

إن القانون المجرد الخالص هو وحده الذي يستحق الاحترام وبالتالي يعد أمرًا أخلاقيًا؛ وهو ما يؤلف الواجب لأنه شرط الإرادة الخيرة في ذاتها التي ترتفع قيمتها فوق كل شيء. ولكن السؤال الذي يُوجه لكانط هو **كيف يعرف الإنسان ما ينبغي عليه فعله؟ و هل فعله نابع من احترامه للواجب؟ و كيف يكون فعله خيرًا من الوجهة الأخلاقية؟**

يوضح كانط الفرق بين الأفعال الأخلاقية والأفعال القانونية مبينًا أن الأفعال التي تصدر انطلاقًا من احترام القانون، والقيام بكل ما يمليه خوفًا من العقاب أو تأنيب الضمير أو خشية الله أو احترام الرأي العام لا تعد أفعالاً أخلاقية بمعنى الكلمة؛ أما من يقوم بالفعل احترامًا للواجب في ذاته دون أدنى مصلحة أو غاية ترجى فهذا وحده ما يسمى بحق "فعلاً أخلاقيًا" وأما كل ما عداه من الأفعال لا تعد أفعالاً أخلاقية. وللإجابة على الاسئلة السابقة نقول إن الفعل الأخلاقي لكي يكون فعلاً أخلاقيًا لابد أن تتوفر فيه الشروط التالية:

1-لابد وأن يكون صادرًا عن إرادة خيرة.

2- لابد و أن يكون صادرًا وفقًا للواجب والقانون الأخلاقي المطلق بصرف النظر عن النتائج المترتبة عنه.

3-لابد وأن يراعى أن الناس يجب معاملتهم على أنهم غايات وليسوا وسائل لغايات أخرى.

[1] – محمد عزيز نظمي سالم، تاريخ الفلسفة، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ط:بدون، ت: بدون، ص251 ، 252.

4- لابد أن تكون الأفعال الأخلاقية يمكن اعتبارها مبادئ وقوانين عامة وشاملة يسير عليها كل شخص . ولكن السؤال الآن هل يمكن تطبيق هذه المبادئ الأخلاقية التي يقول بها كانط كالواجب الأخلاقي المطلق بأنه قانون أخلاقي عام وشامل صالح لكل زمان ومكان، وأن المبادئ الأخلاقية مبادئ قبلية سابقة عن كل تجربة، وبسيطة واضحة، ويقينية بذاتها، ولا تحتاج إلى التجربة للتحقق منها [1] .

صفوة القول: يتبين لنا مما سبق أن الأفعال الأخلاقية لكي تكون أفعالاً أخلاقية بجدارة لابد أن تنطلق من الإجابة على السؤال الآتي: هل في الإمكان جعل جميع الأفعال الأخلاقية التي نقوم بها قوانين أو مبادئ عامة يسير عليها جميع الناس؟

إذا كانت الإجابة بنعم فإن جميع أفعالنا الأخلاقية صادرة عن الإرادة الخيّرة . أما إذا كانت الإجابة بالنفي فإن أفعالنا الأخلاقية تناقضت مع ما يقوم عليه الواجب الأخلاقي من مبادئ أو قواعد.

الخاتمة

1-يرى كانط أن كل إنسان عليه واجب يجب أن يقوم به؛ فالعقل يأمرنا بطاعة القانون الأخلاقي إلا إنه يلغي هذا الأمر إذ لم تتوفر الاستطاعة أو الحرية التي تجعله يقوم به. بمعنى أنه يربط مفهوم القانون بمفهوم الحرية إذ ما السبيل للقيام بالأفعال الخلقية إذ لم يكن الإنسان يمتلك حرية القيام بهذه الأفعال، وكيف يمكن أن تكون التجربة الأخلاقية ممكنة إذ لم تتوفر هذه الاستطاعة أو الحرية؟

2- يؤكد كانط على أن جميع الأفعال الأخلاقية تستمد من العقل ولا يكفى أن يكون الفعل مطابقًا لما يقتضه الواجب، بل لابد أن تكون القيمة الأخلاقية نابعة من الإحساس بالواجب .

1 -أحمد مصطفى الحار، مرجع سبق ذكره، ص 158.

3- يبين كانط أن الواجب عبارة عن أمر مطلق لأنه يمثل القاعدة الأساسية التي تستند عليها جميع الأفعال الأخلاقية، وهو صادر عن إرادة خالصة إلى إرادة منفعلة بميول حسية، يقوم على مسلمة مفادها: أعمل كما لو كنت تريد أن تقيم الحكم الصادر عن فعلك قانونًا كليًا للطبيعة.

4- لكي تكون هذه الأفعال خلقية لا يكفى أن تكون صادرة عن احترام القانون بل لابد أن تكون صادرة عن الإرادة الخيرة التي تلتزم بالواجب التزامًا خالصًا من حيث هو كذلك دون ما قيد أو شرط، من غاية أو منفعة أو غرض أو نزوة .

5- إن الإرادة الخيرة هي الشيء الوحيد من بين جميع الأشياء في هذا العالم الذي يمكن عدّه خيرا على الإطلاق. فالإرادة الخيرة لا تستمد خيّريتها من الغايات أو المقاصد التي تحققها إنما هي متعالية عن جميع الأغراض المادية بل هي تستمد خيريتها من باطن ذاتها "نيتها" باعتباره الشرط الأول والضروري لكل الأفعال الأخلاقية؛ وإذا انعدمت الارادة الطيبة من الفعل الأخلاقي أصبح عديم الصبغة الأخلاقية.

6-يرى كانط أن الفعل الأخلاقي لابد أن يكون منزه عن كل غرض أو مصلحة؛ أي يتسامى على جميع اعتبارات اللذة، والمنفعة، والغاية، والمصالح الفردية؛ فقيمة الواجب الأخلاقي تنبع من صميم الواجب ذاته. و يشبه كانط الواجب الأخلاقي بالنشاط الفني في ممارسته لا في نتائجه؛ و الاعتماد الأساس للفعل الأخلاقي يكون على الجانب الروحي في الإنسان وهذا ما ينتج عنه أفعال أخلاقية منزه عن جميع الأغراض أو الأهداف.

7-يُجمل كانط القواعد التي يقوم عليها الواجب الأخلاقي في قاعدة واحدة تعتبر أساسًا لسائر القواعد الأخرى هي: تحويل جميع الأفعال الأخلاقية التي نقوم بها إلى قوانين كلية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان دون أدنى تناقض، وإذا ما حصل التناقض تناف الفعل الأخلاقي مع ما تنص عليه القاعدة الكانطية.

قائمة المصادر والمراجع

1-ابن منظور، لسان العرب، المجلد: التاسع، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، 2003 .

2- أحمد مصطفى الحار، دراسات في مذاهب على التفسير الحديث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، الطبعة: الأولى، 2002.

3- أمانويل كانت، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، ألمانيا، الطبعة: الأولى، .2002

4- أمانويل كانط، مشروع السلام الدائم، ترجمة: عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة: الثانية، .2009

5- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، المجلدان: الأول والثالث، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة:الثانية،2001 .

6- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، الطبعة: الأولى، 2004 .

1- ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، ترجمة: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة:بدون،1993.

2- زكريا إبراهيم، كانت أو الفلسفة النقدية، دار مصر للطباعة ، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1972.

3- عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 2000.

4- عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1975.

5- على عبد المعطى محمد، أعلام الفلسفة الحديثة، الجزء: الأول ، دار المعرفة

الجامعية، الاسكندرية، الطبعة: بدون،1997.

6- فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ترجمة: حبيب الشاروني، محمود سيد أحمد، المجلد: السادس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010.

7- مراد وهبه، المذهب عند كانط، ترجمة: نظمى لوقا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة: بدون، 1979.

8- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1998.

9- معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد: الثالث، معهد الإنماء العربي، بيروت، الطبعة:الأولي،1993.

10- محمد عزيز نظمي سالم، تاريخ الفلسفة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

11- مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية "الفكر العربي"، "فلسفة الأخلاق عند كانط" ، وضاح نصر، السنة الثامنة، العدد: الثامن والأربعون، 1987.

التنميط الجنسي في المعاملة الوالدية وتكوين صورة المرأة لدى الطفل

دراسية ميدانية

أ.سعاد علي الرفاعي(*)

مقدمة:

يُكوِّن الطفل أثناء تفاعله مع أبويه نسقاً بنائياً، يدرك فيه معنى دوره في المجتمع والتزامات هذا الدور، والتوقعات المطلوبة منه في المواقف المختلفة، كما يفهم دور والده، والدته، والفرق بينهما، ويعرف معنى الذكورة والأنوثة، والفرق بينهما، كما يتعلم ما يطلب من نوعه وتوقعاته هو من النوع الآخر[1]، بمعنى أنه غالباً ما يكون الغرض من التنشئة في طور الطفولة هو تدعيم المعايير المرتبطة بأدوار السلوك، وتثبيت المعتقدات العامة المشتركة التي تؤكد السلوك المناسب للولد أو البنت، خاصة وأن التنشئة الاجتماعية في عمومها ما هي إلا عملية إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية[2]، ولذا فإن توافق سلوك الطفل مع معايير دور نوعه يساعد على التنبؤ بسلوكه في طور الرشد، ونقصد بسلوك الدور أن يتعلم الطفل كيف يؤدي الدور المرتبط بنوعه، وإن كان مفهوم سلوك دور الطفل مفهوم عام وغامض وله أكثر من معنى، فقد يقصد به المكانة والعلاقات وكيفية اكتساب الدور، وكيفية التفاعل مع الآخرين، أو يدل على الفرق بين سلوك الذكر وسلوك الأنثى وقدرات وتفضيلات كل نوع، أو قد يقصد به التوقعات المنتظرة من الذكر والأنثى وتقسيم العمل بينهما[3]، وعموماً فإن أغلب المداخل النظرية الحديثة التي تُعنى بدراسة الطفل لا تعزي الفروق بين النوعين إلى الخصائص البيولوجية لكل نوع بقدر ما ترجعها

(*): عضو هيئة تدريس، جامعة المرقب، كلية الآداب– الخمس، قسم علم الاجتماع.

1. محمد سعيد، فرح، الطفولة والثقافة والمجتمع، منشأة المعارف، الإسكندرية، ب. ت، ص45.
2. زكريا الشربيني، يسرية الصادق، تنشئة الطفل، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006، ص19.
3. محمد سعيد، فرح، مرجع سابق، ص45.

إلى التفاعل الإيجابي بين الطفل ومحيطه الاجتماعي والثقافي والإيكولوجي[1]، وعليه جاءت هذه الدراسة لتكشف عن مدى تأثير التربية الوالدية في تعزيز الصورة النمطية حول المرأة.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

لعل أية محاولة لتغيير واقع المرأة والمجتمع عموماً، تتطلب إعادة تغيير أساليب التنشئة الاجتماعية- بجانب إحداث تغييرات أساسية في البناء الاجتماعي- لاسيما التنشئة الاجتماعية القائمة على أساس التنميط الجنسي، والتي تُعزى إليها تثبيت كثير من القيم السلبية وخصوصاً المتعلقة بوضع الإناث ومكانتهن بالمجتمع، الأمر الذي غالباً ما يشكل عقبات أمام إسهام المرأة في التنمية وفي بناء مجتمعها بشكل عام، ولما كانت أساليب التربية الوالدية في السنوات الأولى هي التي تمهد لنمو شخصية سوية تقدر ذاتها كما تحترم ذوات الآخرين، فإننا نطرح السؤال الإشكالي التالي: إلى أي حد يمكن القول بأن التربية الوالدية تسهم في تكوين صورة المرأة لدى الطفل وفي توجيه تمثله[*] لها نحو الإيجاب أو السلب ؟

---

[1]. أوليفية هودى، علم نفس الطفل، ترجمة: مي هاشم، جد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009، ص16- 17.

[*] التمثل Assimilation: هو تلك العملية اللاشعورية التي يأخذ فيها الفرد الأحداث الخارجية والخبرة ويوحدها مع أنظمته القائمة بالفعل، أو هو العملية اللاشعورية التي بواسطتها تتوحد عناصر البيئة مع البناء المعرفي للطفل، أو بمعنى آخر هو عملية إدماج الموضوعات أو الخبرات الجديدة في مخططاته العقلية القائمة بطريقة لاشعورية، كما أنها عملية نشطة تتسم بالتحليل والإدراك المنطقي على أساس إنها محاولة لتلبيس الخبرة في أنسقة معرفية موجودة، والتمثل والمواءمة (Accommodation) هما عنصري عملية التكيف فإذا كان الفرد في التمثل يغير من الشيء الخارجي حتى يتناسب معه، فإنه في المواءمة يغير من نفسه حتى يتناسب مع الشيء الخارجي، فنجده يغير من صوره الإجمالية حتى تتناسب مع الواقع

وعليه يمكن تحديد الأسئلة التي تهدف هذه الدراسة للإجابة عنها في السؤالين الآتيين:

س1/ هل تتعرض التربية الوالدية التقليدية للأبناء إلى تغييرات نوعية نتيجة لارتفاع المستوى التعليمي للأمهات وتزايد مشاركتهن في سوق العمل والإنتاج ؟

س2/ ما نوع العلاقة التي تربط بين صورة المرأة لدى الطفل والتنميط الجنسي في المعاملة الوالدية للأبناء من الجنسين ؟

1- فروض الدراسة:

الفرضية (1): كلما ارتفع المستوى التعليمي للأمهات وازدادت مشاركتهن في سوق العمل والإنتاج، كلما اتسمت معاملتهن لأبنائهن من الجنسين بالمساواة وعدم التمييز.

الفرضية (2): كلما انخفض المستوى التعليمي للأمهات وضعفت نسبة مشاركتهن في سوق العمل والإنتاج، كلما اتسمت معاملتهن لأبنائهن بالتفرقة والتمييز على أساس الجنس.

الفرضية (3): كلما ضعفت الفروق الجنسية في المعاملة الوالدية للأبناء، كلما كان تمثلهم لصورة المرأة إيجابياً، وكان تماهيهم مع فكرة المساواة بين الجنسين قوياً.

الفرضية (4): كلما كانت هناك فروق جنسية حادة في المعاملة الوالدية للأبناء، كلما كان تمثلهم لصورة المرأة سلبياً، وكان تماهيهم مع فكرة المساواة بين الجنسين ضعيفاً.

2- أهمية الدراسة:

تكمن في الكشف عن اضمحلال أيديولوجيا التنميط الجنسي الذي تعتمده القوى والمؤسسات التقليدية لغرض فرض هيمنتها على كل مناحي الحياة، ولإبقاء المرأة على ما

الخارجي بطريقة أفضل، وهكذا تتم عملية التعلم لدى الطفل، إذ أن التعلم ما هو إلا عملية تفاعل بين تمثل الحقائق الجديدة في المعرفة القديمة، ومواءمة المعرفة القديمة مع الحقائق الجديدة، وبإحداث التوازن الجيد بين التمثل والمواءمة يكون التكيف.

هي عليه من دونية في المجتمع، كما تهدف الدراسة للكشف عن مدى استمرار تلك الأيديولوجيا في تكوين شخصية النشئ ونمط تفكيرهم- لاسيما استمرار الصور النمطية حول الأنثى في أذهانهم- باعتبارهم عنصراً أساسياً وإيجابياً في تكوين وبناء المجتمع.

3- مقاربات في المفاهيم:

1. مفهوم التنميط والصور النمطية:

يرى كثير من الباحثين أن عملية التنميط ليست سوى عملية معرفية (Cognitive Process) تعتمد في تكوينها على عمليات معرفية أخرى كالتصنيف (Categorization) والتعميم (Generalization) يلجأ إليها الفرد من أجل تبسيط المعارف والمعلومات الغزيرة والمعقدة التي يتلقاها من محيطه الخارجي بشقيه المادي والاجتماعي، ومع ذلك فالصورة النمطية (Stereo Type) لا تتساوى مع الفئة (Category)، فالأخيرة هي مفهوم حيادي واقعي مجرد من أحكام القيمة، يطلق على الخصائص والسمات التي تميز جماعة معينة من غيرها، في حين أن الصور النمطية هي تصور مفرط في التبسيط (Over Simplified) وتعميم مبالغ فيه (Over exaggerated)، ثابت نسبياً ومليء بأحكام القيمة (Value Loaded) يرتبط بالفئة كعلامة ملاصقة لها، ودالة عليها[1].

ويتم تصور الفرد وإدراكه لجميع أعضاء الفئة أو الجماعة بطريقة واحدة متشابهة، متغاضياً عن الفروقات الفردية الموجودة بينها، وبحكم طبيعة هذه العملية المعرفية يقوم الفرد بحشر جميع أفراد هذه الفئة أو الجماعة في صورة نمطية جامدة بناءً على معرفته البسيطة لحقائق عنها، ومعلومات ضئيلة حولها أو حول بعض أفرادها، وفي أحيان أخرى يتم التنميط من دون هذا كله، خاصة عندما يتعذر الاتصال والتفاعل بين

[1]. حلمي خضر، ساري، المرأة كآخر: دراسة في هيمنة التنميط الجنساني على مكانة المرأة في المجتمع الأردني، صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص761.

الفرد والآخرين، إلا أن الصورة التي يكونها الفرد عن جماعة ما بهذه الطريقة الفردية، تبقى صورة خاصة به وحده، ولا تتحول إلى صورة نمطية اجتماعية (Social Stereotype) إلا إذا شاركه الاعتقاد بها عدد كبير من أفراد جماعته وانتشرت بينهم بشكل واسع تؤثر في إدراكهم وتفاعلهم وسلوكهم تجاه الجماعة المنمطة (Stereotyped Group)[1].

هكذا تعمل الصور النمطية بحكم طبيعتها كبناء معرفي أولي على توجيه إدراك الفرد وتفاعله الاجتماعي مع الآخرين بشكل يضمن إثبات صحتها والمحافظة على بقائها واستمرارها، وحتى في المجالات التي يجد فيها الفرد بعض الأدلة والحقائق التي تتعارض مع هذه الصور النمطية، فإنه غالباً لا يعتمدها ولا يأخذ بها، بل يبقى مُصراً على الاعتماد على تلك الصور والرجوع إليها كأطر معرفية توجه سلوكه وتفاعله مع الفرد أو الجماعة المنظمة[2].

ومن هذا المنطلق فإن الصور النمطية تؤدي إلى تحيز (Bias) في العمليات المعرفية المختلفة التي تكتنف عملية الإدراك الاجتماعي، فالمعلومات التي تنسجم مع هذه الصور النمطية وتتوافق مع محتواها المعرفي تستأثر بانتباه الفرد بشكل أكبر وتستحوذ على إدراكه بقوة، ويستحضرها من ذاكرته بسهولة ويسر، ويعتمد عليها اعتماداً كبيراً عند إصداره لحكم على سلوك الشخص المنمط أو عند تقييمه لأدائه، وفي أحيان كثيرة عندما لا تتوفر معلومات كافية للفرد عن الآخرين، فإننا نجده يلجأ إلى هذه الصور النمطية ليسد بها هذا النقص بطريقة تدعم اعتقاده النمطي عنهم، وبذلك تكون الصور النمطية قد عملت على تحريف الواقع وتشويه الإدراك[3].

---

1. المرجع نفسه، ص761- 762.
2. المرجع نفسه، ص762.
3. المرجع نفسه، ص763، انظر أيضاً: مهنا يوسف حداد، الصور النمطية للجنسين: مضامينها وتكوينها العاملي وانعكاساتها على مفهوم الذات لأفراد الجنسين، ص26 وما بعدها.

إن الخطورة في أثر التنميط ودوره في توجيه الإدراك والعمليات المعرفية المنبثقة عنه لا تقتصر عند هذا الحد، بل تتعدى ذلك إلى ما هو أكبر خطراً وأكثر وضوحاً، حيث يؤثر التنميط في توجيه تفاعل الفرد مع الآخرين وسلوكه تجاههم، حيث أن الفرد كثيراً ما يعتمد على صوره النمطية، كأطر معرفية توجه سلوكه وتفاعله مع الآخرين، فيسلك اتجاههم على نحو يتسق مع هذه الصور، وينسجم مع محتواها، ومن جهة أخرى فإن الفرد يستدرج من الآخرين المنمطين سلوكاً يدعم صورته النمطية عنهم، فيدفعهم إلى القيام بأفعال وسلوكيات بالاتجاه الذي يعزز هذه الصور النمطية، وبذلك يكون لهذه الصور النمطية هيمنة على العلاقات الاجتماعية للتفاعل الاجتماعي، بحيث تفضي بالفرد المنمط اجتماعياً إلى السلوك والتصرف بأساليب تثبت الصور النمطية التي يحملها الآخرون عنه[1].

2. التنميط الجنسي في المعاملة الوالدية:

غالباً ما يكون أول سؤال يتبادر إلى ذهن الوالدان عند انتظارهما قدوم مولود جديد: هل هو ولد؟ أو هل هي بنت؟ أي أن نوعية جنس المولود هي أول معلومة ترتبط به، غير أن الأمر يتعدى حدود التمييز البيولوجي ليرتبط بأساليب تربية كل من الجنسين من جهة، وبالتوقعات الثقافية الاجتماعية للذكورة والأنوثة[2] من جهة أخرى، وهكذا يكتسب كل جنس منذ فترة مبكرة من حياته أثناء عملية التنشئة الاجتماعية السلوكيات والاهتمامات والاتجاهات والمهارات، وخصائص الشخصية التي تعتبرها الثقافة والبيئة الاجتماعية مناسبة للذكور والإناث، اعتماداً على الصور النمطية لسلوك الدور، والتي هي بمثابة مجموعة من المعتقدات المشتركة بين أفراد المجتمع حول السلوك الذكري أو

---

1. المرجع نفسه، ص764.

2. سامية مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008، ص129.

الأنثوي[1]، وعليه يعمل الوالدان بدورهما على تنشئة الذكر منذ نعومة أظافره ليكون: نشيط- عدواني- مؤكد لذاته واثق من نفسه- شجاع- منطقي- عقلاني- جريء- قوي- عنيف- قاسي... الخ، في الوقت الذي يتم فيه تربية الأنثى وإعدادها لتكون: عاطفية- حالمة- انفعالية- لطيفة- حساسة- طيبة القلب- مطيعة- هادئة- جبانة- ضعيفة... الخ.

فما أن يبلغ الطفل (أياً كان جنسه) الثالثة من عمره حتى يبدأ في تعلم مكانته في المجتمع، لإعداده لأداء سلوك الدور المطلوب منه في المستقبل، فالطفلة تلقن وتعود على المهارات التي تجعل منها زوجة وأماً، ويلقن الطفل ويدرب على المهارات التي تجعل منه رجلاً، وليحتل كل منهما المركز الاجتماعي المحدد له ثقافياً، وليعرف التوقعات المطلوبة منه، فمثلاً تهتم الأم بتدليل الابنة وتضفي عليها المزيد من الرعاية وتؤكد عندها الطاعة، بينما تشجع الابن على التنافس والاعتماد على الذات والشجاعة، وفي الوقت الذي نجد فيه البنات يؤدين في ألعابهن أدوار الأم أثناء العمل في إعداد الطعام وترتيب البيت وتربية الأولاد وما شابه، حيث تتصف ألعابهن بالوداعة والهدوء، نجد ألعاب الذكور تتصف بالحركة وتتميز بالسرعة والقوة والعنف[2]، وعموماً فإن كل ألعاب الأطفال ذكوراً وإناثاً تعكس تفضيلات الشخصية في هذا الطور المبكر من النمو، حيث يكتسب الطفل أثناء لعبه الكثير من المعلومات التي تناسب نوعه، فهو يتعلم كيف يأخذ الفرصة ويُظهر مهاراته، كما يتعلم كيف يتعامل مع الحياة الاجتماعية[3].

وما أن يصل الطفل إلى سن السابعة من عمره حتى يبدأ في تشكيل سلوكه وفق المعايير الثقافية السائدة والملائمة لتكوينه البيولوجي، حيث يفرض على الابنة في هذا

---

1. رغدة حكمت شريم، الهوية الجندرية والنمو الأخلاقي، علم النفس العام، تحرير: محمد عودة الريماوي، دار المسيرة، عمان- الأردن، ط (3)، 2008، ص458.
2. محمد سعيد فرح، مرجع سابق، ص46، انظر أيضاً: الريماوي، مرجع سابق، ص459.
3. المرجع نفسه، ص47، انظر أيضاً: مأمون صالح، الشخصية: بناؤها، تكوينها، أنماطها، اضطراباتها، دار أسامة، عمان- الأردن، 2008، ص198.

الطور ضغوطاً ثقافية تمنع العنف وتتطلب الرقة والنعومة، كما يواجه الابن ضغوطاً ثقافية تؤكد التنافس والقوة، وتدين السلبية والتردد والخوف، كما يبدو توحد الابنة بالأم واقتدائها بسلوكها، وتوحد الابن بالأب واقتدائه بسلوكه، وهو أمر لا يرجع إلى كونهما أباً وأماً وحسب، بل أيضاً لأنهما يمثلان بالنسبة للطفل القيم السائدة في المجتمع، كما يجسدها له الكبار، فالوالدين يعتبران نموذجين للذكورة والأنوثة عند الطفل[1].

هكذا تنشأ الأنثى منذ نعومة أظافرها على أن المثل الأعلى لشخصيتها هو النقيض المباشر لشخصية الذكر، فإذا كانت للرجل إرادة حرة وقدرة على ضبط النفس، فإن المرأة ليس لها هذه الخصال، وإنما تتسم بالخضوع والاستسلام والطاعة لأوامر الرجل وهيمنته، وتقبل الأدوار الضيقة، وهنا تبرز المفارقة واضحة بين موقفين متناقضين تجاه المرأة، ففي الوقت الذي تحتل فيه الأنثى مكانة ثانوية بالنسبة للذكر، فإن سمعة الجماعة القرابية تتوقف على سلوكها ومراعاتها للمبادئ الأخلاقية، أكثر مما تتوقف على سلوك الذكر، ومن أجل ذلك كانت التربية الوالدية تهتم بإعدادها منذ الصغر للزواج، لأنه الوسيلة الوحيدة والفعالة والمأمونة للمحافظة على عرضها وعرض العائلة، ووقايتها من الانحراف[2]، ولذا يعد التنميط الجنسي عموماً شكلاً من أشكال التمييز ضد المرأة، لما يقوم عليه من مبدأ إعلاء شأن الذكر، وقيم الذكورة، مع تهميش الأنثى والتقليل من شأن أدوارها وفاعليتها في الحياة العامة، بسبب ما ارتبط بالأنوثة من صفات نمطية تتعلق بالرذيلة والإغواء والفتنة والشهوة.

إن التنميط الجنسي الذي لا مرونة فيه، له آثاره السلبية ليس على الإناث وحسب، بل على الذكور أيضاً، وبالتالي على المجتمع ككل، فكما يعمل على حرمان المرأة القدرة على الاستقلالية وتأكيد الذات، فإنه يعمل على حرمان الرجل القدرة على

---

1. محمد سعيد فرح، مرجع سابق، ص48.

2. سعاد علي الرفاعي، معوقات المشاركة السياسية للمرأة الليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، 2007، ص88 وما بعدها.

رعاية الآخرين، والتضحية بالحاجات الذاتية في سبيل الاهتمام بهم، كما يحرمه القدرة على الحب والتعاطف والتفهم والتسامح، ولهذا نجد بعض الدراسات السيكولوجية توصي بتجاوز أو تغيير الشخصية التقليدية لدى الطفل، بخلق الشخصية الأندروجينية (Androgynous) القادرة على دمج الخصائص الإيجابية التي يعتقد بأنها ذكرية مع تلك التي ينظر إليها عادة على أنها أنثوية[1]، وذلك من خلال خلق بيئة ثقافية اجتماعية تسمح بنمو مثل تلك الشخصية، فالإنسان الأعلى أخلاقاً، هو القادر على تأكيد أخلاقيات العدالة وهي مثاليات ذكرية (Masculine Ideals) وفي ذات الوقت قادر على تأكيد أخلاقيات الرعاية وهي مثاليات أنثوية (Feminine Ideals)[2]، بل إن تلك الدراسات تذهب إلى القول بأنه إذا كانت المرحلة الثانية من مراحل النضج الأخلاقي عند الإناث هي مرحلة التضحية بالذات (Self Sacrifice) حيث يحتل الاهتمام بالآخرين منزلة أعلى من اهتمام المرأة بذاتها، فإن المرحلة الأكثر أخلاقاً هي المرحلة التي تكون فيها المرأة قادرة على التوفيق وتحقيق التوازن بين حاجاتها وحاجات الآخرين[3]، وبالقياس يمكن أن ينطبق هذا على الرجل، وعليه يمكن القول بأنه إذا كانت مرحلة من مراحل النضج الأخلاقي لدى الرجل تتسم بتقديره لذاته واستقلاليته، فإن المرحلة الأكثر رقياً في السلم الأخلاقي هي المرحلة التي يصل فيها إلى الموازنة بين حب الذات والتضحية بها في سبيل سعادة الآخرين.

إذاً فالتعنيف والازدراء الذي طال الأنثى لابد من النظر في صورته الثابتة، والتحول سلوكاً ووعياً باتجاه التسامح مع أحاسيس الأنثى باعتبار أن حقها في الوجود يفوق حقها في التأنيث، حينئذٍ لن يصبح للرقة والنعومة والقوة والعقل أي جنس، ستكون

---

1. رغدة حكمت شريم، مرجع سابق، ص463.
2. المرجع نفسه، ص482.
3. المرجع نفسه، ص479.

هذه الصفات ملك للجميع، الرجال والنساء، وحينها فقط يكف جسد الرجل كأداة عنف وامتلاك، ليكشف عن قدرته على العطاء والحب[1].

4- الدراســة الميدانيــة

أولاً: الإطار المنهجي للدراسة:

1- المنهج وأدوات جمع البيانات:

سيتم استخدام منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة، أما أداة جمع البيانات فستكون صحيفة الاستبيان لفئة الأمهات، وسيكون تحليل الرسوم عند التعامل مع فئة الأطفال من الجنسين.

2- مجالات الدراسة:

- **المجال البشري:** ويتحدد في عينة من الأمهات والأطفال من الجنسين الذين تتراوح أعمارهم بين الفئة العمرية (6-12) سنة، وتعرف هذه المرحلة بالطفولة المتأخرة والتي تتسم بتناقص حالة التمركز حول الذات، ليحل التعاون الخلاق مع الآخرين، وخاصة أثناء اللعب، وتقدير العلاقات مع الزملاء، كما تتسم بقدرة الطفل على تكوين الفئات (Classes) عقلياً، وإصباغها بالطابع الاجتماعي من خلال إدراكه للأدوار الاجتماعية، ويعد الطفل في هذه المرحلة وخاصة في بدايتها بصرياً إلى حد كبير، بمعنى أنه يستعين بالصور البصرية، وفي هذه المرحلة العمرية يلتحق الطفل بالمدرسة حيث يعتبر هذا الحدث نقطة تحول مهمة في حياته الاجتماعية والذهنية، الأمر الذي يكسبه مرونة في التفكير والتعامل تتجلى في القدرة على الفهم والمناقشة والحوار، وتفهم وجهة نظر الآخرين، وإن كان الأطفال في هذه المرحلة يتقبلون

[1]. عامر عبد زيد الوائلي، المرأة في المخيال الذكوري، مساءلة التمثلات والصور النمطية الإقصائية، الفلسفة والنسوية، تحرير: علي عبود المحمودي، منشورات ضفاف، بيروت- لبنان، 2013، ص72.

القواعد الاجتماعية ولا يجرؤون على الخروج عليها، إلا أن قرب نهاية هذه المرحلة ينمو لديهم اتجاهاً مجرداً نحو تلك القواعد، ويدركون أن بالإمكان تغييرها حسب المواقف، ليصبح لكل موقف قاعدة خاصة به[1].

- **المجال الجغرافي:** ويتحدد في نطاق مدينة الخمس الليبية، وهي مدينة تقع شمال البحر المتوسط، تحدها جنوباً الحدود الإدارية مع مسلاته، وتمتد شرقاً من وادي كعام إلى وادي غنيمة غرباً، وهي تبعد عن العاصمة طرابلس 120 كم إلى الغرب، وتبعد عن مدينة زليتن 35 كم إلى الشرق.
- **المجال الزمني:** استغرقت الدراسة مدة عام كامل لإنجازها، أي منذ شهر (4)-2014 م إلى استخراج النتائج شهر (5) 2015 م.

3- وصف العينة:

اشتملت الدراسة عينة من الأمهات قوامها (تسعة عشر أم) تم توزيعهن حسب جملة من المتغيرات المستقلة وهي: عمر الأم، المستوى التعليمي للأم، مهنة الأم، مكان إقامة الأسرة، والمستوى المادي للأسرة.

1. تراوحت أعمار الأمهات بين 25 إلى 45 عاماً، وكانت أكثر من 50% منهن تتراوح أعمارهن مابين 40-45 سنة، كما أن أكثر من ثلثي العينة وصلن إلى التعليم الجامعي، و 50% منهن مارسن العمل في مجال التعليم، وأغلبهن ينتمين إلى البيئة الريفية، وجميعهن من وسط اجتماعي ومادي متوسط، وقد تم اختيار عينة الأمهات بطريقة قصدية أي أشترط فيهن شرط أن يكون لهن أطفال من الجنسين تتراوح أعمارهم من 6 إلى 12 سنة، أما الأمهات اللاتي رفض أطفالهن رسم ما طلب منهم – أي رسم الشخص الذكري والأنثوي-، فقد استبعدن عن الدراسة، وقد بلغ عدد الأطفال الذين استطاعوا رسم ما طلب منهم (36) طفلاً وطفلة.

---

[1]. عادل عبد الله محمد، النمو العقلي للطفل، دار الشاد، القاهرة ،2006،ط(3) ، ص145 وما بعدها.

ثانياً- عرض وتحليل البيانات:

تم عرض وتحليل البيانات وفق خمسة محاور وهي:

1. وعي الأم بقضية المساواة بين الجنسين.
2. أساليب المعاملة الوالدية للأبناء.
3. تعزيز المعاملة الوالدية للدور الجندري التقليدي.
4. حدة الفروق الجنسية في المعاملة الوالدية.
5. عرض و تحليل رسوم الأطفال للشخص الذكري والإنثوي.

1- مستوى وعي الأم بمسألة المساواة بين الجنسين:

يوضح جدول رقم (1) توزيع العينة بحسب رؤيتها لمدى مساواة المرأة للرجل على الصعيدي الإنساني والمدني

مدى مساواة المرأة للرجل	التكرار	النسبة
المرأة مساوية للرجل كإنسان ومواطن في الحقوق والواجبات	18	%95
المرأة ليست مساوية للرجل على الإطلاق	1	%5
المجموع	19	%100

تبين البيانات أعلاه بأن الغلبية العظمى من العينة وبنسبة (95 %) ترى بأن المرأة مساوية للرجل على الصعيدي الإنساني والمدني، بمعنى أن اختلاف المرأة عن الرجل على الصعيد البيولوجي، لا يمكن له أن يجعل المرأة إنسان ومواطن من الدرجة الثانية، بل للمرأة وللرجل نفس الحقوق الإنسانية والمدنية وبالتالي تقع عليهما نفس

المسؤوليات والواجبات، وهو ما يدل على تنامي الوعي بقضايا المرأة، وأن تجريدها من تلك الحقوق سيعزلها عن المشاركة في الحياة العامة وأداء دورها في بناء المجتمع.

جدول رقم (2) يوضح توزيع العينة بحسب رؤيتها لمدى تفوق الرجل على المرأة

مدى تفوق الرجل على المرأة	التكرار	النسبة
الرجل متفوق على المرأة عقلاً وديناً	6	%32
الرجل ليس بمتفوق على المرأة لا عقلاً ولا ديناً	13	%68
المجموع	19	%100

تعطي بيانات الجدول أعلاه دلالات واضحة لتنامي الوعي النسوي بقضية المساواة بين الجنسين، فقد رفضت(68%) من أفراد العينة المسوغات الدينية التي تربط بين تخلف مكانة المرأة في المجتمع وتكوينها النفسي والعضوي والتي تتجاهل العوامل الاجتماعية، فالرجل ليس أكثر استعداداً من المرأة للمشاركة في الحياة العامة وقوة العمل إلا بقدر ما يهيئه النظام لذلك، ويمنحه تلك الحقوق على حساب المرأة.

جدول رقم (3) يوضح توزيع العينة بحسب رؤيتها لمدى أهمية

مشاركة المرأة في عملية التنمية

أهمية المشاركة التنموية للمرأة	التكرار	النسبة
يتطلب بناء وتنمية المجتمع مشاركة المرأة	18	%95
مشاركة المرأة في التنمية لا يعد أمراً ضرورياً لبناء المجتمع	1	%5
المجموع	19	%100

تؤكد بيانات الجدول أعلاه ما دلت عليه البيانات في الجداول السابقة من تنامي الوعي النسوي، فقد أكدت (95%) من أفراد العين أهمية دور المرأة في التنمية البشرية المستدامة كمنتجة ومستفيدة، و أن تحررها مرتبط بمدى إقبالها على العلم والعمل والمشاركة في الإنتاج والعمل السياسي، وبقدر ذلك كله يصبح أمر مساواتها بالرجل واقعاً حقيقياً ملموساً.

يوضح جدول رقم (4) توزيع العينة بحسب رؤيتها لأسباب محدودية مشاركة المرأة في المجالات القيادية[*]

الأسباب الكامنة وراء ضعف مشاركة المرأة في المجالات القيادية	التكرار	النسبة
الأدوار القيادية تناسب الطبيعة النفسية والجسدية للرجال أكثر مما تناسب النساء	2	%8
المجتمع بعاداته وتقاليده وأعرافه يفتح أبواب العمل القيادي أمام الرجل ويوصدها أمام المرأة	17	%68
الفهم الخاطئ للدين الإسلامي يفضي إلى عدم أهلية المرأة لاقتحام تلك الميادين	4	%16
التشريعات القانونية لا تساعد المرأة على اقتحام مثل تلك الميادين	2	%8
المجموع	25	%100

نلمس من الجدول السابق أن غالبية أفراد العينة وبنسبة (68 %) ترى أن العوامل الاجتماعية المتمثلة في بعض الموروثات الثقافية التي تغذيها التأويلات المتطرفة

[*]. طلب من أفراد العينة إمكانية اختيار أكثر من سبب.

لبعض النصوص الدينية هي التي تعود إليها تدني مشاركة المرأة في المجالات القيادية داخل الإدارة العامة.

2- أساليب المعاملة الوالدية التي يتلقاها الطفل:

تسهم التنشئة الأسرية وطرق تفاعل الأبوين مع الأبناء في جعل الأبناء يتسمون بصفات اجتماعية إيجابية، فالنمو النفسي والاجتماعي للطفل يتأثر إلى حد كبير بالبيئة الأسرية التي يعيش فيها، تلك البيئة التي من خلالها يكتسب الطفل كل عادات وقيم وتقاليد مجتمعة، حتى يصبح فهمه وإدراكه للعالم المحيط مصبوغاً بثقافة المجتمع، وليكون تفسيره للأمور في نطاق ذلك الفهم، كما أن التنشئة الأسرية تحقق للطفل عدداً من الحاجات مثل العطف والحب والاستقلال وتأكيد المكانة الاجتماعية، ولذا يمكن القول بأن التنشئة الأسرية تعمل على تدعيم مقدرات الطفل وتسهم في تحقيق ذاته وتشكيل شخصيته وسلوكه في المواقف المختلفة، ومفاهيمه ومثله وطريقة حياته وطرائق تفكيره.

يوضح جدول رقم (5) توزيع العينة حسب مدى منح الأم قدر من الحرية لأطفالها من أجل تنظيم سلوكهم

مدى منح الأم قدر من الحرية لأبنائها لتنظيم سلوكهم	التكرار	النسبة
أمنح أطفالي قدر من الحرية لتنظيم سلوكهم	15	%79
لا أمنح لأطفالي قدر من الحرية لتنظيم سلوكهم	4	%21
المجموع	19	%100

يتضح من الجدول أعلاه أن غالبية أفراد العينة وبنسبة (79%) يعطين أطفالهن قدر من الحرية لتنظيم سلوكهم، دون دفع سلوك الطفل في اتجاهات محددة، وهذا الأسلوب في المعاملة الوالدية مع الأبناء يمنحهم قدراً من الاستقلالية في التعبير عن رغباتهم، ومعرفة نتائج سلوكهم، كما يمنحهم الحق في الخطأ وإعادة المحاولة لاكتساب

السلوك الصحيح، أما إتباع أسلوب السيطرة والتحكم مع الطفل والذي تتبعه (21%) من أفراد العينة، من شأنه أن يدفع بالطفل إلى الكف عن التعبير الصريح عن الرأي والتردد في اتخاذ القرار وصعوبة معرفة الصواب والخطأ، مما تجعل شخصيته أميل إلى العصابية وعدم الاتزان الوجداني مستقبلاً.

يوضح جدول رقم (5) توزيع العينة حسب تسلطها على أطفالها

مدى تسلط الأم على الطفل	التكرار	النسبة
انتظر من أبنائي الطاعة دائماً أو أجبرهم على التصرف بما يرضيني	10	%53
لا انتظر من أبنائي الطاعة بشكل مستمر ولا أجبرهم على التصرف بما يرضيني دائماً	9	%47
المجموع	19	%100

يوضح الجدول أعلاه أن (47%) من أفراد العينة تقريباً تفرض على الطفل نظام صارم ذا معايير مطلقة محددة لسلوكه منتظرات دائماً الطاعة من قبله، من خلال كبح إرادته وفرض رأيهن عليه، بالاعتماد على سلطتهن وقوتهن باعتبارهن أمهات، وهذا الأسلوب في التعاطي مع الطفل يخلق منه شخصية ضعيفة ومهزوزة وقلقة ومتكتمة يملؤها الإحساس بالذنب والخوف مما يدفعه إلى المزيد من التقوقع والعزلة، أما (53%) من أفراد العينة تلجأ إلى إقامة ضبط متزن على الطفل يتضمن تنبيهه إلى أخطائه وحثه على الوصول إلى نماذج ناضجة من السلوك مع توضيح الأشكال السلوكية غير المقبولة في جو من الحب وتقدير الرغبة في الاستقلال وتشجيعه على التحاور وإبداء رؤيته، وهو ما يؤدي إلى خلق شخصية اجتماعية أكثر تفاؤلاً و قادرة على امتلاك الثقة بنفسها.

جدول رقم (7) يوضح توزيع العينة حسب مشاركتها أطفالها لعبهم

والتجاوب معهم

مدى مشاركة الأم أبناؤها لعبهم والتجاوب معهم	التكرار	النسبة
أشارك أبنائي لعبهم وأعمل على التجاوب معهم وأقدر أرائهم وإنجازاتهم	17	%89
لا أشارك أبنائي لعبهم ولا أعمل على التجاوب معهم ولا أقدر أرائهم وإنجازاتهم	2	%11
المجموع	19	%100

تبين البيانات بالجدول أعلاه أن الغالبية العظمى من أفراد العينة وبنسبة (89%) تسعى إلى مشاركة أبنائها لعبهم، والتعبير الظاهر لهم بالحب والتقدير، من خلال حسن الحديث إليهم، والفخر المعقول بتصرفاتهم مع البعد عن خداعهم، ومداعبتهم وإشعارهم بدفء المعاملة الوالدية، وهذا الأسلوب في المعاملة الوالدية يؤدي إلى بناء شخصية قادرة على الإنجاز وحل المشكلات بطريقة سليمة ومواجهة التحديات، أما الاستياء من الطفل والغضب من تصرفاته والضيق من أفعاله وإشعاره بعدم الرغبة في مجالسته وعدم التمتع بصحبته، وإظهار النفور من وجوده، والميل إلى انتقاده وبخس قدراته وإنجازاته وآرائه، يؤدي إلى شخصية لديها إحساس كبير بالنقص والعجز، متمردة على السلطة الوالدية وسلطة المجتمع عموماً نتيجة شعوره بالرفض والإحباط.

3- مدى تعزيز وترسيخ المعاملة الوالدية للدور الجندري التقليدي:

يمارس الأبوان دوراً في مساعدة الأبناء على تطوير هوياتهم الجنسية (Gender identity) والإحساس بالأنوثة أو الذكورة، وبتطور الهوية الجنسية يكتسب الأبناء أنماط التوجه نحو تمثل الدور الجنسي المتمثل في المعتقدات حول أنماط الخصائص والسلوكيات المناسبة للأولاد والبنات، بمعنى آخر أن الهوية الجندرية ليست ثابتة بالولادة، بل تؤثر فيها العوامل النفسية والاجتماعية، ولذا فإن الفروق بين الجنسين ليست فروقاً بيولوجية، ولكنها تستند إلى الأدوار الاجتماعية التي نستعملها منذ الطفولة، ولذا من الممكن ردم الهوة والفروق بين الجنسين من خلال تغيير البنية الاجتماعية التي ترسخ عدم المساواة في العلاقات بين الرجل والمرأة، بمعنى إحداث تغيير في الاتجاهات والأذهان.

جدول رقم (8) يوضح توزيع العينة حسب مساعدة الأب في الأعمال المنزلية ورعاية الأولاد

مدى مساعدة الأب في المهام المنزلية ورعاية الأولاد	التكرار	النسبة
يساعدني زوجي في الأعمال المنزلية ورعاية الأولاد	11	%58
لا ألقى المساعدة من زوجي في الأعمال المنزلية ورعاية الأولاد	8	%42
المجموع	19	%100

تكشف البيانات بالجدول أعلاه عن تحول في بنى العلاقات الأسرية، حيث لم يعد تقسيم العمل على أساس الجنس داخل الأسرة الليبية صارماً كما كان بالسابق، وهي نتيجة طبيعية لارتفاع نسبة تعليم النساء، وازدياد مشاركتهن في قوة العمل والإنتاج، وهذا الأمر يرسخ في ذهن الطفل أنه لا توجد موانع لمشاركة الرجل في تربية الأولاد وتدبير

شؤون المنزل، كما لا توجد موانع في تحمل المرأة مسؤولية المشاركة في عملية الإنتاج، فالوالدان يعتبران إطار مرجعي للطفل يعكسان له القيم السائدة بالمجتمع.

يوضح جدول رقم (9) توزيع العينة بحسب مدى حرص الأم على تعريف أطفالها برجال ونساء ذوي مهن غير تقليدية

مدى حرص الأم	التكرار	النسبة
أحرص على تعريف أطفالي برجال ونساء ذوي مهن غير تقليدية	8	%42
لا أحرص على تعريف أطفالي برجال ونساء ذوي مهن غير تقليدية	11	%58
المجموع	19	%100

تبين البيانات بالجدول أعلاه أن نسبة (42 %) تحرص على تعريف أطفالها برجال ونساء في مهن غير تقليدية الأمر الذي من شأنه أن يحد من ثبات الدور الجندري.

جدول رقم (10) يوضح توزيع العينة حسب تقديمها لهدايا غير تقليدية للطفل

مدى حرص الأم على تقديم هدايا غير تقليدية لأطفالها	التكرار	النسبة
سبق وأن قدمت هدايا غير تقليدية لأطفالي	3	%16
لم يسبق وأن قدمت هدايا غير تقليدية لأطفالي	16	%84
المجموع	19	%100

تبين البيانات أعلاه أن الغالبية العظمى وبنسبة (84%) من أفراد العينة لم يسبق وأن قدمت هدايا غير معتادة وغير تقليدية لأطفالها، فالدمى مثلاً دائماً تقدم للبنات، والشاحنات دائماً تقدم للأولاد، وهو ما يرسخ لدى الطفل الدور الجندري التقليدي، أي يدفعه ذلك إلى التصرف دائماً وفق معايير جندره المحدد سلفاً.

4- حدة الفروق الجنسية في المعاملة الوالدية للأبناء:

المفاضلة بين الأبناء (لاسيما على أساس الجنس) سلوك يمارسه الآباء كل يوم بشكل أو بآخر، متجاهلين أن ذلك السلوك من شأنه أن ينمي روح الغيرة في نفوس أطفالهم ويخلق لديهم الخوف من المستقبل وعدم الثقة بالآخرين كما يزرع فيهم صفة الأنانية وعدم الاكتراث بمشاعر الآخرين.

وقد كشفت الدراسة عن بعض مظاهر الفروق الجنسية في المعاملة الوالدية للأبناء والرسوم البيانية التالية لها أن توضح نوعها ودرجتها.

1. الرسوم البيانية المتصلة بالفروق الجنسية فيما يخص إعطاء الأبناء حرية اختيار الملابس.

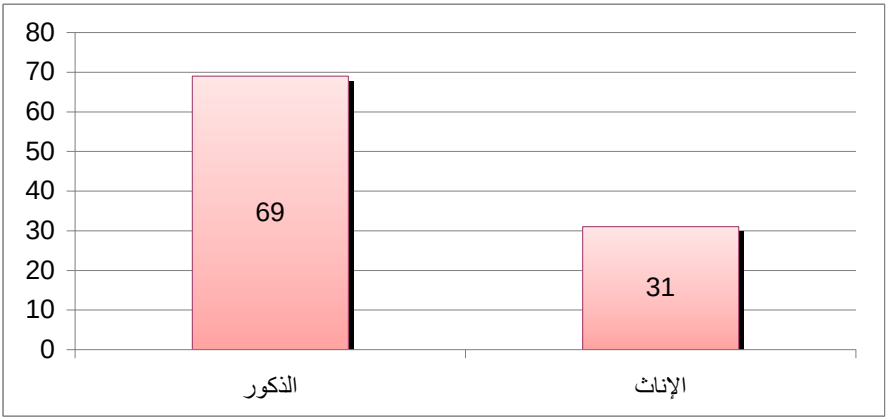

2. الرسوم البيانية المتصلة بالفروق الجنسية فيما يخص إعطاء الأبناء حرية المشاركة في النشاطات والرحلات المدرسية.

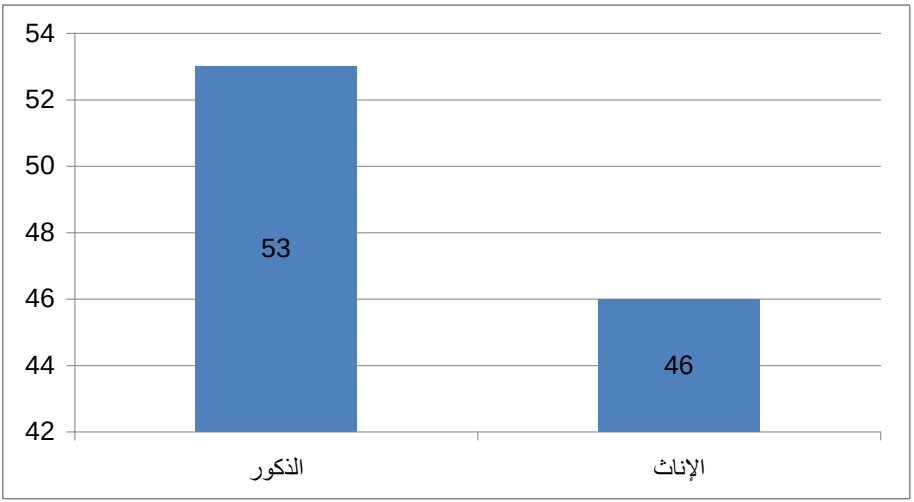

3. الرسوم البيانية المتصلة بالفروق الجنسية فيما يخص السماح للأبناء بالخروج مع الأصدقاء للعب أو التسوق.

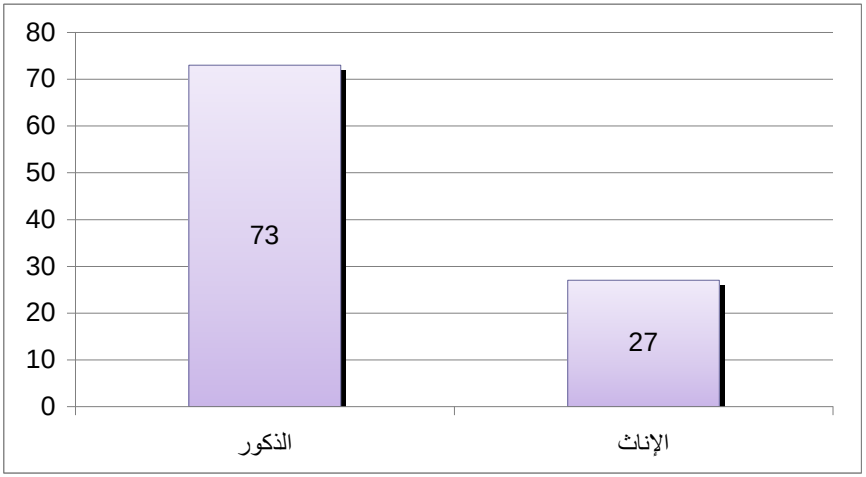

4. الرسوم البيانية المتصلة بالفروق الجنسية فيما يخص السماح للأبناء بدعوة الأصدقاء للبيت.

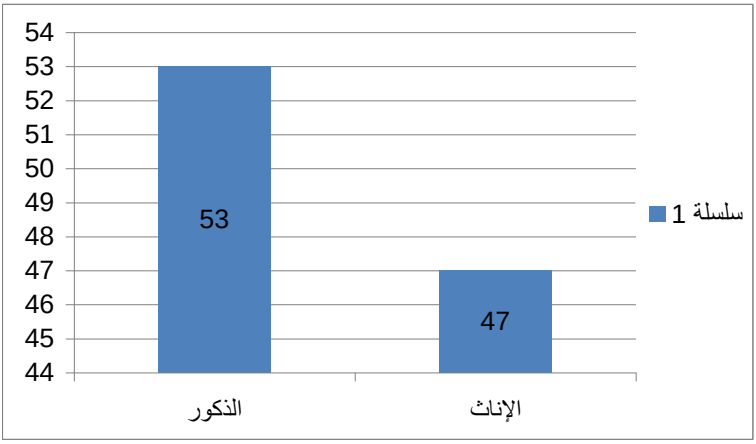

5. الرسوم البيانية المتصلة بالفروق الجنسية فيما يخص الاهتمام بمواهب الأبناء والتشجيع على ممارستها.

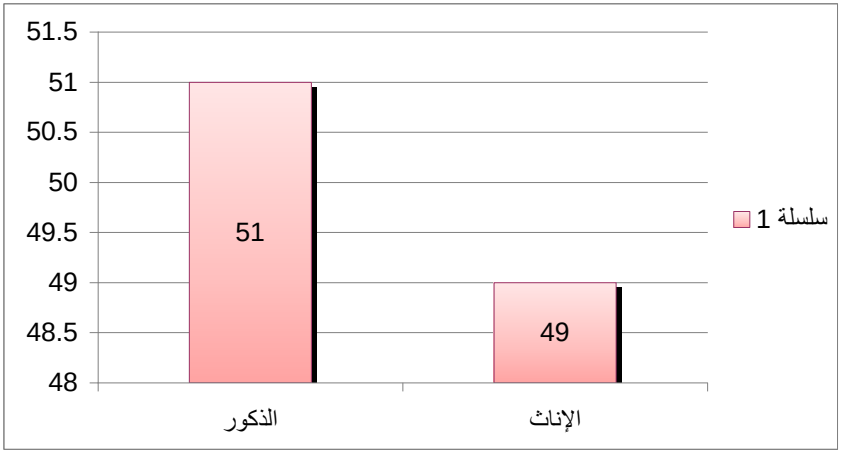

6. الدوائر البيانية المتصلة: توزيع العينة حسب الفروق الجنسية في المعاملة الوالدية فيما يخص توزيع المهام والمسؤوليات بين الأبناء:

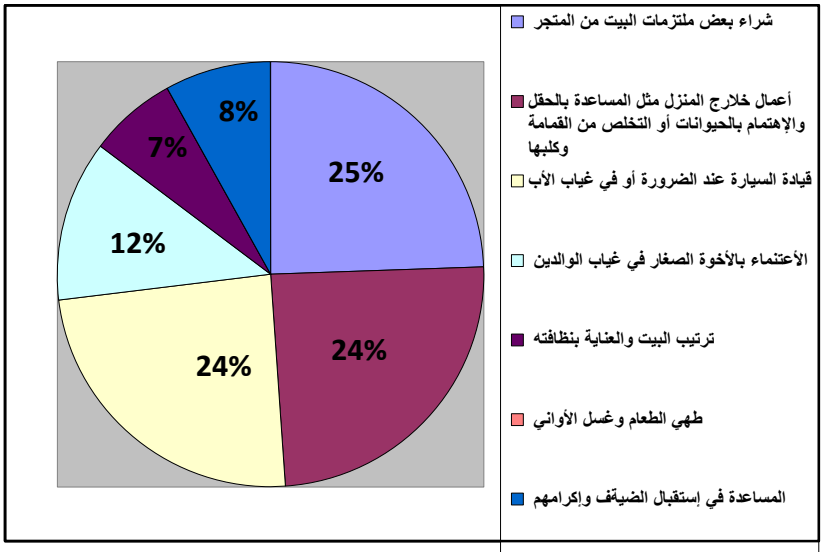

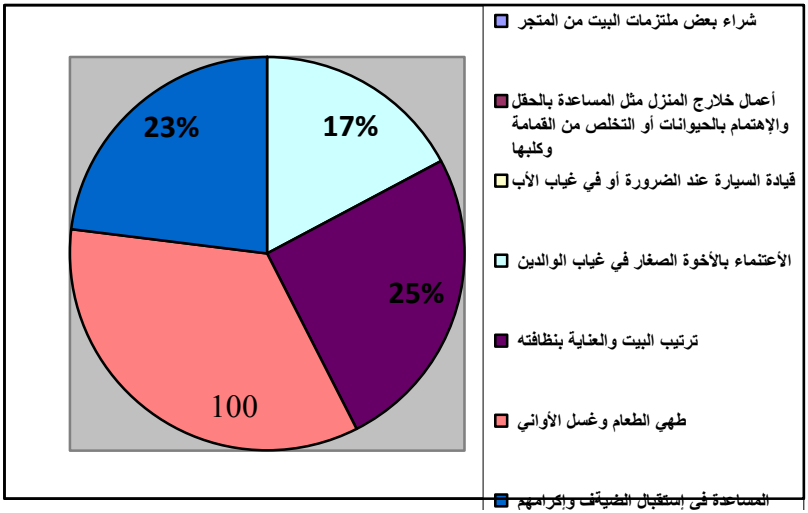

تكشف الدوائر البيانية السابقة عن الفروق الجنسية في المعاملة الوالدية فيما يخص توزيع المهام والمسؤوليات بين الأبناء من الجنسين، حيث تسند للأولاد الذكور مهام لا تسند للبنات مثل شراء الحاجيات الضرورية من المتجر، والمساعدة في شؤون الزراعة بالحقل والعناية بالحيوانات، والتخلص من القمامة المنزلية، إلى جانب قيادة السيارة عند الضرورة، ومن الملاحظ أن جميع هذه المهام تشترك في خاصية أنها تتطلب الخروج من البيت إلى جانب أنها تتطلب القوة في الأداء، أما المهام التي تسند للبنات حصراً هي الطهي وإعداد الطعام، وغسيل الأواني، كما تكشف الدوائر البيانية عن المهام التي يشترك فيها الأولاد والبنات في أدائها بشكل متساوي والمتمثلة في الاعتناء بالأخوة الصغار عند غياب الوالدين، أما المهام التي يشترك فيها الأولاد والبنات غير أنها تسند إلى البنات بشكل أكبر هي مهمة ترتيب البيت وتنظيفه إلى جانب المشاركة في استقبال الضيوف وإكرامهم، وعليه نستطيع أن نفهم اتجاه التربية الوالدية نحو تلقين الطفلة وتعويدها على المهارات التي تجعل منها زوجة وأماً، وكذلك تلقين الطفل وتعويده المهارات التي تجعل منه رجلاً، وبذلك يتم تعليمها سلوك الدور الجندري المطلوب منهما في المستقبل والمحدد لهما ثقافياً.

ومن خلال الجداول والرسوم البيانية بشكل عام نستنتج ما يلي:

1. تتمتع الأمهات (عينة الدراسة) اللائي تتراوح أعمارهن من 25 إلى 45 سنة بمستوى تعليمي جيد، كما أن الغالبية منهن منخرطات في سوق العمل والإنتاج.
2. تتمتع غالبية الأمهات (عينة الدراسة) بوعي جيد بقضايا وحقوق المرأة، وبوعي للأسباب الاجتماعية والثقافية التي تحول دون مساواتها بالرجل في الحقوق والامتيازات.
3. تتمتع غالبية الأمهات (عينة الدراسة) باستقلالها المادي نتيجة انخراطها في سوق العمل، الأمر الذي أدى إلى تحول في بني العلاقات الأسرية نحو المساواة، حيث أضحت طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة داخل الأسرة الليبية تأخذ شكلاً أفقياً لا عمودياً كما كانت عليه بالسابق.

4. غالباً ما تتسم المعاملة الوالدية التي يتلقاها الأطفال من الأمهات (عينة الدراسة) بقدر كبير من الدفء والحب، والدفع بهم نحو الاستقلالية في حل المشكلات التي تواجههم إلى جانب نوع من الضبط المتزن والتعويد على المصارحة في القول، وهي مظاهر صحية عند التعاطي مع الطفل.
5. يمكن القول بأن التنميط الجنسي في المعاملة الوالدية للأبناء مازال موجوداً داخل الأسرة الليبية بأشكال مختلفة وبدرجات متفاوتة، إلا أنه في طريقه إلى الانحسار نتيجة التحول النوعي في بني العلاقات الأسرية من جهة، وزيادة تنامي الوعي النسوي من جهة ثانية، ولكن يظل سؤال قائماً: كيف ترسم وتشكل المعاملة الوالدية صورة المرأة لدى الطفل، وكيف تسهم في توجيه تمثله لها نحو الإيجاب أو السلب ؟
6. عرض وتحليل رسوم الأطفال:

طلب من الأطفال ممن تتراوح أعمارهم ما بين 6–12 سنة رسم الشخص الذكري والشخص الأنثوي (الرجل والمرأة) وقد ظهرت رسوماتهم على الشكل الآتي:

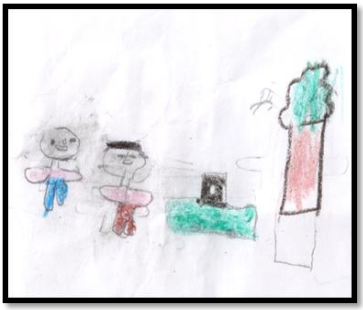

رسم لطفل عمره 6 سنوات

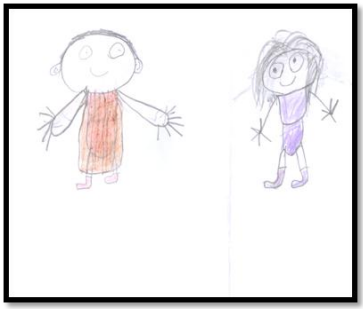

رسم لطفل عمره 7 سنوات

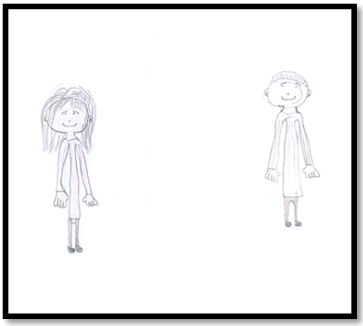

رسم لطفل عمره 8 سنوات

رسم لطفلة عمرها 8 سنوات

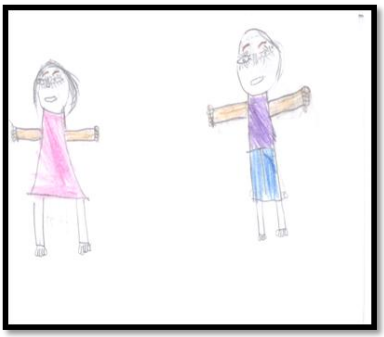

رسم لطفلة عمرها 7 سنوات

رسم لطفلة عمرها 7 سنوات

رسم لطفلة عمرها 6 سنوات

رسم لطفلة عمرها 10 سنوات

رسم لطفل عمره 11 سنة

رسم لطفل عمره 6 سنوات

رسم لطفلة عمرها 8 سنوات

رسم لطفلة عمرها 11 سنة

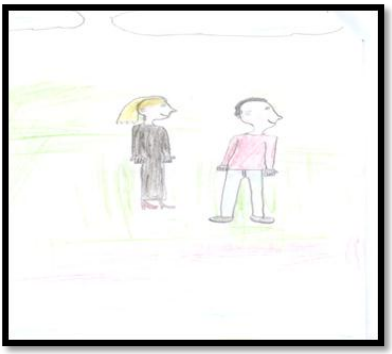

رسم لطفل عمره 11 سنة

رسم لطفل عمره 12 سنة

رسم لطفل عمره 11 سنة

رسم لطفلة عمرها 10 سنوات

رسم لطفلة عمرها 10 سنوات

رسم لطفل عمره 12 سنة

رسم لطفلة عمرها 11 سنة

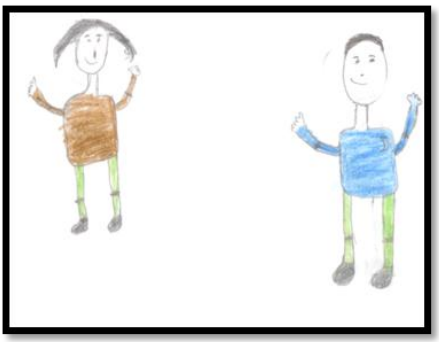

رسم لطفل عمره 10 سنوات

رسم لطفلة عمرها 7 سنوات

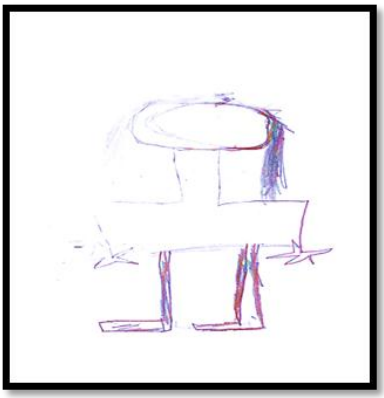

رسم لطفل عمره 10 سنوات

رسم لطفلة عمرها 10 سنوات

رسم لطفلة عمرها 10 سنوات

رسم لطفلة عمرها 6 سنوات

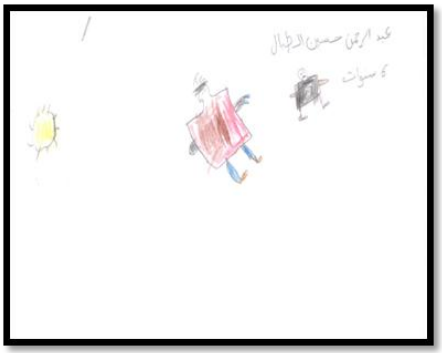

رسم لطفل عمره 6 سنوات

رسم لطفل عمره 7 سنوات

رسم لطفل عمره 11 سنة

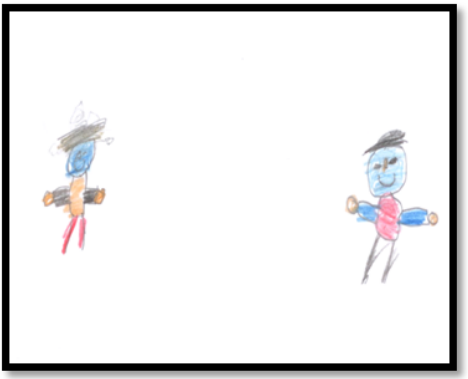

رسم لطفل عمره 6 سنوات

رسم لطفلة عمرها 7 سنوات

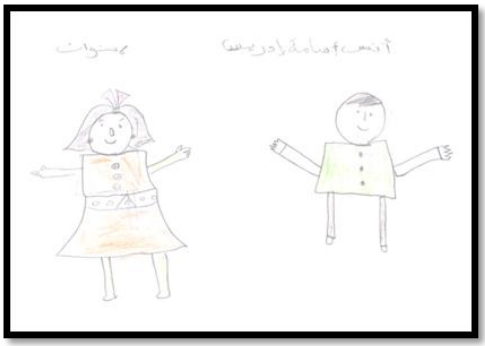

رسم لطفل عمره 6 سنوات

رسم لطفلة عمرها 10 سنوات

رسم لطفل عمره 12 سنة

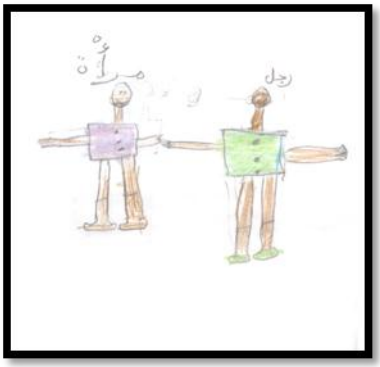

رسم لطفل عمره 9 سنة

رسم لطفل عمره 12 سنة

رسم لطفلة عمرها 8 سنوات

في مجال علم النفس تعتبر رسوم الأطفال بمثابة لغة مصورة يعبر من خلالها الأطفال عن أنفسهم حيث يعكسون عبر رسوماتهم ما يشعرون به تجاه ذواتهم، وتجاه الآخرين وبيئتهم من حولهم، كما تعكس تلك الرسومات ما يعاني منه الأطفال من مشكلات واضطرابات نفسية،[1] فالطفل عندما يرسم يسمح لمشاعره وانفعالاته التي لا يستطيع التعبير عنها لفظياً بالخروج والظهور إلى السطح، كما أنه من خلال الرسم يشبع رغباته المكبوتة التي لا تجد فرصة للإشباع في الواقع، وعليه تعد رسوم الأطفال من هذه الزاوية وسيلة للإسقاط، يعكس من خلالها الطفل مفهومه عن ذاته وعن الآخرين، وعلاقته بهم واتجاهاته نحوهم، كما يعكس الطفل في رسومه ما قد يعتمل داخله من حاجات ومشاعر وانفعالات ومخاوف مستعيناً بمختلف الأساليب البلاغية التشكيلية كالإهمال والتصغير والحذف والمبالغة بطريقة شعورية ولاشعورية، ولذا كانت رسوم الأطفال وسيلة جيدة لارتياد عالم الطفل، في الوقت الذي تكون فيه اللغة المنطوقة قاصرة عن تحقيق ذلك، وعليه فإن تحليل رسوم الأطفال تعد بمثابة محاولة لتفهم شخصية الطفل ومشاكله، من خلال التعرف على دلالات تفاصيل الموضوعات المرسومة ونسبها ومنظورها واستخدامات اللون فيها، كما أن تحليل رسوم الأطفال تحليلاً صحيحاً يساعدنا في توجيههم التوجيه التربوي الصحيح.

إن الرسم بالنسبة للطفل لغة، أي نوع من التعبير أكثر من كونه وسيلة لخلق شيء جميل، فإذا لم يمارس الطفل الرسم منذ البداية فإنه غالباً ما يتعرض لتأثيرات نفسية كالخوف والفشل والخجل والكبت والشعور بالنقص، فالأطفال إذا ما نشؤوا محرومين من أنشطتهم فإنهم سيلاقون صعوبات في التكيف مع الحياة المستقبلية، فالرسم وكل أشكال

1. www.manar9.mam9.com

الفنون تساعد في تقويم شخصية الطفل وتهذيبه، كما تساعده في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه نحو الأشياء من حوله.[1]

وهنا نعود لطرح سؤال الدراسة: كيف عبر الأطفال (عينة الدراسة) في رسوماتهم عن مشاعرهم اتجاه المرأة ؟ وعن تمثلهم لها نحو الإيجاب أو السلب ؟ وكيف وجهت المعاملة الوالدية المنمطة جنسياً رسومات الأطفال وجعلها تأخذ شكلها المميز الذي ظهرت عليه ؟

يمكن من خلال رسومات الأطفال التي عرضناها أن تستنتج الآتي:

1. أبدى غالبية الأطفال القدرة على الرسم، وهو ما يدل على قدرتهم الجيدة في التعبير عن مشاعرهم، كما انعكست قدرتهم على التذوق الجمالي، إلى جانب استخدامهم للخيال فقد ظهرت أغلب الرسومات أقرب إلى القصة التي يريد الطفل من خلالها التعبير عن مشاعره وميوله وأحياناً أخرى عن مشكلاته وأحزانه.
2. بعض الأطفال لم يستطيعوا رسم ما طلب منهم فقد أظهروا في رسوماتهم عجزاً في التعبير عن أحاسيسهم الداخلية، مما جعل تلك الرسومات تبدو مشوشة وغير واضحة المعالم وغير مكتملة ، ويرجع سبب ذلك إلى أنهم لا يستطيعون التركيز على خبرة محددة، أو لعدم وجود رغبة لديهم في التعبير والرسم، وغالباً نتيجة الظروف المحيطة بهم التي تتسم بقلة الشعور بالحب والعطف والأمن والرفاهية.
3. تظهر الطبيعة جلية في رسومات الأطفال، فنلاحظ الشجر والأزهار والشمس والبحر والطير والحيوان، وهو ما يعكس بوضوح الصلة الوثيقة بين بيئة الطفل الريفية التي ينتمي إليها، وطبيعة الرسومات التي صورها الأطفال، وهي ظاهرة صحية، فتوثيق الصلة بين الطفل والطبيعة يروض الطفل على الملاحظة والمشاهدة إلى جانب

2. www.mawdoo3.com

الارتقاء بانفعالاته وميوله ومبلغ تذوقه لمعاني الجمال، فينشأ الطفل رقيق الحس قوي الملاحظة.

4. غالباً ما ظهر خط الأرض في رسومات غالبية الأطفال وهي ظاهرة طبيعية لديهم، إذ نراهم يضعون جميع الأشكال على خط أرض واحدة أو في طرف الورقة من الأسفل، وبطبيعة الحال فإن هذا الخط غير موجود في الطبيعة، إلا أن الأطفال يرسمونه نتيجة لزيادة شعور الطفل ببيئته وتحسسه بأنه جزء منها ولأنه عرف أن هناك علاقة مكانية بين الأشياء التي يجب لها أن تستند على أساس متين.
5. اللون الأحمر هو أكثر الألوان تواجداً في رسوم الأطفال، وهذا اللون عند الأطفال يعبر عن البهجة والسرور، وعليه يمكن القول بأن الطفل عندما يضع اللون فهو يلون أشخاصه الذين يحبهم ويودهم بألوان زاهية لطيفة في حين يظهر أشخاصه الذين لا يحبهم بألوان مشوهة أو قبيحة أو مطموسة المعالم، بمعنى أن الطفل يظهر أحاسيسه وانطباعاته على من يحبهم ويكرههم على هذا النحو، كما تبين من رسوم الأطفال أن غالبية الأطفال الذين يتعرضون لمعاملة والدية قاسية ومتسلطة، اختاروا اللون الأسود لتلوين بعض ملابس المرأة في رسوماتهم(*).
6. الأطفال الذين تتراوح أعمارهم من 6-7 سنوات غالباً ما نلاحظ أن رسوماتهم للرجل وللمرأة جاءت متقاربة إلى حد كبير جداً، والفروق بين شكل الرجل وشكل المرأة تكاد تنعدم، بينما تبرز في رسومات الأطفال من عمر الثامنة معالم التنميط بين الشخص الذكري والشخص الأنثوي، وتزداد حدة وبروزاً كلما تقدم الطفل في العمر، الأمر الذي يعكس مدى للتربية الوالدية من دور في ترسيخ فكرة التنميط الجنسي في ذهن الطفل، فمن الواضح أن المعاملة الوالدية لا تفرض على الأطفال من الجنسين حتى عمر السابعة تقريباً ضغوطاً ثقافية، ولذا جاءت رسوماتهم لشكل الرجل والمرأة على درجة

(*) على المربي أن لا يتدخل في رسم الطفل ويصححها بيده، أو يطلب من الطفل تصحيحها لأنه بذلك يكون قد عمل على حرمان الطفل فرص التعبير عن همومه وأحزانه وآلامه أو حبه وما يكنه من مودة نحو الآخرين والأشياء من حوله.

عالية من التماهي مع فكرة المساواة بين الجنسين، وكلما تقدم الأطفال في العمر، كلما برزت الضغوط الثقافية في المعاملة الوالدية وزادت وطأتها وبالتالي انعكست في رسوماتهم الفروق الجنسية والتراتبية والفصل بين الجنسين وفي بعض الرسومات انعكس التعنيف الممارس على المرأة من قبل الرجل(*).

الخاتمـــة

يمكن القول بأن التربية الوالدية للأبناء تتعرض إلى تغيير إيجابي نتيجة ارتفاع تعليم الأمهات وازدياد مشاركتهن في سوق العمل والإنتاج وتنامي الوعي النسوي لديهن، فمن خلال المسيرة البحثية لهذه الدراسة ثبت وجود علاقة طردية بين ارتفاع تعليم الأمهات وانخراطهن في سوق العمل والإنتاج واتسام معاملتهن لأبنائهن من الجنسين بالمساواة وعدم التميز، كما أثبتت الدراسة وجود علاقة طردية بين معاملة الأبناء من الجنسين بشكل مساوٍ وبدون تمييز وبين تمثلهم الإيجابي لصورة المرأة وتماهيهم مع فكرة المساواة بين الجنسين.

يبدأ أن الباحثة توصي بالمزيد من الدراسات حول الموضوع، إيماناً بأن الطفل هو محور عملية التفاعل الاجتماعي، ولأن عملية اكتساب دور النوع عملية مستمرة، مثلها مثل عملية اكتساب العناصر الاجتماعية المكونة للشخصية، إذ تواجه هذه العملية

(*) تعرف رسوم الطفل من عمر 6-7 سنوات بالواقعية الوصفية فالطفل في هذه المرحلة من العمر يضع على الورق ما يعرفه لا ما يراه، ويحاول أن ينقل كل ما يتذكره أو كل ما يهتم به في الموضوع، أما رسومات الأطفال من عمر 9-11 سنة فتعرف باسم الواقعية البصرية، حيث يحاول الطفل أن يظهر صفة الصلابة في رسوماته، كما أن هذه المرحلة تُعد انتقالية ينتقل فيها الرسم عند الطفل من الذاكرة والخيال إلى الرسم من الطبيعة، أما من عمر 11-14 سنة فتعرف باسم مرحلة الكبت، حيث تكون الرمزية واضحة في رسم الأطفال شعورياً ولاشعورياً، ويكون الرسم فيها وسيلة للتنفيس، للمزيد انظر محمود محمد عماري وآخرون، التربية الفنية أصولها وطرق تدريسها، ص84 وما بعدها.

مؤثرات خارجية تدعم المعايير التي يفرضها الوالدان أو تضعها موضع الاختبار، فنمو الوعي بالسلوك المرتبط بالجنس لدى الطفل يتم أثناء نمو وعيه الذاتي من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، ولذا فإن تأثير الوالدان على الطفل ليس كاملاً أو أبدياً، وإنما هو محدد بزمن حيث ينفك القيد الأسري إذا ما واجه الطفل مطالب جديدة تفرض عليه من خارج الأسرة إبان الاختلاط بجماعة الرفاق وأبناء الجيران وزملاء المدرسة، كما يتعرض الطفل لتأثير وسائل الاتصال والمنهج المدرسي.

قائمــة المراجــع

1. أوليفيه هودي، علم نفس الطفل، ترجمة: مي هاشم جد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009.
2. حلمي حضر ساري، المرأة كآخر، دراسة في هيمنة التنميط الجنساني على مكانة المرأة في المجتمع الأردني، صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير: الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت– 1999.
3. رغدة حكمت شريم، الهوية الجندرية والنمو الأخلاقي، علم النفس العام، تحرير: محمد عودة الريماوي، دار المسيرة، عمان– الأردن، ط (3)، 2008.
4. زكريا الشربيني، يسرية الصادق، تنشئة الطفل، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006.
5. سامية مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008.
6. سعاد علي الرفاعي، معوقات المشاركة السياسية للمرأة الليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، 2007.
7. عادل عبد الله محمد، النمو العقلي للطفل، دار الراشد، القاهرة، ط (3)، 2006.
8. محمد سعيد فرج، الطفولة والثقافة والمجتمع، منشأة المعارف، الإسكندرية، ب–ت.
9. محمود محمد صادق وآخرون، التربية الفنية وأصولها وطرق تدريسها، المكتبة الوطنية، عمان الأردن، 1992م.
10. www.mawdoo3.com
11. www.manar9.mam9.com

دور الأخصائي النفسي بالمدارس الثانوية– الواقع والمأمول

د. نجاة سالم زريق

د. ربيعة عمر الحضيري

ملخص البحث:

هدف البحث الحالي إلى التعرف على مدى أهمية ودور الأخصائي النفسي في المدرسة، والتعرف على كيفية إسهامه في تحقيق الصحة النفسية للطلاب داخل المدرسة، ودوره في تطوير مستوى الأداء داخل المدرسة، ومدى الحاجة للخدمة النفسية والإرشاد النفسي للأفراد داخل المدرسة، وأهداف هذه الخدمة' وكذلك المشكلات التي يواجهها الأخصائي داخل المدرسة. وقد اتبعت الباحثتان خلال هذا البحث أسلوب البحث الاستقصائي التحليلي والملاحظات الشخصية كأداة لجمع المعلومات. وقد خلصت الباحثتان إلى أن الدور الحقيقي للأخصائي النفسي القائم على اسس ومبادئ علمية وإنسانية غائب في مدارسنا وأن إحيائه وتصحيحه كفيل بتحقيق الصحة النفسية للطلاب وبالتالي الارتقاء بالعمل التربوي وتحقيق الأهداف التي وجدت المدرسة من أجلها.

الكلمات المفتاحية: الأخصائي النفسي ، المدرسة الثانوية .

مقدمة:

تعتبر خدمات الإرشاد النفسي من الضرورات التي أصبحت تفرضها طبيعة العصر الذي نعيش فيه، والتعقيدات المتزايدة في حياتنا المعاصرة، والضغوطات المتراكمة والناتجة عن أعباء ومتطلبات حياة الإنسان المعاصر. لذلك أصبح من الضروري توفر مثل هذه الخدمات في مختلف المؤسسات التي ينتمي إليها الأفراد من مستشفيات ومدارس ومؤسسات وظيفية وغيرها.

وتختلف طبيعة وأهمية هذه الخدمات باختلاف الشريحة المستهدفة ؛ ولعل من أكثر الشرائح حاجة إلى مثل هذه الخدمات شريحة الطلاب على اختلاف مراحلهم ، وبشكل

خاص وأساسي الطلاب الدارسين بالمرحلة الثانوية نظرا للطبيعة الخاصة لهذه الشريحة، حيث أنهم ينتمون إلى شريحة المراهقين الذين تزايدت مشاكلهم واضطراباتهم في المجتمع الحديث بزيادة تطور الحياة المعاصرة.

ويتطلب الإرشاد النفسي خبرة واسعة وحكمة عميقة وصبرا لانهائيا من قبل الإخصائي النفسي الذي سيقوم به، وتزداد صعوبة هذه المهمة عندما تمارس مع المراهقين، حيث أنهم يجدون صعوبة في تقبل النصح والإرشاد، إلا أن ذلك قد يكون ممكنا بدرجة كبيرة إذا جاء من يبحث عنه متطوعا إلى الإرشاد، ذلك أن الحاجة لديه تكون ملحة لمثل هذه المساعدة (عبد السلام وآخرون، 2005: 16)، أما المساعدات التي يقترحها الأخصائي دون أن يطلبها الفرد فإن قيمتها تكون ضئيلة لأن الفرد ينظر إليها باعتبارها مساعدة مفروضة، وكأنها تطفل على ما يعتبره الفرد أمورا خاصة.

وتتنوع المشكلات التي يتعرض لها الطلاب الدارسون بالمرحلة الثانوية من مشكلات تربوية، وأكاديمية، وأسرية، وغيرها. ولا شك أن وجود أخصائي بالمدرسة يساعد الطلاب على حل وتجاوز مثل هذه المشكلات، ويشعرهم بالأمان، وبإمكان وجود من يساعدهم ويأخذ بأيديهم، ويحول بالتالي دون لجوئهم إلى حلول وأساليب قد تكون غير ملائمة وتؤدي بهم إلى الإنحراف. ولذلك فإن هذا البحث يرمي إلى محاولة توضيح مدى أهمية الدور الذي يلعبه الأخصائي النفسي داخل المدارس الثانوية وواقع هذا الدور في مدارسنا وكيفية إمكانية تطويره.

مشكلة البحث:

يلعب الإخصائي النفسي دورا كبير في حياة الطلاب في المرحلة الثانوية ، وفي تمتعهم بدرجة كافية من الصحة النفسية لديهم. ولذلك فإن مشكلة البحث قد تحددت في التساؤلات التالية:

1- ما الأسباب التي تدعو إلى توفير الخدمة النفسية والإرشاد النفسي بالمدارس

الثانوية؟

2- ما واقع دور الإخصائي النفسي في المدارس الثانوية من حيث الإمكانات والأدوات والخدمات؟

3- ما هي أهم أهداف الخدمة النفسية والإرشاد النفسي بالمدارس الثانوية؟

4- ما أهم الضوابط الأخلاقية للخدمة النفسية والإرشاد النفسي بالمدارس الثانوية؟

5- ما هي المشكلات السلوكية التي يواجهها الإخصائي النفسي في المجال المدرسي؟

أهداف البحث:

1- التعرف على الأسباب التي تدعو إلى توفير الخدمة النفسية والإرشاد النفسي بالمدارس الثانوية.

2- التعرف على واقع دور الإخصائي النفسي في المدارس الثانوية من حيث الإمكانات والأدوات والخدمات.

3- التعرف على أهم أهداف الخدمة النفسية والإرشاد النفسي بالمدارس الثانوية.

4- التعرف على أهم الضوابط الأخلاقية للخدمة النفسية والإرشاد النفسي بالمدارس الثانوية.

5- التعرف على المشكلات السلوكية التي يواجهها الإخصائي النفسي في المجال المدرسي.

أهمية البحث:

1- تسليط الضوء على أهمية الدور الذي يلعبه الأخصائي النفسي في المؤسسات التربوية، وخاصة في المدرسة الثانوية لتحديد مدى أهمية الخدمة النفسية ودورها في زيادة الإنتاجية في هذه المؤسسات وتحسين مستوى الأداء بين الطلاب؛ حيث من المتوقع أن تسهم بشكل كبير في تمتعهم بالصحة النفسية ،

وبالتالي تقديم أفضل ما لديهم من قدرات يمكن ان تسهم في نجاح العملية التربوية برمتها والارتقاء بها قدما.

2- استخدام نتائج هذا البحث كأداة تشخيصية وعلاجية في آن واحد معا للمشكلات التي يعاني منها الطلاب في المدرسة، بحيث تمكن العاملين داخل هذه المؤسسة التربوية من معرفة طبيعة المرحلة العمرية الدقيقة التي يمر بها الطلاب ، وكذلك مساعدة الطلاب في حل المشكلات النفسية والاجتماعية التي تواجههم داخل المدرسة.

3- تقديم بعض التوصيات التي تحسن من طبيعة عمل الأخصائي النفسي داخل المدرسة وتمكنه من لعب دوره الصحيح الذي وجد من أجله داخل المدارس.

محددات البحث:

1- يتناول هذا البحث استقصاء أهمية الدور الذي يلعبه الإخصائي النفسي في المدرسة الثانوية وانعكاس هذا الدور على الصحة النفسية للطلاب.

2- اعتماد الملاحظة كأداة لجمع بيانات هذا البحث.

منهجية البحث:

اتبعت الباحثتان في هذا البحث المنهج الاستقرائي والاستدلالي الذي يعتمد على الملاحظة كأداة لجمع البيانات وهذا المنهج هو من أهم المناهج المتبعة في البحث النوعي.

الإطار النظري:

1- مفهوم الخدمة النفسية والإرشاد النفسي:

يعبر الإرشاد النفسي عن تلك الخدمة التي يقدمها الأخصائي النفسي للشخص

المسترشد بهدف مساعدته وتوضيح الطريق أمامه لحل المشكلات التي تعترض طريقه وتؤثر على استقراره النفسي. ويمكن تعريفه بأنه علاقة مهنية بين أخصائي نفسي مدرب، ومسترشد بحيث تكون هذه العلاقة موجهة من شخص إلى شخص أو أكثر، وقد بنيت هذه العلاقة لمساعدة المسترشدين على فهم ذاتهم وتوجيه اهدافهم لخير حياتهم وتعلم كيفية تحقيق أهداف تأكيد الذات من خلال اختبارات جيدة المعنى ومن خلال حل مشكلاتهم ذات الطبيعة الانفعالية والشخصية.(الزعبي، 2002: 16)

وتهدف الخدمة النفسية داخل المدرسة إلى مساعدة الأفراد على تنمية استقلالهم وقدرتهم على تحمل مسؤولية قراراتهم، وهو خدمة شاملة لكل جوانب حياة الفرد ، وفي المدرسة بالتحديد يجب أن يتوفر يتوفر أخصائي نفسي يقدم مثل هذه المساعدة إلى العملاء الموجودين فيها وهم شريحة الطلاب ، التي تشكل الجزء الأكبر من مجتمعنا. بل ويمكن تقديم هذه المساعدة حتى لشريحة المعلمين في حال احتياجهم لها.

2- أهمية إرشاد الشباب والمراهقين:

يمكن تعريف إرشاد الشباب والمراهقين بأنه عملية مساعدتهم ، وذلك بتقديم الخدمات الإرشادية الوقائية والعلاجية لهم بهدف تحقيق التوافق والنمو السليم والسوي وبناء الشخصية الإيجابية.(عقل، 2000: 36)

ويكتسب الإرشاد أهميته لدى هذه الشريحة (طلاب المرحلة الثانوية) من أهمية وخطورة المرحلة النمائية التي يمرون بها وذلك لمساعدتهم على حل مشكلاتها وعبورها بسلام، واستغلال الطاقات الهائلة الموجودة لديهم إلى أبعد حد ممكن ، وحمايتهم من الانحراف الذي غالبا ما ينتشر في هذه المرحلة.

وفي المدرسة بالتحديد يجب أن يتوفر إخصائي نفسي يقدم هذه المساعدة للعملاء الموجودين فيها وهم شريحة الطلاب الذين يشكلون الجزء الأكبر من المجتمع. ويتعامل الإرشاد داخل المدارس الثانوية مع عدد من المشكلات التي تواجه المراهقين أثناء نموهم

والتي حددها حسين فيما يلي:

1- مشكلات جنسية: حيث يحتاج المراهق في هذا المجال إلى معرفة بعض الحقائق الجنسية، وتقبل النضج الجنسي كمظهر من مظاهر النمو.

2- مشكلات المستقبل التربوي والمهني: حيث يحتاج الطالب المراهق إلى التوجيه والإؤشاد فيما سيفعله بعد المدرسة بتوفير المعلومات المهنية والتربوية ومساعدته على فهم قدراته وميوله حتى يتمكن من تحديد نوع دراسته أو مهنته المستقبلية.

3- مشكلات نفسية: حيث يحتاج الطالب إلى تأكيد ذاته وتدعيم ثقته بنفسه ومساعدته في البحث عن هويته الشخصية وحل مشكلاته النفسية.

4- مشكلات مدرسية: حيث يحتاج إلى أخصائي يساعده على التخلص من قلق الامتحان، وتكوين اتجاهات إيجابية نحو التعليم ونحو زملائه ومعلميه.

5- مشكلات صحية: حيث يحتاج الطالب إلى إرشاده لسبل الرعاية الصحية والتغذية السليمة.

6- مشكلات اجتماعية: حيث يحتاج المراهق إلى إرشاده ومساعدته لبناء نسق قيمي يوجه سلوكه ويهديه إلى سبل السواء وتكوين صداقات جيدة.

7- مشكلات أسرية: حيث يحتاج إلى من يساعده لكي يتفهم والديه اهتماماته والتغيرات التي طرأت عليه وإقامة علاقات متوازنة مع إخوته ووالديه.

لكل ذلك فإن تقديم الخبرات الإرشادية النفسية داخل المدرسة يكتسب أهمية خاصة وقصوى لإسهامه بشكل رئيسي في بناء شخصية متوازنة متوافقة وسوية، وخلق جيل واعي مسؤول يستطيع أن يحمل على عاتقه أعباء وبرامج التنمية والتطور في مجتمعه.(حسين، 1995: 37)

3- الحاجة للخدمة والإرشاد النفسي بالمدارس:

تؤكد البحوث النظرية والتطبيقية تزايد الحاجة للإرشاد النفسي في مختلف المواقع التي يتواجد فيها الأفراد وفي مختلف مراحل حياتهم، وتتزايد هذه الحاجة في أكثر المراحل الحرجة في حياة الأفراد، ومن المتفق عليه أن مرحلة المراهقة هي من أبرز هذه المراحل التي تكثر فيها الصراعات والاهتمامات التي تتجاذب المراهق وتجعله يعيش ما يشبه التيه النفسي. وهؤلاء المراهقون يتواجد معظمهم في المدارس الثانوية. فالمراهق في بداية حياته قليل الخبرة قليل الحيلة يحتاج إلى مرشد ناصح متخصص ليستنير برأيه فهو في انتقاله إلى مرحلة المراهقة يواجه التغير في الانتماء مما يستدعي التكيف مع الوضع الجديد وإعادة النظر في الأساليب الطفولية السابقة وبناء نموذج يتفق مع حياة الكبار وهنا تبرز الحاجة إلى وجود أخصائي نفسي في المدرسة ساعده على كل ذلك.(عقل، 2000: 8)

4- المسؤولية الإرشادية في المجال المدرسي:

إن مسؤولية الإرشاد النفسي في المجال المدرسي لا تقع على عاتق فرد واحد وإنما هي مسؤولية منظمة متداخلة يقوم بها فريق متكامل ومع ذلك لابد من تحديد مسؤوليات كل فرد داخل الفريق . ويضم فريق الإرشاد هذا كل من الأخصائي والذي يسمى بالمرشد كما يضم المعلم باعتباره الشخص الأكثر احتكاكا بالطلاب وهو الذ يوجههم ويشجعهم على الاستفادة من خدمات الإرشاد بالمدرسة، كما يضم المدير باعتباره المسؤول عن إدراة المدرسة وهو القائد الذي يشرف على عمليات الإرشاد وحلقة الوصل بين المدرسة والأسرة. كذلك يضم الأخصائي الاجتماعي الذي يقوم بإجراء البحوث ذات العلاقة بالنواحي الاجتماعية.(عقل، 2000: 150-160).

5- أهداف الخدمة النفسية والإرشاد النفسي المدرسي:

للإرشاد النفسي في أي مجال أهداف وغايات محددة يسعى إليها من أجل إحداث التغيير في شخصية المسترشد، ويمكن تحديد أهم أهداف الإرشاد النفسي المدرسي في:

1- مساعدة الطلاب على فهم أنفسهم وإمكانياتهم الذاتية من استعدادات ومهارات وقدرات

جسمية وعقلية وميول واتجاهات نفسية واستغلالها الاستغلال الأمثل.

2- مساعدة الطلاب على التكيف مع التغيرات الجسمية والفسيولوجية التي تطرأ عليهم في هذه المرحلة.

3- مساعدة الطلاب على ضبط دوافعهم ورغباتهم ونزعاتهم الفردية والتسامي بها حتى لاتنحرف.

4- وقايتهم من الاضطرابات والأمراض النفسية.

5- مساعدتهم على تنمية شعور واضح بتقدير الذات.

6- مساعدتهم على الاستقلال الذاتي ، ومنحهم القدرة على توجيه حياتهم ضمن إطار الحدود التي يفرضها المجتمع.

7- مساعدتهم على زيادة الاستبصار بمشكلاتهم وإزالة التوتر المصاحب لهذه المشكلات.

8- المساهمة الفعالة في تصحيح الانحرافات السلوكية للطلاب وعلاج المشكلين منهم.

9- التعرف على الأسباب المؤدية للمشكلات لدى بعض الطلاب مثل الرسوب والتأخر في مواد دراسية معينة...الخ (عبد السلام وآخرون، 2005: 28)

10- العمل على اكتشاف الموهوبين ورعايتهم وتوفير الفرص لتنمية مواهبهم.

6- الأخصائي النفسي المدرسي وإعداده:

يمكن تعريف الأخصائي النفسي المدرسي بأنه: الشخص الحاصل على الماجستير في علم النفس الإكلينيكي بعد حصوله على بكالوريوس في علم النفس مع خبرة لاتقل عن ثلاث سنوات في ميدان القياس والعلاج النفسي.(إبراهيم وعسكر، 2005: 37) ويتم إعداده في أقسام علم النفس بالجامعات حيث يتم تزويده بالمعارف النظرية المتخصصة بالإضافة لإخضاعه لبرامج تطبيقية يتدرب فيها على ممارسة الإرشاد النفسي.

7- الصفات الواجب توافرها في الأخصائي النفسي المدرسي:

1- الصدق مع الذات : عن طريق الغوص في ذاته ليعرفها بصدق حتى يستطيع مساعدة مسترشديه على معرفة انفسهم بصدق.

2- الصدق مع الاخرين: وهذا الصدق يكمن في في التعامل مع المسترشدين كبشر مكرمين مهما كانت عيوبهم.

3- احترام الذات دون مبالغة أو مغالاة فيكون شخصا لايحقر نفسه ولايبخسها حقها وفي نفس الوقت متواضع وبعيد عن الغرور.

4- احترام الاخرين بغض النظر عن العيوب التي يعالجها فيهم لأنهم بشر قبل كل شئ ولانهم بحاجة إلى الإرشاد.

5- الاستقلالية والقدرة على الضبط الداخلي لنفسه حتى يصبح موضع ثقة للطلاب المسترشدين.

6- العطاء: بمعنى ان يكون قادرا على منح الحب لكل الناس وخاصة مسترشديه الطلاب.

7- القدرة على تطوير علاقات إنسانية مهنية: أي أن يرتبطبعلاقات دافئة مع الطلاب المسترشدين ولكنها في نفس الوقت تكون مهنية وواقعية بعيدة عن الشفقة والتعلق الدائم تنتهي بانتهاء الاستثارة التي يطلبها.(إبراهيم وعسكر، 2005: 33)

8- وظائف الأخصائي النفسي في المدرسة الثانوية:

1-تخطيط وتطوير برامج الإرشاد: بمعنى أن يكون نشيطا في التعريف بأهداف البرنامج والتعرف على الحاجات الإرشادية للطلاب.

2-تقييم الطالب: وذلك من خلال الاختبارات وكتابة التقارير والاتصال بالأسرة.

3-التخطيط المهني والعلمي: وهذه الخدمة تستدعي جمع ونشر المعلومات عن التعليم والمهن التي يمكن ان تكون مفيدة للطالب في المستقبل.

4-مساعدة أولياء الأمور: من خلال التواصل معهم لمساعدتهم على فهم مراحل نمو أولادهم وتطورهم والمشكلات التي تعترضهم وكيفية التعامل معها بطريقة صحية وسليمة.

5-إجراء البحوث النفسية ومتابعة الخريجين من المدارس الثانوية وتقدير التنبؤات المهنية لهم. (عبد السلام وآخرون، 2005: 158)

9- أهم الوسائل التي يستخدمها الأخصائي النفسي في المدارس:

يستخدم الأخصائي النفسي المدرسي نفس الوسائل التي يستخدمها أي أخصائي نفسي آخر في أي موقع آخر وهي:

1-المقابلة: وهي عبارة عن علاقة اجتماعية مهنية بين الأخصائي والطالب المسترشد تتم في جو آمن ومناخ علمي بهدف حصول الأخصائي على معلومات عن الطالب وذلك لشرح وتفسير حالته. وقد يكون للمقابلة أهدافا تشخيصية لتشخيص الحالة وأخرى علاجية لمساعدته على التخلص من الصراعات والتوتر.

2-الملاحظة: وهي من أقدم وسائل جمع المعلومات وأكثرها شيوعا حيث يتم بواسطتها ملاحظة السلوك وتسجيله وتتم خلال فترة زمنية قد تكون محددة أو مفتوحة ولابد أن تتصف بالموضوعية والصدق والتكامل.

3- السيرة الذاتية الشخصية: وهي عبارة عن تاريخ حياة الطالب كما يكتبه بنفسه ويتضمن حياة أسرته ومواقف حياته ونظرته للحياة.(عقل، 2000: 63)

4-الاختبارات والمقاييس النفسية: حيث يستخدم اللأخصائي النفسي نوعين من هذه المقاييس وهي:

- مقاييس الذكاء والقدرات الخاصة بما فيها مقاييس الاستعدادات والكفاءة لمعرفة مدى قدرة الطالب على التحصيل في تخصص ما. أو ما هو التخصص الذي يلائم قدراته.

- مقاييس الشخصية أي قياس السمات المميزة للفرد لمعرفة مدى صلابته وقدرته على مواجهة الأزمات، وتشمل مقاييس التقدير والميول والاتجاهات والاختبارات الإسقاطية. (توق وعدس، 1993)

10- المشكلات السلوكية التي يواجهها الأخصائي النفسي في المجال المدرسي:

هناك العديد من المشكلات السلوكية التي تواجه الأخصائي النفسي في المجال المدرسي بشكل عام وفي المرحلة الثانوية بشكل خاص ومن أهم هذه المشكلات:

1-مشكلة التأخر الدراسي:

وتطلق على الطلاب الذين يعجزون عن مجاراة زملائهم من الصف الدراسي في التحصيل، وقد يبدو هذا التأخر في جميع المواد الدراسية أو في عدد منها(عبد السلام وآخرون،2005). ويعود ذلك إلى مجموعة من الأسباب مثل انخفاض نسبة الذكاء أو القصور في بعض الحواس، أو الاعتلال الصحي للطالب، أو عوامل ذاتية توعد إلى المشكاكل العاطفية أو الأسرية أو سوء الوضع الاقتصادي. ويكمن دور الأخصائي النفسي في تحديد أي هذه الأسباب هو الذي أدى إلى تأخر الطالب دراسيا، ومساعدته في التغلب عليه، وذلك باقتراح برنامج المذاكرة المناسب أو إعطائه دروسا مكثفة، أو لفت انتباه الأسرة والمعلمين إلى معالجة القصور الحسي والصحي لديه أو مساعدته في حل مشكلاته العاطفية والأسرية...الخ.

2- مشكلة السلوك العدواني:

وتبرز هذه المشكلة بشكل كبير في المرحلة الثانوية، نظرا لرفض المراهق لسلطة الكبار، فيحاول أن إلحاق الأذى بالآخرين وممتلكاتهم وحتى بنفسه، ليثبت أنه شخية قوية كما يصور له خياله. ودور الأخصائي هنا يكمن في أن يوضح للمراهق ويقنعه بأن قوة الشخصية لا تكون بالعدوان وفرض السيطرة، وإنما بالثبات والاتزان الانفعالي والقدرة على

اكتساب احترام الآخرين دون تجاوز للسلوك المقبول.

3- مشكلة الخجل والانسحاب:

وتتمثل في ميل التطالب إلى تجنب التفاعل الاجتماعي والمشاركة في المواقف الاجتماعية بصورة غير مقبولة، ويصاحب ذلك شعور بالقلق والضيق واللجوء للصمت والانسحاب والتلعثم وصعوبة التعبير عند مواجهة الآخرين.(عقل، 2000: 231) ويكمن دور الأخصائي النفسي في هذه الحالة في مساعدة المراهق على التغلب على خجله من خلال التوضيح له أن التغيرات الجسمية التي يمر بها هي وضع طبيعي ولا يدعو للحرج.

4- الاستغراق في أحلام اليقظة:

وهذا من أبرز المظاهر المميزة لمرحلة المراهقة، ولا بأس في أن يكون الإنسان طموحا بشكل منطقي وفي حدود إمكاناته، لكن الاستغراق في هذه الأحلام دون أي محاولة لتحقيقها قد يؤدي إلى فشل الطالب في دراسته (الهاشمي، 1994: 116). ويكمن دور الأخصائي النفسي هنا في مساعدة الطالب على أن تكون أحلامه في حدود المنطق ووفقا لقدراته وإمكاناته ومساعدته على وضع الخطط الكفيلة بتحقيقها.

5- مشكلات الطالب المتفوق:

لايعتبر التفوق مشكلة في حد ذاته وإنما هو ميزة، ولكن المشكلة تكمن في عدم اكتشاف المتفوق وعدم استغلال طاقاته بالشكل المطلوب، ويكمن دور الأخصائي النفسي هنا في تطبيق الاختبارات التي تساعد على اكتشاف الموهوبين والمتفوقين والتعاون مع الجهات المختصة لتقديم الرعاية المتخصصة.

واقع الخدمة النفسية والإرشاد النفسي في مدارسنا:

من خلال ملاحظات الباحثتين فقد تبين أن مدارسنا تعاني عجزا كليا في الخدمة النفسية والإرشاد النفسي، فالأخصائيين الموجودين فيها يفتقرون إلى الخبرة وإلى الصفات الشخصية والمهنية المطلوبة في الأخصائي، وبذلك فهم مجرد وسيلة

تستخدمهم الإدارة في الضغط على الطلاب، وحتى تعمد إهانتهم أحيانا مع الأسف. فالأخصائيون في مدارسنا لايهتمون إلا بفرض آرائهم ومعتقداتهم على الطلاب وتعمد إهانتهم وإيذائهم النفسي وهم بذلك يقومون بدور مغاير تماما لما هو منوط ؛ بهم فأصبحوا عبئا إضافيا على الطلاب بدل أن يكونوا الملجأ النفسي لهم، والمعين لهم على تفهم كل ما يمرون به خلال هذه المرحلة من تغيرات جسمية وصراعات نفسية واجتماعية .

التوصيات:

من خلال هذا البحث الاستقصائي توصي الباحثتان بالآتي:

1- التأكيد على أهمية دور الأخصائي النفسي داخل المدرسة الثانوية وضرورة أن يكون هذا الدور حقيقيا وفعالا ، وليس كما هو موجود في مدارسنا مجرد دور شكلي تمارس من خلاله المدرسة ضغوطها على الطلاب بدلا من أن يكون عونا للطلاب على حل مشكلاتهم وفهم حاجاتهم النفسية المختلفة.

2- التأكيد على أهمية الصفات الشخصية والأكاديمية الواجب توفرها في الأخصائي، بحيث يتمع تعيين الشخص المناسب فقط في هذه المهنة الحساسة والبالغة الخطورة .

3- التأكيد على ضرورة تواصل فريق الخدمة النفسية في المدرسة مع الأسرة ومؤسسات المجتمع الأخرى التي تعنى بشاكل الطلاب واحتياجاتهم.

4- الاهتمام بإجراء الندوات التي تتناول الخدمة النفسية داخل المدرسة ودعوة المعلمين والمدراء للمشاركة فيها من أجل توعيتهم بأهميتها وكيفية تحسينها داخل مدارسهم .

المراجع

_ إبراهيم، عبد الستار وعسكر،عبدالله. 2005. علم النفس الإكلينيكي في ميدان الطب

النفسي.القاهرة. مكتبة الإنجلو المصرية.

_ الهاشمي، عبد الحميد محمد.1994. التوجيه والإرشاد النفسي والصحة النفسية الوقائية. دار الشروق. جدة.

_ عبد السلام، فاروق وطاهر، ميسرة ومهني، يحي. 2005. مدخل إلى الإرشاد والتربوي النفسي. الدار السعودية للنشر والتوزيع. جدة.

_ الزعبي، أحمد محمد. 2002. الإرشاد النفسي نظراته، اتجاهاته، مجالاته. عمان. دار زهران.

_ عدس، عبد الرحمن وتوق، محي الدين. 1993. المدخل إلى علم النفس. مركز الكتب الأردني. عمان.

_ عقل، محمود عطا حسين. 2000. مدخل إلى الإرشاد النفسي والتربوي(المداخل النظرية– الواقع– الممارسة). دار الخريجي للنشر والتوزيع. الرياض.

الرتبة النحوية وعلاقة الإسناد دراسة لسانية

د. نجاة صالح محمد اليسير

المقدمة

الرتبة قرينة لفظية، وهي مبدأ نحوي يحدد الوظائف التركيبية لأجزاء الجملة عند غياب العلامة الإعرابية، والمستعمل للغة لابد أن يراعي المواقع المكانية للكلمات داخل الجملة؛ لأن مخالفتها تؤدي إلى إفساد اللغة وإلى اللبس والغموض.

فعملية التأليف بين أجزاء الكلام تنظمها رتب تختلف في اللغة الواحدة، وتختلف من لغة إلى لغة أخرى أحيانا، إلا أن تغيرات الرتبة في اللغة الواحدة أوفي اللغات المختلفة ليست اعتباطية أو غير محددة، بل هناك ما يدل على وجود قيود على رتب المكونات الكبرى داخل الجمل من (فعل وفاعل ومفعول ومصدر) ، أو رتب مكونات صغرى داخل المركبات الاسمية أو الحرفية أو الفعلية، ومن أهداف النظرية اللسانية أن تبحث في مجموعة المبادئ التي تقيد الرتب داخل اللغات ؛ لأن كفايتها ليست مرهونة فقط بتخصيص ووصف ما يلاحظ من الظواهر الرتبية بل أيضاً ما لا يمكن أن يلاحظ منها .

وُتعد قضية الرتبة من القضايا اللغوية المهمة في الدرس اللغوي قديماً وحديثاً، كذلك الحال بالنسبة لقضية الإسناد، فهاتان القضيتان تتضافران مع بعضهما بعضاً لتحديد المعنى الوظيفي للمفردة داخل التركيب اللغوي.

والجمع بين قضية الرتبة – ودراستها دراسة تحليلية –، وقضية الإسناد والتي تحتاج إليها الرتبة دائما لتحديد وظيفة المفردة داخل السياق لم تسبق – على حد ما أعلم – ومن هنا، حاول البحث أن يكشف عنهما ويستجلي العلاقة بينهما.

الرتبة لغةً:

جاء في لسان العرب: " رَتَبَ الشيء يَرْتُبُ رتُوباً، وتَرَتَّبَ: ثبت فلم يتحرّك، ورَتّبه ترتيباً: أثْبَتَه. وعَيْشٌ راتِبٌ دائمٌ. وأَمْرٌ راتِبٌ أي دارٌّ ثابت.

والرّتبة والمرتبة: المنزلة عند المُلوكِ ونحوها. وفي الحديث: "من مَات على مْرتَبَة من هذه المَراتِب، بُعِثَ عليها"، يقال: رَتَبَةٌ ورَتَبٌ، كقولك: دَرَجةٌ ودَرَجٌ، والرَّتَبُ: عَتَبُ الدَّرج "[1].

والرتبة اصطلاحاً: الموقع الأصلي الذي يجب أن تتخذه الوظيفة النحوية بالنسبة إلى الوظائف الأخرى المرتبطة بها بعلاقة نحوية تركيبية.فإذا كان هذا الموقع ثابتاً سُميت الرّتبة محفوظة، وإذا كانت عُرضة للتغير سُميت الرّتبة غير محفوظة[2].

الرّتبة في الدرس النحوي (القديم والحديث):

الرتبة وما يطرأ عليها من " تقديم وتأخير" إحدى أهم مظاهر التحول في النحو العربي. واللغة العربية بوصفها إحدى اللغات المعربة تسمح بحرية كبيرة في ترتيب الوحدات داخل التركيب، ولذلك تمثل القواعد المتصلة بالتّقديم والتّأخير جانباً كبيراً من قواعد النحو العربي.

وقد قسم النحاة رتبة المواقع الإعرابية إلى قسمين:

الأول: أطلقوا عليه اسم الرتبة غير المحفوظة.

([1]) ابن منظور: لسان العرب، 4 / 57 . 58 ، مادة " ر ت ب ".

([2]) انظر أيضاً في تعريف الرتبة: محمود جاد الرب: بنية الجملة الخبرية في الفصحى المعاصرة دراسة في التقديم والتأخير 11/1 مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة العدد 14، 1994م، محمد حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1983م، ص: 325، محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2001م، ص:137، علاء دسوقي أحمد:الافتقار في النحو العربي، رسالة ماجستير بدار العلوم، ص14؛ محمود عبد السلام شرف الدين: آراء ثلاثة حول بعض مسائل الترتيب في العلاقة النحوية حوليات دار العلوم، عدد 13، 1991م، ص: 392 وما بعدها، أحمد علم الدين الجندي: علامات الإعراب بين النظر والتطبيق 291–293، مجلة معهد اللغة العربية جامعة أم القرى عدد 2، 1984م.

والثاني: أطلقوا عليه اسم الرتبة المحفوظة.

وقد حظي التّقديم والتّأخير من اللغويين والبلاغيين والنقاد بالعناية والاهتمام.

ومن المعروف أن النحاة عنوا بكلا النوعين، في حين انصب اهتمام البلاغيين على الرّتبة غير المحفوظة لأنها هي التي تعطي المتكلم أو الكاتب أو الشاعر حرية التعبير.

وقد ظهر ذلك الاهتمام أول ما ظهر عند صاحب " الكتاب " حيث حاول أن يلتمس الغاية من وراء التّقديم عند العرب حين قال " كأنهم إنّما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم "[1].

وعلى ذلك فإذا كان من شأن المفعول به أن يتأخر عن الفاعل فإنه قد يتقدم وتكون الغاية من ذلك مزيداً من العناية والاهتمام؛ يقول: " وإن قدمت الاسم فهو عربي جيد كما كان ذلك عربياً جيداً، وذلك قولك: زيداً ضربت. والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء، مثله في ضرب زيدٌ عمراً وضرب عمراً زيدٌ"[2].

ونتبين من نص سيبويه أن المفعول به عنصرٌ حرٌ في الحركة يسار موقعه أو يمينه ما لم يمنع مانع.

أما ابن جني فيدخل موضوع التّقديم والتّأخير ضمن ما أسماه " شجاعة العربية "، وقد تميّزت دراسته للتّقديم والتّأخير بطابع نحوي صرف لم يلتفت فيه إلى شيء من جماليته وغايته فهو لا يرى مثلاً ما يراه سيبويه في شأن تقديم المفعول به من أنه للعناية والاهتمام فليس لتقديم المفعول به علة بلاغية معينة سوى أنه شاع واطرد حيث يقول:" إن تقدُم المفعول على الفاعل قسم برأسه كما أن تقدَم الفاعل قسم أيضاً قائم برأسه وإن كان تقديم الفاعل أكثر... فصار تقديم المفعول لما استمر وكثر كأنه هو الأصل وتأخير

([1]) سيبويه: الكتاب، ط هارون، 34/1، وبولاق، 15/1.

([2]) سيبويه: الكتاب ط/ هارون، 1/ 80-81، وبولاق 41/1، ومثال ابن جني في الخصائص:(ضرب زيداً عمرُو) و(زيداً ضرب عمرُو)؛ انظر: ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، 382/2.

الفاعل كأنه أيضاً هو الأصل "[1].

أما صاحب دلائل الإعجاز فإنه يرى أن التقديم ضربان: تقديم يقال له إنه على نية التأخير وهو الرتبة غير المحفوظة كما يسميها تمام حسان، وتقديم يقال له إنه لا على نية التأخير وهو الرتبة المحفوظة بتعبير تمام حسان.

ومن الضرب الأول تقديم الخبر على المبتدأ كقولك:منطلقٌ زيدٌ، وتقديم المفعول على الفاعل كقولك: " ضربَ عمراً زيدٌ " ومعلوم أن " منطلقٌ " و " عمراً " لم يخرجا عما كانا عليه، من كون هذا خبر مبتدأ مرفوعاً، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً.

أما الضرب الثاني من الّتقديم فمعناه أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم آخر وتجعله باباً غير بابه وإعراباً غير إعرابه، كأن تأتي إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له، فتقدم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا ومثاله ما تصنعه " بزيدٍ " و " المنطلق " حيث تقول تارة: زيدٌ المنطلقُ وأخرى: المنطلقُ زيدٌ[2].

وقد أكد تمام حسان أن النّحاة لم يدرسوا الرتبة في باب مستقل، وإنما فرقوا فيها القول في أبواب النحو، أما البلاغيون فإنهم تناولوا الرتبة تحت إطار التّقديم والتّأخير وقد عنوا بالرتبة غير المحفوظة في حين عُني النحاة بكلا النوعين. وانتهى إلى أن الرتبة قرينة لفظية تحدد معاني الأبواب النحوية المرتبة بحسبها ومن هذه الرتب المحفوظة، تقديم الموصول على الصلة، والمؤكَّد على المؤكِّد، والمبدل منه على البدل وصدارة الأدوات في أساليب الشرط والاستفهام وتقديم حرف الجر على المجرور، وحرف العطف على المعطوف، والمضاف على المضاف إليه، إلى غير ذلك ومن الرتب غير المحفوظة رتبة المبتدأ والخبر ورتبة الفاعل والمفعول به، ورتبة الضمير والمرجع ، ورتبة الفاعل والتمييز بعد نعم ورتبة الحال والفعل المتصرف ورتبة المفعول به والفعل[3].

([1]) ابن جني: الخصائص، 1/295،298 .

([2]) انظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ط/ رشيد رضا، ص: 94.

([3]) اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سابق، ص: 207.

ويرى تمام حسان أنّ هناك رحماً موصولة بين الرتبة والموقع، كما أنها أي – الرّتبة – تتجاذب مع المبنيات وخصوصاً مع الظروف والأدوات المبنية، أكثر مما تتجاذب مع الإعراب ويفسر ذلك أن غياب علامات الإعراب من الكلمات المبنية قد عوض بالرتبة باعتبارها قرينة لفظية، كما يؤكد أنّه يمتنع التقّديم والتّأخير في حال الرتبة المحفوظة، والعكس إذا كانت الرتبة غير محفوظة إذا أمن اللبس.

ويمكننا القول أن الرتبة ناجمة عن قرينة التضام والذي عبر عنه النحاة " بالتلازم"[1] وهو: " أن تستدعي وتتطلب كلمة ما كلمة أخرى في السياق " أو هو: " إيراد كلمتين أو أكثر لخلق معنى أعم من معنى أيهما"[2].

ويعد التضام من العناصر البارزة التي تكوّن نظام تأليف العبارة في اللغة العربية، كما أنه يعدّ أيضاً من السّمات الشكلية التي يتعرض موضوعها للتركيب الكلامي نفسه.

فالتضام إذن هو تطلب كلمة ما كلمة أخرى على سبيل الافتقار كالمبتدأ حين يتطلب خبراً ثم يأتي دور الرتبة المحفوظة حيناً وغير المحفوظة حيناً آخر لتضع كلا منهما في موقعه فالطالب أولاً، والمطلوب ثانياً، فالمبتدأ يمين الخبر والخبر يساره، والفعل يمين الفاعل والمفعول يسارهما، والجار يمين المجرور والمضاف يمين المضاف إليه وهكذا، ويجوز تبادل المواقع في بعضها ما لم يمنع مانع، فالتضام له أهمية كبيرة في تآلف الوحدات اللغوية ثم يأتي دور الرتبة لتحديد موقع كل وحدة في التركيب.

الرّتبة في الدرس اللساني الحديث:

لكل لغة منطقها الخاص ونظامها النحوي الذي يميزها من غيرها من اللغات لكن هذا لا يمنع أن تجتمع بعض اللغات حول قواعد مشتركة، واللغة تحافظ على أنظمتها وتتمسك بها. فكل لغة تخضع في ترتيب وحداتها لنظام معين يلتزم هذا الترتيب في تكوين التراكيب، وإذا اختل في ناحية من نواحيه لم يحقق الكلام الفائدة منه.

([1]) المرجع نفسه، ص: 217.

([2]) فاضل مصطفى الساقي، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/2، 2008م، ص :153 .

ورتب الوحدات اللغوية في لغة طبيعية ما ليست مسألة لغوية فحسب، بل إنّه مبدأ منطقي للغة، حيث إنّ ترتيب الألفاظ دليلٌ على ترتيب المعاني.وكل لغة تسلك سبيلاً خاصاً بها في ترتيب مكوناتها، وليس من الهين أن يقال: لِمَ اتخذت هذه اللغة ذلك النظام المعين الذي يخالف ما جرت عليه لغة أخرى شقيقة لها؟.

ولعل فهم العلاقات بين وحدات اللغة ذات التّرتيب الثّابت يعتمد على موقع الوحدة اللغوية داخل التّركيب، إذ يكون هذا الموقع غالباً بمنزلة العنصر المورفولوجي لتحديد الحالة الإعرابية للوحدة.

ويسمي الدارسون هذا النوع من اللّغات باللّغات النظمية التي تلتزم عادة ترتيباً ثابتاً في تركيب الجملة مثل اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية.

وأهمية الرّتبة تزداد في اللّغات الخالية من الإعراب على عكس اللّغات الإعرابية التي لا تحتاج إلى الرّتبة دائما لتحديد وظائف الوحدات.كما أن لكل لغة خطاً من المرونة في ترتيب مكوناتها، وهذه المرونة في احتلال المواقع ليست اعتباطية، بل هناك ما يدلّ على وجود قيود على رتب مكوناتها ومن أهداف اللغوي أن يبحث عن القوانين التي تقيد الرّتب داخل اللّغات، وتحكم تحوّل هذا التّرتيب إلى أنماط مختلفة.

و قضية الرّتبة واحدة من القضايا اللغوية التي حظيت باهتمام الدارسين المحدثين فقد سعت المدارس اللسانية الحديثة إلى التعمق في تحليل هذه القضية، ومن الاتجاهات الحديثة التي عنت بهذه القضية نظرياً وتطبيقياً الاتجاه الوظيفي، والاتجاه البنوي، والاتجاه التوزيعي، والاتجاه التوليدي والتحويلي. وسنعرض لهذه الاتجاهات بالقدر الذي تسمح به حدود بحثنا هذا .

الاتجاه الوظيفي Functionalism:

الوظيفة هي التي تحدد طبيعة العلاقة بين مكونات البنية، كما أنها تحدد أيضا فاعلية هذه المكونات بالنظر إلى نشاطها الذي يُمارسه كل عنصر من عناصرها داخل التركيب، وليس هناك أية قيمة لأي عنصر منعزل عن التركيب، وإنما يكتسب قيمته من خلال علاقته بغيره من العناصر الأخرى؛ وبالتالي فإن الكشف عن العلاقات بين هذه

العناصر يوصل إلى الكشف عن وظائف البنية نفسها.

والتحليل الوظيفي يعملُ على ربط النظام اللغوي بالوظائف التي يمكن أن يؤديها النظام من خلال التراكيب اللغوية المختلفة التي تشكل بنية هذا النظام وأساسه، فكل تركيب لغوي يؤدي وظيفة مختلفة[1]. ومن هنا لا يمكن بأي حال من الأحوال النظر إلى الوظيفة بمعزل عن النظام الذي تندرج في علاقاته.

فالجانب الوظيفي إذن ليس شيئاً منفصلاً عن النّظام اللّغوي نفسه، فتداخل الأدوار والمشاركين في النظام النحوي حسب نمط معّين في كل لغة مرتبط ارتباطاً مباشراً بالوظيفة التي تؤدّيها الجمل في السياقات المختلفة[2].

فالاتجاه الوظيفي يربط بين النّظام اللغوي، وكيفية توظيف هذا النّظام لأداء المعاني.ويقوم هذا الاتجاه على أساس أن المستويات اللّغوية جميعها تتفاعل خلال عملية الاتصال اللغوي ، مما ينتج ما يسمى بالمستوى الكلامي وبالتالي فالمنظور الوظيفي يتجلى في الكلام الذي يعبر عن القيمة الاتصالية للغة من خلال تفاعلها مع الواقع الذي وجدت فيه.

والشكل العام لمنظور الجملة الوظيفي في جميع اللغات هو نظام " الرّتبة " فيها، وهو دراسة لعملية ترتيب المكونات في التّركيب اللّغوي من أجل الحصول على محتوى دلالي معين.ويتعلق الأمر هنا بالتّقديم والتّأخير والزيادة والحذف والفصل وغير ذلك، حيث يركز الدارس على التغيرات التي تطرأ على التركيب مثل: (ضربَ زيدٌ عمراً) وبما أن اللغة العربية من اللغات التي تصدّر الفعل في الجملة يأتي الفاعل بعد الفعل في حين يأتي المفعول به بعد الفاعل، وقد يطرأ على مثل هذا التّركيب التّقديم والتّأخير فنقول: (ضَربَ زيدٌ عمراً – ضربَ عمراً زيدٌ)، هذا في حال وجود العلامة الإعرابية، التي

([1]) فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي، ومجيد نصر، دار النعمان،جونيه، لبنان، ص:88.

([2]) انظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودور في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلد 20، العدد 3، 1989م، ص: 71.

تتيح للمتكلم حرية كبيرة في التّقديم والتّأخير، فيقدم ما حكمه التّأخير سواء أكان قاصداً من وراء ذلك التخصيص أو الحصر أو رفع التوهم والشك وغير ذلك[1]، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[الفاتحة: 5]، أي نخصك بالعبادة ولا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة منك ولا نستعين أحداً سواك.فهذا نوع من أنواع التّقديم التي أجازها النحاة ما لم يمنع مانع وظيفي، أو نحوي، أو دلالي.

وتقول: " بزيدٍ مررت " فتفيد أن سامعك كان يعتقد مرورك بغير زيد فأزلت عنه الخطأ مخصصاً مرورك بزيد دون غيره[2].

2- الاتجاه البنوي:

البنوية منهج للبحث العلمي ولعل أهم ما يميز هذا الاتجاه التزامه بمبادئ الدراسة العلمية، فالمنهج البنوي يهتم بدراسة اللغة وقواعدها الداخلية ونظامها البنوي ويبحث في العلاقات التفاعلية بين عناصر النّسق اللغوي ثم يجزئها ثم يحلل ثم يركب، وقد فرّق أصحاب الاتجاه البنوي وعلى رأسهم بلومفيلد بين المكون النحوي، والمركب النحوي، فالمكون النحوي هو أصغر وحدة لغوية يمكن أن تدمج فيما هو أكبر منها ليكونا مركباً، وفي الوقت نفسه لا يمكن تجزئتها إلى ما هو أصغر منها مع الاحتفاظ بقيمتها اللغوية ووظيفتها النحوية[3]، فمثلاً قولنا The boy يعد هذا مركباً يتألف من مكونين هما The والتي لا يمكن تجزئتها إلى ما هو أصغر منها مع الاحتفاظ بوظيفتها اللغوية " النحوية أو الدلالية أو الصرفية " و Boy والتي لا يمكن تقسيمها إلى أجزاء أقل منها مع

---

(1) أحمد المتوكل:المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، مكتبة الأمان، الرباط، ط/1، 1426هـ/2006م ص: 191.

(2) انظر: يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، المطبعة الأدبية، مصر، 1317هـ، ص: 112.

(3) انظر: إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، ط/1، 1427هـ/ 2007م، ص: 83 .

الاحتفاظ بوظيفتها في التركيب وبناءً على ذلك فإن المركب النحوي " الولد " يتألف من مكونين هما معرف + اسم.

المركب النحوي " الولد "

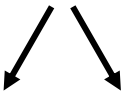

معرف اسم

ال ولد

أما التركيب النحوي فإنه أقل من جملة كقولنا في الإنجليزية " Go " فهذا التركيب مكون من الفعل + الضمير، غير أن الجملة "The boy has gone " الولد ذهب تتألف من مركبين نحويين هما: . has gon The boy وكل منهما بدوره مؤلف من مكونين نحويين هما : go + ne . The + boy .فالمركب النحوي حسب رأي بلومفليد لا يعدو أن يكون إما مكوناً اسمياً NP أو مكون فعلي VP، أو مكوناً حرفياً art، ولا يمكن لأحد هذه المكونات أن يحل محل الآخر، فالتركيب النحوي عنده نوعان: تركيب تغلب عليه الصفة الاسمية أو الفعلية وسماه مركزياً، لأن أحد عناصره يمكن أن يحل محل الآخر دون أن يختل تركيب الجملة، والثاني: يتألف من بقية الجملة ويمكن تطبيق هذا على الجملة الآتية:

الطالبُ المجتهدُ تفوّقَ

الطالبُ المجتهدُ تفوّقَ

الطالبُ المجتهدُ

ال طالب ال مجتهد

فنلحظ من خلال هذا التشجير أن العنصر اللساني " الطالبُ " يمكن أن يحل محل العنصر اللساني " المجتهدُ " فيقال: " الطالبُ تفوّقَ " ونستطيع أن نضع العنصر اللساني " المجتهدُ " مكان العنصر اللساني " الطالبُ "، فنقول: " المجتهدُ تفوقَ " " فالطالبُ المجتهدُ " إذن يعد مركباً مركزيا لكن " الطالبُ تفوقَ " أو " المجتهدُ تفوّقَ " لا يُعدّ مركباً مركزياً وذلك لأن العنصر اللساني " تفوقَ " لا يمكن أن يحل محل العنصرين اللسانيين " الطالبُ المجتهدُ ".

فالبنيويون يجعلون اللغة نظاماً أو نسقاً System يتكون من وحدات فاعلة ومتفاعلة وتحدد وظيفة كل وحدة من خلال علاقتها الخلافية مع الوحدات الأخرى؛ ولكن على الرغم من ذلك فقد أُخذ على هذا الاتجاه أنه لا يفرق في التحليل بين الجملة المبنية للمعلوم مثلاً والمبنية للمجهول، فتحليلهما في النهاية تحليل واحد.

فجملة البائعُ أخَذَ المالَ تحليلها على النحو الآتي:

البائعُ أخذَ المالَ

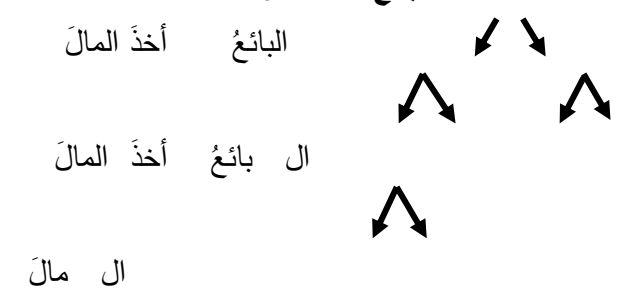

والجملة المبنية للمجهول تحلل التحليل نفسه: المالُ أُخِذَ من البائع، تتكون هذه الجملة من معرف + اسم + فعل + مكون حرفي + معرف + اسم ويمكن تمثيل ذلك من خلال التشجير الآتي:

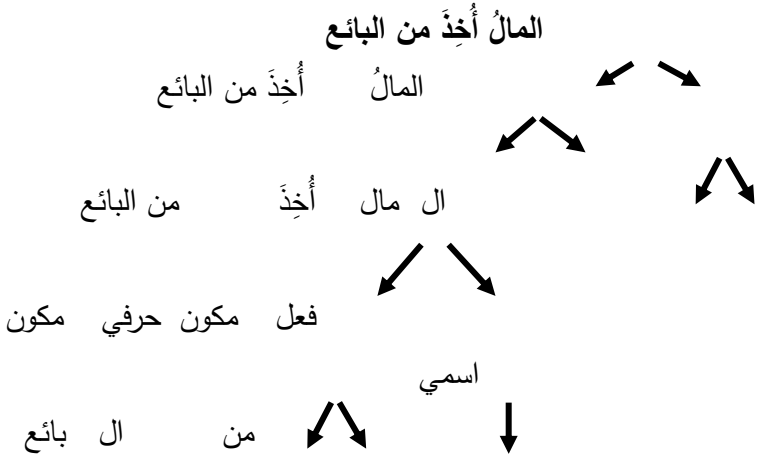

فالتحليل واحد مع أن الجملتين مختلفتان اختلافاً كلياً فالعنصر اللساني " البائع " في الجملة الأولى فاعل ، وفي الثانية مجرور بحرف الجر، و"المال" في الأولى مفعول به للفعل" أخذ"، وفي الثانية مبتدأ خبره جملة" أُخذ من البائع "، وفي الأولى لم نكن في حاجة إلى حرف الجر،ولكنا في حاجة إلى حرف الجر في الثانية حتى يستقيم التركيب، أيضاً نلحظ أن ترتيب المكونات النحوية اختلف فما كان في البداية تأخرت رتبته إلى نهاية الجملة "البائعُ" وما كان في نهاية الجملة تقدم أولاً " المال " كذلك أخذ على هذا النوع من التحليل البنوي أنه لا يفرق بين جملة صحيحة من حيث النحو والمعنى، وأخرى غير صحيحة لأن التحليل فيهما تحليل واحد مثال:

أ- " يُلقي المشاركُ ورقة عملٍ في موضوع البطالة ".

ب- " المشاركُ ورقةً عملٍ في موضوع البطالة يُلقي ".

فنلاحظ أن ترتيب المكونات النحوية اختلف، فالجملة الأولى صحيحة من حيث النحو والمعنى والوظيفة والجملة الثانية غير صحيحة رغم أن عناصر النّظام نفسها، فالذي تغير هو العلاقة مع المحور "Laxe paradigmatique " ومثال هذا ينطبق على التّركيب الآتي: " غادرَ المدرّسُ إلى باريس " و " غادرَ الجبلُ إلى باريس "، فتحليلهما البنوي واحد مع أننا لا نقبل الثّانية ونعدّها غير صحيحة منطقياً في اللغات

الأجنبية، أما في العربية فهو مبتدأ.

أما في العربية، فهي صحيحة، فـ (المشارك) مبتدأ، خبره جملة (يلقي)، و (ورقة) مفعول به لـ (يلقي)، ولا ضير في هذا التقديم في العربية.

3- الاتجاه التّوزيعي Distributionnalism

أفاد هاريس من هذا الاتجاه إلا أنه لم يلتزم به وأوضح أن لكل لغة مجموعة محدودة من الصّيغ الصّرفية " فعل – اسم – حرف – وصف – ظرف وهكذا "، ولا يمكن لأي من هذه الصّيغ أن تقع موقع الأخرى.

فنستطيع مثلاً أن نقول:

- The

boy play the ball.

ولكن لا نستطيع أن نقول:

- The

boy child the ball.

- The child لأن كلمة Child لا تحل مكان الفعل، ولكنك تستطيع أن تقول:

play the ball.

- The man play the ball.

- The girl play the ball.

وهذا يعني أن الكلمات التي احتلت الرّتبة الثانية بعد المعرف (The) تنتمي كلها إلى صنف بنية واحدة ويعتمد المنهج التوزيعي على التّحليل المتّدرج للتّركيب للوصول إلى المكونات المباشرة والمكونات النهائية.[1]

وعلى أساس هذا الاتجاه يمكننا تحليل المثال الآتي على النحو التالي: " ضربَ الرّجلُ الولدَ "

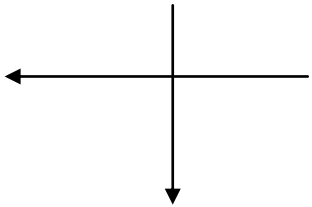

ذهبَ الرّجلُ

جاءَ

ضحكَ

ضَرَبَ الرّجُلُ الولدَ نـامَ

عمرو

المعلمُ

الطبيبُ

فالمكونات التي تتألف منها جملة " ضربَ الرجلُ الولدَ " منظومة وفقا للتوزيع " فعل + معرف + اسم + معرف + اسم " وانتظام هذه السلسلة هو ما عناه هاريس " بالركن الخطي ".

كما أنّه بالإمكان إذا نظرنا وفقاً لاتجاه السّهم إلى أسفل وضع: عمر، ال +معلم، ال +طبيب موقع العنصر اللساني " الرّجل " " ال + معرف"، ولكن في بعض الحالات قد

(1) انظر: أحمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط/3، 2008م، ص: 306.

يتطلب الاستبدال تغييراً في العناصر المنظومة في الرّكن الخطي، وذلك كما هو الحال في قولنا: " الْوَلَدُ يَلْعَبُ الكُرَةَ "، هي تلعب، هما يلعبان، هم يلعبون، هن يلعبن.

ففي هذه الأمثلة: يتضح أن اللجوء إلى ضمير المؤنثة في الثّانية تطلب تأنيث الفعل بإضافة تاء في أوله ولو شاء المتكلّم أن يقول: " هي يلعب لسارعنا إلى الحكم على كلامه بالخطأ، والمثال الثالث أبدل فيه ضمير المؤنثة بالمثنى فحقّ أن تلحق بالفعل ألف التثنية والنون " علامة المثنى "، ولو شاء المتكلم أن يقول: هما يلعب لسارعنا أيضاً لتخطئته، وبناءً على ذلك لا بدّ أن يكون هناك تلازم بين المحورين المجاورة وإمكانية الاستبدال.[1]

4- الاتجاه التّوليدي والتحويلي: Lagrammaire generative- Trans formation:

لقد أفاد أصحاب هذا الاتجاه وعلى رأسهم تشومسكي من النّحاة واللغويين السابقين ابتداء من بواز وسابير وبلومفيلد. ونظريته قائمة على أن اللغة تتألف من عدد غير محدود من الجمل وكل عنصر من عناصر الجملة يستدعي العنصر الذي يليه إلى أن تصل الجملة حداً لا تتطلب فيه ما يُضاف إليها، فيستأنف المتكلم بناء جملة أخرى وهكذا.

وقد أّلح تشومسكي على القدرة الإبداعية (Creativity) للغة الإنسانية في إنتاج عدد غير محدود من التراكيب يقول: " من الآن فصاعداً نعتبر أن اللغة كناية عن مجموعة " متناهية أو غير متناهية " من الجمل كل جملة منها طولها محدد ومكونة من مجموعة متناهية من العنا صر ".[2]

([1]) إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النّص، ص: 91-90.

([2]) ميشال زكريا: الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط/1 1982 م ص: 91.

ومن ثمّ البحثُ عن رتب العناصر داخل التّركيب، ومن هنا انشغل التوليد يون ببحث قضية " الرّتبة " إذ يرى تشومسكي أن رتبة " فاعل + فعل + مفعول " صالحة للتّطبيق على جميع اللّغات دون أن يعطي أهمية لأي ترتيب آخر، ومن ذلك رتبة " فعل + فاعل + مفعول " كما هو الحال بالنسبة إلى اللغة العربية، والتي حسب رأي الفاسي الفهري تمتلك رتبتين هما[1]:

أ – " ف – فا – مف " مثال: " يَشْرَحُ الأستاذُ الدّرسَ ".

ب– " الأستاذُ يشرحُ الدّرسَ ". أو " الدّرسَ يَشْرَحُهُ الأستاذُ " أو " الأستاذُ طلبت منه شرحَ الدرسَ " أو " المجتهد نوّه به الأستاذُ ".

وهناك من يرى أن اللغة العربية لا تملك إلا رتبة واحدة هي " ف – فا – مف "، وفي حال وجود رتبة ثانية مثل " فاعل – فعل – مفعول " أو " مفعول – فعل – ضمير عائد على المفعول – فاعل "، مثل: " الدّرسَ شرحه الأستاذُ " فإن هذا الفاعل " لا يتقدم ولا يصعد من داخل المركب الفعلي إلى مكان متقدم على الفعل في مخصص التطابق "[2].

وإذا وجدنا اسماً متقدماً نحو " الدّرسَ يشرحهُ الأستاذُ " فإنه والحالة هذه يحتلّ من المركب الفعلي موقع الموضع وليس موقع الفاعل مثله في ذلك مثل الاسم المتقدم.وهذا ما قال به الفاسي الفهري.

أيضاً نجد نفس الاختلاف بين مدرستي البصرة والكوفة من حيث اعتبار الاسم المتقدم مبتدأ أو فاعلاً(2)؛ ولكن إذا كانت الجملة خالية من المفعول به وتقدّم المركب الاسمي فإن المتقدّم يعد فاعلاً لا موضعاً في رأي الفاسي الفهري ، ورأي مدرسة الكوفة الذين يجيزون تقدم الفاعل خلافاً لمدرسة البصرة.

([1]) انظر: الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط/3، 1993م، ص: 107.

([2]) انظر: عبد الله غزلان، اللسانيات المقارنة، منشورات كلية الآداب رقم 51، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1996م ص: 32.

أيضاً من الذين استلهموا مبادئ النظرية التوليدية في ترتيب مكونات الجملة داوود عبده الذي ذهب إلى القول بأن تراكيب اللغة العربية تجيز الأنواع الآتية من الترتيب في الجملة الفعلية[1]:

1- فعل – فاعل – مفعول قَرَأَ الرجلُ الصحيفةَ.
2- فاعل " مبتدأ " – فعل – فاعل – مفعول الرّجلُ قَرأَ الصحيفةَ.
3- فعل – مفعول – فاعل قَرأَ الصحيفةَ الرّجلُ.
4- مفعول – فعل – فاعل الصحيفةَ قَرأَ الرّجلُ.
5- مفعول– فاعل – فعل الصحيفةَ الرّجلُ قَرأَ.

وينتهي داوود عبده إلى أنّ البنية الداخلية للجملة الفعلية في العربية هي " فاعل – فعل – مفعول ".[2]

إذ أنّ اعتبار البنية الداخلية حسب رأيه " فعل – فاعل – مفعول " يجعلُ القواعد التّحويلية أكثر تعقيداً من جهة وتشمل قاعدة إلزامية من جهة أخرى.

ومن الذين اهتموا بمسألة ترتيب المكونات داخل الجملة ميشال زكريا فقد عالج قضية الرّتبة تحت عنوان كبير أسماه " ترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة "[3]، وانتهى إلى أنّ ترتيب مكونات الجملة في العربية ليس ترتيباً حراً بل هو ترتيب محدد بصورة أساسية.

أيضاً من اللسانين الذين طبقوا نظرية القواعد التّحويلية على الجملة العرّبية مازن الوعر إذ عالج قضّية التّقديم والتّأخير في التّراكيب العربية الفعليّة والاسميّة والكونيّة حيث يرى أن الحركة التّحويلية للفضلة " ف " حركة مسموح بها إلى يمين الفعل أو إلى يساره

(1) داوود عبده: البينة الداخلية للجملة الفعلية " مجلة الأبحاث " العدد 31، كلية الآداب، جامعة بيروت، 1983م، ص: 37-38.
(2) انظر: السابق، ص: 50.
(3) انظر: ميشال زكريا، الجملة البسيطة، مرجع سابق، ص: 23 ، 24.

ضمن نطاق الإسناد ما لم يمنع مانع نحوي أو دلالي كما في الأمثلة الآتية: " ضَرَبَ زيدٌ أخاه " " ضربَ أخاه زيدٌ " " أخاه ضربَ زيدٌ ".[1]

أما الحركة التحويلية للفاعل فغير مسموح بها، لأن الفعل والفاعل في رأيه يشكلان وحدة لسانية لا يمكن تجزئتها، وكذلك الجار والمجرور، والتّابع والمتبوع، والصلة والموصول، والمضاف و المضاف إليه، والتي تعد حسب رأيه مركبات متلازمة تتدرج تحت مبدأ عام يسميه " مبدأ المقولة المتلازمة "[2]. وهذا المبدأ ينص على وجوب أن تنقل القاعدة التحويلية المتلازمة برمتها.

أما الحركة التحويلية في هذه البنيات الجملية الاسمية ذات الخبر الفعلي " م إ – م – م إ – ف " كما هو الحال في: " زيدٌ ضربَ عمراً "، وذات الخبر الاسمي " م إ – م إ – م " نحو: " زيد أبوه شاعر " فتكون ضمن تركيب الخبر، حيث يقال في الأول: " زيدٌ عمراً ضربَ " وفي الثاني: " زيدٌ شاعرٌ أبوه "[3].

فنلحظ أنّ الفاعل في الجملة الأولى تحرك إلى يمين موقعه ولم يختّل التركيب ولم يحدث لبس والجملة الثانية جملة اسمية تتكون من المسند إليه " م إ " وهو المبتدأ " أبوه " والمسند " م " وهو الخبر " شاعرٌ "، والأصل في المبتدأ التّقديم، كما هو الأصل في الخبر التّأخير، وليس للجملة الاسمية سوى احتمالين تبديليين؛ لأنها مكونة من عنصرين تقدّم الخبر أو تأخر، وتقدم الخبر " م " على المبتدأ " م إ " جائز، وتقدم الخبر يشير إلى أنه يتحرّك ما لم يمنع مانع إلى يمين موقعه كما يتحرك المبتدأ إلى يسار موقعه إن لم يمنع مانع نحوي أو دلالي.

وأخيراً نقول: **أولاً**: الرأي القائل بأن اللغة العربية تحكمها رتبة واحدة هي " ف – فا – مف " لا ينقص من قيمتها شيئاً.

---

(1) انظر: مازن الوعر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ص: 106-107.

(2) السابق، ص: 123.

(3) السابق ، ص: 135-138.

ثانياً: إنه من الخطأ القول بأن اللغة العربية تمتلك رتبة واحدة فقط، والحكم على أيّ ترتيب آخر يخالف هذا الترتيب بالخطأ. فاللغة العربية لغة مرنة لا يمكن أن تقتصر في ترتيب مكوناتها على نسق واحد بشرط الاحتفاظ بالوظيفة والدلالة وأمن اللّبس.

وانطلاقاً مما سبق يتبين لنا أهمية الرّتبة في التركيب خاصة في اللّغات الخالية من الإعراب، ونستطيع القول بأن الرّتبة تُعدّ بديلة للعلامة الإعرابية عند غيابها؛ ولكن رغم ذلك تظلّ الرّتبة بحاجة إلى غيرها من القرائن الأخرى لتحديد المعنى الوظيفي الدقيق للمفردة داخل سياقها الذي يُعدّ أصل المعنى النحوي فيه " الإسناد" والذي وصفه تمام حسان بكونه يتجلّى في " علاقة المبتدأ بالخبر والفعل بفاعله والوصف المعتمد بفاعله أو نائب فاعله وبعض الخوالف بضمائمها "[1].

وسنعرض لعلاقة الإسناد وأهميتها في التركيب وتضافرها مع الرتبة لتحديد المعنى الوظيفي للوحدة داخل السياق ومن ثمَ استخلاص العلاقة بينهما.

- ❖ الإسناد : لغة : للإسناد في اللغة معانٍ مختلفة، فقد جاء في تاج العروس أن السّند هو " ما ارتفع من الأرض في قُبُل الجبل أو الوادي، والجمع أسناد "[2]. ، وسَنَد في الخيل يَسْنُدُ سُنوداً، وأسنَد: رَقِيَ، والمسند والسّنيد: الدّعي، وكلَ شيء أسندت إليه شيئاً فهو مسندٌ[3].

فالمعنى اللغوي للإسناد يكمن في تلك العلاقة الحتمية بين عنصرين لغويين يتوقف معنى الواحد منهما على الآخر وبهما يتجلى المعنى وتتحقّق الفائدة.

أما اصطلاحاً فيقول عنه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ): " الكلام سند ومسند، فالسند كقولك: " عبد اللّه رجلٌ صالحٌ " فـ عبد اللّه " سند "[4]، رجلٌ صالحٌ "

([1]) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سابق، ص: 194.

([2]) محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق حسين نصار، مطبعة حكومة الكويت، 1969م، 224/8.

([3]) ابن منظور: لسان العرب، المجلد ، 4 /704 ، مادة " س ن د ".

([4]) السابق : 4 / 706 ، مادة " س ن د ".

مسند إليه "، ومن هنا نرى أن الخليل أدقّ مصطلحاً من غيره فقوله " السند " يحلُ إشكالية المسند والمسند إليه على الأقل في المستوى الاصطلاحي ويمكن أن نتبين هذه العلاقة من خلال التشجير الآتي:

عبد اللّه رجلٌ صالحٌ

سند مسند إليه (يعني: مسندٌ إلى السَند)

" عبد اللّه " " رجلٌ صالحٌ "

الإسناد في الدرس النحوي (القديم والحديث):

أفرد سيبويه (ت 180هـ) للمسند والمسند إليه باباً فيه قال: " المسند هو الجزء الأول من الجملة والمسند إليه الجزء الثاني منها.أما الإسناد فالعلاقة الرابطة بين الطرفين كعلاقة المبتدأ بالخبر والفعل بفاعله"[1]، وقد أوقع سيبويه النّحاة في حرج حينما عدّ الأول مسندا والثاني مسندا إليه، وهذا مما لاشك فيه غير ما نعرفه، فنحن نعرف أن الخبر مسند لأنه الفائدة التي يتم بها الكلام، أما المبتدأ فهو المسند إليه معنى الخبر، وقد كثر الجدل حول هذا الموضوع، فذهب البعض إلى أن المسند هو الأول، والمسند إليه هو الثاني وذهب آخرون إلى أن كلاً منهما مسند ومسند إليه، ولكن الذي شاع استعماله عند النحويين والبلاغيين أن الأول مسند إليه والثاني مسند كما ميز سيبويه بين الإسناد والبناء، فالمبني عنده هو المبتدأ، والمبني عليه هو الخبر، كقولك: هذا عبد الله منطلقاً، وهؤلاء قومك منطلقين، وذلك عبد الله منطلقاً، وهذا عبد الله معروفاً، فهذا اسمٌ مبتدأ يبنى

(1) عبد الرحمن السيد: مدرسة البصرة، توزيع دار المعارف، ص: 338.

عليه ما بعده وهو عبد الله. فالمبتدأ مسندٌ والمبني عليه مسندٌ إليه، ويجوز التقديم والتأخير فنقول: ضرب زيداً عمرٌو، وعمرٌو علي ضرب[1].

ومهما يكن من أمر فالجملة الخبرية البسيطة عند النحاة القدامى تتكون من ركنين أساسين هما المسند والمسند إليه بينهما علاقة إسنادية والمعنى لا يتحقق نتيجة جمع وحدة لغوية بأخرى في التركيب، إنما يتحقق ويتولد من العلاقات الإسنادية كما يتولد المركب الكيماوي نتيجة لمزج مجموعة من العناصر على سبيل التذويب والانحلال، لا المجاورة والتلاصق[2].

وفي هذا السياق يقول ابن يعيش:" والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتي إلا في اسمين كقولك زيد أخوك وبشر صاحبك أو في فعل واسم نحو قولك ضرب زيد وانطلق بكر ويسمى الجملة"[3]. وهنا إشارة إلى أن المركب الإسنادي يتكون من جملة إما أن تكون اسمية ركناها المبتدأ أو الخبر أو فعلية ركناها الفعل والفاعل، والعلاقة بينهما لزومية لإفادة المعنى.

وفي هذا السياق نفسه يقول ابن هشام في أوضح المسالك: " لابّد للكلام من طرفين مسند ومسند إليه ولا يكونان إلاّ اسمين، نحو: " زيدٌ قائمٌ " أو اسماً وفعلا نحو " قامَ زيدٌ "[4].

كما ميّز ابن هشام بين نوعين من الإسناد: إسناد لفظي وآخر معنوي، فاللفظي مستمدّ من معنى الإسناد لغة وهو الإضافة، ولهذا رأى ابن هشام أن " الإسناد اللفظي الذي يكون في الأسماء والأفعال والحروف والذي يختصّ به الاسم هو الإسناد

([1]) سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجبل، لبنان، 1/23،24، 80 ، وانظر :2/ 78، 126، 127 .

([2]) أحمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص: 295.

([3]) ابن يعيش: شرح المفصل، المكتبة المنبرية، القاهرة، 18/1.

([4]) ابن هشام:أوضح المسالك على ألفية ابن مالك،ط/3، 1384هـ/1964م، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده،1 / 3.

المعنوي[1]، فالإسناد اللفظي جائز في جميع الألفاظ بخلاف المعنوي، وعلى ضوء هذا لابدّ من التفريق بين الإسناد والإخبار، فالإسناد أعم، إذ كان يقع على الاستفهام والأمر وغيرهما، أما الإخبار فإنّه مخصوص بما يصح أن يُقال بالتّصديق والتّكذيب، فكلّ إخبار إسناد وليس كل إسناد إخباراً[2].

ويمكن عقد مقارنة بين الإسناد والإخبار من خلال المثال الآتي: " جاء زيدٌ " فاعتماد دور الإسناد في تحليل هذا المثال يقتضي التزام المسند والمسند إليه فـ " جاء " مسند ، و" زيدٌ " مسندٌ إليه مؤخر والعلاقة بينهما علاقة إسنادية، واعتماد دور الإخبار يعين التزام " المخبر والمخبر عنه " فـ " جاء " مخبر، و " زيدٌ " مخبر عنه مؤخر ، والعلاقة بينهما إخبارية.

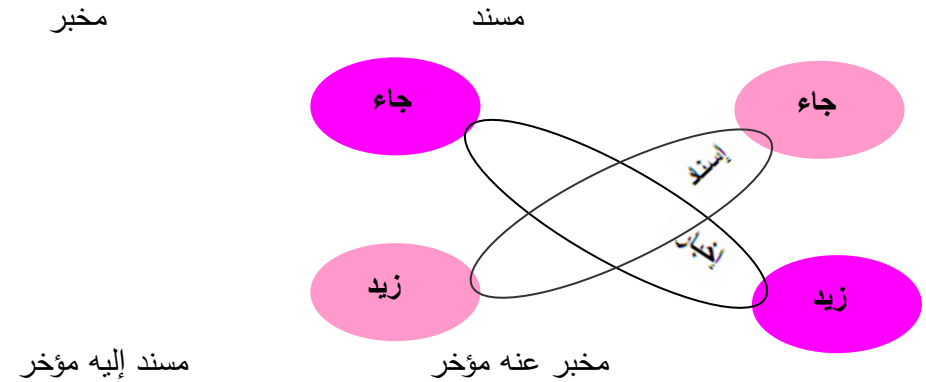

والخلاصة: أن القدامى يتفقون على أن المركب الإسنادي: يتألف من مسند ومسند إليه، والمسند إليه يتمثل في: " الفاعل ونائبه والمبتدأ، واسم الناسخ واسم لا النافية للجنس ". والمسند يتمثل في الفعل واسمه وخبر المبتدأ وخبر الفعل الناقص واسم الأحرف

(1) ابن هشام: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي، ط/1، دار إحياء التراث بيروت 2001م، 873/1.

(2) أبو البقاء العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: عبد الإله النبهان، ط/1، دار الفكر، دمشق 1405هـ/1987م 48/1.

التي تعمل عمل ليس وخبر إن وأخواتها[1]. وهذه العناصر اللسانية يطلق عليها جوهر الجملة ونواتها.

ونلاحظ تعددّ تسميات العناصر المتصلة بركني الجملة وربّما يرجع ذلك إلى اختلاف المنطلقات المتعددة في هذه التسميات وتباينها فمن يغلب جانب الرّتبة يسمي الأول مبتدأ، والثاني خبراً، ومن يغلب جانب العمل يسمي الأول عاملاً، والثاني معمولاً، ومن يغلب دور العنصر في عملية الإخبار يسمي الأول مخبراً عنه، والثاني خبراً وهكذا.

وقد أطلق النّحاة القدامى على طرفي الإسناد مصطلح " العُمد "، لأنها اللوازم التي لا يُستغنى عنها في الجملة وما سواهما صنّفه بعض اللغويين ضمن الفضلات كالمفعولات والمستثنى والحال والتمييز وغيرها[2].

ويقول فاضل السامرائي في توضيح فكرة العُمدة" والفضلة " إن الجملة تتألف من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه وهما عمدة الكلام، ولا تتألف من غير ذلك، وما زاد عن المسند والمسند إليه فهو فضلة عدا المضاف إليه فإنه يمكن أن يلحق بالعمدة أو أن يلحق بالفضلة بحسب موقعه في الإضافة وليس معنى الفضلة أنه يمكن الاستغناء عنها من حيث المعنى أو من حيث المقصود بل المقصود أنه يمكن أن يتألف الكلام من دونهما[3].

أما حماسة عبد اللطيف فيقول في فكرة الفضلة:" وقد يُشعر هذا المصطلح أي الفضلة بحسب مدلوله اللغوي بالزيادة، وقد يفهم من ذلك أنه ما دام فضلة فذكره وحذفه سواء، ولكن هذه مصطلحات للتفريق بين العنصر الذي تتكون به الجملة فلا يمكن – مثلاً – أن تتكون جملة من " مبتدأ + تمييز " أو من " فاعل + حال " فقط إلى غير ذلك

(1) انظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1 /14 .

(2) جلال الدين السيوطي: همع الهوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، 81/1.

(3) فاضل السامرائي: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، الأردن، ص: 16– 17.

من هذه الوظائف المختلفة التي ليست من العناصر المكونة لدعامتي الجملة الأساسيتين[1].

وهذا يعني أن الجملة تتكون إجبارياً من مسند ومسند إليه ومكملات تتمثل في: " ظرف الزمان والمكان – الحال – النعت"، والتي يمكن الاستغناء عنها ففي قولنا مثلاً: " خرجَ الرجلُ صباحاً من منزله " يمكننا حذف محدد الزمان والمتمثل في " صباحاً " وحذف محدد المكان والمتمثل في " منزله " أو حذفهما معاً فنقول: " خَرجَ الرجلُ صباحاً " و " خَرجَ الرجلُ من منزله " و " خَرجَ الرّجلُ "[2].

وفي كل حالة من الحالات السابقة يكون التركيب سليماً ومفيداً فائدة، ولكننا لا نستطيع بأي حال من الأحوال حذف نواة الجملة " المسند والمسند إليه ". و يمكننا هنا الاستئناس برأي عبد الوهاب حسن محمد والذي يرى أن العلاقة الإسنادية ذات أهمية يعوَلُ عليها في التمييز بين الجملة الفعلية والاسمية ، وإن ذهب بعض المستشرقين والدارسين المحدثين إلى القول بعدم استقلال الجملة الاسمية ونفي وجودها، وذلك لأن الجملة الاسمية موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه خارج حيز الزمن فسعوا إلى إلحاق الجملة الاسمية بالفعلية بتقدير " فعل الكون" قبل المبتدأ أو بعده.كما أن الوصفيين رفضوا ربط الجملة بالإسناد وقالوا إن في ذلك تشويهاً للغة، فهي قد تكون تامة بغيره؛ لأن التراكيب الناقصة قد تفيد معنى كالجملة الكاملة، لكنها لا تتكون من مسند ومسند إليه، وغايتهم إبعاد تقدير عوامل لا موضوع لها في التركيب فإظهارها يزيد التركيب تشويهاً[3].

ونفهم من ذلك أن الدارسين المحدثين منهم من سار في ركب القدامى وقال بالإسناد،ومنهم من أنكر هذه العلاقة وسنبين ذلك من خلال دراسة الإسناد عند المحدثين.

([1]) حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب القاهرة، 2003م، ص: 29.

([2]) مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا اللغة، المكتبة العصرية، بيروت، ط/1، 1418هـ/ 1998م، ص: 84.

([3]) عبد الوهاب حسن محمد، النسبة في النحو http//www.minshawi.com.

❖ **الإسناد عند المحدثين:**

من الذين قالوا بالعلاقة الإسنادية وفسروها وفق المناهج اللغوية الحديثة تمام حسان الذي وصف الإسناد بكونه يتجلّى في علاقة المبتدأ بالخبر والفعل بفاعله والفعل بنائب فاعله والوصف المعتمد بفاعله أو نائب فاعله وبعض الخوالف بضمائمها[1].

فالإسناد عنده معنى يفيد ربط الوحدات اللغوية بتعليق بعضها ببعض، ويسوق تمام حسان مثالاً يبين فيه تعلق الوحدات ببعضها داخل التركيب فلإعراب جملة مثل:" ضربَ زيدٌ عمراً " ننظر في كلمة " ضربَ " نجدها جاءت على صيغة " فَعَلَ "، ونعلم أن هذه الصيغة تدل على الفعل الماضي فهي تندرج تحت قسم أكبر من أقسام الكلام يسمى الفعل، وهنا نقول إن " ضَرَبَ " فعل ماضٍ، ثم ننظر في " زيدٌ "، فنلاحظ أنه ينتمي إلى مبنى الاسم وأنه من المرفوعات وأن العلاقة بينه وبين الفعل هي علاقة إسناد وأن تأخره عن الفعل رتبة محفوظة، وأن الفعل معه مبني للمعلوم نحوياً، وبعد هذا نصل إلى أن زيداً فاعل، ثم ننظر إلى " عمراً " فنجد أنه ينتمي كذلك إلى مبنى الاسم وأنه منصوب، وأن العلاقة بينه وبين الفعل هي علاقة التعدية، وأن رتبته في التأخر عن الفعل والفاعل غير محفوظة، وبذلك نذهب واثقين إلى القول أن:" عمراً " مفعول به[2].

ويؤكد تمام حسان أن الإسناد محور الجملة وجوهرها، وفي هذا إشارة إلى أنه لم يخرج عن آراء النحاة القدامى الذين أكدوا أن الجملة العربية تتكون من ركنين لازمين لتحقق الجملة وأن الإسناد له أهمية كبيرة في ربط الوحدات اللغوية بعضها ببعض داخل التركيب.والذي يميز تمام حسان عن غيره كونه أول من فطن لما أسماه بتضافر القرائن داخل التركيب لتوضيح المعنى بخلاف النحاة القدامى الذين اتكؤوا على قرينة الإعراب – كما سماها – مبالغة في الأمر.

فعلاقة الإسناد في اعتبار تمام حسان إحدى القرائن الكاشفة عن المعنى الوظيفي، لأنها تقوم أصلاً على المباني الصرفية الوظيفية ثم المعجم الذي يقدم المعنى

([1]) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سابق، ص: 194.

([2]) السابق ، ص: 181.

الاجتماعي العرفي وبه تتم أجزاء الكلام وعليه يتوقف المعنى الوظيفي[1]، على عكس اللغات الغربية كالإنجليزية والفرنسية حيث إن علاقة الإسناد فيها لا تفهم إلا بوساطة نوع من القرائن اللفظية التي يسمونها الأفعال المساعدة والتي تحمل معنى الإسناد والزمن وهي في ذلك مثل النواسخ في اللغة العربية.

واستناداً إلى ما سبق فالإسناد عند تمام حسان قرينة معنوية تعمل على تمييز المسند من المسند إليه ولكن ذلك يكون في ظل ظاهرة كبرى تحكم استخدام القرائن جميعها هي ظاهرة " تضافر القرائن ".

أيضاً من اللغويين الذين ساروا على خُطا تمام حسان وقالوا بعلاقة الإسناد ميشال زكريا، إذ تقوم مكونات الجملة عنده على ركنين أساسين ركن الإسناد + ركن التكملة، جملة ⇦ ركن إسنادي + ركن تكميلي.

ويجعل ميشال زكريا هذه القاعدة الإسنادية منطلقاً للاستدلال على مجموعة من القضايا اللغوية من أهمها: ترتيب الوحدات اللغوية وتحديد العلاقات القائمة بينهما.وركن التكملة عنده لا يتكون من عناصر لغوية لا ترتبط مباشرة بالفعل، وإنّما تعود إلى التركيب كله ، أما الاسم المجرور في ركن التكملة فعنده موقع ثابت داخل التركيب إذ لا يمكن نقله من موقعه إلى موقع الابتداء، كما تحدث ميشال زكريا أيضاً عن البنية العميقة للجملة العربية باستخدام سمات الركن الفعلي بين زمنه وتعديه ولزومه وما ينتج عنه[2].

ويستخدم سمات أخرى للركن الاسمي فيها تعريفه وتنكيره وإفراده وتثنيته وجمعه وتذكيره وتأنيثه[3].

وانطلاقاً مما سبق يمكن تحليل الجملة الآتية على النحو التالي:

لَعِبَ الولَدُ بالكرةِ

---

(1) السابق ، ص: 192.

(2) ميشال زكريا: الألسنة والتحويلية وقواعد اللغة العربية: " الجملة البسيطة " المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ط/1، 1403هـ/ 1983م، ص: 23- 24.

(3) السابق ، ص: 65 – 77.

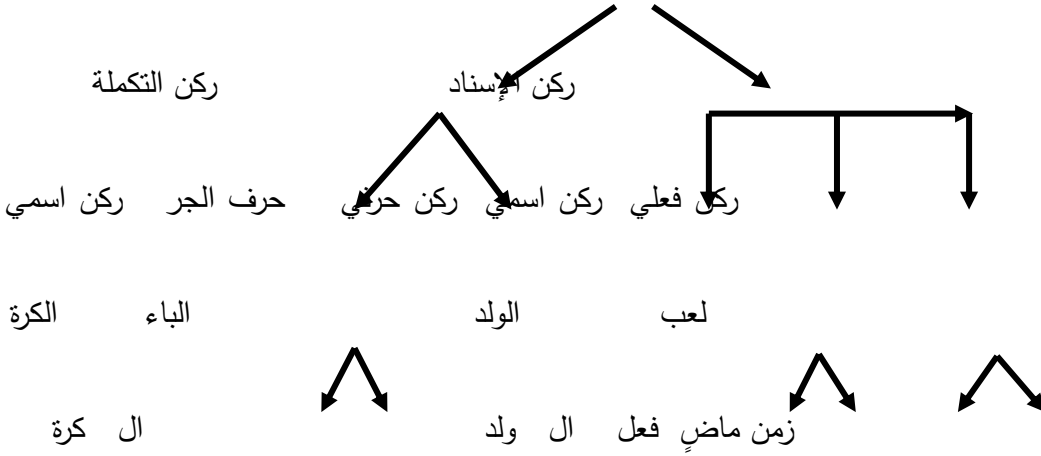

وإذا كان هناك من اللغويين المحدثين من سار على خطا القدامى وقال بعلاقة الإسناد، فإن هناك من أهملها ولم يلتفت إليها من أمثال إبراهيم أنيس وذلك حين قال: " إن الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر، فإذا سأل القاضي أحد المتهمين قائلاً: من كان معك وقت ارتكاب الجريمة؟ فأجاب: زيدٌ، فقد نطق هذا المتهم بكلام مفيد في أقصر صورة "[1]. فقد انصبّ اهتمام أنيس في هذا التعريف على الفائدة دون أن يعطي أية أهمية لمفهوم التركيب الذي يتحقق في العلاقة الإسنادية ظناً منه بأن الوحدة اللغوية قد يتّفق على أنها تفيد معنى يكتفي به السامع ويطمئن إليه. فإنه هنا يعطي أهمية للألفاظ دون المعاني؛ إذ لا يعقل أن تكون هناك فائدة ما لم يكن هناك تآلف بين معنيين على الأقل. فالكلام في أقصر صورة لا ينهض إلا بكلمتين تتساندان، فإن ظهر أنه مستغنٍ عن إحداهما بدليل ما للمعنى من حضور إلزامي لا محيد عنه في جميع أشكال التخاطب حتى ولو سُلب منه اللفظ وجرّد، فالعبارة محال أن تتألف من كلمة واحدة وإن جاز قيامها على لفظة واحدة.

(1) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط/6، 1978م، 276 – 277.

ومعنى هذا أن المثال الذي ساقه إبراهيم أنيس فيه مبالغة، ودليل ذلك أن تسأله ما مقصود المتهم بجوابه فلن يجد الباحث بدًّا عن ذكر المعنى الثاني الذي يسند معنى " زيد " فيقول: معناه كان معي زيد فلولا قيام هذه النسبة بين المعنيين في العبارة لما اهتدى المجيب إلى ذكر المسند مكتفياً بترديد اللفظ " زيد "؛ لأن الكلام يغنى به، بل ما كان للسائل أن يسأل عن شيء ليس إلى بيانه من سبيل فكلّ ما هنالك أن المتهم أقام جوابه على أساس من تعجيم بنية المسند إليه دون المسند لما كان هذا الأخير معلوماً بالضرورة فيقاسمه كلّ من المتخاطبين . وبالتالي فإن وضوح المعنى يغنينا عن ذكر جملٍ بأسرها إذا اتضح المعنى؛ بل إن كتاب اللّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مليء بأمثلة من تلك الحذو ف " حتى إنه في الإضمار بمنزلة الإظهار"[1] كأن يحذف القول بدليل المقول، نحو قوله تعالى:﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران: 106]، أي فيقال لهم: أكفرتم فحذف القول وهو جملة، واستغنى عنه بالمقول[2]، أو كأن يحذف المقول بدليل القول، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس:77] أي هو سحرٌ بدليل ما يليه من استفهام.

وقد سار على خطا إبراهيم أنيس حماسة عبد اللطيف إذ يعرف الجملة قائلاً:" كل كلام تمّ به معنى يحسن السكوت عليه ، هو جملة، ولو كان من كلمة واحدة ".[3]

---

(1) الزركشي: البرهان من علوم القرآن، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1391هـ، 196/3.

(2) انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 197/3؛ ابن هشام: مغنى اللبيب عن كتيب الأعاريب، حققه وعلق عليه: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، وراجعه: سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط/1 1425هـ/ 2005م، ص: 62.

(3) محمد حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2001م، ص: 57.

ولا يخفى أن معالجة الجملة على هذا النحو تعد معالجة سطحية ترتكز على اللفظ دون المعنى كما أنها تعد معالجة بعيدة كل البعد عن استخلاص الأسس المنهجية التي قامت عليها المفاهيم النحوية.

أيضاً مهدي مخزومي يعد واحداً من اللغويين المحدثين الذين أنكروا علاقة الإسناد وهو متأثر إلى حد كبير بآراء إبراهيم أنيس إذ يخلص إلى القول في تعريف الجملة بأنها " أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه "[1].

وخلاصة القول أن علماء اللغة العرب ينقسمون إزاء علاقة الإسناد إلى قسمين:

الأول: يضم القدامى وبعض المحدثين الذين تمسكوا بعلاقة الإسناد بغض النظر عن نوع الجملة اسمية كانت أم فعلية، فالجملة أيا كان نوعها تعد علاقة إسنادية بين اسمين، أو اسم وفعل أحداهما مسندٌ والآخر مسندٌ إليه.

الثاني: يضم بعض المحدثين الذين رفضوا ربط الجملة بالإسناد، وعدّوا ذلك تشويهاً للغة بدعوى أنها قد تكون تامة بغير إسناد[2].

والرأي الذي نرتضيه هو رأي القسم الأول والذي يضم النحاة القدامى وبعض اللغويين المحدثين الذين قالوا بعلاقة الإسناد التي عدّوها جوهر الجملة، إذ بها ينقل المتكلم معناه الذي يريده إلى المتلقي وحيث اللغة قد أدت وظيفتها التبليغية. إذ إن وظيفة اللغة هي التبليغ والإبلاغ من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تحليل الجملة تحليلاً علمياً دقيقاً لا يتأتي إلا عبر دراسة الإسناد وذلك ما أدركه أصحاب المنهج الوظيفي وهذا ما سنتناوله لاحقاً في هذا البحث من خلال دراستنا للإسناد في الدرس اللغوي الحديث.

الإسناد في الدرس اللساني الحديث:

1- عند الوظيفيين:

---

(1) مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط/2، 1406هـ/ 1986م، ص:33.

(2) أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، ص: 139.

أدرك أصحاب المنهج الوظيفي دور الإسناد في التركيب فتحليلهم للجملة يعمل على بيان ما يمكن أن تؤديه اللغة من وظائف.

فرأوا أن الجملة تضم عنصرين مسنداً ومسنداً إليه، فالمسند يحمل معلومات معروفة مسبقاً أو أشير إليها من خلال السياق، والمسند إليه يشترط فيه حمل معلومات جديدة تفيد السامع .

وانطلاقاً مما سبق يمكن تحليل الجملتين الآتيتين على النحو التالي:

- محرر القدس هو البطل صلاح الدين.
- البطل صلاح الدين هو محرر القدس.

نجد أن المعنى الإسنادي في كلتا الجملتين يفترض أن أحد الطرفين يعرفه المخاطب وهو محرر القدس في الجملة الأولى، والبطل صلاح الدين في الجملة الثانية وهذا ما يعرف عند الوظيفيين بالمسلمة given، وهي المعلومات التي يدركها السامع من خلال السياق، وأن الطرف الثاني غير معروف وهو من حرر القدس في الجملة الأولى، ومن هو البطل صلاح الدين في الجملة الثانية، وهذا ما يعرف بالإضافة New وهي المعلومات الجديدة التي يقدمها المتكلم للسامع، والتي لا يمكن أن يدركها من مصادر أخرى.

إذن فالجملة عند الوظيفيين تتألف من شقين أساسيين هما المسند Theme والمسند إليه Rhyme.

فالمسند يحمل معلومات معروفة أو سبقت الإشارة إليها من خلال السياق، على حين أن المسند إليه هو ما يحمل معلومات جديدة تقدم للسامع لأول مرة.

ويعرف مارتينيه الجملة بقوله: " هي كل ملفوظ تتصل عناصره بركن إسنادي وحيد أو متعدد عن طريق الإلحاق "[1] وهو التعريف الذي يركز فيه مارتينيه على الطبيعة

(1) أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص: 117.

التسلسلية للجملة، ويتطابق مع التعريف الذي يقول " إن الجملة سلسلة من الكلمات تنتجها قواعد اللغة ويكون لها معنى حرفي مجرد من المقام "[1].

ويرى مارتينيه أن التركيب يتكون من وحدات تربط بينها علاقات وهذه العلاقات هي علاقة السّند – كما أشار إلى ذلك الخليل في كتابه (العين) –، والسّند عنده الكلمة المركز التي لا يجوز التخلي عنها.

ويضيف إليها عنصراً تالياً يسميه اجتعالاً. ولذلك نجده يعرف الجملة بقوله: " القول الذي ترتبط فيه جميع العناصر بمخبر فريد، أو بعدة مخبرات معطوفة "[2].

وقدّم مارتينيه مجموعة من المفاهيم الأساسية التي تخصّ الجملة من بين هذه المفاهيم الركن الإسنادي " Le syntagme Predicative " ويعني به " النواة التي يبنى حولها التركيب وتعقد العناصر اللسانية روابطها به بطريقة مباشرة، أو لنقل هو النواة الأساسية للجملة، و أقل ما يمكن أن يكون عليه الكلام وأقل ما يفيد "[3].

ويمكن التمثيل له بالإنجليزية بالتركيب التالي "The boy play by ball " فالتركيب المكون من " الولد يلعب "" the boy play "هو جوهر التركيب الذي يشكل نواة الجملة الذي لا يمكن الاستغناء عنه فهو ركن إسنادي وجوده إجباري في معظم التراكيب، وتميزه عن الفضلات. حيث يقول عنه أندريه مارتينيه: "ولكن الذي يمكن من تحديده كسند وتمييزه عن الفضلات هو وجوده الإجباري في ضرب بعض من الأقوال "[4].

ويرى مارتينيه أن كل ما يضاف إلى النواة الإسنادية يعد من الناحية التركيبية إلحاقاً وهو مفهوم يعادل في النحو العربي مفهوم الفضلة، فعندهم أن ما يضاف إلى العمد

([1]) شاهر الحسن: علم الدلالة السماتيكية والبراغماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط/1 2001م، ص: 18.

([2]) أندريه مارتينيه، مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة: سعدي الزبير، دار الآفاق، الجزائر، ص:118 .

([3]) السابق ، 112 . 113 .

([4]) السابق، ص: 113.

" ركني الإسناد " يعد فضلة يستقيم الكلام دونها من الناحية الوظيفية.فهي فضلات تصاغ لتحديد الزمان والمكان والحالة والهيئة والتخصيص وحذفها أو زوالها لا يخل بمعنى الجملة وهذه الفضلات يسميها مارتينيه الإلحاق، والإلحاق عنده نوعان:

الأول: إلحاق بالعطف: وفيه يبقى الكلام مطابقاً في بنية الجملة " النواة " إذا حذفنا العنصر اللساني المعطوف عليه، ففي التركيب القرآني التالي: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [فصلت: 36]، يمكن حذف العنصر المعطوف عليه فتصبح في غير القرآن ومن آياته النهار، وهي بنية مطابقة للبنية السابقة، أي أن البنية الثانية مطابقة للبنية التركيبية للمعطوف عليه.

ويسمى مارتينيه هذا بسطاً، فالبسط عنده هو " كل ما هو ضروري "[1].

الثاني: الإلحاق بالتبعية: وفيه يتميز العنصر الملحق بوظيفة تختلف عن وظيفة العنصر المتبوع[2] ومثال ذلك قولنا " فأمر له بجائزة عظيمة من المال "، فلو حذفنا العنصر جائزة لأصبح التركيب" فأمر له بعظيمة من المال " وهو غير مطابق للتركيب الأصلي، وقد وصف سيبويه هذا التركيب بالقبيح والملبس[3].

2- الإسناد عند التوليديين والتحويليين:

تقوم الجملة عند تشومسكي على الإسناد[4] أي التركيب، فالاسم والفعل عنده يشكلان " عنصرين أساسيين في الانجليزية، ومن السهل إثبات أنهما عنصران أساسيان في كل لسان آخر نعرفه "[5].

فالإسناد عند تشومسكي يقوم على مبدأ التوزيع الذي يعد أحد مقومات المدرسة التوزيعية وهو من حيث المفهوم لا يختلف عن علاقة التلازم، ذلك أن التوزيع يقوم على أن " المورفيم يقتضي المورفيم الذي يليه من الجملة الواحدة يقتضيه فيحدده ويأخذه بعد

---

(1) السابق ، ص: 115.

(2) أحمد حساني، ص: 117.

(3) انظر: سيبويه: الكتاب، 1/ 65- 66، باب الاستقامة والإحالة من الكلام.

(4) انظر: مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا اللغة، ص: 71-72-76.

(5) محمد محمود غالي: عند أئمة النحاة في التاريخ، ص: 12.

أن ينطق المتكلم بالمورفيم الأول، ففي الجملة العربية مثلاً: " إن الطالبين يدرسان " فإن المورفيم الأول " إن " يقتضي مورفيما آخر يليه فيأخذ " الطالبين " وليس " يدرسان " وهذا " الطالبين " يكون في حالة إعرابية معينة طبقاً للقواعد اللغوية، ويقتضي مورفيماً آخر ليتم التعبير عن الصورة الذهنية في ذهن المتكلم، ويجب أن يكون هذا في حالة معينة من حالات الإعراب تحقيقاً لقواعد الكفاية، فبذا تتم الجملة وتخرج على ما هي عليه.

وإذا اقتضى المعنى زيادة في عدد الكلمات في الجملة فإن كل كلمة تضاف تأخذ موقعها على الخط الذي يربط الكلمة في الجملة نفسها، فتقول مثلاً " إنّ الطالبين المجتهدين الصاد قين يدرسان "[1].

وكما نلاحظ من خلال ما سبق أن المنهج التوزيعي يقوم على مبدأ الخطية ويعطي أهمية للعلاقات الترتيبية والعلاقات التعويضية، فالتوزيع يقوم على التعويض والمقصود بالتعويض: "مجموع السياقات (Context's) التي تظهر فيها و حدة ، فجملة: " قرأ زيدٌ الدرسَ " يمكن تحليلها على النحو الآتي:

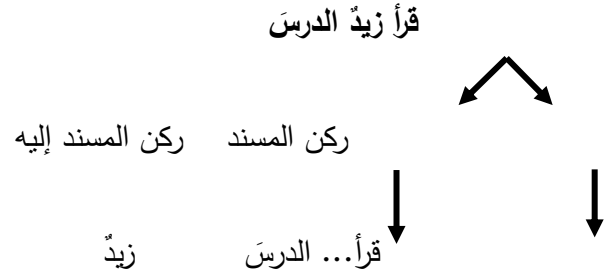

حيث يتكون هذا التركيب من وجهة نظر الإسناد من ركنين هما: ركن المسند إليه " زيدٌ "؛ لأن المسند إليه دائماً يكون اسماً، وركن المسند " قرأ.. الدرسَ ".

(1) أحمد خليل عمايره: في نحو اللغة وتراكيبها – منهج وتطبيق، ط/1، عالم المعرفة، جدة، 1404هـ/ 1984م، ص: 60.

وكما نلحظ من خلال هذا التشجير أن المسند يتكون من كلمتين متباعدتين الفعل... المفعول، يفصل بينهما ركن المسند إليه " الفاعل " " زيدٌ " وهذا ما يسمى في نحو المركبات المباشرة بـ " المركب الفعلي المتقطع الذي يدرج فيه المفعول به ضمن ركن المسند "[1].

وانطلاقاً مما سبق يمكن تحليل الجملة الآتية: " الشاعرُ الماهرُ أنجز ثلاثة دواوين" على النحو التالي:

تتكون الجملة من مكونين أساسيين هما:

أ– المكون الأول: " الشاعرُ الماهرُ ".

ب– المكون الثاني: أنجز ثلاثة دواوين ".

ونلحظ أن كلا من المكونين بنية لأنهما قابلان للتجزئة والتحليل، فالبنية الأولى يمكن تقسيمها على النحو التالي: " الشاعرُ الماهرُ " = الشاعرُ + الماهرُ.

والبنية الثانية يمكن تقسيمها على النحو التالي:" أنجز ثلاثة دواوين " = أنجز + ثلاثة + دواوين.

وكل بنية من هاتين البنيتين قابلة هي الأخرى للتجزئة والتحليل إلى عناصر أصغر بمعنى أن هناك ثلاثة مستويات لتحليل مثل هذه الجملة وهي كالآتي:

المستوى الأول: ركن المسند إليه ركن المسند

مركب اسمي مركب فعلي

المستوى الثاني: الشاعرُ الماهرُ أنجز ثلاثة دواوين

المستوى الثالث: ال... شاعرُ، ال... ماهرُ أنجز ثلاثة دواوين

ويمكن أن نبينها من خلال التشجير الآتي:

الإسناد

مسند إليه مسند

(1) أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، ص: 76.

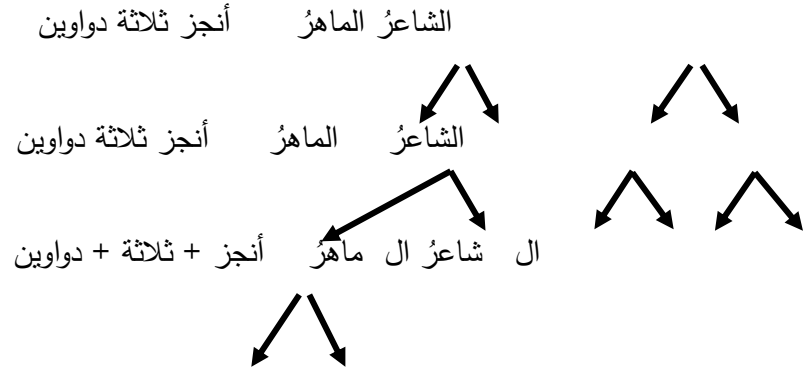

ديوان علامة جمع

إذن تحليل الجملة في المنهج التوليدي التحويلي يقوم في المقام الأول على تحديد المسند إليه سواء كان فاعلاً أو مبتدأ مع كل ما يتعلق به " النعوت – المضاف إليه – المحددات وغير ذلك " وهي عموماً " مركب اسمي " والمسند سواء كان خبراً أو فعلاً مع كل ما يتعلق به من خواص عرضية والمتمثلة في " الزمان – المكان – الحال – المفعول به " ويكون مركباً اسمياً أو مركباً فعليا، وهذا التقسيم يجري بدون مشاكل تذكر في اللغات الأجنبية [1] .

علاقة الإسناد بالرّتبة:

إذا أمعنا النظر في أهمية الإسناد العميقة وجدنا أنها تؤكد تمامها من خلال طرفيها في الجملة، لأنهما يصلان بنا إلى تحقيق المعنى المطلوب.وفي هذا تأكيد علاقة الارتباط بين المسند والمسند إليه فالعلاقة بينهما وثيقة تشبه علاقة الشيء بنفسه[1]، أو تشبه صدر الكلمة الواحدة بعجزها[2]. وهذه العلاقة محتاجة غالباً إلى عدد آخر من العلاقات لتمييز

(1) عبد الرحمن الحاج صالح : الجملة في كتاب سيبويه ، عن المبرز ،العدد 2/ 1993، ص : 12

(1) أبو البقاء العكبري : اللباب، تحقيق: عبد الإله النبهان، ط/1، دار الفكر، دمشق، 1416هـ/ 1995م، 75/1.

(2) شرح الأشموني لألفية ابن مالك: 89/2؛ الأشموني، تحقيق: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية.

الجملة من بين هذه العلاقات " الرّتبة " فقد تكون الرتبة غير ملتزمة بين ركني الجملة البسيطة " المسند والمسند إليه" فيتقد م ما حقّه التأخير، ويتأخر ما حقّه التّقديم ما لم يمنع مانع، وما لم يكن هناك ضررٌ بالأسلوب، وقد تكون الرّتبة ملتزمة بين المسند والمسند إليه وذلك في حال خفاء العلامة الإعرابية ،ولا علاقة تبين أحدها من الآخر، فعلاقات الارتباط والرّبط في الجمل العربية تتشابك وتتداخل وهذا ما يؤكده مصطفى حميدة في قوله: "إن دلالات علاقات الارتباط والرّبط في الجملة العربية تتشابك وتتداخل حتى ليمكن القول بأنه ما من علاقة من علاقات الارتباط أو الرّبط إلاّ ولها صلة بعلاقة أخرى " فعلاقة الإسناد في قولنا: " حَسُن خُلُقُ زيدٍ" ذات صلة بعلاقة تمييز الجملة في قولنا: " حَسُن زيدٌ خلقاً " وبعلاقة البدل في قولنا: " حَسُن زيدٌ خلقهُ "[1].

وهذا القول يؤكد أيضاً أن اللغة العربية تتميز بالمرونة فهي تتيح لمتكلمها أن يعبر عن المعنى الواحد بطرق متعددة ذات علاقات ربط وارتباط مختلفة، كما أن تغيير أحد طرفي العلاقة ينتج عنه نشوء علاقة أخرى صالحة للتعبير عن المعنى نفسه، ولكن في سياق مختلف ومقام مختلف ولغرض مختلف يقصده المتكلم أيضاً.

والجملة العربية تضم مجموعة من المكونات المباشرة تقوم بينها علاقات، فالجملة الخبرية البسيطة تتكون من مكونين اثنين وجودهما لازم لقيام الجملة وتقوم العلاقة بينهما على الإسناد.

ويمكن أن نبين هذه العلاقة من خلال التركيب الآتي: " زيدٌ قائمٌ " فهذا التركيب من حيث المنطق يتكون من موضوع ومحمول فالموضوع يتمثل في " زيدٌ "، والمحمول يتمثل في " قائمٌ "، وباعتماد دور العنصر في عملية الإبلاغ فالأول مخبرٌ عنه " زيدٌ " والثاني خبر " قائمٌ "، واعتماد دور الإسناد يقتضي التزام المسند إليه والمسند، فالأول مسند إليه " زيدٌ " والثاني مسند " قائمٌ " واعتماد دور الرتبة يفرض التزام المبتدأ والخبر فـ " زيدٌ " مبتدأ،

([1]) مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط/1 1997م، ص: 162 .

و " قائمٌ " خبر، واعتماد دور العمل يحتم التزام الفاعل والمفعول، فالفاعل " زيدٌ " والمفعول" قائمٌ " ويمكن تمثيل ما سبق من خلال التشجير الآتي:

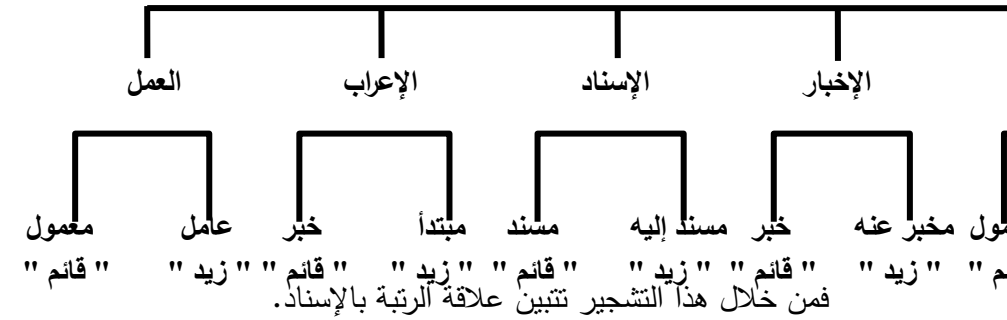

فمن خلال هذا التشجير تتبين علاقة الرتبة بالإسناد.

فالإسناد علاقة وجودها حتمي حتى يتم معنى التركيب ثم يأتي دور الرّتبة ليحدد موقع الوحدة اللغوية داخل هذا التركيب.فالرتبة تحدّد أي أطراف الإسناد أولاً وأيهما ثانياً فثالثاً وهكذا.

خلاصة واستنتاج:

- اللغة نظام لربط الوحدات اللغوية بعضها ببعض، ومن ثم تحديد العلاقات القائمة بينها.
- اللغة العربية لغة مرنة لا يمكن أن تقتصر في ترتيب مكوناتها على نسق واحد بشرط الاحتفاظ بالمعنى الوظيفي والدلالي وأمن اللبس .
- الرّتبة لا تكون لكلمة منفردة، أو منعزلة عن غيرها من عناصر التّركيب، وإنّما تكون بالنظر إلى غيرها من العناصر الأخرى داخل التركيب.
- الرّتبة النحوية وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير،تؤكد الصّلة القوية بين علم النحو وعلم المعاني، ودور الرّتبة في الحكم على التّركيب بالحسن أو القبيح، بمعنى أننا نحكم على أن هذا التّركيب قبيح، أو حسن، خطأ أو صحيح لأنه قدّم كذا وأخر كذا وكان القياس كذا وهذا الحكم أصدره سيبويه قديماً فسماه الاستقامة في الكلام.

- الرّتبة بديلة للعلامة الإعرابية عند غيابها.
- أهمية الرّتبة في جميع اللغات خصوصاً اللغات الخالية من الإعراب.
- ليس للوحدة اللغوية المفردة معنى، وإنّما تكتسب معناها من خلال السياق الذي تقع فيه، وذلك من خلال ضمها لوحدات لغوية أخرى.فالمتكلم لا يقصد أن يعلم المتلقي معاني مفردة، بل يقصد أن يعلمه شيئاَ جديداً لا يعلمه، وبالتالي فإن التّركيب لابّد أن يحوي جزأين أساسيين ليتشّكل التّركيب وهما المسند إليه والمسند.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي كان أدقّ مصطلحاً من غيره فقوله السّند يحلّ إشكالية المسند والمسند إليه على الأقل في المستوى الاصطلاحي.
- وجود علاقة وطيدة بين القرائن اللغوية لاسيما بين الرّتبة والإسناد فالإسناد حتمي لإنتاج التّركيب، والرّتبة كذلك لتحديد طرفي الإسناد أيهما الأول، و أيهما الثاني.
- تضافر قضيتي الرتبة والإسناد مع بعضهما بعضاً لتحديد وظيفة المفردة داخل التركيب .
- ربط النظام اللغوي بالوظائف التي تؤديها الجمل في السياقات المختلفة .
- طرح قضيتي الرتبة والإسناد ، وبيان العلاقة بينهما وفق مفاهيم علمية تهتم بدراسة اللغة وقواعدها الداخلية ، وتبحث في العلاقات التفاعلية بين عناصر النّسق اللغوي.
- اهتمام النظريات الحديثة بقضيتي الرتبة والإسناد يشكل مفتاحاً أو مدخلاً لفهم مجموعة من الظواهر التركيبية الأخرى .
- اهتمام النظريات اللسانية الحديثة بتحليل الجملة العربية اهتماماً شديدً، ودراسة مختلف العلائق القائمة بين مكوناتها
- التركيز على المعنى وإبراز الوظيفة النحوية للكلمات داخل التركيب.
- احتياج الرتبة دائماً إلى الإسناد لتحديد وظيفة الوحدة اللغوية داخل التركيب .
- ارتباط الإسناد بالإفادة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1- الأشموني، شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تحقيق عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية.

2- أحمد، علاء دسوقي، الافتقار في النحو العربي، رسالة ماجستير بدار العلوم.

3- أحمد، يحي، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر ، العدد 3 ، 1989 .

4- أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط/6، 1978م.

5- الجرجاني، عبد القاهر ،دلائل الإعجاز، ط/ رشيد رضا.

6- الجندي، أحمد علم الدين، علامات الإعراب بين النظر والتطبيق، مجلة اللغة العربية، جامعة أم القرى.

7- ابن جني، أبو عثمان النحوي، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.

8- جاد الرب، محمود، بنية الجملة الخبرية في الفصحى المعاصرة دراسة في القديم والتأخير، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد 14، 1994م.

9- الحاج صالح، عبد الرحمن، الجملة في كتاب سيبويه عن المبرز، العدد 2/ 1993 .

10- حركات، مصطفى، اللسانيات العامة وقضايا اللغة، المكتبة العصرية ، ط/1، 1418هـ/1998م بيروت.

11- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتاب، ط/ 3، 1998.

12- حساني، أحمد، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

13- الحسن، شاهر، علم الدلالة السماتيكية والبراغماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط/1، 2001م.

14- حميدة، مصطفى، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط/1، 1997م.
15- خليل، إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، ط/1، 1427هـ،2007م.
16- الزبيدي، محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: حسين نصار، مطبعة حكومة الكويت 1969م.
17- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان 1391هـ/ 1963م.
18- زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1981م.
19- الساقي، فاضل مصطفى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة ط/2، 2008م.
20- السامرائي، فاضل، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، الأردن.
21- السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، المطبعة الأدبية، مصر، 1317هـ.
22- سيبويه، عمر بن عثمان بن قنبر:
أ- الكتاب، تحقيق، عبد السلام هارون، بولاق، 1316هـ/ 1966م.
ب- الكتاب، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الجبل، لبنان.
23- السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.
24- شرف الدين، محمود عبد السلام، آراء ثلاثة حول بعض مسائل الترتيب في العلاقة النحوية، حوليات دار العلوم، 1991م.
25- عباده، محمد إبراهيم، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة 2001م.
26- عبد اللطيف، محمد حماسة:
أ- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، مجلة كلية الآداب، جامعة

المنصورة، العدد 14 1994م.

ب- العلامة الإعرابية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.

27- عبده، داود، البنية الداخلية للجملة الفعلية، مجلة الأبحاث، العدد 31، كلية الآداب، جامعة بيروت 1983م.

28- العكبري، أبو البقاء، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: عبد الإله النبهان، ط/1، دار الفكر دمشق، 1405هـ/ 1987م.

29- عمايره، أحمد خليل، في نحو اللغة وتراكيبها - منهج وتطبيق، ط/1، عالم المعرفة، جدة 1404هـ/1984م.

30- غالي، محمد محمود، عن أئمة النحاة في التاريخ، ط/1، 1976، دار الشرق، جده.

31- غزلان، عبد الله، اللسانيات المقارنة، منشورات كلية الآداب رقم 51، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء 1996م.

32- الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

33- فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد نصر، دار النعمان جونيه، لبنان.

34- الفهري، الفاسي، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط/3، 1993م.

35- قدور، أحمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، 2008م.

36- مارتنيه، أندريه، مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة، سعدي الزبير، دار الآفاق، الجزائر.

37- المتوكل، أحمد، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، مكتبة الأمان، الرباط ط/1، 1427هـ/ 2006م.

38- محمد، الرحالي، ملاحظات عن الرتبة والإعراب، اللسانيات واللغات في المغرب، منشورات كلية الآداب، الرباط، رقم 51، 1996م.

39- المخزومي، مهدي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط/2 1406هـ/ 1986م.

40- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دارالحديث . القاهرة ، 1423هـ . 2003 م .

41- مؤمن، أحمد، اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

42- ابن هشام، عبد الله بن يوسف:

أ- أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، ط/3، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، 1384هـ/ 1964م.

ب- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: أبو عبد الله عاشور الجنوبي، ط/1، دار إحياء التراث بيروت، 2001م.

43- الوعر، مازن، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1987م.

44- ابن يعيش، محمد بن علي، شرح الفصل، المكتبة المنيرية ، القاهرة .

45- المواقع على الشبكة العالمية:

Http/www.minshawi.com

عبد الوهاب حسن محمد، النسبة في النحو.

التوزيع الجغرافي للخدمات الصحية الحكومية والخاصة في المرقب ودورها في تلبية احتياجات السكان

د. نـورية محمد أحمد أبوشـرنتـة

المقدمة

تلعب الخدمات الصحية دوراً بارزاً في حياة الفرد والمجتمع، حيث إن ارتفاع المستوى الصحي يساهم في تطوير إنتاجية الفرد، ومن ثم تحسين مستوى الرفاهية للمواطن، لذلك اهتمت الدول بمختلف أنظمتها بتطوير القطاع الصحي نظراً لدوره البارز في رفع حالة التكامل الجسماني والعقلي والاجتماعي للفرد، لأن حالة تدني المستوى الصحي للسكان وانخفاض أمد الحياة للمواطنين وما يترتب عليه من نتائج سلبية على إنتاجية الفرد تحتم على واضعي سياسات التنمية إعطاء الأولوية لهذا القطاع.

ويتنـاول:هـدا البحـث التوزيـع الجغرافـي للمؤسسـات الصـحية الحكوميـة والخاصـة المتمثلـة فـي المستشفيات الحكومية والعيادات المجمعة والمراكز الصحية المختلفة، حيث إن دراسة التوزيع المكاني من أكثر أهداف الجغرافيا، إذ أنها تكتسب أهمية بالغة في الدراسات الجغرافية الهادفة إلى التحليل المكاني لهذه الظواهر من حيث الانتشار والتشتت والتباعد والعلاقات المختلفة القائمة بين هذه الظواهر المدروسة ، وغيرها من الظواهر الأخرى ذات العلاقة، كما توفر مثل هذه الدراسات بُعداً نوعياً آخر يتمثل في التقويم الجغرافي لهذه الظواهر بعد توصيفها وتحليلها وصولاً إلى محاولة إعادة توزيعها الكمي والمكاني من خلال تقديم صورة تخطيطية مستقبلية أفضل لها.

وحيث إن تحديد مواقع الخدمات الصحية يتأثر بمجموعة من العوامل من أهمها حجم وتوزيع السكان ومدى سهولة الوصول إليها والانتفاع بها في الوقت والمكان المناسبين فإنه من الواجب دراسة هذا التوزيع بشيء من التفصيل.

أولاً: تحديد الدراسة:

تقع المرقب فلكيا بين دائرتي عرض 57" 31° – 45" 32° شمالاً وبين خطي طول 05" 14° – 50" 14° شرقاً.

أما الموقع الجغرافي ل المرقب تقع في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا مطلة على البحر المتوسط، ويحدها من الشرق مدينة مصراته ومن الغرب مدينة تاجوراء ومن الجنوب الغربي الجبل الغربي، و المرقب تبعد عن العاصمة طرابلس بحوالي 120كم وعن مدينة مصراته بحوالي 90كم.

خريطة (1) منطقة الدراسة

المصدر: استناداً إلى الأطلس الوطني 1979، ص14.

ثالثاً: مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

1- هل الخدمات الصحية تغطي احتياجات السكان في الدراسة والمناطق التي تقع تحت تأثيرها؟

2- ما هو البعد الجغرافي للخدمات الصحية في الدراسة؟

رابعاً: أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في النقاط الآتية:

1- تسليط الضوء على واقع الخدمات الصحية في المرقب.

2- التعرف على أنماط التوزيع الجغرافي للخدمات الصحية ب المرقب والفترات الزمنية التي تتطلبها لتطور هذه الخدمات.

خامساً: أسباب اختيار الموضوع:

1- تعتبر الخدمات الصحية من الخدمات السيادية التي لها علاقة بالتوجه الحضاري للدولة.

2- إبراز الدور الجغرافي في بيان الاحتياجات المستقبلية لقطاع الصحة في المرقب.

سادساً: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1- العمل على توفير الخدمات الصحية اللازمة والقادرة على تلبية احتياجات سكان الدراسة.

2- التعرف على البعد الجغرافي للخدمات الصحية وقدرتها على تلبية احتياجات السكان.

الدراسات السابقة :-

تناولت العديد من الدراسات الجغرافية موضوع الخدمات الصحية وتعددت حسب تعدد جوانب الموضوع المختلفة، وذلك من حيث التوزيع وعلاقته بتوزيع السكان ومعدلات الخدمة، ومن هذه الدراسات دراسة (Drury 1983) الذي تناول فيها بعض الأبعاد المكانية لتنمية الخدمات الصحية، وذلك في ضوء التجربة البريطانية من خلال سرد

تاريخي لتطور النظام الصحي الإنجليزي وأبعاده المكانية ومشكلاته[1].

وتناول Khan 1984 هيراركية النظام الصحي في دولة بنجلاديش حيث تطرق الباحث في دراسته لنظام الخدمات الصحية ومعدلات الخدمة الصحية لكل نمط من أنماط الخدمات الصحية.

ومن الدراسات التي تناولت التوزيع المكاني للخدمات الصحية دراسة Guhn & Joshi (1985) وعنوانها الخدمات الصحية بينو، وتطرقت الدراسة للتوزيع المكاني للخدمات الصحية في مقاطعة بينو وهي احدي مقاطعات الهند[2].

وأيضاً تطرق Al – Kahtani 1991 في دراسة وعنوانها الأنماط المكانية للخدمات الصحية في المملكة العربية السعودية، وفيها تناول تطور الخدمات الصحية في مناطق المملكة وعلاقتها بتوزيع السكان[3].

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت موضوع الخدمات الصحية وتوزيعها الجغرافي دراسة سليمان 1994 بعنوان جغرافية الخدمات الصحية في محافظة البحيرة، حيث تطرق فيها لموضوع الخدمات الصحية من خلال توزيعها الجغرافي وكثافتها ومقارنتها بالمعدلات المثالية وتكلم فيها عن الاحتياجات لهذه الخدمة بالاعتماد على النمو السكاني وتوزيعهم حتى سنة 2000[4].

ودراسة عقيل 2008 وعنوانها: التوزيع المكاني للخدمات الصحية ب ترهونة وتناولت فيها الباحثة مراحل تطور الخدمات الصحية في ليبيا و الدراسة بالإضافة إلى

---

(1) Drury (P), Some Spatial Aspects Of Health Service Development, The British experience, Progress in human geography, Vol. 7, No, 1, 1983, PP. 60-87.

(2) Gaha (S.B), Joshi Health Facilities in Pube Geophical Review of India, Vol. 47, No.4, 1985, PP. 505-58.

(3) Al- Kahtani (M.M), The Spatial Pattern of Facilities in Saudi Arabia: Development and Planning, Geophical , Vol.25, No.4, 1991, PP. 423-433.

(4) علي زكي سليمان: "جغرافية الخدمات في محافظة البحيرة"، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، 1994.

التوزيع الجغرافي للخدمات الصحية وعلاقة ذلك بتوزيع السكان[1].

وضمن هذا السياق تناولته هده الدراسة التوزيع الجغرافي للخدمات الصحية الحكومية أولاً ثم التوزيع الجغرافي للخدمات الصحية الخاصة.

أولاً: التوزيع الجغرافي للمؤسسات الصحية الحكومية في ال:

شهدت الخدمات الصحية في المرقب جملة تغييراً سواء في عددها أو في مستواها أو توزيعها المكاني، وفق هذا السياق يوضح توزيع المؤسسات الصحية الحكومية في المرقب التباين في مواقع الخدمات الصحية بال في نوع وكم الخدمات الصحية المقدمة في الوقت الراهن لسكانها ومدى ملاءمة ذلك وارتباطه بحجم السكان وحاجتهم إليها وذلك من خلال دراسة مواقع هذه الخدمات.

وقد بلغت جملة المؤسسات الصحية في المرقب بأنواعها المختلفة عام 2010 حوالي 141 مؤسسة صحية تخدم سبع مدن بضواحيها. حيث يوجد عدد 6 مستشفيات وعدد 2 عيادة مجمعة و54 مركزاً صحياً و75 وحدة رعاية صحية وعدد 4 مرافق أخرى تابعة للصحة.

من الجدول (1) نلاحظ أن المؤسسات الصحية الحكومية بأنواعها المختلفة بلغت سنة 2010 حوالي 141 مؤسسة صحية تخدم سبع مدن بضواحيها وتعكس الصورة العامة للتوزيع الجغرافي لهذه المؤسسات والموضحة في الشكل (2) وهذا التوزيع على النحو الأتي:-

(1) سمية علي البشير عقيل، التوزيع المكاني للخدمات الصحية ب ترهونة رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم، ترهونة، قسم الجغرافيا، 2008.

جدول (1)

توزيع المؤسسات الصحية الحكومية في المرقب 2010

ال	المستشفيات	العيادات مجمعة	المراكز الصحية	وحدات الرعاية الصحية	مرافق أخرى	المجموع الكلي
سوق الخميس	1	–	9	10	–	20
الخمس	1	1	12	4	3	21
غنيمة	–	–	1	–	–	1
ترهونة	2	1	16	41	1	61
مسلاته	1	–	8	13	–	22
قصر الأخيار	–	–	3	4	–	7
القرة بوللي	1	–	5	3	–	9
المجموع الكلي	6	2	54	75	4	141

المصدر: من إعداد الباحثة استنادا إلى الدراسة الميدانية 2010.

1- تركز المؤسسات الصحية في منطقتين أكثر من أي جزء آخر في ال أولى هذه المناطق أو مدينة ترهونة؛ حيث تضم (60) مؤسسة صحية أي حوالي (43%) من جملة المؤسسات الصحية الحكومية، أما الثانية فهي مدينة مسلاته حيث تعتبر المدينة من أهم مناطق التركز العمراني وتضم (22) مؤسسة صحية أي حوالي (16%) من جملة المؤسسات الصحية بال تليها مدينتا الخمس وسوق الخميس من حيث تركز المؤسسات الصحية فيها بنسب بلغت على التوالي (15%) و (14%).

2- أما التوزيع المكاني للمؤسسات الصحية في المناطق أو المدن الأخرى فقد أخذت شكلاً آخر للتوزيع يغلب عليه طابع التبعثر والتشتت حيث إن باقي المدن تعتبر مناطق أقل من حيث عدد المراكز العمرانية فيها وخاصةً غنيمة وقصر الأخيار.

شكل (2)

التوزيع الجغرافي للمؤسسات الصحية في محلات المرقب عام 2010

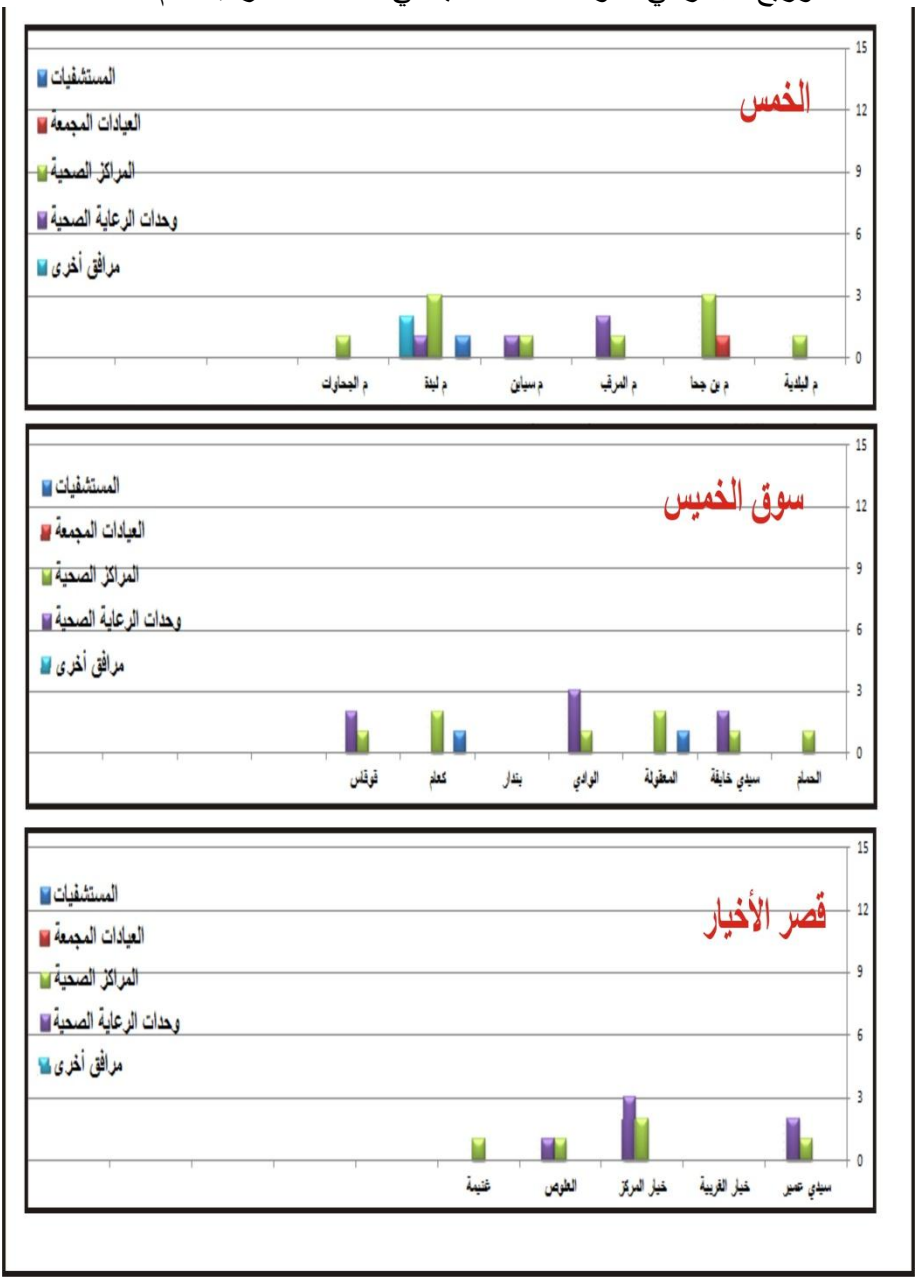

تابع شكل (1)

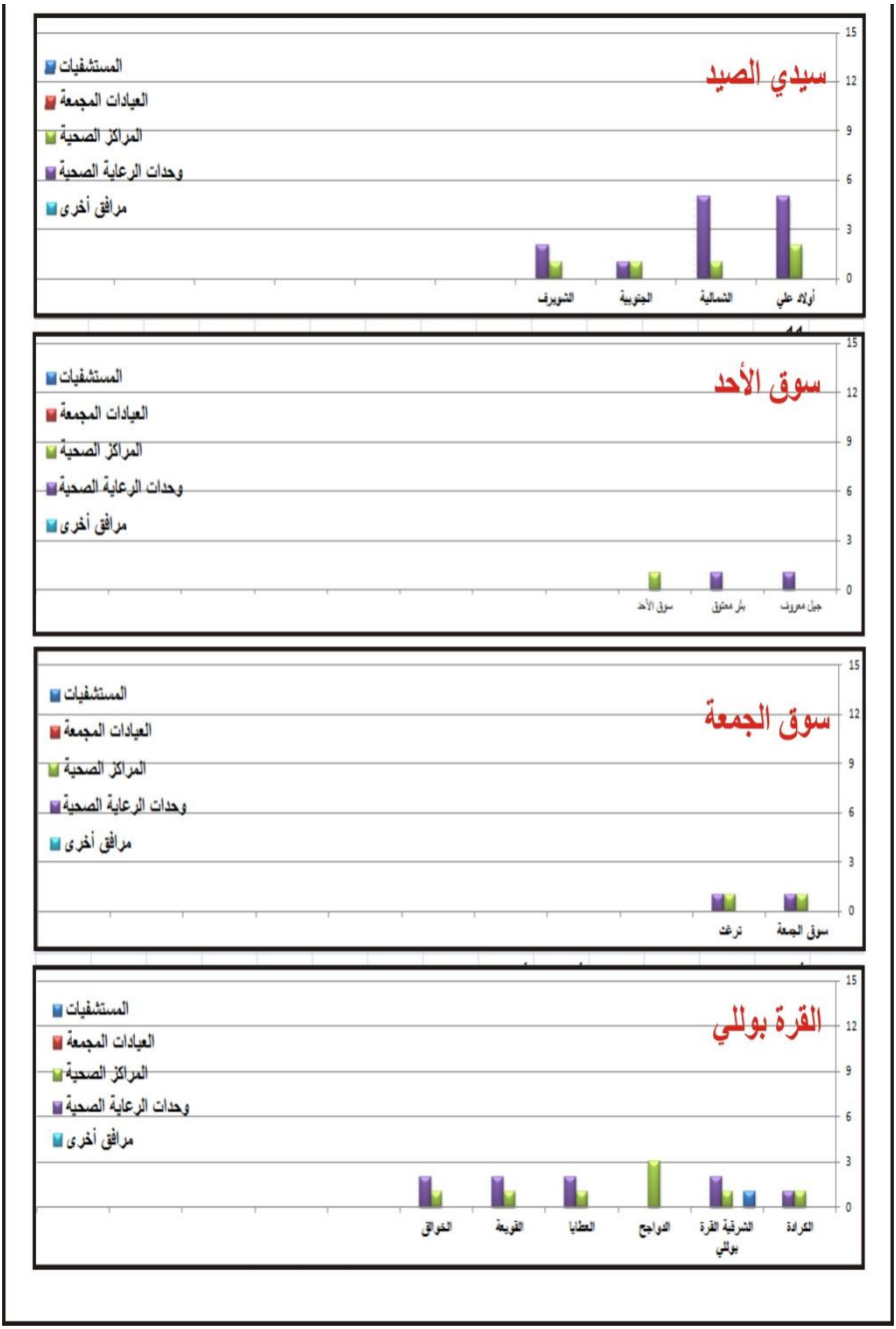
سيدي الصيد
المستشفيات
العيادات المجمعة
المراكز الصحية
وحدات الرعاية الصحية
مرافق أخرى
15
12
9
6
3
0
الشويرف
الجنوبية
الشمالية
أولاد علي
سوق الأحد
المستشفيات
العيادات المجمعة
المراكز الصحية
وحدات الرعاية الصحية
مرافق أخرى
15
12
9
6
3
0
سوق الأحد
بئر مخنوق
جبل معروف
سوق الجمعة
المستشفيات
العيادات المجمعة
المراكز الصحية
وحدات الرعاية الصحية
مرافق أخرى
15
12
9
6
3
0
ترغت
سوق الجمعة
القرة بوللي
المستشفيات
العيادات المجمعة
المراكز الصحية
وحدات الرعاية الصحية
مرافق أخرى
15
12
9
6
3
0
الخوالق
القويعة
العطايا
الدواجن
الشرقية القرة بوللي
الكرادة

تابع شكل (2)

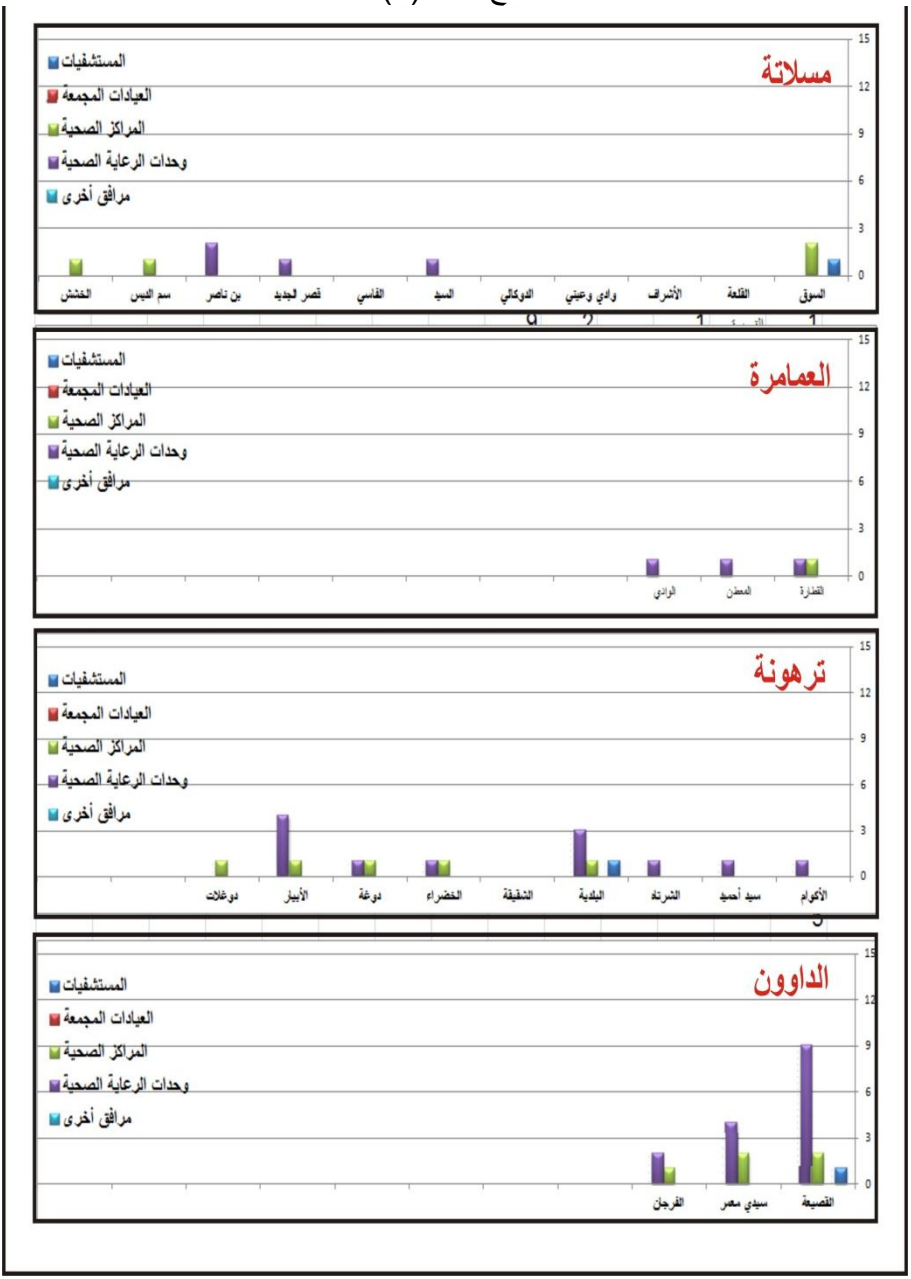

المصدر:- من عمل الباحثة استنادا إلى جدول (1).

3- أما بالنسبة إلى شكل التوزيع النوعي للمؤسسات الصحية

فإنها تباينت أيضاً كما يتضح من ما يلي:

– أن المستشفيات تركزت في مدينة ترهونة حيث يوجد بها عدد (2) مستشفيات أحدها يقع في مركز المدينة ترهونة والآخر قروي وهو مستشفى الداوون، وبذلك تحتل مدينة ترهونة المرتبة الأولى في هذا التوزيع، أما في المرتبة الثانية فقد جاءت كلاً مدن مدينة الخمس ومدينة مسلاته والقرة بوللي وسوق الخميس حيث يوجد بكل منها مستشفى واحدة، أما باقي مدن ال فهي تخلو من المستشفيات.

التوزيع العام للمستشفيات ب المرقب:-

بلغت جملة المستشفيات الحكومية في المرقب سنة 2010 ستة مستشفيات والجدول (2).

جدول (2)

التوزيع الجغرافي لمستشفيات المرقب حسب تاريخ بدء النشاط حتى سنة 2010

اسم المستشفى	تاريخ بدء النشاط	موقع المستشفى	نوعه
الخمس التعليمي	1975	مدينة الخمس	تعليمي
ترهونة	1983	مدينة ترهونة	مركزي
مسلاته	1982	مدينة مسلاته	مركزي
سوق الخميس	1991	مدينة سوق الخميس	قروي
القرة بوللي	1980	مدينة القرة بوللي	قروي
الداوون	1982	مدينة ترهونة	قروي

المصدر: من إعداد الباحثة استنادا إلى الدراسة الميدانية، 2010.

وبشكل عام يمكن القول إن هناك تباين في تاريخ بدء نشاط المستشفيات بال، إذ يلاحظ أن مستشفى الخمس التعليمي أقدم المستشفيات في المرقب حيث تم افتتاحه هذا المستشفى سنة 1975 بعد انتقاله من المستشفى القديم وهو يقع في مدينة الخمس تحديداً في محلة لبدة، وتليه سلسلة من المستشفيات التي ظهرت في الثمانينيات وهي مستشفى ترهونة المركزي حيث تم افتتاحه في 1983/10/23 ويقع في مركز المدينة وأيضاً مستشفى الداوون القروي حيث تم افتتاحه سنة 1982.

إن هناك ارتباط بين التوزيع المكاني للمستشفيات والنمو العمراني لمدن الدراسة إذ يلاحظ أن جميع المستشفيات قد اتجهت صوب محاور النمو العمراني مستغلة المساحات الكبيرة لإمكانية التوسع المستقبلي بشبكة جيدة في طرق المواصلات.

وبشكل عام يلاحظ أن فترة السبعينات لم تشهد سوى افتتاح مستشفى واحد وهو مستشفى الخمس التعليمي سنة 1975، بينما في فترة الثمانينيات شهدت افتتاح أكثر من مستشفى في ال مثل مستشفى ترهونة ومستشفى الداوون.

التوزيع العام للمستشفيات الحكومية حسب الحجم:-

من المتعارف عليه أن حجم المؤسسات أو الخدمات الصحية يقاس بعدة طرق منها عدد الأسّرة التي تخدمها المستشفيات أو حسب عدد الفريق الصحي الذي يتولى تقديم الخدمات العلاجية أو على أساس حجم النشاط (المترددين) وتعتبر دراسة عدد الأسّرة المعيار الأول والأكثر شيوعاً في معظم الدراسات التي تناولت هذه الخدمة، وهذا ما يبينه الجدول (3) والشكل(3).

جدول (3) توزيع المستشفيات ب المرقب حسب عدد الأسرة في سنة 2010

اسم المستشفى	عدد الأسّرة	% في جملة المنطقة
الخمس التعليمي	282	32.63
ترهونة	201	23.26
مسلاته	201	23.26
سوق الخميس	60	6.94
القرة بوللي	60	6.94
الداوون	60	6.94
الإجمالي	864 سرير	%100

المصدر: من إعداد الباحثة استنادا إلى الدراسة الميدانية 2010.

لقد جاء مستشفى الخمس التعليمي في المرتبة الأولى من حيث العدد الكلي للآسّرة (282) سريراً أي ما يعادل (32.63%) من جملة الآسّرة بمستشفيات المنطقة البالغة (864) سرير، في حين جاء كل من مستشفى ترهونة ومستشفى مسلاتة في

المرتبة الثانية على التوالي من حيث عدد الآسّرة الموجودة بها والتي بلغت (201) سرير في كل مستشفى أي ما يعادل (23.26%) من جملة آسرة المنطقة لكل منهما، وإذا ما أضيفت نسبتهما والبالغة (46.52%) إلى نسبة مستشفى الخمس (32.63%) لأتضح أن (79.15%) من جملة أسرة المنطقة تركز في ثلاثة مدن فقط من منطقة المرقب وهذه المدن تعتبر أكبر مدن المنطقة من ناحية التطور العمراني والخدمي.

شكل (3)

التوزيع الجغرافي للمستشفيات ب المرقب حسب عدد الأسرة لعام 2010

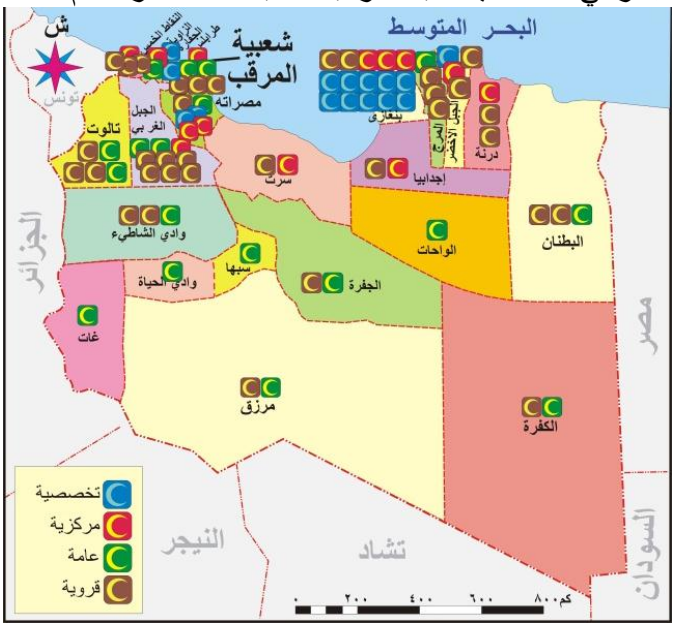

المصدر:- من عمل الباحثة اعتماداً على البيانات الواردة بالجدول (3).

أما النسبة الباقية من الأسرة (21%) فقد حظيت بها باقي المستشفيات ب الرقب وبنفس النسبة والتي بلغت (6.94%) لكل من مستشفى الداوون، ومستشفى القرة بوللي ، ومستشفى سوق الخميس وتعتبر هذه المستشفيات قروية أي تخدم احتياجات السكان بالمناطق الموجودة بها فقط.

ويلاحظ أن هناك مستشفيات تشغل نفس العدد في الأسّرة بها وهذا التقارب

العددي جاء في كل من مستشفى ترهونة ومستشفى مسلاتة حوالي (201) سرير لكل مستشفى، وأيضاً جاء كل من مستشفى الداوون ومستشفى القرة بوللي ومستشفى سوق الخميس بنفس العدد حوالي (60) سرير لكل مستشفى ، وبشكل عام يلاحظ في الجدول السابق أن أكبر مستشفيات المرقب حجماً تركز في مدينة الخمس أن عدد الآسرة به يعادل أربعة أمثال جملة عدد الآسرة في مستشفيات بعض المدن مثل القرة بوللي والداوون وسوق الخميس، وتأتي في المرتبة الثانية كل من مدينتي ترهونة ومسلاته حيث إن عدد الأسرة بها يعكس كبر حجم الخدمات الصحية بها.

التوزيع العددي والنسبي للآسرة حسب تخصصاتها في المستشفيات بال :-

لا تقتصر الاختلافات في مستشفيات مدن المنطقة في أحجامها من حيث عدد الآسرة فقط وإنما هناك اختلاف أيضاً في توزيع الأسرة حسب التخصصات الموجودة في المستشفيات، ويقتصر وجود الآسرة في المستشفيات فقط، وهي تعتبر أحد المؤشرات العامة الصحية، حيث إن زيادة عددها يعتبر قياس للإمكانيات الطبية المهيأة للعلاجات السريرية وخدمة المرضى بالشكل الأمثل، وقلتها مع تزايد عدد السكان مؤشراً على ضعف القدرات الإنشائية والعلاجية[1].

ويُعد عدد الأسرة بالنسبة لحجم المستشفيات (سرير/ نسمة) من أكثر وسائل قياس حجم المستشفيات شيوعاً في كل الدراسات التي تناولت هذه الخدمة كما أنها تعتبر من أفضلها لما لها من مميزات قد لا تتوافر للمقاييس الأخرى، كما أن عدد المترددين على المستشفى بوجه عام والأقسام الداخلية بوجه خاص يتوقف على عدد الأسرة المتاحة، والجدول (4) يوضح التوزيع العددي والنسبي للآسرة حسب تخصصاتها في مستشفيات مدن المرقب ومنه نلاحظ ما يلي:-

لقد جاءت أسِّرة أمراض النساء والولادة في المركز الأول حيث بلغت نسبتها 26%من جملة الأسرة حسب التخصصات وهذا يعكس أن معظم المستشفيات العامة

(1) سارة عبدالرحمن الزمان، جغرافية الخدمات في دولة قطر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، 1994، ص156.

مزودة بأقسام لهذا التخصص.

في حين تأتي الأسرة المتخصصة في أمراض الأطفال في المرتبة الثانية من إجمالي الأسّرة وهي تتميز بالانتشار حيث تتواجد في كل المستشفيات أي ما يعادل (16%) من جملة الأسّرة، ويليها من حيث الأهمية في عدد الأسّرة المتخصصة لأمراض الباطنية وأسّرة الجراحة حيث يضم هذا التخصص ما نسبته (14%) لكل منها وبذلك يمكن القول أن أسرة كلا من النساء والولادة وأسّرة الأطفال وأسّرة أمراض الباطنية والجراحة تشكل حوالي (70%) من جملة الأسّرة بالمستشفيات.

جدول (4)

التوزيع العددي والنسبي للآسرَّة حسب التخصصات الطبية بمستشفيات المرقب 2009

الباطنة		الجراحة		نساء وولادة		الأطفال		العناية		العيون		العظام		الأنف والحنجرة	
عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
36	29	46	38	77	35	34	24	8	23	15	41	25	49	25	65
10	8	5	4	20	9	10	7	5	14	5	14	5	10	–	–
26	21	24	20	31	14	30	22	9	26	2	5	4	8	4	11
43	34	41	34	35	16	35	25	8	23	10	27	12	24	9	24
–	–	–	–	40	18	20	14	–	–	–	–	–	–	–	–
10	8	5	4	20	9	10	7	5	14	5	14	5	10	–	–
125	/	121	/	223	/	139	/	35	/	37	/	51	/	38	/
٪14.4		٪14		٪26		٪16		٪4		٪4		٪6		٪4	

المصدر: من إعداد الباحثة استنادا إلى البيانات الواردة عن نشاط كل مستشفي ، التقرير النها 2009 بالهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق بيانات غير منشورة.

أما باقي التخصصات فقد جاءت نسبتها متقاربة وتشمل كلاً من أسِّرة أمراض العيون والأسِّرة الخاصة بالعناية وأسِّرة الأنف والحنجرة حيث بلغت إجمالي نسبة الأسِّرة بها (12%) من جملة الأسِّرة حسب التخصصات باستثناء أسِّرة العظام التي بلغت وحدها من جملة الأسِّرة حوالي (11%).

وإذا تم تناول عدد الأسِّرة في كل مستشفى حسب نوع التخصص السائد، يلاحظ أن في مستشفى الخمس التعليمي احتلت أسِّرة النساء والولادة المرتبة الأولى في عدد الأسِّرة السائدة بها تليها على التوالي أسِّرة قسم الجراحة ثم جاءت في المرتبة الثالثة أسِّرة أمراض الباطنية وفي المرتبة الرابعة أسِّرة قسم الأطفال يليها في المرتبة الخامسة أمراض الأنف والحنجرة وقسم العظام احتل نفس المرتبة ثم جاءت في المرتبة ما قبل الأخيرة قسم العيون وأخيراً أسِّرة العناية.

شكل (4)

التوزيع الجغرافي لأعداد الأسرة حسب التخصصات ب المرقب خلال عام 2009

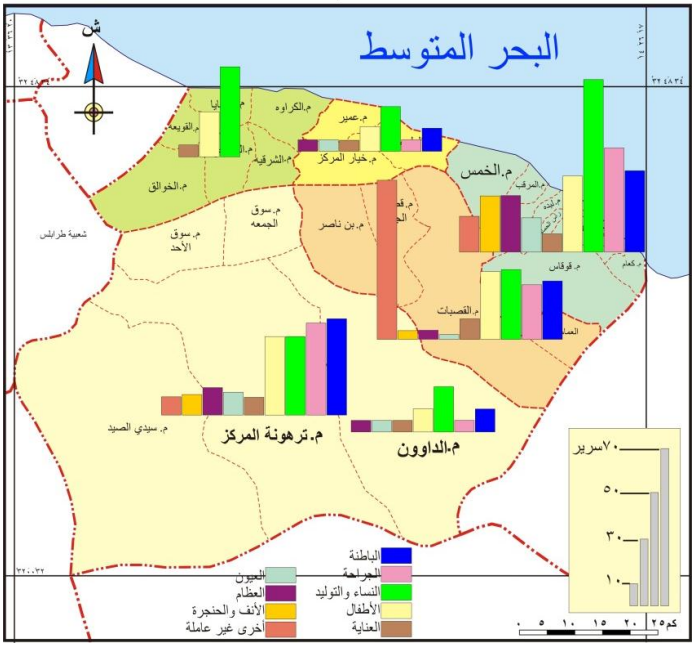

المصدر:- من عمل الباحثة اعتماداً على البيانات الواردة بالجدول (4).

وفي مستشفى سوق الخميس تأتي أسِّرة النساء والولادة في المرتبة الأولى أيضاً تليها في المرتبة الثانية أسِّرة كلاً من قسم الأطفال وأمراض الباطنية وجاءت أسِّرة كلاً من الجراحة والعيون والعظام في نفس المرتبة وخلت أسرة المستشفى من تخصص الأنف والحنجرة.

ويلاحظ على الأسِّرة في مستشفى مسلاته أن قسم النساء والولادة قد جاء في المرتبة الأولى وعلى التوالي أسِّرة قسم الأطفال في المرتبة الثانية يليها أسِّرة قسم الباطنية في المرتبة الثالثة وتأتي في المرتبة الرابعة أسِّرة قسم الجراحة يليها في التسلسل أسِّرة العناية ثم جاءت أسِّرة كلاً من قسم العظام والأنف والحنجرة في نفس المرتبة وأخيراً قسم العيون في المرتبة الأخيرة من حيث عدد الأسِّرة به.

وبالنسبة لمستشفى ترهونة احتلت أسّرة قسم أمراض الباطنية في المرتبة الأولى من حيث استغلاله للأسِّرة ثم جاء في المرتبة الثانية أسِّرة قسم الجراحة وجاءت أسِّرة كلاً من قسم النساء والولادة وقسم الأطفال في هذا المستشفى في المرتبة الثالثة يليها أسرة قسم العظام في المرتبة الرابعة ثم أسِّرة قسم العيون في الترتيب الخامس ثم أسِّرة الأنف والحنجرة وأخيراً جاء قسم وأخيراً جاء قسم أسِّرة العناية.

وبالنظر إلى مستشفى القرة بوللي يلاحظ سيادة تخصصين في أسرتها هما تخصص النساء والولادة جاء في المرتبة الأولى يليها أسَّرة قسم الأطفال في حين خلت باقي التخصصات من الأسَّرة.

وبالنسبة إلى مستشفى الداوون القروى جاءت أسرة قسم النساء والولادة في المرتبة الأولى ويليها قسم الأطفال وقسم أمراض الباطنية في المرتبة الثانية في حين جاءت باقي التخصصات تحمل نفس الترتيب من حيث عدد الأسِّرة بها، وبشكل عام يمكن القول إن المستشفيات قد تباينت من حيث تخصصات أسِّرتها على مستوى المرقب.

حجم العاملين الصحيين:

تعتبر دراسة حجم الخدمات الصحية من خلال الكوادر البشرية الصحية من المؤشرات التي تعكس مدى كفاية الخدمات الصحية القائمة، وهذه الكوادر البشرية هم الأفراد الذين يقومون بأداء الخدمة الصحية سواء كانوا أطباء أو هيئة التمريض أو

المعاونين الصحيين أو فنيين معامل ونسبتهم إلى السكان وذلك لمعرفة العجز في الخدمة لتلافي أسبابها[1].

وتشمل هذه الكوادر الصحية الليبيين وغير الليبيين في منطقة المرقب، وقد ساهم إنشاء الجامعات وكلية الطب وكلية الصيدلة ومعهد التمريض بمدينة الخمس بالمنطقة في زيادة عدد العاملين الصحيين في المؤسسات الصحية المختلفة في المرقب.

أ – الأطباء:

يعتبر الأطباء أحد المؤشرات المهمة لقياس مستوى الخدمة الصحية، وهم من أهم عناصر الموارد البشرية في تقديم الخدمات الصحية، ويقومون بتشخيص الأمراض وعلاجها وتتوقف نوعية الخدمة على عدد الأطباء ومستوى التأهيل العلمي والتقني لهم[2].

وقد بلغ إجمالي عدد الأطباء في المرقب 351 طبيب موزعين على المؤسسات العلاجية الحكومية في المرقب .

وتعتبر دراسة حجم التوزيع العددي والنسبي للأطباء بالمستشفيات إحدى المقاييس لدراسة حجم المستشفيات والجدول (5) يوضح ذلك.

جدول (5)

التوزيع الجغرافي للأطباء حسب كل تخصص للمستشفيات سنة 2009

التخصص	باطنة		جراحة		نساء ولادة		الأطفال		عظام		عيون		ممارس عام		أخرى		الجملة	
المستشفى	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
الخمس	**20**	**67**	**23**	**63**	**15**	**56**	**18**	**53**	**3**	**60**	**5**	**71**	**11**	**78**	**6**	**20**	20	59.5

(1) مي حسين علي الجناحي، الجغرافيا الطبية لمملكة البحرين، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 2002، ص163.

(2) أمال حلمي خليل، الخدمات الصحية في نيجيريا، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 2004، ص199.

التعليمي																9	4
سوق الخميس	1	3	–	–	1	4	3	9	–	–	–	–	8	5	1	14	3.98
مسلاته	4	13	6	17	5	19	3	9	1	20	–	–	22	14	6	47	13.39
ترهونة	2	7	5	14	2	7	5	15	1	20	1	–	33	14	8	57	16.23
القرة بوللي	2	7	2	6	3	11	4	12	–	–	1	14	–	–	8	20	5.69
الداون	1	3	–	–	1	3	1	2	–	–	–	–	1	0.6	–	–	1.13
المجموع	30	/	36	/	27	/	34	/	5	/	7	/	183	/	29	/	100
النسبة%	9٪		10٪		8٪		10٪		1٪		2٪		52٪		8٪		

المصدر:- من عمل الباحثة عتماداً على البيانات الواردة عن التقرير الإحصائي السنوي عن نشاط كل مستشفى لعام 2009 – بيانات غير منشورة.

يلاحظ من خلال الإحصائيات الواردة بالجدول (5) أن مستشفى الخمس التعليمي قد حظى بأكبر نسبة من الأطباء العاملين فيه مقارنة بباقي المستشفيات ب المرقب حيث بلغت نسبة (60%) من جملة الأطباء بالتالي قد احتل هذا المستشفى المرتبة الأولى يليه مستشفى ترهونة ومستشفى مسلاتة واللذان بلغت نسبتهما معاً (29%) من نسبة الأطباء العاملين فيهما، أما بقية المستشفيات فلم تتجاوز النسبة فيها (11%) فقط من نسبة

العاملين فيها من الأطباء.

كذلك يلاحظ أن أكثر من ثلاثة أرباع جملة الأطباء (89%) تركزت في ثلاث مستشفيات بالمنطقة وبنسب بلغت كالتالي (60% و 16% و13%) بمناطق الخمس وترهونة ومسلاته على التوالي في حين سجل مستشفى القرة بوللي (6%) ومستشفى سوق الخميس (4%) أما مستشفى الداوون فلم تتجاوز النسبة فيه سوى (1%) فقط.

وبالنظر إلى توزيع الأطباء على التخصصات المختلفة لوحظ أن نصف الأطباء يتركزون في تخصص واحد هو الممارس العام وبنسبة بلغت (52%) إذ تصدر مستشفى الخمس التعليمي في هذا التخصص حوالي (78%) من جملة الأطباء الممارسين لهذا التخصص نسبة إلى عدد الأطباء في باقي المستشفيات في المنطقة.

في حين لوحظ أن (39%) من الأطباء يتركزون في أربع تخصصات هي الباطنية والجراحة والنساء والأطفال وبنسب بلغت (10% و 10% و 9% و 8%) على التوالي.

جدول (6)

التوزيع الجغرافي للأطباء حسب كل مستشفي في المرقب 2009

مستشفى	باطنة		جراحة		نساء وولادة		الأطفال		عظام		عيون		ممارس عام		أخرى		الجملة	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
خمس تعليمي	20	10	23	11	15	7.1	18	9	3	1.4	5	2.4	119	57	6	3	209	59.5
سوق خميس	1	7.1	-	-	1	7.1	3	21.4	-	-	-	-	8	57.1	1	7.1	14	3.98
مسلاته	4	8.5	6	12	5	10.6	3	6.3	1	2.1	-	-	22	46.8	6	12.7	47	13.4

هونة	2	3.5	5	8.7	2	3.5	5	8.7	1	1.7	1	1.7	1	33	57.8	8	8.7	57	16.23
قرة للي	2	10	2	10	3	15	4	20	-	-	1	5	-	-	8	40	8	20	8.69
اوون	1	25	-	-	1	25	1	25	-	-	-	-	-	1	25	-	-	4	1.13
جمو ع	30	9	36		27	10	34	8	5	10	7	2	183	1	52	29	8	351	100

المصدر:- من عمل الباحثة استناداً إلى التقرير النهائي عن نشاط كل مستشفي بالهيئة الو للمعلومات والتوثيق باللجنة المنطقة العامة للصحة والبيئة 2009.

وضمن هذا السياق يتبين في الجدول (6) أن هناك اختلاف في صورة الترتيب النوعي للأطباء على مستوى كل مستشفى كما يلي:-

- تميز مستشفى الخمس التعليمي بارتفاع نسبة الأطباء الممارسين العام إذ بلغت النسبة (57%) من جملة التخصصات بالمستشفى يليها الأطباء المتخصصين في قسم الجراحة (11%) من نسبة الأطباء ثم جاء في المركز الثالث أطباء الباطنية بنسبة (9.5%) وبنسب متقاربة جاء الأطباء في قسم الأطفال وقسم النساء والولادة بنسب على التوالي بلغت (8.6% و 7%) وقسمي العيون والعظام في المركز الأخير بنسب بلغت (2.3% و 1.4%) على التوالي.
- وفي مستشفى ترهونة شكّل الأطباء من فئة الطبيب العام المرتبة الأولى وبنسبة بلغت (57.8%) من جملة الأطباء على مستوى التخصصات بالمستشفى يليه تخصص الجراحة والأطفال في الترتيب الثاني بنسبة بلغت (8.7%) لكل منهما في حين جاء أطباء الباطنية والنساء والولادة في المركز الثالث (3.5%) في كل قسم وأخيراً أطباء قسم العظام والعيون في المركز الأخير بنسبة بلغت (1.75%) لكل قسم.
- وتميز مستشفى مسلاته بارتفاع نسبة الطبيب العام بنسبة بلغت (14%) من جملة الأطباء بالمستشفى ثم جاء أطباء قسم الجراحة في المركز الثاني بنسبة

بلغت (12.7%) والأطباء المتخصصين بأمراض النساء والولادة كانوا في المركز الثالث بنسبة بلغت (10.6%) من جملة أطباء المستشفى في حين جاء أطباء قسم الباطنية في المركز الرابع بالمستشفى وبنسبة بلغت (8.5%) وأطباء قسم الأطفال في الترتيب الخامس بنسبة بلغت (6.3%) وأدنى نسبة كانت في أطباء العظام حيث كانت (2%) وخلا هذا المستشفى من المتخصصين في أمراض العيون.

- كذلك فيما يخص مستشفى سوق الخميس بالمنطقة فقد جاء تخصص أطباء الممارس العام في المركز الأول بنسبة بلغت (6%) وقسم أطباء الأطفال في المركز الثاني بنسبة حوالي (21.4%) من جملة التخصصات الموجودة بالمستشفى في حين جاء قسما أطباء أمراض الباطنية وأطباء أمراض النساء والولادة في المركز الثالث بنسبة بلغت لكل منهما (7.1%) أما بقية التخصصات فيخلو منها هذا المستشفى ويرجع ذلك لصغر حجمه.
- وبالنسبة لصورة التركيب النوعي للأطباء في مستشفى القرة بوللي يلاحظ وجود خمس تخصصات للأطباء في هذا المستشفى أولها جاء لأطباء الأطفال بنسبة بلغت (20%) من جملة الأطباء وجاء في المركز الثاني أطباء أمراض النساء والولادة بنسبة (15%) في حين جاء أطباء قسم الباطنية وقسم الجراحة بنفس المرتبة بنسبة بلغت لكل منهما (10%) وخلا هذا المستشفى تقريباً من أطباء العيون وأطباء العظام في حين جاء أطباء الممارس العام في المركز الأخير وبنسبة بلغت (5%) من جملة أطباء المستشفى.
- أما مستشفى الداوون فقد تراوح عدد فئات تخصصات الأطباء في أربع تخصصات وبنفس النسبة وهي أطباء كلاً من قسم الباطنية والأطفال والنساء والولادة وأطباء الممارس العام بنسبة بلغت لكل تخصص (25%).

ب- العناصر الطبية المساعدة:

بلغ إجمالي عدد مساعدي الأطباء في مستشفيات المرقب حوالي 344 طبيب

مساعد وبمعدل خدمة (مساعد طبيب لكل 1244) ويختلف توزيعهم في مستشفيات المرقب.

من خلال البيانات الواردة بالجدول (7) تم تقسيمهم إلى المجموعات التالية:

- **المجموعة الأولى:** وتضم مستشفى الخمس التعليمي التي بلغ فيه عدد مساعدي الأطباء (130) عنصر بنسبة بلغت (37.7%) من إجمالي مساعدي الأطباء على مستوى مستشفيات الدراسة .
- **المجموعة الثانية:** وتشمل على مستشفى ترهونة الذي بلغ عدد مساعدي الأطباء فيه (77) مساعد طبيب وبنسبة (22.38%) ويليه مستشفى مسلاته بعدد (67) طبيب مساعد وبنسبة بلغت 19.47 من إجمالي مساعدي الأطباء في الدراسة .
- **المجموعة الثالثة:** وتضم مستشفى القرة بوللي بعدد 33 عنصر وبنسبة بلغت 9.59%.
- **المجموعة الرابعة:** وتشمل على كلاً من مستشفى الداوون بعدد 22 عنصر مساعد طبيب وبنسبة 6.39% وأيضاً مستشفى سوق الخميس بعدد 18 عنصر مساعد طبيب وبنسبة بلغت 5.23% فقط من إجمالي مساعدي الأطباء بمستشفيات المرقب.

هيئة التمريض:

تعتبر مهنة التمريض من أهم المهن الطبية في مجال الخدمة الطبية، حيث يتوقف نجاح العملية أو شفاء المريض على مقدار الرعاية والعناية الصحية بالمرضى وفق التوصيات التي يصفها الطبيب للمريض، ومن هنا فإن هيئة التمريض والخدمات المعاونة تؤدي دوراً هاماً من الخدمات الصحية حيث تمثل حلقة وصل واتصال بين الأطباء والمرضى يعدها البعض عاملاً مؤثراً في الرعاية الطبية الناجحة للمرضى في المستشفى[1].

فالممرض هو العنصر الأقرب من المريض والأكثر وقتاً في الإشراف على

(1) سارة محمد الزمان، مرجع سابق، 2001، ص303.

المريض ومن خلال الجدول (7) يلاحظ أن كافة المستشفيات توزع بها ممرضين وقد بلغ إجمالي عدد عناصر التمريض في منطقة المرقب 504 ممرض وممرضة وبمعدل خدمة ممرض لكل 848 نسمة؛ أي أقل من ممرض واحد لكل 1000نسمة، في حين بلغ معدل ما يخدمه الممرضين على مستوى ليبيا 68ممرض لكل عشرة آلاف مريض؛ أي 6.8ممرض لكل 1000 نسمة، وقد اختلف توزيع الممرضين من مستشفى إلى آخر في مستشفيات المرقب. **ومن خلال الشكل (5) يلاحظ ما يلي:**

جدول (7) التوزيع الجغرافي للقوى العاملة حسب كل مستشفى للعام 2009

العناصر التيسيرية		العناصر الطبية المساعدة									
إدا	حرفية وخدمية	أخرى	صحة مجمع	مفتش صحة	مساعد صيدلي	فني أسنان	فني تخدير	فني أشعة	فني تحاليل	قابلات	يض
5 07	133 38.2	15 53.57	16	4 80	15 40.5	-	7 21.8	22 41.50	29 26.36	22 33.3	21 %
5 5	17 4.88	1 3.57	-	-	2 5.40	-	1 3.21	3 5.6	7 6.36	4 6.0	1 3.1
5 98	104 29.88	8 28.57	-	-	6 16.21	-	5 1262	10 18.86	20 18.18	18 27.27	10 21
4 69	29 8.33	-	-	-	3 8.10	-	15 46.87	12 22.64	28 25.45	19 28.78	9 1
4 8	27 7.75	4 14.28	-	1 20	1 2.70	-	4 12.5	3 5.66	7 6.36	2 3.03	1 3.5
2 0	38 10.91	-	-	-	10 27.02	-	-	3 5.66	19 17.27	1 1.5	5 10.
5	348	28		5	37		32	53	110	66	50

المصدر:- من إعداد الباحثة استناداً إلى البيانات الواردة بمركز المعلومات والتوثيق للصحة والبيئة تقدير عن نشاط كل مستشفي عام 2009.

شكل (5) التوزيع الجغرافي للعاملين في الخدمات الصحية في مستشفيات المرقب خلال عام 2009

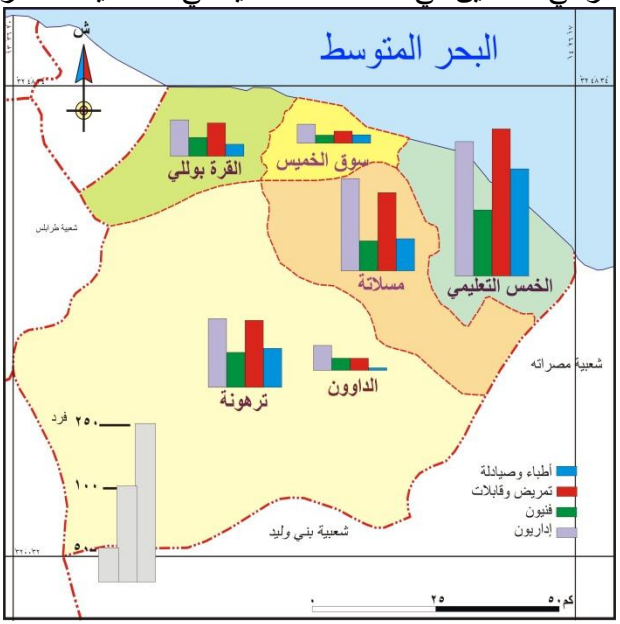

المصدر:- من عمل الباحثة اعتماداً على البيانات الواردة بالجدول (7).

1- جاء مستشفى الخمس التعليمي في المركز الأول بعدد 216 ممرض وبنسبة بلغت 42.85% من إجمالي المرقب.

2- وتضم مستشفى مسلاته في المركز الثاني بعدد 109 ممرض وبنسبة 21.6% من إجمالي المنطقة.

3- وجاء في المركز الثالث مستشفى ترهونة بعدد 91 ممرض بنسبة 18% وفي المركز الرابع جاء مستشفى القرة بوللي بعدد 54 ممرض وبنسبة بلغت 10.7% من إجمالي الممرضين بالمستشفيات ال .

4- وفي المركز الأخير جاء كلاً من مستشفى الداوون بعدد 18 ممرض وبنسبة 3.57 % ويليه مستشفى سوق الخميس بعدد 16 ممرض وبنسبة 3.17% فقط.

التوزيع العام للمراكز والوحدات الصحية ب المرقب:-

تمثل الوحدة الصحية المستوى الأول لاتصال الأفراد والأسرة والمجتمع بالنظام

الصحي وتقدم خدمات وقائية بصورة رئيسية وخدمات علاجية أساسية بسيطة ويتم تحويل الحالات إلى تحتاج إلى أطباء متخصصين إلى العيادات المتخصصة أو المستشفيات.

وبتحليل البيانات الواردة بالجدول (8) يلاحظ أن إجمالي عدد الوحدات الصحية بلغ 75 وحدة صحية عاملة توزع على مختلف مناطق المرقب وبتحليل الصورة التوزيعية لهذه الوحدات الصحية نلاحظ ما يلي:

1- وتضم مدينة ترهونة والتي أتت في المركز الأول عدد 41 وحدة صحية بها حيث تعتبر هذه المدينة من أكبر مدن منطقة المرقب من حيث المساحة وعدد السكان بها. ولهذا ضمت هذا العدد الكبير من الوحدات الصحية وبنسبة بلغت 54% من إجمالي الوحدات الصحية بالمنطقة.

2- وتضم كلاً من مدينة سوق الخميس ومدينة مسلاته حيث جاءت مدينة مسلاته في المركز الثاني بعدد 13 وحدة صحية وبنسبة 17% من إجمالي المنطقة وجاءت مدينة سوق الخميس في المركز الثالث بعدد 10 وحدات صحية وبنسبة 13%.

3- وتضم كلاً من مدينة الخمس وقصر خيار ومدينة القرة بوللي حيث جاءت مدينتي الخمس وقصر خيار في المركز الرابع بعدد وحدات صحية لكل منها وبنسبة 5% لكل منها أيضاً وفي المركز الأخير جاءت مدينة القرة بوللي بعدد 3 وحدات صحية فقط بنسبة بلغت 4% في إجمالي ال.

أما المراكز الصحية فهي تمثل المستوى الثاني في النظام الصحي لتقدم الرعاية الصحية الأولية ويقدم المركز الصحي خدمات صحية وقائية وتشخيصية وعلاجية ويمثل المركز الصحي همزة الوصل بين الوحدة الصحية والمستشفى.

وبتحليل البيانات الواردة بالجدول (8) يلاحظ أن المراكز الصحية في منطقة المرقب بلغ عددها 54 مركز صحي 2010 موزعة على معظم المرقب بصورة عشوائية ويمكن ملاحظتها في الآتي:

1- جاءت مدينة ترهونة بأعلى عدد منها وهو 16 مركز صحي وبنسبة وصلت

29% من إجمالي المراكز الصحية بال تليها مدينة الخمس في المركز الثاني بعدد 12 مركز صحي وبنسبة 22% من إجمالي ال.

2- وجاءت مدينة سوق الخميس في المركز الثالث بعدد 9 مراكز صحية بها بنسبة 16% ومدينة مسلاته جاءت في المركز الرابع بعدد 8 مراكز صحية بها وبنسبة 14%.

3- وتضم مدينة القرة بوللي 5 مراكز صحية وبنسبة 9% ومدينة قصر الأخيار 4مراكز صحية بنسبة 7% من إجمالي المراكز الصحية بال .

والجدول (13) يوضح التوزيع العددي للمراكز والوحدات الصحية المرقب.

جدول (8) التوزيع الجغرافي للمراكز والوحدات الصحية ب المرقب 2010

ال	مركز صحي		وحدات صحية	
	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %
سوق الخميس	9	16.6	10	13.3
الخمس	12	22	4	5.3
مسلاته	8	14.8	13	17.3
ترهونة	16	29.6	41	54.6
قصر الأخيار	4	7.3	4	5.3
القرة بوللي	5	9	3	4
المجموع الكلي	54	%100	75	%100

المصدر: من إعداد الباحثةاستنادا إلى اللجنة المنطقة العامة للصحة والبيئة بالهيئة الوطن للمعلومات والتوثيق 2009.

شكل (6) التوزيع الجغرافي للمراكز والوحدات الصحية ب المرقب لعام 2010

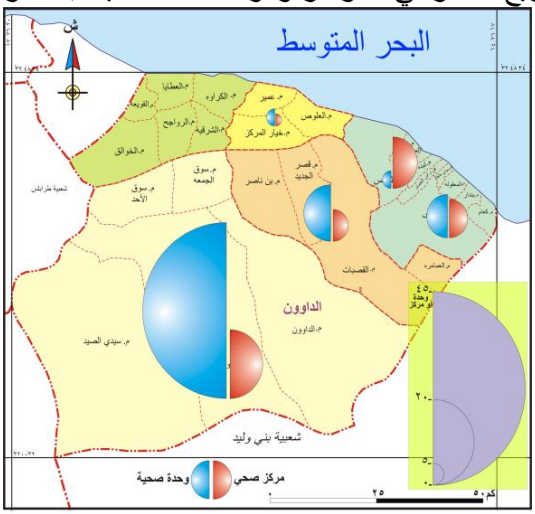

المصدر:- من عمل الباحثة استناداً إلى البيانات الواردة بالجدول (8).

من الجدول (8) يمكن استخلاص ما يلي:-

1- مدن اشتملت على أكبر عدد من المراكز والوحدات الصحية بالمنطقة وهي كلاً من ترهونة والخمس وسوق الخميس ومسلاته.

2- مدن جاءت بعدد قليل وضمت كلاً من قصر الأخيار والقرة بوللي.

التوزيع الجغرافي للعيادات المجمعة في المرقب:-

تعتبر العيادات المجمعة مستوى أعلى من مستوى المراكز الصحية حيث تنشأ في وسط تجمعات سكانية متقاربة، إذ تقدم الرعاية الطبية بمعيار هو عيادة مجمعة لكل (25000) شخصاً حيث تقدم الرعاية الصحية الأساسية لهؤلاء السكان وذلك تخفيفاً للعبء على المستشفيات إذ تقوم بتقديم الخدمات العلاجية بالإضافة إلى التطعيمات ورعاية الأمهات والأطفال، كما تقدم خدمات تخصصية علاجية للوحدات الواقعة تحت إشرافها، كما أنها تمثل مركز إسعاف سريع ومركز إيواء لغرض الإنعاش.

والجدول (9) يوضح التوزيع العددي للعيادات المجمعة في منطقة المرقب ومنه

نستخلص ما يلي:

أن المرقب يوجد بها ثلاث عيادات مجمعة هي كما يلي:-

1- العيادة المجمعة في مدينة الخمس: – تعتبر هذه العيادة الوحيدة في مدينة الخمس فعدد سكانها يجعله مؤهلاً لكي تنشأ بها عيادة مجمعة وتقدم خدماتها الصحية لكافة السكان بال وحتى خارج ال وتم افتتاح هذه العيادة سنة 1978 حيث زودت بكافة التخصصات وتقدم خدماتها يومياً صباحاً ومساءاً، إلا أنها في الوقت الحاضر لا تقدم خدماتها إلا في بعض التخصصات وهي الباطنية والعيون والأسنان والجلدية والأنف والحنجرة والقلب ومن وقت لآخر يتم دعمها بتخصص أو أكثر بالتعاون مع مستشفى الخمس التعليمي وتقدم خدماتها مجاناً كما توجد بها صيدلية.

2- العيادة المجمعة ترهونة:– وتقع هذه العيادة بفرع ترهونة المركز على طريق الشرشارة بمسافة لا تتعدى (50م) باتجاه الجنوب الشرقي من المستشفى العام ترهونة وقد كانت هذه العيادة في البداية مستشفى تم افتتاحها سنة 1969 إلى أن تم افتتاح المستشفى العام الجديد سنة 1983 بعد ذلك تم تحويل المستشفى الأول إلى عيادة مجمعة تقدم هذه العيادة خدماتها في الفترة الصباحية فقط وتضم تخصصات الباطنية والنساء والأسنان والأطفال والمسالك وباقي التخصصات غير موجودة بالإضافة إلى أن العيادة تقوم بتوفير التطعيمات اللازمة وتوجد بها أيضاً صيدلية.

3- العيادة المجمعة الخضراء:– وتقع هذه العيادة أيضاً في ترهونة المركز الخضراء وتم إفتتاحها سنة 1989وتقدم خدماتها في الفترة الصباحية وتوجد بها تخصصات عيادة الباطنية وعيادة الأطفال وعيادة النساء وتقدم أيضاً التطعيمات اللازمة وتوجد صيدلية مرفقة بالعيادة.

الجدول (9)
التوزيع الجغرافي للعيادات المجمعة في المرقب 2010

ال	عدد العيادات بها	تاريخ الإنشاء
الخمس	1	1978
ترهونة	2	1980
مسلاته	–	–
قصر الأخيار	–	–
القرة بوللي	–	–
المجموع الكلي	3	

المصدر: من إعداد الباحثةاستنادا إلى الدراسة الميدانية 2010.

ثانياً: التوزيع العددي والنوعي للمؤسسات الصحية الخاصة في المرقب:
مقدمة:

بالإضافة إلى الخدمات الصحية الحكومية التي سبق تناولها، فإن فترة التسعينيات من القرن الماضي قد شهدت افتتاح العديد من المصحات والعيادات الخاصة في منطقة المرقب حيث يشكل هذا النوع من الخدمة الصحية الخاصة جزء من مجموعة خدمات صحية متكاملة.

وهي تعتبر موازية للخدمات الصحية التي تقدمها المؤسسات الصحية الحكومية العامة. وتساهم هذه الخدمات الصحية الخاصة بأنواعها المختلفة من مصحات وعيادات طبية ومختبرات وصيدليات بتوفير الرعاية الطبية للسكان وتخفف من العبء الذى تعاني منه الخدمات الصحية الحكومية إلا أن هذه الخدمة الطبية تقوم بتقديم خدماتها بالمقابل النقدي.

ويلاحظ من الجدول (10) أن إجمالي الخدمات أو المؤسسات الصحية الخاصة حسب نوعها في منطقة المرقب بلغ 4 مصحات إيوائية وعدد 31 عيادة طبية خاصة منها عدد 16 عيادة طبية عامة وعدد 15 عيادة طبية أسنان وعدد 92 صيدلية وعدد 13

مختبر للتحاليل الطبية المختلفة.

أ - التوزيع العام للمستشفيات (المصحات الإيوائية):

يوجد في منطقة المرقب حوالي 4 مستشفيات خاصة بها نشاط إيوائي وتعمل هذه المستشفيات بسعة سريرية قدرها 79 سرير ويتباين التوزيع الجغرافي لهذه المستشفيات في منطقة المرقب وتميل إلى التوطن داخل المناطق الحضرية حيث يلاحظ من البيانات الواردة بالجدول (10) التوزيع الجغرافي لهذه المستشفيات وعدد الأسرة بها. **ومنها يتضح ما يلي:**

1- أن حوالي 75% من هذه المستشفيات تتركز في مدينة الخمس. وذلك بسبب كون هذه المدينة من أهم مدن منطقة المرقب وتعتبر مركزها الإداري لذا تعتبر تركز هذه الخدمات الخاصة في هذه المدينة لقدرة هذه المدينة على تغطية تكاليف تشغيلها وارتفاع عوائدها ولتوطن شرائح سكانية معينة في هذه المدينة.

2- جاءت مدينة مسلاته كثاني مدينة تتركز فيها مثل هذه الخدمات بنسبة 25%.

ب - التوزيع العام للعيادات الطبية الخاصة:

يتباين التوزيع الجغرافي للعيادات الخاصة في المرقب وتمثل خدمات العيادات الخاصة أيضاً على التوطن داخل المراكز الحضرية وذلك لمرونتها الفائقة وارتفاع عوائدها وقدرتها على تغطية تكاليف تشغيلها من ناحية أخرى، كما تتزايد كفاءة أنواع معينة من الخدمات بتوطن شرائح معينة من السكان وتوطن خدمات خاصة بأسعار تتناسب مع هذه الدخول[1].

وتعرف العيادة على أنها: "عبارة عن أماكن مخصصة للكشف عن المرضى وعلاجهم دون أن يقيموا فيها غالباً، ويعمل بها طبيب واحد أو أكثر والخدمات المقدمة تكون عادة مدفوعة الأجر من قبل المريض"[2].

([1]) فتحي محمد مصلحي: جغرافية الخدمات الإطار النظري وتجار عربية، مطابع جامعة المنوفية، شبين الكوم، 2001، ص40-41.

([2]) محمود خليل الشاذلي وآخرون: طب المجتمع، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي للشرق الأوسط الكتاب الطبي الجامعي أكاديمياً، بيروت 1999، ص59- 60.

ومن خلال البيانات الواردة بالجدول (10) يلاحظ أن إجمالي عدد العيادات الخاصة في مستشفى المرقب يبلغ 31 عيادة طبية منها 15 عيادة عامة وعدد 16 عيادة أسنان عام 2009 وأيضاً تباين توزيع هذه العيادات في منطقة المرقب حيث نلاحظ من خلال البيانات التي في الجدول السابق أيضاً ما يلي:

1- جاءت مدينة الخمس في المركز الأول بعدد9 عيادات طبية من إجمالي العيادات الطبية في المرقب ومعظم هذه العيادات تقع في مركز مدينة الخمس حيث يتركز المرافق الإدارية والسكنية وبهذا فإن سكان هذه المدينة أكثر حظاً في هذا النوع من الخدمة وبالنسبة إلى نوع هذه العيادة يوجد بها عدد (2) عيادات طبية عامة وعدد 7 عيادات أسنان.

2- احتلت مدينة ترهونة المركز الثاني في عدد العيادات الطبية الخاصة وعددها (7) عيادات طبية وبنسبة من إجمالي العيادات الطبية الخاصة ومنها 3 عيادات أسنان وعدد 4 عيادات طبية عامة.

3- وأتت مدينة القرة بوللي في المركز الثالث بعدد 5 عيادات طبية منها 4عيادات عامة وعدد 1 عيادة أسنان.

4- وجاءت كلاً من مدينة مسلاته ومدينة قصر خيار في المركز الرابع بعدد (4) عيادات طبية لكل منها على حدة.

5- في حين جاءت مدينة سوق الخميس في المركز الأخير بعدد 2 عيادات طبية واحدة عامة وأخرى عيادة أسنان.

جـ - <u>التوزيع العام للصيدليات والمختبرات</u>:

تعتبر الصيدليات والمختبرات من المؤسسات الصحية المكملة حيث لها دور وأهمية كبيرة في الخدمات الصحية فالصيدلية تعد المرحلة الثانية بعد عملية الفحص والتشخيص وهي عملية صرف الدواء وهي مرحلة من مراحل الدورة العلاجية التي يقوم بها المريض.

أما الخدمات المختبرية فهي تعتبر أحد الوسائل التشخيصية ومن خلال الخارطة التي تتوزع فيها المستشفيات والعيادات الطبية الخاصة فإن هذه الخدمات المكملة تتركز

في هذه المناطق التي تتركز فيها المستشفيات والعيادات الطبية الخاصة وأيضاً تتواجد في الشوارع الرئيسية للمنطقة وخاصة بجوار المستشفيات الحكومية مثل مستشفى الخمس التعليمي بمدينة الخمس وكذلك في وسط المدن التي تتركز فيها التجمعات السكانية مثل الخمس ومدينة ترهونة وغيرها.

وأيضاً كما هو الحال للمختبرات حيث تتركز في المناطق المأهولة بالسكان وقرب المستشفيات والعيادات الخاصة.

ومن خلال البيانات الواردة بالجدول (10) تلاحظ أن عدد الصيدليات حوالي 92 صيدلية تتوزع بطريقة عشوائية وبلغ إجمالي عدد المختبرات في المرقب 13 مختبر عام 2010.

جدول (10)

التوزيع الجغرافي للمؤسسات الصحية الخاصة في المرقب 2010

ال	عدد المصحات%		عدد العيادات		مجموع جملة العيادات	الصيدليات%		عدد المختبرات	
	عدد	%	العامة	الأسنان		عدد	%	عدد	%
سوق الخميس	–	%	1	1	2	19	20.6	2	15.3
الحمس	3	75	2	7	9	19	20.6	5	38.4
ترهونة	–	–	4	3	7	19	20.6	3	23.0
مسلاته	1	25	3	1	4	13	14.1	3	23.0
قصر الأخبار	–	–	2	2	4	8	8.6	–	–
القره بوللي	–	–	4	1	5	9	9.7	–	–
المجموع الكلي	4	100	31= 15 +16			92	100	13	

المصدر: من تجميع الباحثة استنادا الي البيانات الواردة من اللجنة المنطقة العامة للصحة والبيئة، منطقة المرقب بيانات غير منشورة، 2010.

شكل (8)
التوزيع الجغرافي للعيادات الخاصة حسب المؤتمرات خلال عام 2010

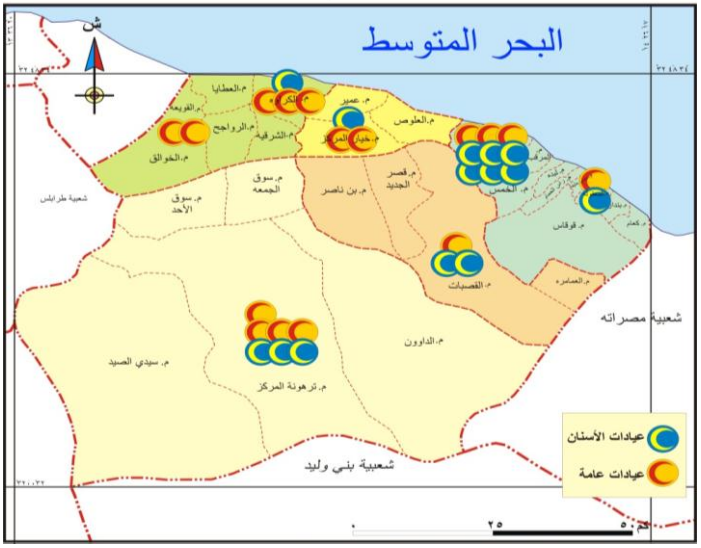

المصدر: من إعداد الباحتة استناداً إلى الجدول (10).

شكل (9) التوزيع الجغرافي للمختبرات حسب المؤتمرات خلال عام 2010

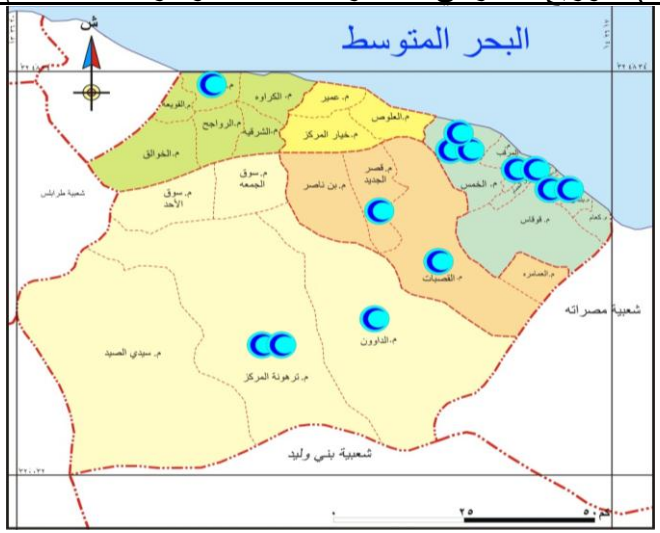

المصدر: من إعداد الباحتةاستناداً إلى الجدول (10).

نتائج البحث :

تبين من خلال دراسة التوزيع الجغرافي للخدمات الصحية في المرقب أن هناك نوع من العشوائية في توزيع هذه الخدمات ويمكن تلخيص ذلك في الآتي:

1- بلغت جملة الخدمات الصحية في المرقب بأنواعها المختلفة لعام 2010 حوالي 141 مؤسسة صحية تخدم ست مدن.

2- بلغ عدد المستشفيات الحكومية في المرقب 6 مستشفيات وعدد 2 عيادة مجمعة وعدد 54 مركز صحي وعدد 75 وحدة رعاية صحية وعدد 4 مرافق أخري تابعة للصحة.

3- بلغ عدد الأسرة في مستشفيات شعبة المرقب 864 سرير 32% منها من مستشفي الخمس التعليمي و23% توجد في مستشفي ترهونة وأيضاً 23% في مستشفي مسلاته وفي باقي المستشفيات بنسبة بلغت 6.9% في كل مستشفي على حده.

4- بلغ عدد الأطباء العاملين في مستشفيات المرقب 351 طبيب في مختلف التخصصات الطبية وعدد 504 ممرض وعدد 66 قابلة.

5- بلغ عدد الخدمات الصحية الخاصة 140 مؤسسة صحية منها عدد 4 مصحات أيوائية وعدد 15 عيادة أسنان وعدد 16 عيادة عامة وعدد 92 صيدلية خاصة وعدد 13 مختبر للتحاليل الطبية.

المراجـــــع

1- أبوعيانة، فتحي محمد، (دراسات في علم السكان، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
2-أبوزيد، عبدالمنعم علي: "جغرافية الخدمات التعليمية والصحية في محافظة الجيزة"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، 1994ز
3-إسماعيل، نجاة رضا: "جغرافية الخدمات الصحية بدولة الإمارات العربية المتحدة"، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، 1993.
1- أبوخرمة، سليمان: "التوزيع الأمثل للخدمات الصحية في الأردن"، دراسة مقارنة بين محافظة إقليم الشمال، دورية علمية، الجمعية الجغرافية الكويتية العدد 249، 2004.
2- أحمد السيد الزاملي، "الخدمات الصحية في محافظة الإحساء بالمملكة العربية السعودية"، دراسة في جغرافية الخدمات، سلسلة البحوث والدراسات العربية، القاهرة، العدد 66، 1997.
3- إدارة مستشفى الخمس التعليمي، بيانات المستشفى، بيانات غير منشورة، قسم الإحصاء، مدينة الخمس 2010.
4- إدارة مستشفى الداوون، التقرير الإحصائي السنوي عن نشاط المستشفى، بيانات غير منشورة، قسم الإحصاء، 2010.
5- إدارة مستشفى القره بوللي، بيانات عن نشاط المستشفى بيانات غير منشورة، قسم الإحصاء، 2010.
6- إدارة مستشفى ترهونة المركزي، بيانات عن نشاط المستشفى بيانات غير منشورة، قسم الإحصاء، 2010.
7- إدارة مستشفى سوق الخميس، التقرير الإحصائي السنوي عن نشاط المستشفى، بيانات غير منشورة، قسم الإحصاء، 2010.
8- إدارة مستشفى مسلاته، بيانات عن نشاط المستشفى بيانات غير منشورة، قسم الإحصاء، 2010.
9- التقرير الإحصائي السنوي عن نشاط كل مستشفى بالهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، بيانات غير منشورة، 2008-2009.
10- التقرير الإحصائي السنوي لقطاع الصحة والبيئة بمركز المعلومات والتوثيق، 2009.
11- الجهاز المركزي للتخطيط- تقرير الإحصاء السنوي 2010.
12- الخريطة التنموية للشعبيات، الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات غير مؤرخة.
13- الشاذلي، محمد خليل وآخرون: طب المجتمع، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي للشرق الأوسط، الكتاب الطبي الجامعي أكاديمية، بيروت، 1999.2006.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- Al-Gamdi. A.S., An Approach To Planning A Primary Health Care Delivery, System In Jeddah, Saudi Arabia, Ph.D., Dissertation , Michigan In State University. 1981 .
2- Drury, P., Some Spatial Aspects Of Health Service' Development The British Experience, Progress In Human Geography, No.8, 1983.

الاستعارة والمجاز في جزء تبارك "دراسة تحليلية بلاغية"

نورية عمران أبوناجي

المقدمة

الحمد لله معلم البيان، ومنزل القرآن، رب الإنس والجان والصلاة والسلام على أفضل مخلوق وأعظم إنسان.

وبعد:

فلغتنا العربية هي سيدة اللغات، وهي أجمل وأرقى وأعظم لغة في العالم على الإطلاق، فلا تجاريها أو تعادلها أي لغة أخرى في الدقة والروعة والجمال، فهي هويتنا، ولسان أمتنا هي لغة الأدب والعلم ولغة الحياة بكل معانيها.

وعلم البلاغة من أعلى العلوم قدراً وأرفعها منزلة وشرفاً، هو علم نضج ولم يحترق، ولذا فقد وجدت في نفسي رغبةً في أن أنال شرف الدراسة فيه، لأجلس على موائد العلماء وأجول في حدائق ورياض الأساتذة الفضلاء؛ لأقطف من ثمارهم الدانية، وأنهل من معينهم الفياض وأسهم –ولو بقطرة– في هذا البحر الزاخر باللآلي والجواهر الثمينة.

وإن ما ورد في القرآن الكريم من روعة الإعجاز والبيان كان اختياري لموضوع «الاستعارة والمجاز في جزء تبارك» فهي دراسة لإحدى مباحث الإعجاز القرآني وقد تضمنت الدراسة أربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: الاستعارة تعريفها، أنواعها.

المبحث الثاني: شواهد الاستعارة في جزء تبارك.

المبحث الثالث: المجاز تعريفه، أنواعه.

المبحث الرابع: شواهد المجاز في جزء تبارك.

هذا وإن أهم ما دفعني إلى هذه الدراسة ما يأتي:

1- إن القرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي سيظل يمنح الإنسانية من علومه ومعارفه

وأسراره، لذلك عزمت على دراسته إظهاراً لبلاغته، واستكشافاً لإعجازه.

2- اللغة العربية من أسمى اللغات، وبخاصة البلاغة، فهي من أجلّ العلوم. وأعظمها شأناً لتعلقها بقضية الإعجاز في القرآن الكريم.

3- رغبتي الشديدة في دراسة هذا الفن البلاغي وبخاصة في كتاب الله فاخترت جزء تبارك لدراسة الاستعارة والمجاز لأنه دراستي للقرآن كله أمر عسير مهما أوتيت من قوة ولأن البحث محدود بصفحات قليلة.

وأخيراً: هذا ما استطعت أن أصل إليه، ولا أدعي الكمال فالكمال لله وحده، فما وفقت فيه فهو من الله وحده، وما أخطأت فمن نفسي، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: الاستعارة، تعريفها، أنواعها:

الاستعارة:

هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي فهي تشبيه حذف أحد طرفيه، ووجه شبهه وأداته، ولذلك فهي أبلغ منه.[1]

كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2]، فاستعير لفظ الظلمات للظلال، لتشابههما في عدم الاهتداء، واستعير النور للإيمان لتشابههما في الهداية، فجمعت الظلمات لأن طرق الضلال كثيرة، وأفرد النور تنبيهاً إلى أن طريق الإيمان واحد.[3]

والقرينة «حالية» فالنبي لم يخرج الناس من ظلمات حقيقية إلى نور حقيقي وإنما شبه الضلال بالظلمات والهدى بالنور.

---

[1] ينظر جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص303.

[2] سورة إبراهيم من الآية: (1)

[3] ينظر البيان في ضوء أساليب القرآن، عبدالفتاح لاشين 162.

وأركان الاستعارة ثلاثة:

مستعار منه وهو المشبه به، ومستعار له وهو المشبه ويقال لهما الطرفان ومستعار وهو اللفظ المنقول، وكل مجاز يبنى على التشبيه يسمى استعارة.

والاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها تنقسم إلى تصريحية ومكنية فالتصريحية: «هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي».[1]

كما في قوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾[2] فاستعير لفظ الصراط المستقيم للدين الحق لتشابههما لأن كلاً منهما يوصل للقلوب، فالله سبحانه لا يهدي للطريق الحسن وإنما المراد الهداية إلى دين الحق على التشبيه والقرينة حالية فشبه الدين الحق بالطريق المستقيم بجامع الهداية في كل واستعير المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية.

والمكنية: هي ما حذف فيها المشبه به أو المستعار منه ورمز له بشيء من لوازمه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[3] فوصف الغضب بالسكوت على المجاز فقد شبه الغضب بإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو السكوت، وإسناد السكوت للغضب قرينة الاستعارة.

والاستعارة التصريحية تنقسم على أصلية وتبعية فالأصلية كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[4] ومعنى الآية لو أن لي بكم قوة لفعلت بكم، أو لوقويت عليكم بنفسي أو آويت إلى قوي أستند إليه فيحميني منكم، فأصل الأركان

---

[1] المصدر السابق، 163.

[2] سورة الفاتحة الآية (5-6)

[3] سورة الأعراف (154).

[4] سورة هود الآية (79).

للبنيان، فشبه المعين بالركن في القوة، فاستعير المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.[1]

والتبعية كما في قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[2]

فحقيقة الكلام: أمن كان ضالاً فهديناه، لكن الأسلوب القرآني عدل عن لفظ «ضالاً» إلى «ميتاً» ولفظ «ميت» في الآية أبلغ من الحقيقة إذ تصور الضال بالميت، أقوى في التأثير، وأبلغ في البيان، شبهت الهداية بالإحياء، بجامع ترتب المنافع في كل واستعير المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الإحياء «أحيا» بمعنى «هدى» على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة حالية يدل عليها سياق الآية، فليس المراد من «أحييناه» أوجدنا فيه الحياة، بل المراد هديناه.

كما تنقسم الاستعارة إلى التهكمية والمرشحة والمجردة والمطلقة ولايسعنا المجال للتفصيل في كل هذه الأنواع.

أما الاستعارة التمثيلية: فهي تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي، فالمشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد، وسميت تمثيلية للإشارة إلى عظم شأنها فالإستعارة التمثيلية مبنية على تشبيه التمثيل[3] كقوله تعالى: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾[4]

حقيقة الكلام: تركوا الميثاق وأهملوه، ولكن «نبذوه وراء ظهورهم» أبلغ لما فيه من الطرح والرمي الذي يدل على الإهمال والاحتقار ففيها استعارة فقد شبه هيئة من أخذ

---

[1] البيان في ضوء أساليب القرآن- عبدالفتاح لاشين (165).

[2] سورة الأنعام من الآية (123)

[3] ينظر جواهر البلاغة ص 333.

[4] سورة آل عمران الآية (187).

عليهم الميثاق فأهملوه ولم يعتدوا به بهيئة من بيده شيء حقير فطرحه وراء ظهره والجامع بينهما وجود شيء يهمل احتقاراً لشأنه.

المبحث الثاني: شواهد الاستعارة في جزء تبارك:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[1] اللام للقسم (وقد) للتحقيق قال المفسرون: سميت الكواكب مصابيح لإضاءتها بالليل إضاءة السراج، والمعنى والله لقد زينا السماء القريبة منكم أيها الناس بكواكب مضيئة ساطعة هي السماء الأولى أقرب السموات إلى الأرض.[2] ففي الآية استعارة تصريحية أصلية لأن الناس يزينون مساجدهم بإثقاب المصابيح، ولكنها مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة فشبه النحوم والكواكب بمصابيح وحذف المشبه وأبقى المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[3] أي تكاد جهنم تنفصل وينقطع بعضها من شدة غيظها على أعداد الله، ففي الآية استعارة مكنية تبعية فشبه جهنم في لهيبها وشدة غليانها بإنسان شديد الغيظ يكاد ينقطع، فحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الغيظ الشديد بطريق الاستعارة المكنية.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4] والمعنى أي هل من يمشي منكساً رأيه يتخبط لا يرى طريقه كالأعمى الذي يتعثر كل ساعة فيخر لوجهه هل هذا أهدى أم من يمشي منتصب القامة لا يتعثر لأنه يسير على طريق واضح فالكافر كالأعمى الماشي على غير هدى وبصيرة والمؤمن كالرجل السوي الصحيح الماشي على طريق مستقيم،[5] ففي الآية استعارة تمثيلية حيث

---

[1] سورة الملك من الآية (5).

[2] ينظر صفوة التفاسير – على الصابوني 393/2.

[3] سورة الملك الآية (8).

[4] سورة الملك الآية (22).

[5] بنظر صفوة التفاسير، 396/3.

مثل هيئة الكافر بالأعمى لا يهتدي إلى الطريق، والمؤمن يمشي سوياً على صراط مستقيم على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾[1] أي سنجعل له علامة على أنفه يعرف بها إلى موته، وتشبيه أنف الإنسان بالخرطوم غاية في المهانة والإذلال والاستعارة الفائقة هي استعارة الخرطوم للأنف لأن أصل الخرطوم للفيل، واستعارته لأنف الإنسان غاية في الاستهزاء والاستخفاف.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[2] أي تجاوز حده في الارتفاع والعلو حملناكم في الجارية أي سفينة نوح لأنها كانت تجري بهم في ماء الطوفان، ففي الآية استعارة تمثيلية وهي من باب استعارة المعقول للمحسوس للاشتراك في أمر معقول، فالمستعار الطغي وهو الاستغلال المنكر، المستعار منه كل مستعملٍ متكبر متجبر والمستعار له الماء، والطغي معقول، والماء محسوس، والمستعار منه محسوس فشبه هيئة الطغيان الذي هو من صفات الإنسان بهيئة ارتفاع الماء وكثرته على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[3] فالمعنى خلقكم وأنشأكم من الأرض كما يخرج النبات وسلكم من تراب الأرض كما يُسل النبات منها[4]، ففي الآية استعارة تصريحية لأنه شبههم بالنبات، ثم استعار الإنبات للإنشاء، شبه إنشاءهم وخلقهم في اطوار بالنبات، الذي يخرج من الأرض واشتق أنبتكم من لفظ النبات على طريق الاستعارة التبعية.

---

[1] سورة القلم الآية (16).

[2] سورة الحاقة الآية (10).

[3] سورة نوح الآية (17).

[4] ينتظر تفسير العشر الأخير من القرآن الكريم ت/ مجموعة من العلماء ص30.

وقوله تعالى: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[1] أي أصنافاً متفرقة ومذاهب شتى وجماعات مختلفة.[2] وهي من الاستعارات اللطيفة حيث استعيرت الطرائق للمذاهب المختلفة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾[3] والمعنى تعالت عظمة ربنا وجلاله، استعارة تصريحية، وهي استعارة من الحظ الذي هو البخت؛ لأن الأغنياء هم المجدودون، والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته واستغنائه.[4]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾[5] أي تصرفاً في حوائجك، فلك في النهار تصرفاً وتقلباً واشتغالاً طويلاً في شؤونك[6]، ففي الآية استعارة تصريحية في (سبحاً) مصدر سبح واستعير من السباحة في الماء للتصرف في مناحي العيش، أي لك في النهار تصرفاً وتقلباً في المهمات كما يتردد السابح في الماء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[7] أي أنفقوا في سبيل الخير من أموالكم إنفاقاً على الأهل وفي الجهاد والزكاة المفروضة ففي الآية استعارة تبعية فشبه الإحسان إلى الفقراء والمساكين بإقراض رب العالمين.

وقوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾[8] أي التفت ساقه بساقه عند نزول الموت الموت به فماتت رجلاه ويبست ساقاه ففي الآية الكريمة استعارة تمثيلية لشدة كرب الدنيا في آخر يوم منها، وشدة كرب الآخرة في أول يوم منها، لأنهما يومان قد التفا ببعضهما،

---

[1] سورة الجن من الآية (11)

[2] المصدر السابق ص33.

[3] سورة الجن من الآية (3).

[4] ينظر إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش 91/8.

[5] سورة المزمل الآية (7).

[6] ينظر صفوة التفاسير 442/3.

[7] سورة المزمل من الآية (20).

[8] سورة القيامة الآية (28).

واختلطا بالكرب كما تلتف الساق بالساق، فمثلت هيئة كرب الدنيا والآخرة بالتفاف الساق بالساق.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾[1] والمعنى إن هؤلاء المشركين يفضلون الدنيا على الآخرة ويتركون يوماً عسيراً عظيم الأهوال وهو يوم القيامة ففي الآية استعارة تصريحية، فاستعير الثقل لشدة ذلك اليوم وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله.

المبحث الثالث: المجاز وأنواعه:

المجاز: ينقسم إلى نوعين:

1- مجاز مرسل 2- مجاز عقلي.

أولاً: المجاز المرسل: هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.[2]

وله علاقات كثيرة أهمها:

1- **السببية:** هي أن يكون اللفظ المذكور سبباً في المعنى المراد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[3] فالمراد باليد: القدرة، إذ هي سبب فيها.

2- **المسببية:** أن يكون اللفظ المذكور مسبباً عن المعنى المراد كقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاء رِزْقًا﴾[4] أي مطراً يسبب الرزق.

3- **الكلية:** هي كون الشيء متضمناً للمقصود ولغيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ الكل، وأريد منه الجزء نحو ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾[1] أي أناملهم، والقرينة حالية وهي استحالة إدخال الأصبع كله في الأذن.

---

[1] سورة الإنسان الآية (27).

[2] جواهر البلاغة ص292.

[3] سورة الفتح من الآية (10).

[4] سورة غافر من الآية (12).

4- **الجزئية:** وهي كون المذكور ضمن شيء آخر، وذلك فيما إذا ذكر الجزء وأريد الكل مثل قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[2] فالمراد من الرقبة (العبد) واختيرت الرقبة لأنها موضع القيد.

5- **اعتبار ما يكون:** هو تسمية الشيء بما يصير إليه. كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3] أي الضالين سماهم متقين تسمية بما يصير إليه أمرهم مستقبلاً.

6- **اعتبار ماكان:** وهو تسمية الشيء بما كان عليه كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾[4] سماه مجرماً نظراً لما كان عليه حال الحياة من الإجرام.

7- **المحلية:** وهي تسمية الشيء باسم محله، كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾[5] أي أهل القرية لأنها جماد لا يُسأل وإنما هي مكان لمن يُسأل.

8- **الحالية:** هي تسمية الشيء باسم الحالة فيه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[6] فالمراد من النعيم الجنة، ومن الجحيم النار.

9- **الآلية:** وهي إطلاق اسم الآلة ويراد الأثر الناتج عنه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[7] أطلق اللسان وأراد اللغة إذ اللسان آلتها.

10- **الاشتقاق:** كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[1] ورد التعبير بلفظ (كُره) بدلاً من مكروه وفي هذا بيان لأثر القتال وشدة وطأته على النفوس.

---

[1] سورة البقرة من الآية (18).

[2] سورة النساء من الآية: (91)

[3] سورة البقرة الآية (2).

[4] سورة طه الآية (7).

[5] سورة يوسف من الآية (82).

[6] سورة الانفطار الآية (13-14).

[7] سورة إبراهيم من الآية (5).

11-**المجاورة:** كون الشيء بدلاً عن شيء آخر نحو كلمة الجدار والعمود، أي الجالس بحوارهما.

وهناك علاقات أخرى لا يسمح المقام بالتفصيل فيها كاللازمية، والملزومية، والعموم، والتقييد، والخصوص والبدلية، والمبدلية، وصيغ التعلق الاشتقاقي وإنما ذكرت المتداولة دائماً لأهميتها.

ثانياً: المجاز العقلي:

هو إسناد الفعل أو ما في معناه (من اسم الفاعل، أو أسم المفعول، أو المصدر) إلى غير ما هو له في الظاهر من المتكلم لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي.[2]

وأشهر علاقاته:

1- الإسناد إلى الزمان.
2- الإسناد إلى المكان.
3- الإسناد إلى السبب.
4- الإسناد إلى المصدر.
5- إسناد ما بنى للفاعل إلى المفعول.
6- إسناد ما بنى للمفعول إلى الفاعل.

المبحث الرابع: شواهد المجاز في جزء تبارك:

المجاز: من أحسن الوسائل البيانية في إيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفاً بصفة حسية، ولما فيه من الدقة في التعبير، فيحصل للنفس به سرور، ولهذا كثر في كلام العرب.

ومن شواهد المجاز في جزء تبارك:

---

[1] سورة البقرة من الآية (214).

[2] ينظر جواهر البلاغة. ص296.

قولـه تعـالى: ﴿وَأُمْلِـي لَهُـمْ إِنَّ كَيْـدِي مَتِينٌ﴾[1] أي أمهلهـم وأطيـل فـي أعمـارهم ليزدادوا إثماً إن انتقامي من الكافرين شديد[2] ففي الآية مجاز مرسل، فقد سمى إمهاله إيهاهم ومرادفة النعم والآلاء عليهم كيداً لأنه سبب التورط.

وقوله تعالى: ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[3] أي لطرح في الفضاء الواسع الخالي من الجبال والأشجار ففي الآية مجاز مرسل لأن اللوم في الحقيقة سبب للذم، فالعلاقة سببية.

وقولـه تعـالى: ﴿وَثَمَانِيَـةَ أَيَّـامٍ حُسُومًا﴾[4] أي أن الله سلط عليهم ريح متتابعة لا تفتر ولا تنقطع سبع ليال وثمانية أيام، ففي الآية مجاز مرسل من استعمال المقيد: وهو الحسم الذي هو تتابع الكى لمطلق التتابع.

وقوله تعالى: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾[5] تنادي جهنم وتهتف بمن كذب الرحمٰن وأعرض عن الإيمان، ففي الآية الكريمة مجاز عقلي عن إحضارهم كأنهم تدعوهم فتحضيرهم.

وقولـه تعـالى: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِـي آذَانِهِمْ﴾[6] أي سدوا آذانهم كي لا يسمعوا دعوتي (أصابعهم) موضع المجاز في الآية الكريمة وأطلقت وأريد أناملها، فالإنسان لا يستطيع أن يضع أصبعه كله في أذنه، وهو من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء وهو مجاز مرسل علاقته الكلية والغرض منه هنا هو المبالغة في الإصرار على عدم سماع الحق بدليل وضع أصابعهم في آذانهم.

---

[1] سورة القلم الآية (45).

[2] ينظر صفوة التفاسير 406/3.

[3] سورة القلم الآية (49).

[4] سورة الحاقة من الآية (6).

[5] سورة المعارج الآية (17).

[6] سورة نوح من آية (7).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[1] إنك إن أبقيت منهم أحداً أضلوا عبادك عن طريق الهدى ولا يأتي من أصلابهم إلا كل فاجر كفار فكلمتي (فاجراً كفاراً) مجازان لأن المولود حينما يولد لا يكون فاجراً ولا كفاراً ولكنه يكون ذلك بعد الطفولة فإطلاق المولود الفاجر الكفار وإرادة الرجل الفاجر الكفار مجاز مرسل علاقته (اعتبار ما يكون)[2].

وقوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[3] أي ينزل المطر عليكم غزيراً متتابعاً ففي الآية مجاز مرسل علاقته (المحلية) فقد أراد بالسماء المطر، لأن المطر ينزل منها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء﴾[4] أي طلبنا بلوغ السماء فهي مجاز مرسل فالمس هو اللمس، واللامس هو طالب متعرف.

وقوله تعالى: ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[5] أي فصلوا ما تيسر لكم من صلاة صلاة الليل وعبر بالصلاة عن القراءة لأن القراءة أحد أجزاء الصلاة، فالمجاز المرسل في ما تيسر من القرآن أراد به الصلاة فأطلق اسم الجزء على الكل.

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[6] وصف ما يكون يوم القيامة من انقسام الخلق إلى فريقين أبرار وفجار فوجوه أهل السعادة يوم القيامة مشرقة ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾[7] أي وجوه الأشقياء أهل الجحيم عابسة كالحة فالمجاز المرسل ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ عبر بالوجه عن الكل فهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل.

---

[1] سورة نوح من الآية (7)

[2] ينظر علم البيان. عبدالعزيز عتيق ص123.

[3] سورة نوح الآية (11).

[4] سورة الجن من الآية (8).

[5] سورة المزمل الآية (20).

[6] سورة القيامة الآية (21).

[7] سورة القيامة الآية (23).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[1] أي تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وتنقبض فيه العيون،[2] ففي الآية مجاز عقلي في قوله (يوماً عبوساً) إسناد العبوس إلى اليوم من إسناد الشيء إلى زمانه كنهاره صائم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[3] أي الذين الذين خافوا ربهم واتقوا عذابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه هم يوم القيامة في دار الخلد يتنعمون في ظلال الأشجار الوارقة وعيون المياه الجارية والفواكه الكثيرة المتنوعة مما يستلذون، ففي الآية الكريمة مجاز مرسل علاقته المحلية وهي الجنة، لأن الضلال تمتد، والعيون تجري، والفواكه تنضج فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾[4] أي إذا قيل لهؤلاء المشركين صلوا لله واخشعوا في صلاتكم لعظمته وجلاله لا يخشعون بل يصرون على استكبارهم ففي الآية مجاز مرسل، أطلق الركوع وأراد به الصلاة فهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل أي إذا قيل لهم صلوا لا يصلون.

الخاتمة

الحمد لله على مزيد فضله ونعمه التي لا تحصى على ما أسبغ به علينا من فيض رحمته، والصلاة والسلام على أنبل خلقه ذي الخلق العظيم وسراج العالمين، محمد بن عبدالله الصادق الأمين وبعد:

هذه خاتمة الجهد، الذي أرجوا أن يرى النور في كمال لهذه الدراسة التي عنونتها بـ((الاستعارة والمجاز في جزء تبارك)) موجزة ختمها:

1- أسلوبي الاستعارة والمجاز من أكثر أساليب البيان دلالة على عقل الأديب وقدرته على الخلق والإبداع.

---

[1] سورة الإنسان الآية (10).

[2] ينظر تفسير العشر الأخير من القرآن الكريم ص40.

[3] سورة المرسلات الآية (41) (42).

[4] سورة المرسلات الآية (48).

2- الاستعارة ميدان واسع تتبارى فيه قرائح الأدباء فالتراكيب المشتملة على الاستعارة بليغة لأنه كلما كانت داعية إلى التحليق في سماء الخيال كان وقعها في النفس أشد.

3- المجاز من أحسن الوسائل البيانية إيضاحاً، فبه يخرج المعنى متصفاً بصفة حسية.

4- نلحظ أن الأساس النفسي للمجاز المرسل هو تداعي المعاني إذ أن هذا المجاز يسوغه التلازم الذهني.

والله الموفق.

فهرس المصادر والمراجع.

القرآن الكريم: رواية قالون عن نافع.

1- إعراب القرآن وبيانه – محي الدين درويش، دار اليمامة، دار ابن كثير، دمشق – بيروت – الطبعة الثامنة .2001

2- البيان في ضوء أساليب القرآن – عبدالفتاح لاشين. دار المعارف – مصر- الطبعة الثانية1985.

3- تفسير العشر الأخير من القرآن الكريم – مجموعة من العلماء، ط. 17 السابعة عشر.

4- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة الثانية عشر.

5- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الفكر – بيروت، .2001

6- علم البيان- عبدالعزيز عتيق- دار الآفاق العربية 2004.

قراءة في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق النفسي والاجتماعي

أ.هيفاء مصطفى اقنيبر

مقدمـــة:

تعتبر الأسرة البنية الأساسية والهامة في المجتمع وتعد من أكثر النظم الاجتماعية تمثلا وتمثيلا لما يدور من تحولات أي كان هذا المجتمع، وهي المؤسسة الأولي التي ينمو فيها الفرد ويكتسب من خلالها التأثيرات الأولي في حياته، وهي تمده بالرعاية منذ لحظة الميلاد وتستمر في رعايته سنوات طويلة، فهي الوكالة الأولي المسئولة عن عملية التنشئة الاجتماعية للفرد (تلك العملية التي يتحول من خلالها الفرد من كائن عضوي بيولوجي حيواني السلوك إلي شخص أدمي وبشري التصرف في محيط أفراد آخرين من البشر يتفاعلون بعضهم مع بعض ويتعاملون علي أسس مشتركة من القيم التي تبلور طرائقهم في الحياة).

فالأسرة هي الجماعة الأولية التي يتعلم ويمارس فيها الفرد أولي علاقاته الإنسانية وهي أولي مؤسسات التطبيع الاجتماعي التي تدربه علي كيفية التفاعل الاجتماعي مع الآخرين وتنمي اتجاهاته العاطفية والانفعالية نحوهم، كما أنه لا يمكن الاستعاضة عنها بوسائط التربية الأخرى، فهي توقظ في الفرد العواطف الأسرية اللازمة للحياة الاجتماعية. (الحويج، 2005: 3).

للتوافق أهمية كبيرة في السير الطبيعي لحياة الأفراد، والجماعات في أي مجتمع، ذلك لان ظهور أفراد غير متوافقين في جماعة معينة، قد يقف حجر عثرة أمام بلوغ الأهداف التي ينشدها المجتمع، كما أن الشخصية القادرة علي التصرف في مواقف الحياة المختلفة، تصبح ذات قيمة وفاعلية للمجتمع الذي يعيش فيه.

لذا يهتم المجتمع اهتماما بالغا لتحقيق السعادة والتوافق لأفراده، ولذلك نجد الفرد نفسه يقوم بمحاولات مستمرة ومتجددة ملتمسا فيها طريق التوافق، أملاً في تحقيق صحته النفسية والاجتماعية.

مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة هذه الدراسة في إطارها النظري وهو الكشف عن علاقة طرائق التنشئة الاجتماعية الأسرية بمدى الإسهام في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي ونظراً إلى أن الأسرة تتحمل مع المؤسسات التربوية الحكومية والأهلية مسؤولية كبيرة في تنشئة الشباب وتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي لديهم, وبالتالي إعدادهم وتأهيلهم للانخراط في الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية فإن هذه الدراسة تسلط الضوء على التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق النفسي والاجتماعي كما وردت بالأدبيات السابقة ونقد بعض النظريات ذات الصلة بهذا الموضوع

أهداف البحث:

1- معرفة مدى تأثير التنشئة الاجتماعية في إحداث سوء التوافق النفسي والاجتماعي بين أفراد الأسرة من خلال الأدبيات السابقة.

2- تبيان الأساليب الصحيحة التي ينبغي أن تعتمد في عملية التنشئة الاجتماعية من قبل المربين والتي من شأنها أن تترك نتائج علي الصحة النفسية للأبناء وتحقق لهم التوافق الاجتماعي. حسب ما توصلت إليه أحدث الدراسات.

3- معرفة مدي انتشار مظاهر سوء التوافق النفسي والاجتماعي لدي بعض الأبناء.

أهمية البحث:

أولاً: الأهمية النظرية:

1- القيمة المرجعية، إغناء المكتبة النفسية والتربوية بمثل هذه القضايا.

2- الإسهام بتوضيح بعض الغموض حول قضية التنشئة الاجتماعية.

3- قد تسهم هذه الدراسة في سد الثغرات العلمية وهي الجمع بين ثلاث متغيرات، (تنشئة + توافق نفسي + توافق اجتماعي) نادرة دراسة في الأدبيات السابقة.

ثانياً: الأهمية التطبيقية:

لهذه الدراسة أهمية تطبيقية في المجالات الآتية:

1- يمكن لأولياء الأمور الاستعانة بهذه الدراسة من إطارها النظري ونتائجها.

2- كما يمكن استخدام هذه الدراسة بالاستعانة بها في رياض الأطفال ودور الحضانة.

3- قد تسهم هذه الورقة في برامج التنمية البشرية.

4- توفر هذه الدراسة مرجعاً علماً في مادة التوجيه والإرشاد البيئي.

مفاهيم البحث:

1 – التنشئة الاجتماعية:

يقصد بالتنشئة الاجتماعية عملية تلقين الفرد قيم ومفاهيم وثقافة مجتمعه الذي يعيش فيه، كما أنها تتضمن التفاعل القائم بين الفرد وأسرته أو مجتمعه، بحيث يصبح متدرباً على أداء مجموعة أدوار تحدد نمط سلوكه اليومي .وقد عُرفت التنشئة الاجتماعية بأنها "إعداد الفرد لأن يكون كائناً اجتماعياً وعضواً في مجتمع معين والأسرة هي أول بيئة تتولى هذا الإعداد، ولها شأن لا تعادلها فيه بيئة أخرى. والتنشئة الاجتماعية عملية دينامية مستمرة، تبدأ منذ ولادة الفرد، وتستمر حتى مماته. والتثقيف الاجتماعي صورة من صور التنشئة الاجتماعية" (الأخرس، 2001: 504).

هي العملية التي يتحول من خلالها الفرد بل بواسطتها من كائن بيولوجي إلي فرد اجتماعي. (اميمن 2007: 447)

2 – أساليب المعاملة الوالدية:

تتعدد المعاملة الوالدية مع الأبناء فمنها ما يميل إلى التدليل ومنها ما يميل إلى التشجيع ولكنها في مجملها تعني: الإجراءات والأساليب التي يتبعها الوالدان في تطبيع وتنشئة أبنائهم اجتماعيا, أي تحويلهم من مجرد أطفال عشوائيو السلوك إلى أطفال صالحين في المجتمع الذي يعيشون فيه.

4 – تعريف التوافق:

هو مجموعة الطاقات والاستعدادات النفسية والعقلية والاجتماعية والروحية والمادية

والسلوكية والمعرفية التي تساعد الفرد علي التغلب علي متطلبات والضغوط الحياتية المتعددة. (القدافي 1998: 109)

5 – التوافق الاجتماعي:

هو أحد العمليات الدينامية الاجتماعية التي تعنى بتفعيل التوافق والانسجام بين أفراد المجتمع، فرد مع جماعة، وجماعة مع جماعة أخرى بقصد تقليل الصراع واستعادة التفاعل السلمي بين جماعات متنافسة أو عدائية. (الباحثة)

6 – التوافق النفسي:

هو عملية دينامية تتناول سلوك الفرد والبيئة (الطبيعية والاجتماعية) بالتغير والتعديل حتي يحدث توازن بين الفرد وبيئته الاجتماعية، وهذا التوازن يتضمن إشباع حاجات الفرد والمجتمع وتحقيق متطلبات كل منهما. (زهران 2001)

منهجية البحث:

هذا البحث من ضمن البحوث المكتبية التي تعتمد على الأدبيات السابقة المتوفرة في بيئة الباحث كالمكتبات والدوريات، ورسائل البحوث، ووسائل الاتصالات الإلكترونية: من مجلات وكتب إلكترونية، ومقالات، وملخصات بحوث.

المنهج المستخدم:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي كمنهج مناسب لتحقيق أهداف هذا البحث.

أدوات البحث:

كتب، مجلات، مقالات من النت، ملخصات بحوث من المكتبات وشبكة المعلومات الدولية.

حدود البحث:

المكانية، والزمانية، والبشرية أو المادية.

1) الحدود المكانية: أجري هذ البحث بقسم التربية وعلم النفس بكلية الآداب الخمس.

2) الحدود الزمانية: في الفترة من شهر "10" إلى شهر "12"، 2016م.

3) الحدود البشرية: في حدود اطلاع الباحثة قد كانت عينات الدراسة التي اطلعت عليها الباحثة أعمارهم تتراوح ما بين 12 – 16 سنة، منهم ذكور وإناث، مستواهم التعليمي: ابتدائي، ثانوي.

مفهوم التنشئة الاجتماعية:

هي العملية القائمة علي التفاعل الاجتماعي التي يكتسب فيها الطفل أساليب ومعايير السلوك والقيم المتعارف عليها في جماعته، بحيث يستطيع أن يعيش فيها، ويتعامل مع أعضائها بقدر مناسب من التناسق والنجاح (أميمن 2007:447), ووفقا لذلك تعتبر التنشئة الاجتماعية الوسيلة التي يتم بواسطتها إعداد الأطفال وتعويدهم علي قواعد التصرف والسلوك داخل المجتمع؛ فالتنشئة الاجتماعية تكسب الطفل الشخصية الاجتماعية، وتحدد له الملامح العامة لمستقبله، وهي كما عرفها (بيتر أوماري) بأنها عملية مستمرة ومتصلة، والتي بواسطتها ينشأ الطفل تنشئة اجتماعية سليمة تمكنه من الحياة وسط جماعته (قدور 2001: 277–278), والتنشئة الاجتماعية تعبر عن تلك العمليات التربوية المبكرة للمولود الجديد فيتحول من مجرد كائن حي إنسان إلي عضو في جماعة ومجتمع يستطيع أن يفهم ذاته ويحدد علاقاته مع الآخرين؛ فنجاح عملية التنشئة الاجتماعية في إعداد الأجيال الجديدة وتزويدهم بالأفكار والمعلومات وتعليمهم لغة التخاطب والتفاهم التي تساعد علي الاندماج في المجتمع تعد من الأمور التي تسهل عملية الاتصال بين الأفراد بحسب ما تمليه عليهم ظروف الحياة وما أعدو له من خلال عملية التنشئة الاجتماعية (الدويبي 2006:31).

التنشئة الاجتماعية من الأسرة إلى المجتمع:

وظائف الأسرة كحاضنة اجتماعية:

تختلف وظائف الأسرة باختلاف بنائها، حيث يؤكد الكثير من المفكرين أن وظائف الأسرة

قديما تختلف عن وظائف الأسرة المعاصرة، ويرجع فقدان الأسرة المعاصرة لمعظم وظائفها للتقدم التكنولوجي، وتعقد الحياة الاجتماعية, وتشابك أنشطة الجماعات، ومن هنا ظهرت بعض المؤسسات التي أنشأها المجتمع للقيام بهذه الوظائف ومن هنا فإن الوظائف التي كانت تقوم بها الأسرة التقليدية تختلف عن التي أصبحت تقوم بها الأسرة المعاصرة، حيث يذهب **أرنست برجس** "أن الأسرة المعاصرة باعتبارها وحدة لتفاعل الشخصيات، إذ أن التعاطف بين الزوجين وتنمية شخصية الطفل هو محور حياة الأسرة المعاصرة" (فادية عمر الجولاني: 1995، ص17) وهناك شبه إجماع بين علماء الاجتماع على أن الأسرة المعاصرة تقوم بعدد من الوظائف والمتمثلة في:

- **الوظيفة العاطفية:** وهي التفاعل المتعمق بين جميع أفراد الأسرة في المشاعر العاطفية حيث تعتبر المجال الوحيد الذي يمارس فيه الفرد عواطف الأبوة والأمومة والأخوة.
- **الوظيفة الحضارية:** فالأسرة تؤكد الاستمرار الحضاري من خلال نقل ثقافة المجتمع لأعضاء، وبالتالي تجنب اقتراف السلوكيات غير اجتماعية ذات التأثيرات الضارة والتي لا تتناسب مع قيم المجتمع الحضارية (خيري خليل الجميلي، بدر الدين عبده، 1997 : 25), ومن هنا يجب أن ترتبط حياة الأفراد داخل الأسرة وتتماشى مع الظروف المجتمعية المتطورة، أي يجب أن تساير التغير الاجتماعي.
- **الوظيفة الاقتصادية:** "الأسرة في المجتمعات المعاصرة أصبحت وحدة مستهلكة، نظرا لأن المجتمع أوجد منظمات جديدة تقوم بعمليات الإنتاج الآلي وتوفير السلع والخدمات وبأسعار أقل نسبيا" (أحمد يحي عبد الحميد، 1998: 20) فبعد أن كانت الأسرة في المجتمعات التقليدية وحدة إنتاجية لكل مستلزماتها، ونتيجة للتغير الاجتماعي وحدوث التطور التكنولوجي والتعقد الثقافي، فقد هيأ المجتمع مؤسسات جديدة تقوم بدور الإنتاج, ومن هنا أصبح دور الأسرة دور استهلاكي أكثر منه إنتاجية.
- **حفظ النوع البشري:** تهتم الأسرة بحفظ النوع البشري من خلال اتصال جنسي مشروع يستلزم تصديق المجتمع وقبوله، وذلك وفقا لقواعد تمثل في جملتها تنظيمات اجتماعية تتحكم فيها العادات والتقاليد المجتمعية (سناء الخولي, 1995: 73).

◆ **إعالة الأفراد وتربيتهم:** فالأسرة تقوم برعاية الطفل والمحافظة عليه من خلال إكسابه العادات والمعتقدات والخبرات اللازمة له، وتنمية الشعور بالانتماء الأسري والاجتماعي وتكوين شخصيته، كما تقوم بتوفير الاشباع النفسي للأفراد بتوفير علاقات الاهتمام والتكافل لأفرادها، والأمن النفسي، لخلق إنسان متزن ومستقر، يشعر بالانتماء الأسري والتفاعل المتعمق من أجل مصلحة الأسرة والمحافظة على كيانها ووحدتها (عبد الخالق محمد عفيفي، 2000: 153 – 156)؛ فالأسرة تقوم بتزويد الطفل بمختلف الخبرات أثناء سنوات التكوين، وهي تمثل أكبر قوة للتأثير وتنمية الشعور بالألفة والمحبة والشعور بالانتماء للأسرة والمجتمع الخارجي، فهي تقوم بتربية الطفل فتتولاه بالتربية من الناحية البيولوجية، العقلية، النفسية، الجسمية، الاجتماعية والدينية.

◆ **التربية البيولوجية:** "من مكونات الشخصية الجانب البيولوجي، والفيسيولوجي الذي هو في حاجة إلى مواد بناء الطاقة كالغذاء الذي يتناوله الفرد لكي يعيش وتسمح هذه الطاقة للأعضاء بالقيام بوظائفها" (خيري خليل الجميلي، بدر الدين عبده، 1997: 27)، وباعتبار الأسرة البيئة الأولى التي تتلقى الطفل وتتولاه بالرعاية، فهي المسؤول الأول و الأخير عن تنمية هذا الجانب من شخصية الطفل، بتوفيرها للظروف الصحية الملائمة، وتوفير وسائل الوقاية من الأمراض، لأن نجاح الأسرة واستمرارها يتوقف على ما توفره من إشباع لحاجات الطفل، النفسية، الجسمية والاجتماعية.

◆ **التربية العقلية:** "يقصد بالتربية العقلية تنمية القدرات العقلية لدى الفرد، ويتأثر النمو العقلي بالمستوى الاقتصادي للأسرة وما توفره من وسائل التعليم كالألعاب المعدة للفك والتركيب، كما يعتمد النمو العقلي على ما توفره السرة من تغذية غنية بالعناصر الضرورية والطاقة لبناء الجسم ونموه نمواً سليماً". (قرمية سحنون، 1996 – 1997: 52).

◆ **التربية النفسية:** "إن الفرد لكي ينمو نموا سليما فهو بحاجة إلى الحب والعطف اللازمين لنموه النفسي والعقلي والاجتماعي" (علياء شكري، 1981: 187) وباعتبار الأسرة الجماعة الأولى التي تتلقى الطفل وتتولاه بالرعاية فهي التي توفر له ما يلزمه من الناحية النفسية لكي ينمو نموا سليما وتربيته تربية نفسية سليمة خالية من الأمراض

والعقد، فإهمال السرة للجانب النفسي للفرد يؤدي إلى نتائج خطيرة قد تؤدي بالفرد إلى الانحراف عن القيم المجتمعية.

◆ **التربية الاجتماعية:** بمعنى أن الأسرة هي أول المؤسسات الاجتماعية التربوية التي تتولى مهمة تزويد الفرد بقواعد السلوك والآداب العامة وقوالب العرف والعادات والتقاليد ومستويات الخير والشر والرذيلة والفضيلة، أي المعنى العام أو الشامل وليس الضيق للأخلاق،وكذا تعليم الطفل الطقوس الخاصة بالعبادة والحياة الجماعية والدينية (قرمية سحنون، 1996 – 1997: 52) ومن المعلوم أن الأسرة ترسخ أغلب المبادئ التربوية في ذهن الطفل منذ صغره، وأهم هذه المبادئ التي يكون الطفل خاضعا لها في الأسرة تلك المتعلقة بالآداب: كآداب الأكل والتحلي بالتواضع والاحترام, والحياء أمام الأقارب والأصدقاء وكذا التحلي بالمبادئ التربوية الأخلاقية التي تنص على الأذى الذي يجب تجنبه والخير الذي يجب عمله؛ ومنه يمكن القول أنه لا يتأتى قيام الأسرة بهذه الوظائف الهامة إلا بتهيئة الوسائل السليمة المتعلقة بالحضانة والكفالة للأطفال وخاصة في مراحل نموهم الأولى، وكل هذا يتم من خلال عملية مهمة جدا ألا وهي عملية التنشئة الاجتماعية.

أهداف التنشئة الاجتماعية:

مما لاشك فيه أن عملية التنشئة الاجتماعية عملية هادفة، تتداخل فيها مجموعة من العمليات الثقافية والاجتماعي والتي يصبح الفرد من خلالها قادرا على استيعاب قيم ومعايير المجتمع الذي يعيش فيه وذلك على المستوى المعرفي والاجتماعي والانفعالي، وتختلف التنشئة الاجتماعية من مجتمع لآخر تبعا لنظامه القانوني والاجتماعي والاقتصادي، لكن الأهداف المشتركة بين المجتمعات ما يلي:

◆ **غرس عوامل ضبط داخلية للسلوك:** وذلك إلى أن يحتويها الضمير و تصبح جزءاً أساسياً، لذا فإن مكونات الضمير إذا كانت من الأنواع الإيجابية فإن هذا الضمير يوصف بأنه حي، وأفضل أسلوب لإقامة نسق الضمير في ذات الطفل أن يكون الأبوين قدوة لأبنائهما حيث ينبغي ألا يأتي أحدهما أو كلاهما بنمط سلوكي مخالف للقيم الدينية

والآداب الاجتماعية (عبد الخالق محمد عفيفي، 1998: 174-176).

◆ **التكيف والتآلف مع الآخرين:** وبلوغ هذا الهدف يعني تحقيق الصحة النفسية للمتعلم، ومن مظاهره تكوين الصداقات، وتنمية الذات الاجتماعية كبديل للذات الانفرادية، والاذعان لقوانين المجتمع، وتقاليده بقبول ورضا.

◆ **الاستقلال الذاتي والاعتماد على النفس:** أي تعويد الطفل التعبير عن نفسه، وجعله قادرا على حل مشكلاته، وعلى اتخاذ القرار بنفسه، والقدرة على الاستقلال عن والديه، أو غيرهما، سواء استقلال مادي أو نفسي، بصورة يقوم فيها الاستقلال على الشعور بالمسؤولية والواجب، والتوعية بالحقوق والواجبات. (صلاح الدين شروخ، 2004: 58)

◆ **تحقيق النضج النفسي:** حيث لا يكفي لكي تكون الأسرة سليمة متمتعة بالصحة النفسية أن تكون العلاقات السائدة بين هذه العناصر متزنة سليمة و إلا تعثر الطفل في نموه النفسي، والواقع أن الأسرة تنجح في تحقيق النضج النفسي للطفل إذا ما نجحت في توفير العناصر التالية:

- تفهم الوالدين وإدراكهما الحقيقي في معاملة الطفل وإدراك الوالدين ووعيهما بحاجات الطفل السيكولوجية والعاطفية المرتبطة بنموه وتطور نمو فكرته عن نفسه وعن علاقته بغيره من الناس, وإدراك الوالدين لرغبات الطفل ودوافعه التي تكون وراء سلوكه وقد يعجز عن التعبير عنها.
- تعليم الطفل المهارات التي تمكنه من الاندماج في المجتمع، والتعاون مع أعضاءه والاشتراك في نواحي النشاط المختلفة وتعليمه أدواره، ما له وما عليه، وطريقة التنسيق بينهما وبين تصرفاته في مختلف المواقف، وتعليمه كيف يكون عضواً نافعاً في المجتمع وتقويم وضبط سلوكه.

وظائف التنشئة الاجتماعية:

للتنشئة الاجتماعية عدة وظائف نذكر منها:

1- اكتساب المعرفة، والقيم، والاتجاهات، والمعايير وكافة أنماط السلوك أي أنها تشتمل أساليب التعامل والتفكير الخاصة بجماعة معينة، أو مجتمع معين سيعيش فيه الإنسان.

2- اكتساب العناصر الثقافية للجماعة.
3- التكيف مع البيئة الاجتماعية وخاصة من ناحيتي العضوية والانتماء.
4- ضبط السلوك الاجتماعي للأفراد من خلال تعلمهم لوسائل الضبط الاجتماعي. (الغزوي، الطاهر 199: 189-194)

العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية:
تتأثر التنشئة الاجتماعية بعدد كبير من العوامل التي يصعب حصرها لأن كل ما في البيئة المحيطة له دور فيها، ولكن يمكن حصر وتقسيم هذه العوامل كما يلي:

العوامل الداخلية:

- **الدين:** يؤثر الدين بصورة كبيرة في عملية التنشئة الاجتماعية وذلك بسبب اختلاف الأديان والطباع التي تتبع من كل دين، لذلك يحرص كل دين على تنشئة أفراده حسب المبادئ والأفكار التي يؤمن بها.
- **الأسرة:** هي الوحدة الاجتماعية التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني فهي أول ما يقابل الإنسان، وهي التي تسهم بشكل أساسي في تكوين شخصية الطفل من خلال التفاعل والعلاقات بين الأفراد، لذلك فهي أولى العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية، ويؤثر حجم الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية وخاصة في أساليب ممارستها حيث أن تناقص حجم الأسرة يعتبر عاملاً من عوامل زيادة الرعاية المبذولة للطفل، حيث يؤكد **بيلز** على خاصية الحجم وعلاقتها بمتغيرات أخرى مثل الاتصال والمشاركة...الخ وبشكل عام يعد حجم الأسرة من العوامل التي تؤثر تأثيرا كبيرا في عملية التنشئة الاجتماعية وخاصة في أساليب ممارستها، وتؤكد الدراسات أن الرعاية المبذولة للطفل داخل الأسرة صغيرة الحجم تكون أكثر فاعلية.
- **نوع العلاقات الأسرية:** تؤثر العلاقات الأسرية في عملية التنشئة الاجتماعية حيث إن السعادة الزوجية تؤدي إلى تماسك الأسرة مما يخلق جواً يساعد على نمو الطفل بطريقة متكاملة (محمد فتحي فرج الزليتي، 2008: 113).

◆ **الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها الأسرة:** تعد الطبقة التي تنتمي إليها الأسرة عاملاً مهماً في نمو الفرد، حيث تصبغ وتشكل وتضبط النظم التي تساهم في تشكيل شخصية الطفل، فالأسرة تعتبر أهم محور في نقل الثقافة والقيم للطفل التي تصبح جزءاً جوهرياً فيما بعد.

◆ **الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأسرة:** لقد أكدت العديد من الدراسات أن هناك ارتباط إيجابي بين الوضع الاقتصادي والاجتماعي للطفل وبين الفرص التي تقدم لنمو الطفل، والوضع الاقتصادي من أحد العوامل المسئولة عن شخصية الطفل ونموه الاجتماعي.

◆ **المستوى التعليمي والثقافي للأسرة:** يؤثر ذلك من حيث مدى إدراك الأسرة لحاجات الطفل وكيفية إشباعها والأساليب التربوية المناسبة للتعامل مع الطفل.

◆ **نوع الطفل ذكر أو أنثى وترتيبه في الأسرة:** حيث إن أدوار الذكر تختلف عن أدوار الأنثى فالطفل الذكر ينمى في داخله المسئولية والقيادة والاعتماد على النفس، في حين أن الأنثى في المجتمعات الشرقية خاصة لا تنمى فيها هذه الأدوار، كما أن ترتيب الطفل في الأسرة كأول الأطفال أو الأخير أو الوسط له علاقة بعملية التنشئة الاجتماعية سواء بالتدليل أو عدم خبرة الأسرة بالتنشئة وغير ذلك من العوامل (عبد الخالق محمد عفيفي 1998: 177-179)

العوامل الخارجية:

◆ **المؤسسات التعليمية:** وتتمثل في دور الحضانة والمدارس والجامعات ومراكز التأهيل المختلفة.

◆ **جماعة الرفاق:** حيث الأصدقاء من المدرسة أو الجامعة أو النادي أو الجيران وقاطني نفس المكان وجماعات الفكر والعقيدة والتنظيمات المختلفة.

◆ **المساجد:** وما يصاحبها من زوايا لتحفيظ القرآن الكريم.

◆ **ثقافة المجتمع:** لكل مجتمع ثقافته الخاصة المميزة له والتي تكون لها صلة وثيقة بشخصيات من يحتضنه من الأفراد، لذلك فثقافة المجتمع تؤثر بشكل أساسي في التنشئة وفي صنع الشخصية القومية.

◆ **الوضع السياسي والاقتصادي للمجتمع:** حيث أنه كلما كان المجتمع أكثر هدوءً واستقراراً ولديه الكفاية الاقتصادية كلما ساهم ذلك بشكل إيجابي في التنشئة الاجتماعية، وكلما اكتنفته الفوضى وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي كان العكس هو الصحيح.

◆ **وسائل الإعلام:** لعل أخطر ما يهدد التنشئة الاجتماعية الآن هو الغزو الثقافي الذي يتعرض له الأطفال من خلال وسائل الإعلام المختلفة وخاصة التليفزيون، حيث يقوم بتشويه العديد من القيم التي اكتسبها الأطفال إضافة إلى تعليمهم العديد من القيم الأخرى الدخيلة على ثقافتهم. (الخطيب 2002: 336-338)

وتضيف الباحثة الأندية الرياضية والجمعيات الخيرية التي ينخرط فيها الشباب, بالإضافة إلى شبكات التواصل الاجتماعي الحديقة ووسائل الاتصال الخلوية وما لها من دور طغي على دور الاسرة والمدرسة في التنشئة الاجتماعية.

التنشئة الاجتماعية من منظور اجتماعي:

تعتبر من العمليات الرئيسية التي تحدث في حياة الوليد البشري، فهي تحوله من طفل عاجز عديم الحيلة إلى إنسان ناضج، ولا توجد أي نوع من الكائنات الحية تمر بعملية مكثفة طويلة في النمو مثلما نجد ذلك في حياة الكائن البشري، كما أننا لا نستطيع أن نلاحظ في نمو الفصائل الحيوانية الأخرى ذلك التعدد والتناقض الذي نلاحظه في نمو الانسان، فعندما ينمو الطفل يتعلم لغة أو أكثر من اللغات، ويكتسب ثروة من الحقائق حول بيئته البيولوجية والاجتماعية، بالإضافة إلى مهارات خاصة وأنواع متنوعة من المعرفة فهو يكتسب اتجاهات وقيم بعضها يتصل بالمعايير الاجتماعية، والبعض الآخر يتعلق بأساليب العلاقات والتفاعل بين الأفراد (عادل أحمد عز الدين الأشول، 1987: 259) وهذا التحول الذي نلاحظه في حياة الوليد البشري يحدث نتيجة لما يسمى بعملية التنشئة الاجتماعية.

صفات وخصائص التنشئة الاجتماعية:

- تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل

الاجتماعي أدواره الاجتماعية والمعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الأدوار، ويكتسب الاتجاهات والأنماط السلوكية التي ترتقيها الجماعة ويوافق عليها المجتمع.

- عملية نمو يتحول خلالها الفرد من طفل يعتمد على غيره متمركز حول ذاته، لا يهدف من حياته؛ إلا إشباع الحاجات الفسيولوجية إلى فرد ناجح يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية وتحولها مع ما يتفق مع القيم والمعايير الاجتماعية.
- أنها عملية مستمرة تبدأ بالحياة ولا تنتهي إلا بانتهائها.
- تختلف من مجتمع إلى آخر بالدرجة و لكنها لا تختلف بالنوع.
- التنشئة الاجتماعية لا تعني صب أفراد المجتمع في بوتقة واحدة بل تعني اكتساب كل فرد شخصية اجتماعية متميزة قادرة على التحرك والنمو الاجتماعي في إطار ثقافي معين على ضوء عوامل وراثية وبيئية.
- ومن خصائص التنشئة أيضاً أنها تاريخية :أي ممتدة عبر التاريخ، وإنسانية يتميز بها الإنسان دون الحيوان، وتلقائية أي ليست من صنع فرد أو مجموعة من الأفراد بل هي من صنع المجتمع وهي نسبية أي تخضع لأثر الزمان والمكان، وجبرية أي يجبر الأفراد على إتباعها، وهي عامة أي منتشرة في جميع المجتمعات.

أشكال التنشئة الاجتماعية:

تأخذ التنشئة الاجتماعية شكلين رئيسيين هما:

◆ **التنشئة الاجتماعية المقصودة:** ويتم هذا النمط من التنشئة في كل من الأسرة والمدرسة فالأسرة تعلم أبناءها اللغة، وآداب الحديث، والسلوك، وفق نظامها الثقافي ومعاييرها واتجاهاتها، وتحدد لهم الطرق والأساليب والأدوات التي تتصل بهضم هذه الثقافة وقيمها و معاييرها، كما أن التعلم المدرسي في مختلف مراحله يكون تعليما مقصودا، له أهدافه وطرقه وأساليبه ونظمه ومناهجه التي تتصل بتربية الفرد وتنشئتهم

بطريقة معينة.

◆ **التنشئة الاجتماعية غير المقصودة:** وتتم بصورة مصاحبة للتنشئة المقصودة غالبا يتم هذا النمط من التنشئة من خلال المسجد ووسائل الإعلام والإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح الأندية الرياضية والجمعيات الخيرية التي ينخرط فيها الشباب, بالإضافة إلى شبكات التواصل الاجتماعي الحديقة ووسائل الاتصال الخلوية... وغيرها من المؤسسات التي تسهم في عمليات التنشئة من خلال الأدوار التالية :يتعلم الفرد المهارات والمعاني والأفكار عن طريق اكتسابه المعايير الاجتماعية التي تختلف باختلاف هذه المؤسسات. تكسب الفرد الاتجاهات والعادات المتصلة بالحب والكره، والنجاح والفشل واللعب والتعاون وتحمل المسؤولية. كما تكسب الفرد العادات المتصلة بالعمل والإنتاج والاستهلاك وغير ذلك من أنواع السلوك والاتجاهات والمعايير والمراكز والأدوار الاجتماعية (صلاح الدين شروخ, 2004: 60).

النظريات المفسرة للتنشئة الاجتماعية:

هناك العديد من النظريات المفسرة للتنشئة الاجتماعية ولكن الباحثة تتبنى النظرية الاجتماعية لدوركايم.

النظرية السوسيولوجية:

يُعّرف إيميل دوركايم: عملية التنشئة الاجتماعية بأنها عملية توجيه السلوك حسب القواعد الأخلاقية، ويرى بأنها عملية تعتمد على الايحاء لتعويد الطفل على الحياة الجماعية والتدريب على النظام واحترامه، وقد رفض دوركايم تثبيت السلوك في فترة الطفولة الأولى داخل الأسرة وبين في كتابه" قواعد المنهج في علم الاجتماع "أن عملية التنشئة الاجتماعية تبدأ من السنوات الأولى، وتعبر عن قهر الجماعة للسلوك الشخصي، فالتنشئة الاجتماعية عملية تهدف إلى توجيه السلوك وتغييره حسب العقل الجماعي للجماعة وهذا السلوك يختلف في طور ما قبل المدرسة عن طور المدرسة، عن طور الرشد، ويقول دوركايم أن "عملية التنشئة كلها تستهدف أن تفرض على الطفل أساليب الفكر والعاطفة

والفعل، فمنذ السنوات الأولى من الميلاد يفرض عليه أن يأكل ويشرب وينام على نحو معين وفي مواعيد منظمة، وتقهر نعاته ورغباته ويجبر على تعلم النظافة والهدوء والطاعة، وأخيرا يضغط عليه ليتعلم بعض قواعد السلوك الأخلاقي في التعامل مع الأخرين" (نيقولا تيماشيف، 1989: 130) ويحترم العادات وؤمن بالحاجة إلى الوظيفة، وفي هذه المرحلة يقل الشعور بالقهر بسبب أنه صار عادة مألوفة بالإضافة إلى الميول الداخلية التي تجعل القهر لا ضرورة له، بالرغم من أنه يبقى منبع العادات الأخلاقية، وفي هذا السياق يجدر القول أن دوركايم يعتبر تنظيم حاجات الطفل وتدريبه على الطاعة والنظام وتعلم قواعد السلوك الأولية وما هي في حقيقة الأمر إلا أمور ثانوية إذ أن عملية التنشئة الأساسية لا تبدأ إلا في المدرسة حيث يتم تكوين الطابع القومي للشخصية (نيقولا تيماشيف، 1989: 130)

بعض الانتقادات لنظريات التنشئة الاجتماعية والتوافق النفسي والاجتماعي:

المتتبع للنظريات المفسرة للتنشئة الاجتماعية والتوافق النفسي والاجتماعي يدرك أن كل منها يركز على جانب من جوانب هذه التنشئة والتوافق النفسي، وتفتقر هذه النظريات إلى البعد الشمولي لتنشئة الفرد، وتفسير توافقه على اعتبار أن تربية الفرد وكذلك توافقه النفسي والاجتماعي هي متغيرات متعدد الأبعاد, وأنه من غير الممكن دراسة كل متغير بمعزل عن الجوانب أو المتغيرات الأخرى إلا نظريا، كما لا ينبغي إهمال عوامل الثقافة الاجتماعية في تفسير تلك العملية؛ والتي يتناولها المنظور الأنثروبولوجي الاجتماعي للتنشئة، حيث يجد المتتبع أن أكثر ما يؤخذ على نظرية التحليل النفسي مثلا: أنها لم تأخذ بعين الاعتبار التفاعل الاجتماعي متعدد الأبعاد والمتنوع بين أعضاء الأسرة في تأثره بالقيم والمعايير الاجتماعية المشتقة من ثقافة المجتمع كله أو من ثقافة القطاع الاجتماعي الخاص الذي تتنمي إليه الأسرة، كما أغفلت هذه النظرية المؤثرات الاجتماعية التي يتعرض لها الطفل خارج الأسرة، وما تقوم به من دور بارز في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل كتأثير جماعة الرفاق التي يتعلم منها الطفل ما هو مباح وما هو ممنوع مما يؤثر على نمو الأنا الأعلى (صالح محمد علي أبو جادو، 1998: 51)،

ولهذا نجد أن علماء الاجتماع يعتقدون أن ادعاءات المدرسة الفرويدية فيما يتعلق بأهمية مراحل النمو الأولى في الطفولة بالنسبة لتوافق الشخصية فيما بعد لم يحظ من الناحية الامبريقية بأي تأييد يذكر، لأن أكثر ما ذكره فرويد وأنصاره في هذا الصدد كان متعلقا بحالات مرضية لا يمكن أن تكون دليلا على ما يحدث بالفعل بالنسبة للغالبية العظمى من أعضاء المجتمع الذين يحتمل أن لا يتعرضوا لظروف استثنائية يمكن أن توصلهم إلى مستوى تلك الحالات التي عكف فرويد وغيره ممن اقتنعوا بآرائه على دراستها (سناء الخولي، 1999: 274).

في حين نجد أن النظريات التي أتى بها علماء الاجتماع تولي أهمية بالغة لتأثير العوامل الاجتماعية، حيث ركز إميل دوركايم على دور المدرسة في توجيه السلوك وتكوين الطابع القومي – التوافق النفسي والاجتماعي– هذا وأشار كولي في تفسيره على أهمية الجماعات الأولية وفي مقدمتها الأسرة وتأثيراتها في حين نجد أن بارسونز استسقى أفكاره من طرح دوركايم وفرويد حيث توصل إلى أن المواقف الأسرية هي الدافع في تعلم الطفل جملة من المبادئ والقواعد, أما نظرية التعلم الاجتماعي فتتميز بالدقة لأنها نشأت وتطورت من العمل المخبري ومن تجاربه المضبوطة بدرجة كبيرة، وفيها جدة وإبداع وجرأة في المزاوجة بين نظرية التعلم والناحية الاجتماعية، وفيها من الدقة في المنهج والتفسير ما يجعلها على جانب كبير من الأهمية، وقد نجحت هذه النظرية في تفسير المواقف الاجتماعية البسيطة، غير أنها قصرت كثيرا في تفسير المواقف الاجتماعية المعقدة (صالح محمد علي أبو جادو، 1998: 56) كما يؤخذ على نظريات التعلم تحيزها الواضح للبيئة ومحاولاتها فهم وتفسير السلوك الإنساني من خلال أنماط محددة من التغيرات والاستجابات البيئية (أحمد السيد محمد اسماعيل، 1995: 19).

في حين أن نظرية الدور الاجتماعي ترى أن لكل فرد مركزا اجتماعيا يتناسب مع الدور الذي يقوم بأدائه، ويكتسب الطفل مركزه ويتعلم من خلال تفاعله مع الآخرين وخاصة الأشخاص المهمين في حياته الذين يرتبط بهم ارتباطا عاطفيا، ولكن يؤخذ على نظرية الدور الاجتماعي، أن مفهوم الدور لم يتحدد بصورة واضحة خصوصا في المجتمعات

المعقدة، وإغفالها لتركيب الشخصية وخصائصها في تأدية الدور الاجتماعي، وأخيرا تركيزها على الجانب الاجتماعي في عملية التنشئة الاجتماعية في الوقت الذي أغفلت فيه الجوانب الأخرى لاسيما الجانب النفسي (صالح محمد علي أبو جادو، 1998: 61) أما نظرية التفاعل الرمزي فتعتبر واحدة من المحاور الأساسية التي تعتمد عليها النظرية الاجتماعية، في تحليل الأنساق الاجتماعية منطلقة منها لفهم الوحدات الكبرى، بمعنى أنها تبدأ، (MICRO) وهي تبدأ بمستوى الوحدات الصغرى بالأفراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي .فأفعال الأفراد تصبح ثابتة لتشكل بنية من الأدوار، ويمكن النظر إلى هذه الأدوار من حيث توقعات البشر بعضهم تجاه بعض من حيث المعاني والرموز, وهنا يصبح التركيز إما على بنى الأدوار والأنساق الاجتماعية، أو على سلوك الدور والفعل الاجتماعي, ومع أنها ترى البنى الاجتماعية ضمنا، باعتبارها بنى للأدوار بنفس طريقة بارسونز إلا أنها لا تشغل نفسها بالتحليل على مستوى الأنساق، بقدر اهتمامها بالتفاعل الرمزي المتشكّل عبر اللغة، والمعاني، والصور الذهنية، استنادا إلى حقيقة مهمة، هي أنه على الفرد أن يستوعب أدوار الآخرين. ونجد أن نظرية التفاعل الرمزي أكدت على أن المجتمع تفاعل رمزي دون أن تشير إلى أنماط الظروف مهما كان نوع التفاعل الذي يؤدي إلى ظهور وانبثاق أي نمط من أنماط بناء اجتماعي واستمراره وتغييره في سياق أي ظرف من الظروف، كما أنها اتسمت بالغموض في كيفية تشكيل التنظيم الاجتماعي وتغييره فهناك غموض بين عملية التفاعل ونتائجها. كما حاولت هذه النظرية التقليل من شأن الأبنية الاجتماعية بحيث جعلتها موضوعات ناتجة من اتجاهات الفاعلين وجعلت الأشياء تتشكل كنتيجة للتفاعل، ولم تربط بين الأبنية الاجتماعية و العمليات الاجتماعية واقتصرت على تأكيد وجود كل منها.

ثانياً: أساليب التنشئة الاجتماعية:

بديهي القول أن لكل أسرة: فقيرة أو غنية، جاهلة أو متعلمة, أسلوبها الخاص في رعاية طفلها، وهذه الأساليب منها ما هو موروث، ومنها ما هو مكتسب من مصادر الثقافة المتعددة من المجتمع (ابراهيم عبد الكريم الحسين، 2002: 73) كما أن أساليب التنشئة

وأهدافها ومعاييرها تختلف بين المجتمعات، بل يمكن أن يكون الاختلاف في أساليب التنشئة داخل الجماعات التي يتكون منها نفس المجتمع، كما تختلف هذه الأساليب من أسرة إلى أخرى ومن الأب إلى الأم، بل تختلف أساليب أحدهما من وقت لآخر ويمكن القول بأن الاهتمام الحقيقي بدراسة أساليب التنشئة الاجتماعية كان منذ أن قام الفلاسفة أمثال (أفلاطون، وروسو، ولوك، وديوي) بدراسة الأطفال على أساس أنهم آداه رئيسية للتغير الاجتماعي واعتبروا عملية التنشئة الاجتماعية للطفل عاملا مهما في بناء المجتمع مركزين جل اهتمامهم على خبرات الطفولة الباكرة في جانبيها الكمي والنوعي، وأن عملية التنشئة الاجتماعية تعد وسيلة لحفظ النوع البشري ونقل خصائصه و معطياته الحضارية والمدنية عبر الأجيال، كما أن الأسرة تعد الوحدة الاجتماعية الأولى التي يحتك بها الطفل احتكاكاً مستمراً حيث تعد المكان الأول الذي تنمو فيه أساليب التنشئة الاجتماعية التي تشكل "الميلاد الثاني" في حياة الطفل أي تكوينه كشخصية اجتماعية ثقافية، وأن الأسرة هي النبع الأساسي الأول الذي يرتشف منه الطفل رحيق الاستقامة أو الاعوجاج، كما أنها المجال الاجتماعي والثقافي، والمجتمع الإنساني الأول الذي يمارس فيه الطفل أولى علاقاته وتفاعلاته الاجتماعية، ويكسب عاداته وتقاليده؛ فالطفل يتعرض في سياق أسرته بحكم مالها من دور مهم في عملية التنشئة الاجتماعية إلى ممارسات وأساليب واتجاهات معينة في تنشئته من قبل الوالدين الذين يمارسون مع أبنائهم أساليب واتجاهات متعددة منها الصريح والضمني والمقصود وغير المقصود في توجيههم وتشكيل سلوكهم وما لهذه الأنواع التنشئة من علاقة بالتوفق النفسي الاجتماعي تحاول الباحثة.

أنواع وأساليب التنشئة الأسرية:

لقد حاولنا تحديد أساليب التنشئة الأسرية التي سنتناولها في الدراسة الحالية والتي تقيس ما يدركه الأبناء نحو معاملة الوالدين لهم في المواقف المختلفة منذ الطفولة الباكرة، ومن هذه الأساليب التقبل، الرفض، الحماية الزائدة، التشدد، الاستقلال، التسلط، الإهمال، التفرقة، التساهل، التذبذب، التسامح، والتدليل, وقد اتضح أن أكثر أساليب المعاملة الوالدية انتشاراً: الاستقلال، التسلط، الديمقراطية، الحماية الزائدة، التقبل في حين وجد شيفر ودبل

(1975) أن هناك أساليب أخرى مثل الدافع للإنجاز والحماية الزائدة والرقابة الشديدة، وفي دراسة قام بها جولن (1969) تبين وجود ثلاث أساليب أساسية في التنشئة الاجتماعية هي التقبل مقابل الرفض، والتساهل مقابل التحكم والحماية الزائدة، بينما في المجتمع العربي حدد الباحثون مجموعة من الأساليب، التي تعد من أهم من أساليب التنشئة الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي.

أولاً: التنشئة الاجتماعية القائمة على أسلوب التقبل:

يُعد هذا الأسلوب من الأساليب الإيجابية في تنشئة الأبناء، وهو من أهم الاحتياجات الإنسانية، وعلى أنه ضروري لكي يشعر الإنسان بالطمأنينة في حياته ويعتقد Preston حد رأى برستون أنه أمر حاسم في نمو الشخصية، حيث يترتب عليه آثار تنعكس على سلوك الأبناء Rohner رونر ونموهم وأدائهم الوظيفي وتقديرهم الإيجابي لأنفسهم ونظرتهم الإيجابية للحياة في مرحلة الرشد (آسيا بنت علي راجح بركات، 2000 :18) حيث يشعر الابن بأن والديه أو أحدهما يفهم مشكلاته وهمومه، وأنه يعمل على تخفيف القلق لديه ويحاول إدخال السرور والسعادة إليه، وإنه يركز على الإيجابيات أكثر من السلبيات، ويشعر بالدفء والحنان والعطف، ويعمل على تعزيز أفعاله، ولا يحاول تغيير سلوكه بل يقبله كما هو، ويكون سعيداً بقضاء الوقت معه في المنزل (بركات، 18:2000).

ويتجلى التقبل الوالدي بتقبل سلوك الابن وتصرفاته، وأن يتفهم مشكلاته، وأن يظهر له حبه، ويبتسم له، ويفخر بإنجازاته أمام الآخرين، ويستجيب لحاجاته ومتطلباته باهتمام ويوجهه برفق ومودة، ويبدي اهتمامه بمستقبله وأن يشاركه في نشاطاته المختلفة؛ لذلك يجب أن نتقبل جنس الطفل سواء كان ذكرا أم أنثى، أيضا تقبل شكله وملامحه ولونه، وتقبل ترتيب الطفل بين أخوته، وقدراته، واستعداداته وميوله وعدم مقارنته بغيره من الأطفال داخل الأسرة وخارجها (مرشد، 2005: 52).

الآثار الإنجابية لأسلوب التقبل وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي:

تشير بعض الأدبيات إلى اتباع الوالدين لهذا الأسلوب في تنشئة أبنائهم من شأنه أن يترك آثاراً طيبة في شخصية الأبناء وانتمائهم للجماعات والاندماج مع الآخرين، ويجعلهم أكثر تعاوناً وإخلاصاً ووفاءً (دسوقي، 1979: 355) كما أن تقبل الوالدين لأبنائهم يجعلهم أكثر قدرة على تكوين علاقات إيجابية داخل المنزل وخارجه عند اتصالهم بالآخرين، كما يجعلهم قادرين على الأخذ والعطاء بعيداً عن الشعور بالتهديد والخوف والقلق (عياد والخضري، 1993: 196), وتضيف بعض الدراسات الأخرى إلى أن هذا الأسلوب يعزز مفهوم الفرد عن ذاته وتكيفه مع الآخرين، ويؤثر على صحته النفسية بوجه عام, كما أن أسلوب التقبل يعطي الأبناء قدرا من استقلالية الرأي، وتشجيعهم على التعاون وذلك من أجل التوصل إلى حلول للمشاكل التي تواجههم في المواقف الحياتية مما يؤدي الى تنمية الاستقلال والثقة بالنفس لديهم (ناجي عبد العظيم سعيد مرشد، 2005: 52) كما يؤكد (هيرلوك Hurlock عن مرشد، 2005: 52) على أن أسلوب التقبل الاجتماعي المدرك من جانب الأبناء يجعلهم يتصفون بالاتزان الانفعالي وروح المرح والاستمتاع بالمشاركة في الأنشطة الاجتماعية وتحمل المسؤولية والثقة بالنفس.

ثانياً: التنشئة الاجتماعية القائمة على أسلوب الرفض:

تعد من الأساليب غير السوية في تنشئة الأبناء، حيث يستخدم الوالدان أو أحدهما أساليب تنطوي على كراهية الابن وعدم إشباع احتياجاته الاجتماعية من الحنان والدفء وتهديده بالطرد من المنزل وإذلاله بصور متعددة كالنقد أو السخرية أو الذم أمام أقرانه، مما يؤثر على شخصياتهم خاصة في المراحل الأولى من الحياة, كما أن أسلوب الرفض الوالدي ينطوي برضوخ الابن للقواعد والقيود والأنظمة دون مناقشة لأن الآباء لهم رؤية أفضل من رؤيته، وعدم إثابة سلوكه خشية أن يؤدي ذلك إلى نتائج غير محمودة، والتأكيد على استخدام العقاب البدني أو المعنوي للسلوك الخاطئ دون معرفة أسباب هذا السلوك, ويؤكد كولمان على أن أسلوب الرفض الوالدي المدرك من جانب الأبناء يجعلهم يشعرون بالوحدة والقلق لغياب الأمن النفسي والاجتماعي، وعدم القدرة على التكيف وإقامة علاقات

اجتماعية مع الأخرين (أحمد السيد محمد اسماعيل، 1995: 81-82).

الآثار السلبية لأسلوب الرفض والنبذ وعلاقة بالتوافق النفسي والاجتماعي:

- يترتب على هذا الأسلوب من التنشئة الاجتماعية شخصية قلقة، متمردة تنزع الى الخروج عن الأنظمة والقوانين المتعارف عليها اجتماعيا كوسيلة للتنفيس والتعويض عن الحرمان العاطفي في الطفولة الباكرة.
- قد يصاب الطفل بالعقد النفسية.
- يشعر الطفل بعدم الأمان ومنه تنشأ حلقة مفرغة بين الوالدين والمجتمع والطفل.
- نمو الروح العدوانية والرغبة في الانتقام، وزيادة الحساسية في المواقف الاجتماعية المختلفة ليصبحوا عنيدين وأنانيين. (وفيق صفوت مختار، 2004 : 271 – 282).

ثالثاً: التنشئة الاجتماعية القائمة على الأسلوب الديموقراطي:

يعد من الأساليب الإيجابية في تنشئة الأبناء حيث يشعر الابن بأن والديه أو أحدهما يسمح له بالتصرف في تدبير شؤون حياته بنفسه دون تدخل من أحد، ويتركه يتخذ قراراته، ويحل مشكلاته وذلك بالاعتماد على ذاته، مما يجعله يشعر بالثقة بالنفس والمسئولية نحو نتائج سلوكه, حيث أكدت نتائج أبحاث جاثولز وكالوز (1969) على أن أسلوب الاستقلال له عدة أمور يجب على الوالدين اتخاذها كقضية الضبط الذاتي، وتشجيعهم على اتخاذ القرارات الخاصة بمستقبلهم بحرية دون تدخل من أحد إلا عند الضرورة حيث أشار هوركس على ضرورة التدرج نحو تنمية الاستقلال لديهم وفق أعمارهم الزمنية (ناجي عبد العظيم سعيد مرشد، 2005: 57).

الآثار الإيجابية للأسلوب الديمقراطي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي:

تزداد رغبة الأطفال في المزيد من الاستقلال الذاتي في تصريف شؤونهم ويستاؤون من الحماية الزائدة التي يبديها الوالدان نحوهم، ومن ناحية أخرى يميل الأطفال الذين يشجعهم آباؤهم على الاستقلال الى إظهار علاقات وتفاعلات اجتماعية أفضل (مرشد، 2005: 57).

رابعاً: التنشئة الاجتماعية القائمة على أسلوب التفرقة:

يتضمن التفضيل والمحاباة والتحيز وعدم المساواة بين الأبناء جميعهم في الرعاية والعناية ويكون التفضيل بينهم على أساس المركز او الجنس أو السن أو اللون أو المرض أو لأي سبب آخر، ويتحلى السلوك الوالدي المتحيز أو المحابي بينهم بأن يبدي الوالدان أو أحدهما حبا أكبر للابن الأكبر أو الأصغر أو يفضل الذكور على الإناث أو العكس، أو أن يعطي أحد الأبناء أولوية وامتيازات مادية أو معنوية أكثر من باقي إخوانه؛ حيث تخطئ بعض الأسر معاملة الابن فتعامله معاملة تختلف عن معاملة البنت (وفيق صفوت مختار، 2004: 235-253).

الآثار السلبية للأسلوب التفرقة وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي:

من شأن هذا الاسلوب أن يثير الكراهية, وينمي الحقد والغيرة بين الأخوة, وتظهر أعراضها السيئة في المستقبل؛ كالكراهية بصفة عامة وعدم الثقة بالجنس الآخر وهذا بدوره يؤثر على النمو المتكامل للفرد، ويجعله يشعر بالظلم والقسوة ويتقمص ذلك في سلوكه مع الأخرين، وتكوين اتجاهات سلبية نحو الوالدين، وكراهية الأخوة والأخوات لبعضهم البعض, ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى شخصية أنانية تعودت أن تأخذ دون أن تعطي، وتحب أن تستحوذ على كل شيء لنفسها أو على أفضل الأشياء، حتى لو كان على حساب الآخرين (مختار 2004: 235-253).

خامساً: التنشئة الإجتماعية بأسلوب التساهل والإهمال:

إن الطفل خلال سنواته الأولى يحتاج إلى الحب والحنان والرعاية التربوية الكاملة أكثر من أي شيء آخر، ويسود في العديد من الأسر نمط الرعاية الغذائية للطفل خلال سنواته الأولى مهملة بذلك الرعاية التربوية والنفسية، والذي يتمثل في ترك الابن دون إرشاد أو توجيه- خاصة الأب -الى ما يجب أن يفعله أو يقوم به، أو إلى ما ينبغي أن يتجنبه، وينظر إليه مجرد فرد يسكن في المنزل بأكل ويشرب ويحاط بالأمن، مما يفقده الانتماء للأسرة والاحساس بواجباته نحوها (إبراهيم عبد الكريم الحسين، 2002 : 76), ويقصد

بالإهمال انعدام الاهتمام بالطفل وشؤونه، وحاجاته وعدم التواجد النفسي معه في مشكلاته، أي يكون والداه حاضران غائبان في حياة الطفل, ومظاهر التساهل والاهمال يكون في شكل عدم إثابة للسلوك المرغوب فيه قد يأخذ صورة اللامبالاة, السخرية من الطفل بدلا من تشجيعه (وفيق صفوت مختار، 2004 : 217- 219).

الآثار السلبية لأسلوب التساهل والإهمال وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي:

ويظهر على تصرفات الطفل التخبط، وذلك لعدم وضوح القواعد والقوانين المتعارف عليها، ويكون أكثر عرضة لتأثير جماعة الرفاق لما يلقاه من اهتمام من قبلهم مما يؤدي به إلى الانحراف ومخالفة الأنظمة الأسرية والاجتماعية (ناجي عبد العظيم سعيد مرشد، 2005: 55-56)

سادساً: التنشئة الاجتماعية بأسلوب الحماية الزائدة:

يتمثل في أن الأب أو الأم قد يقوم نيابة عن الطفل بالمسؤوليات أو الواجبات التي يمكنه أن يقوم بها، والتي يجب تدريبه عليها إذا أردنا أن تكون له شخصية قوية استقلالية وهذا السلوك لا يتيح للطفل فرصة أن يتخذ القرارات بنفسه، فالأب مثلا يتحمل مسؤولية الدفاع عن الطفل إذا تشاجر مع أحد زملائه دون أن يترك للطفل الفرصة لتسوية حساباته بنفسه حيث يتضمن إخضاع الابن لكثير من القيود والخوف من تعرضه للأخطار من أي نشاط يقوم به، مما يؤدي الى منعه من الذهاب إلى الرحلات والمشاركة في النشاطات الأخرى (مختار، 2004: 211 – 212).

الآثار السلبية لأسلوب الحماية الزائدة وعلاقة بالتوافق النفسي والاجتماعي:

الأطفال الذين يعاملون بهذا الأسلوب معرضون للحوادث أكثر من غيرهم من الأطفال, ومن شأن ذلك تشكيل شخصية ضعيفة, خانعة، غير مستقلة, تخشى اقتحام المواقف في الحياة، سرعان ما تصطدم شخصيته بالواقع والقوانين بعد فوات الفرصة, انخفاض مستوى "الأنا"، والطموح وتقبل الإحباط, لا يشارك الآخرين في الاجتماعات واللقاءات, كما يعتمد الفرد على الآخرين في إنجاز احتياجاته مما يسهل استثارته واستمالته لشتى أنواع

الانحراف حيث تظهر على سلوكه وتصرفاته كثير من مواقف الانسحاب وفقدان التحكم الانفعالي ويشعر الفرد بالعجز وفقدان الثقة بالنفس وعدم الاكتراث واللامبالاة في مواقف الحياة, وفقدان التحكم الانفعالي، والخوف من تحمل المسؤولية (مختار، 2004: 211 – 212).

سابعاً: التنشئة الاجتماعية بأسلوب التذبذب بين الشدة واللين:

يتمثل التذبذب في حيرة الوالدين أو أحدهما لاستخدام أساليب الثواب أو العقاب فقد يثاب الابن على نفس السلوك، وقد يعاقب عليه مرة أخرى، وقد يصل التذبذب الوالدي إلى درجة التناقض بحيث يصبح الفرد غير قادر على توقع رد فعل والديه إزاء سلوكه كما يدرك أن معاملتها تعتمد على المزاج الشخصي، وليس هناك سلوك ثابت نحوه, وأحيانا يتعارض سيطرة الأب مع سيطرة الأم حيث يواجه الطفل صراعا في اختيار الدور الذي يقلده، وقد ينحرف سلوكه الى غير المرغوب، وهناك أمثلة كثيرة لأساليب المعاملة الوالدية للأبناء والتي تعبر عن هذا الاتجاه فعلى سبيل المثال :عندما يبدأ الطفل في تعلم الكلام ويسب أباه أو أمه فيجدهما يضحكان لذلك السلوك، لكن إذا كرر الطفل نفس ذلك السلوك في وجود زوار فإن الأبوين أو أحدهما غالبا ما يعاقب الطفل أو ينهيانه على ذلك السلوك ...وهنا يجد الطفل نفسه في حيرة من أمره لأنه لا يعرف سبب ضحكهما في المرة الأولى ومعاقبته في المرة الأخرى على نفس السلوك (ناجي عبد العظيم سعيد مرشد، 2005: 54).

الآثار السلبية لأسلوب التذبذب بين الشدة واللين وعلاقة بالتوافق النفسي والاجتماعي:

حيث يترك هذا الأسلوب آثارا سيئة على شخصية الفرد، ويجد صعوبة في التمييز بين الصواب والخطأ، وقد يكون أحيانا مترددا في حسم الأمور ويمكن أن يمتنع عن التعبير عن آرائه ومشاعره؛ لذلك يجب أن يكون للوالدين سياسة ثابته في معاملة الأبناء لا تقوم على التذبذب بين رأي وآخر بالمعاملة الثابتة الحازمة هي التي تساعد الطفل على سرعة الوصول الى الحكم الأخلاقي الصحيح, ومن شأن ذلك أن تسهل عليه طاعة السلطة، وأن

الشدة الثابتة خير من اللين مع التذبذب، وخير من هذا وذلك أن يكون هنالك حزم وثبات مع عطف معقول (مرشد، 2005: 54).

تامناً: التنشئة الاجتماعية بأسلوب التدليل:

يتمثل في تشجيع الطفل على تحقيق معظم رغباته الملحة وغير الملحة في التو واللحظة دون تأجيل أو إبطاء، ومن شأن ذلك أن يجعل الفرد لا يتحمل المسؤولية والاعتماد على الغير وعدم تحمل مواقف الإحباط والفشل في الحياة, ونمو نزعات الأنانية وحب التملك (مختار، 2004: 174).

الآثار السلبية لأسلوب التذبذب بين الشدة واللين وعلاقة بالتوافق النفسي والاجتماعي:

الشعور بالنقص، وفقدان الثقة بالنفس، وقتل روح الاستقلال وتحمل المسؤولية, ظهور شخصيات قلقة مترددة تتخبط في سلوكها بلا قواعد أو معايير أو حدود, الطفل المدلل لا يحافظ على عهوده والتزاماته ومواعيده, لا يستطيع تحمل المسؤولية، ويعتمد على الآخرين, عندما لا يحصل الطفل على نفس معاملة الأسرة يستجيب استجابات مختلفة منها :الشعور, بالغضب، بالخوف المعاناة والقلق النفسي, كما قد تشتد استجاباته حتى تصل إلى التلعثم أو اضطراب الكلام، أو التبول اللاإرادي في الفراش كما أن التدليل يدعم نوبات الغضب والعناد (مختار، 2004: 179 – 191).

تاسعاً: التنشئة الاجتماعية بأسلوب التسلط والتشدد والقسوة:

ويمكن أن نسميه أيضا أسلوب القمع الأسري للطفل، وينتشر هذا النمط بين مختلف الأسر سواء الغنية أو الفقيرة، إلا أن المستوى الثقافي للأسرة يلعب دورا في الحد من استخدام هذا النمط من التنشئة، فالأسلوب المتسلط هو ميل الأهل في عملية التنشئة الاجتماعية إلى التشدد والتصلب و من أبرز مظاهره: عدم إتاحة الفرصة للطفل لإبداء رأيه بأي موضوع سواء ما يتعلق باحتياجاته الخاصة، أو بأمور يراها تحدث في محيطه فيحاول تفسيرها و مناقشتها, واستخدام العقوبة الجسدية ضد الطفل لإخضاعه لأوامر والديه, استخدام العقوبة النفسية :تهديد ووعيد للطفل في حال عدم قدرته على إنجاز أمر

ما, و استخدام فعل الأمر من قبل الوالدين إنجاز أمر ما من قبل الطفل" افعل كذا، ولا تفعل كذا..." (ابراهيم عبد الكريم الحسين، 2002: 74).

الأثار السلبية لأسلوب التسلط والتشدد والقسوة وعلاقة بالتوافق النفسي والاجتماعي:

فالضبط المفرط للأبناء يحد من إمكانية ممارسة أدوارهم كشخصيات لها استقلالها، وقد يولد العدوانية, غالبا ما نرى الابناء يتسمون بالانطواء أو الانزواء أو الانسحاب من الحياة الاجتماعية، والشعو بالنقص وعدم الثقة بالنفس والشعور بالذنب وكره السلطة الوالدية، حيث يجعل الابناء ينتهجون نفس أسلوب الصرامة والشدة في حياتهم المستقبلية وذلك عن طريقة عمليتي التقليد أو التقمص لشخصية أحد الوالدين أو كليهما. وهذا من شأنه أن يؤدي الى تكوين شخصية ضعيفة تشعر بالقلق والحيرة غير واثقة من نفسها تنزع الى الخروج عن القواعد والأنظمة كتعويض عن الحرمان العاطفي وفقدان الاستقلالية (عفاف عبد الفادي دانيال، 2005: 153).

كما أن الدراسات النفسية الحديثة التي تناولت آثار الإساءة الجسدية على أطفال ما قبل المدرسة أشارت أنهم يتصفون بما يلي: العناد والعدوان والنشاط الزائد والفوضى, تكون درجاتهم متدنية على مقاييس الذكاء, يظهرون مشكلات في التكيف مع بيئة الصف والتفاعل مع الزملاء, قد يحصلون على درجات أدنى على مقاييس تقدير الذات (مختار، 2004: 288 – 291), ونجد أن ابن خلدون ذهب في مقدمته إلى القول: "إن أساليب العسف والقهر من طرف المربين تقود إلى القهر وضيق النفس، والتقليل من نشاطها وفعلها، وبالتالي يقود ذلك إلى الكسل ويحمل على الكذب والخبث، والتظاهر بغير الحقيقة، خوفا من القهر، فينشأ الطفل على المكر والخديعة، ويفسد خلقه وتفسد معالم الإنسانية فيه ...وينبغي للمعلم في متعلمه، وللوالد في ولده، ألا يستبدا عليهما في التأديب" (ابراهيم عبد الكريم الحسين، 2002: 75– 76).

عاشراً: التنشئة الاجتماعية بأسلوب إثارة الألم النفسي:

يتمثل هذا الأسلوب في إشعار الطفل بالذنب كلما قام بسلوك غير مرغوب فيه، أو كلما

عبر عن رغبة محرمة، كما قد يكون ذلك أيضا عن طريق تحقير الطفل والتقليل من شأنه أيا كان المستوى الذي يصل إليه في سلوكه أو أدائه حيث نجد أن بعض الآباء والأمهات يبحثن عن أخطاء الطفل و يبدون ملاحظات نقدية هدامة لسلوكه، مما يفقد الطفل ثقته بذاته، ويجعله مترددا في أي عمل يقدم عليه خوفا من حرمانه من رضا الكبار وحبهم.

الآثار السلبية لأسلوب إثارة الألم النفسي وعلاقة بالتوافق النفسي والاجتماعي:

غالبا ما يترتب عن هذا الأسلوب شخصيات انسحابيه منطوية غير واثقة من نفسها، توجه عدوانها نحو ذاتها، كما يكونون عرضة لعدد من الأمراض النفسية كالقلق، الهيستيريا، وحتى أنه من الممكن إصابتهم بالوسواس القهري الذي اتفق العلماء على أنه مرتبط بشكل عام بالحرمان من الحب (أبو حمدان, 2011: 375).

ويتضح مما سبق ذكره: الدور المهم الذي تؤديه أساليب التنشئة الاجتماعية السوية وغير السوية خلال فترة الطفولة الباكرة على سلوك الأبناء, وما لها من علاقة قوية وتأثير بالغين على ما ستكون عليه شخصياتهم في المستقبل.

الخلاصة

من خلال ما سبق عرضه نصل إلى القول بأن التنشئة الاجتماعية لها أهداف وأهمية وعلاقة بالتكيف النفسي للفرد في أسرته ومجتمعه، وتبقى أساليب التنشئة الاجتماعية في الأسرة تعكس أساليب السلطة الموظفة في المجتمع و في مؤسساته، ويتضح مما سبق تعدد أساليب التنشئة الاجتماعية في الأسرة, حيث إن بعض الأسر تنمي الأساليب التي تتسم بتقبل سلوك الأبناء وتصرفاتهم وتوفير العطف والحنان والدفء، وتشجعيهم على الاستقلالية في تدبير شؤونهم وتصرفاتهم دون الاعتماد على الآخرين، في حين تتصف بعض الأسر بالإسراف في التدليل والإذعان لمطالب الأبناء، أو الاسراف في استخدام أسلوب القسوة والصرامة والشدة من ناحية، والتذبذب بين الشدة واللين، وفرض الحماية والخوف الزائد، واختلاف وجهتي نظر الطرفين" الأب والأم" كليهما في تنشئة الأبناء، واستخدام أحدهم للأطفال كسلاح يشهره في وجه الطرف الأخر في سبيل تحقيق ما يسمى بالمحافظة على عش الزوجية الأسرية، وبعضهم الآخر لا يتوخى المساواة والعدل في

التنشئة، أو التفاهم، مما قد يؤدي إلى ظهور بعض السلوكيات غير المرغوب فيها كالسلوكيات التي تم عرضها.

المراجــع

- الحسين، ابراهيم عبد الكريم، الطفل للتفوق، الجزء الأول، دار الرضا للنشر، 2002.
- اسماعيل، أحمد السيد محمد، مشكلات الطفل السلوكية وأسلوب معاملة الوالدين، المكتب الجامعي الحديث، ط2، الإسكندرية، سنة 1995.
- بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، 1996.
- عبد الحميد، أحمد يحي، الأسرة والبيئة، المكتب الجامعي الحديث، 1998.
- الجميلي، خيري خليل، بدر الدين عبده، الممارسة المهنية في مجال الأسرة والطفولة، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1997.
- دسوقي، كمال (1979) النمو التربوي للطفل والمراهق، دار النهضة العربية، بيروت.
- الرفاعي، نعيم، الصحة النفسية، دراسة في سيكولوجية التكيف، مكتبة إحياء التراث، ط8، مكة، سنة 1987.
- الزليتني، محمد فتحي فرج 2008، أساليب التنشئة الاجتماعية الأسرية ودوافع الإنجاز الدراسية، مجلس الثقافة العام.
- الخولي، سناء، الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 1995.
- أحمد، سهير كامل، أساليب تربية الطفل بين النظرية والتطبيق، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، 1999.
- السيد عبد العاطي وآخرون، الأسرة والمجتمع، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 1998.
- أبو جادو، صالح محمد علي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان 1998، الأردن ط1.
- شروخ، صلاح الدين، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 2004.
- الطنوبي، محمد عمر 1997، قراءات في علم النفس الاجتماعي، مكتبة المعارف الحديثة الاسكندرية.

- الأشول، عادل أحمد عز الدين، علم النفس الاجتماعي مع الإشارة إلى مساهمات علماء الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1987.
- عوض، عباس محمود والدمنهوري، رشاد صالح، علم النفس الاجتماعي نظرياته وتطبيقاته، دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية، سنة 1994.
- عفيفي، عبد الخالق محمد، الأسرة والطفولة، أسس نظرية، مجالات تطبيقية، مكتبة عين شمس، القاهرة 1998.
- عفيفي، عبد الخالق محمد، الخدمة الاجتماعية المعاصرة في مجال الأسرة والطفولة، مكتبة عين شمس، القاهرة، 2000.
- خواجة، عبد العزيز، مبادئ في التنشئة الاجتماعية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005.
- عبد المنعم، عفاف محمد، الإدمان دراسة نفسية لأسبابه ونتاجه، دار المعرفة الجامعية، مصر 2003.
- علاء الدين كفافي، رعاية نمو الطفل، معهد الدراسات والبحوث التربوية، د ط، القاهرة، دون سنة.
- شكري، علياء، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعارف بالقاهرة،1981 .
- عياد، مواهب إبراهيم، الخضري، ليلى محمد (1993)، إرشاد الطفل وتوجيهه في الأسرة ودور الحضانة، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- السيد، فؤاد البهي، علم النفس الاجتماعي، دار الكتاب الحديث، ط2، الكويت دون سنة.
- الجولاني، فادية عمر، دراسات حول الأسرة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1995.
- فرج، محمد سعيد، البناء الاجتماعي والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، د ط، 1998.
- غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، 1996.

- مرشد، ناجي عبد العظيم سعيد 2005، تعديل السلوك العدواني للأطفال العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة دليل للأباء والأمهات، مكتبة زهراء الشرق.
- تيماشيف، نيقولا، نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، ط2، 1989.
- مختار، وفيق صفوت، الأسرة وأساليب تربية الطفل، دار العلم والثقافة، القاهرة، 2004.

المجلات:

- دانيال، عفاف عبد الفادي 2005، أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بكل من المستوى الاجتماعي الاقتصادي الثقافي للأسرة والترتيب الانجابي للأبناء: دراسات عربية في علم النفس, المجلد4، العدد 2، أفريل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

الأطروحات:

- أبو حمدان، ماجد ملحم 2011، طرائق التنشئة الاجتماعية الأسرية وعلاقتها بمدى مشاركة الشباب في اتخاذ القرار داخل الأسرة دراسة ميدانية على عينة من شباب جامعة دمشق – كلية الآداب, مجلة جامعة دمشق، المجلد 27 العدد الثالث+الرابع 2011.
- الأخرس، محمد صفوح (2001)، المنهج وطرائق البحث في علم الاجتماع, دمشق، جامعة دمشق، ط6.
- بركات، آسيا بنت علي راجح (2000)، العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والاكتئاب لدى بعض المراهقين والمراهقات المراجعين لمستشفى الصحة النفسية بالطائف، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.
- سحنون، قرمية، دور التنشئة الاجتماعية الأسرية في نمو شخصية المراهق الجزائري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة، معهد علم الاجتماع، 1996-1997.

الأعراف الاجتماعية وعلاقتها بحل النزاعات القبلية في شرق ليبيا "المسار أنموذجا"

د. نصر الدين البشير العربي•
أ . أحمد علي دعباج

المقدمة:

يعد المجتمع الليبي كغيره من المجتمعات التي لها عادات وأعراف وتقاليد وقيم دينية واجتماعية وثقافية، ينشأ ويتربى عليها الفرد منذ ولادته ويحرص على التمسك بها والمحافظة عليها، لأنها تلبي الرغبات والحاجات والطموحات لذلك الفرد والجماعة التي ينتمي إليها المجتمع الليبي وبالذات في المنطقة الشرقية وقبائلها– مجال الدراسة– فهم يولون اهتماما كبيرا بهذه القيم والأعراف؛ لأنها تسهم إلى حد كبير في تماسك ووحدة المجتمع في المنطقة ، ولا يمكن الاستغناء عنها، كما أنها تعتبر من وجهة نظرهم من الأشياء العظيمة التي يفتخرون ويعتزون بها.

فهي إذا مجموعة من العادات والتقاليد السائدة لديهم والتي يرون أنفسهم ملزمين بالعمل بها واتّباعها وعدم الخروج عليها، ومن يخرج عليها يتعرض للنبذ والازدراء، وأحياناً الطرد من القبيلة من قبل الجماعات الاجتماعية. يقول أحمد زكي بدوي في هذا الصدد: " إن العرف أنماط من السلوك الجماعي الذي ينتقل من جيل إلى جيل آخر، وتستمر فترة طويلة حتى تثبت وتصل إلى درجة اعتراف الأجيال المتعاقبة وفي بعض الأحيان نجد أن العرف يقوم مقام القانون في المجتمع"[(1)]، وقد أشار إلى التعريف ذاته أيضاً محمد إبراهيم الوالي بقوله: "هو عبارة عن قواعد وعادات متبعة على مدار الزمن واعتقد الناس في إلزامها كقاعدة ثانوية، ويطلق عليها أحياناً القانون غير المكتوب"[(2)].

• جامعة المرقب– كلية الآداب– قسم التاريخ

ونجد هذه الأعراف –وخاصة موضوع دراستنا– في عمليات فض النزاعات بين القبائل الليبية في المنطقة الشرقية تتم عادةً عن طريق ما يسمى "بالمسارات"[3] في قضايا النزاعات التي تحدث ما بين تلك القبائل ، فتلك القبائل هي من المجتمعات البدوية التي لازالت متمسكة بالأعراف الاجتماعية لحل النزاعات والخلافات التي تحصل فيما بينها بين الفينة والفينة بين أهالي تلك القبائل القاطنة بالمنطقة، وحتى أننا نلحظ ذلك جلياً من خلال بعض الحوادث التي تحدث في المنطقة الشرقية في أنهم يشعرون في بعض الأحيان بالغضب والامتعاض على من يتقدم بشكوى لمركز الشرطة أو إحدى الأجهزة الأمنية دون الرجوع إلى أعيان ومشايخ القبيلة، ويعتبرون ذلك خروجاً على النمط المتعارف عليه في حل منازعاتهم وخلافاتهم التي تحدث فيما بينهم، ومع ذلك فهم لا ينكرون العمل الجاد والفاعل والمهم لرجال الأجهزة الأمنية، والأعمال الصعبة والشاقة التي يقيمون بها من أجل سلامة المدن والقبائل في المنطقة الشرقية من ليبيا.

لذا فإن دراسة العرف وكيفية التعامل به لحل النزاعات القبلية في المنطقة الشرقية، سيتيح لنا فرصة للتعرف على أعراف وعادات مازالت سائدة في مجتمع من المجتمعات العربية وكيفية تمسكه بتراثه وأعرافه في كثير من المناسبات، علماً أن هذه الدراسة من الدراسات القليلة من نوعها في دراسة مجتمع القبائل الليبية بالمنطقة الشرقية، وكيفية ممارسة بعض الأعراف والعادات والتقاليد السائدة لديهم ومن ضمنها (المسار).

وكان اختيارنا لعنوان هذه الدراسة نابع من إحساسنا وشعورنا الداخلي بأهمية دراسة مثل هذه المواضيع، وما لها من دور فاعل في حل الكثير من النزاعات والصراعات القبلية في المجتمعات العربية.

فيما يخص مشكلة الدراسة، فإننا نلحظ أن المجتمعات القبلية في الوطن العربي، وخاصة في ليبيا وتحديداً في المنطقة الشرقية من ليبيا، منذ زمن طويل حاولت العمل على إيجاد بعض القوانين والتشريعات الصلحية التي تنظم بها حياة الناس في تلك القبائل والتي لازالت مستمرة حتى وقتنا الحاضر، كأساليب لحل المشاكل التي تقع بين أبناء القبائل القاطنة بالمنطقة الشرقية وإنهائها بين الأطراف المتخاصمة، دون الرجوع إلى

الأجهزة الأمنية والقضائية إلا في أضيق الحدود ومساعدتها في ذلك.

لقد قام الباحثان بمحاولة تتبع هذه الأعراف السائدة لديهم وخاصة (المسار)- موضوع الدراسة- ووصفها، وسيعملان على تحديد أهميتها ودورها في حل الكثير من النزاعات والصراعات في مجتمع الدراسة، وذلك من أجل الوصول إلى الدور الذي تقوم به تلك الأعراف ونقصد (المسار) في حفظ النظام وضبط المجتمع واستقراره داخل تلك القبائل.

وتتحدد مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

ما هو دور الأعراف والتقاليد (المسار) في حل النزاعات القبلية بين القبائل في المنطقة الشرقية من ليبيا؟ وما أهم المدن والقبائل بالمنطقة الشرقية بليبيا؟ وما أنواع النزاعات بالمنطقة الشرقية التي كانت تحل عن طريق العرف؟ ما الأساليب العرفية المتبعة لحل النزاعات في قضايا القتل؟ ومن هم الأشخاص الذين يقومون بحل هذه النزاعات بين الأطراف المتنازعة؟ سواء أكانت هذه الأطراف أفراداً أم جماعات، وما طبيعة الدور الذي يقومون به؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات تم اعتماد منهج وصفي تحليلي لوصف الحدث وتحديد أبعاده، وكذلك تم استخدام المنهج التاريخي عند تتبع تطور الأعراف الاجتماعية وعلاقتها بحل النزاعات القبلية بليبيا.

استخدم الباحثان مجموعة من المصطلحات زيادة في توضيحها نذكر بعضا منها وفق الآتي:

1- الأعراف: وهو ما درج الناس على اتباعه من قواعد معينة في شؤون حياتهم وشعورهم بضرورة احترامها[4].

2- العرف: وهو تلك العادات والممارسات الجماعية المتكررة الرتيبة التي يعتقد أفراد الجماعة أنها ضرورية وجوهرية لاستمرار حياة الجماعة كجماعة، وهذه العادات هي الصواب[5].

3- النزاع: يعتبر علماء فض النزاعات أن النزاع والصراع يتمركز حول العلاقات

الاجتماعية سواء أن كان حقيقيا أو وهميا، بحيث يؤدي وجود تعارض في الأهداف والمصالح أو التصرفات إلى تنازع بين الأفراد والجماعات والقيادات وتستخدم الوسائل الأكثر عنفاً لتحقيق المصالح والأعيان[6].

4- القبيلة: وهي وحدة تكوين اجتماعي تتميز بالأصل الواحد، فمقياس الانتماء إليها هو النسب[7]. ويعرفها كذلك عبد الوهاب بن منظور بقوله: " وتنتهي (باللمة) القبلية التي تحتوي في الغالب على عدد من البطون تؤلف فيها وحدة الدم والنسب، وتشمل في النادر بطناً أو عدّة بطون من غيرها انحازت لها و أضافت إليها في أوقات بعيدة أو قريبة لسبب من الأسباب فأصبحت معدودة منها بحكم الحلف والولاء[8].

5- العادات والتقاليد: هي عبارة عن تجارب طويلة لحياة الناس خلال تاريخهم الحافل بالأحداث والتطورات، ويترك سلوك الناس وأنماط عملهم ومعتقداتهم أثراً واضحاً في المجتمع ويميزه بعلاقات وتقاليد خاصة، تتناقل هذه العادات والتقاليد من الآباء إلى الأبناء وتتوارثها الأجيال على مر العصور وهي بالتالي تمثل حياة الإنسان بمختلف أوجه الحياة الاجتماعية[9].

6- المسار أو الدرية: وهو عبارة عن جلسات تصالح بين القبائل والعشائر المنتشرة في عدد من الدول العربية، مثل (ليبيا، ومصر، والسعودية، والأردن، والعراق)، لحل النزاعات والخصومات بين أبناء القبائل المتخاصمة دون تدخل الدولة، ويلتزم أبناء القبائل المتخاصمة بما اتفق عليه الشيوخ والحكماء خلالها[10].

- أولا: نبذة تاريخية عن المنطقة الشرقية بليبيا وأهم مدنها وقبائلها:

تمثل القبيلة في ليبيا الركيزة الأساسية في التركيبة الاجتماعية في الدولة الليبية، ومن المعروف أن القبائل المنتشرة في ليبيا تنحدر من أصول يمنية وأمازيغية ومن شبه الجزيرة العربية التي هاجرت عبر التاريخ وأدّت دوراً مهماً في بلورة الأحداث والتأثير فيها، واتضح ذلك جلياً في مراحل التاريخ الإسلامي المختلفة وخلال انتشاره في مختلف المناطق كذلك خلال مراحل التاريخ العربي القديم والوسيط والحديث وتعددت أسباب هجرات هذه القبائل، فمنها ما هو ديني سياسي يعود إلى سياسة الاضطهاد والشدة في معاملة أصحاب العقيدة

والمذاهب المخالفة، ومنها ما هو اقتصادي أي للتجارة والسعي إلى اكتساب الرزق ورفع مستوى المعيشة والبحث عن أسواق جديدة. وهناك جوانب اجتماعية المتمثلة في الصراعات القبلية وما نتج عنها من حروب طاحنة أدت في نهاية المطاف إلى الضغط على الطرف المغلوب ودفعته للهجرة[11].

وهناك العديد من الأسباب الأخرى المتمثلة في المجاعات والأمراض وانتشار الأوبئة وما إلى ذلك من أسباب تتعلق بحياة الفرد والأسرة أدت إلى هجرة هذه القبائل واستقرارها في ليبيا. ويمكن القول بأن نسبة الفئات الاجتماعية غير القبلية في ليبيا في العصر الحديث محدودة جداً، إذ أن المجتمع في ليبيا عموماً يعتبر مجتمع قبلي من حيث الأصول والأعراق وأن كثيرا من المناطق أو القبائل تكيف في مراحل زمنية مختلفة مع متطلبات ومفاهيم المجتمع المدني، وأصبح ينظر إليها على أنها مدنية، إلا أنها في الأصل تعتبر قبلية.

والمنطقة الشرقية من ليبيا – موضوع دراستنا– إحداها، وهي المنطقة الممتدة من الحدود المصرية شرقاً وحتى مدينة سرت غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً وحتى تخوم الصحراء الكبرى بعد واحات الكفرة جنوباً[12].

أ– أهم مدن المنطقة الشرقية في ليبيا:

1– مدينة بنغازي: تقع بنغازي على ساحل البحر الأبيض المتوسط وتبعد عن طرابلس بنحو 1050 كم شرقاً، وهي من المدن القديمة، وكانت تعرف باسم يوسبريدس عندما شيدها المستعمرون الإغريق سنة 525–519 ق . م –تقريباً– في عهد اركسيلاوس الثالث ، وعرفت باسم: برنتيشي (برنيق) في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، واسم بنغازي حديث نسبياً[13].

2– مدينة أجدابية: تقع مدينة أجدابية على الطريق الساحلي على بعد نحو 170 كم جنوب مدينة بنغازي، كان موقع أجدابية في العصر الروماني عبارة عن مركز حربي. وقد افتتحها القائد عمرو بن العاص –صلحاً– سنة 22 هجري643م[14].

3– مدينة برقة الإسلامية (المرج الحديثة): تقع مدينة برقة الإسلامية (المرج

الحديثة) على مسافة 100 كم تقريباً شمال شرق مدينة بنغازي وقد أُسست مدينة برقة في عهد أركسيلاوس الثاني، رابع ملوك مدينة قوريني، والذي حكم بين سنتي 554–544م وقد افتتحها العرب المسلمون سنة 22 هجري643م[15].

4- مدينة درنة: تقع مدينة درنة على شاطئ البحر المتوسط وتبعد عن مدينة بنغازي بنحو 300 كم إلى الشمال الشرقي[16].

ب – **القبائل الليبية بالمنطقة الشرقية:**

عَرَفَت المنطقة الشرقية بليبيا العديد من القبائل والتي تنقسم إلى فرعين هما السعادة والمرابطين على النحو التالي:

- قبائل السعادة : أولاد علي – الحرابة – العبيدات – الحاسة – الدرسة – البراهمة – أولاد احمد – فايد ومنهم ايضاً البراغيث الحمر وهم : العرافة – العبيد – العواقير – المغاربة .
- قبائل المرابطين : الجميعات – القطعان – المنفه – العرافنة – القريضات – الحوته – الشهيبات – الجرارة – الصريحات – العوامة – الشواعر – الحبون – المسامير – أولاد الشيخ – الفواتير – الزوية – العلاونة – الجوابيص – هوارة [17].

ثانياً: أنواع النزاعات التي تحدث بين القبائل في المنطقة الشرقية وتحتكم للأعراف:

إن النزاعات التي تحدث بين القبائل الليبية في المنطقة الشرقية ويتم فيها الاحتكام للأساليب العرفية يمكن تصنيفها وفقاً لدرجة وقوة نوعها، فهناك نزاعات لابد من استخدام الأساليب العرفية منذ بداية حدوثها وحتى نهايتها، وهناك نزاعات لا تستخدم هذه الأساليب إلا بشكل جزئي ومحدود ومن أهم هذه النزاعات هي:

1-قضايا القتل والثأر.

2-قضايا الطعن والضرب.

3-النزاعات المرتبطة بالاعتداء على الممتلكات.

4-النزاعات المتعلقة بالحيوانات.

5-النزاعات المتعلقة بالحوادث المرورية.

6-النزاعات المتعلقة بالمشاجرات بين الأشخاص.

7-النزاعات المتعلقة بالأمور المالية.

8-النزاعات المتعلقة بالدمار والتخريب للممتلكات.

9-النزاعات المتعلقة بالشكاوي الكيدية.

10-النزاعات المتعلقة بقضايا الزواج والطلاق.

11-النزاعات المتعلقة بقضايا الشرف والعرض.

وسنحاول في هذه الدراسة التركيز على إحدى هذه القضايا وكيفية حلها عن طريق الأعراف بين القبائل في المنطقة الشرقية، وهي قضايا القتل، والأساليب التي يتم اتباعها في حل هذه القضية كنموذج للدراسة، وهي ما يسمى بـ (المسار)، حيث يشكل نزاع القتل بين القبائل قضية إنسانية مهمة لا يمكن أن يغفل عنها أبناء القبائل ومشايخها وحكمائها؛ لأنها ترتبط بقضايا العنف والقتل، وهي تقتضي إدارة متميزة وحكيمة في فض تلك النزاعات، فالفشل في السيطرة على تلك النزاعات يؤدي بالضرورة إلى الاقتتال والدمار والخراب والتهجير، وإلى الظلم والاستبداد.

وتتمحور عملية فض النزاعات في ثلاثة نقاط رئيسة هي:

1- **الوقاية من النزاع:** ونعني بذلك القيم والمبادئ التي ينبغي أن تسود بين أبناء القبائل، حتى تحول ابتداء دون حدوث النزاع، بصفته أمراً غير مرغوب فيه، والثقافة القبلية السائدة بالمنطقة الشرقية لدى أبناء القبائل توفر أقصى عناصر الوقاية من النزاع بفضل جهود حكمائها وشيوخ تلك القبائل الذين يلعبون دوراً محورياً في نشر ثقافة المحبة والآلفة والتكافل الاجتماعي بين أفراد القبائل.

2- **احتواء النزاع:** وذلك عن طريق إصلاح ذات البين بين الأطراف المتنازعة وجبر الضرر أولاً بأول قبل تفاقم النزاع.

3- **فضّ النزاع:** عن طريق تغليب لغة الصفح والعفو والعقل عن الأذى، والحكم

العادل بين المتخاصمين، ثم الاحتكام للقانون أو الأعراف.

- **نماذج لبعض نزاعات القتل التي تم حلها بالطريقة العرفية:**

قضايا القتل هي من أبرز النزاعات المنتشرة بين القبائل، وذلك لعظم نتائجها وخطرها الذي تحدثه داخل المجتمع من زعزعة أمنه واستقراره إذا لم تتدارك وتحل في وقتها.

وقد قام الباحثان بمتابعة إحدى قضايا القتل والتواصل مع المشاركين في المراسيم التي وقعت بين قبيلتي (العبيدات) و(الجميعات) الليبية القاطنة بمحافظة مطروح بالقرب من الحدود الليبية، وطريقة حلها عن طريق الأساليب العرفية، وتسجيل هذه المراسيم والعبارات التي قيلت أثناء هذه المرسم، والتي انتهت بالصلح والعفو، والتي حضرها الزميل الأستاذ ناصر الهواري مكلّف من الباحثين بالمتابعة وتسجيل كافة المراسم وكان شاهداً عليها، وقد تمّ في هذه القضية التنازل من قبل أهل المقتول ورفض الدية.

تفاصيل القضية رقم (1):

يحدثنا الأستاذ ناصر الهواري عن القضية التي تابعها وحدثت بين قبيلة (العبيدات) وقبيلة (الجميعات)، ودور الأعراف الاجتماعية (المسار) في حل النزاع الواقع بينهما، والذي يعود إلى 37 سنة مضت ،ففي شهر فبراير من سنة 1976 م، قام أحد أبناء قبيلة (العبيدات) المجند بحرس الحدود بين ليبيا ومصر بإطلاق النار على أحد أبناء قبيلة (الجميعات) المنتشرة في محافظة مطروح المصرية عند همومه بالدخول إلى الأراضي الليبية بطريق الخطأ وتركه ينزف حتى الموت، ما اعتبر أهل القتيل ذلك قتلا عمداً، وبعد أن تحرى أهل القتيل فترة من الزمن تمكّنوا من الوصول إلى الجاني وتحديد هويته، وبعد تدخل من بعض مشايخ القبائل بالمنطقة الشرقية بليبيا ومشايخ قبائل مطروح تم التوصل إلى عقد جلسات فيما بينهم (المسار) لحل النزاع بين الطرفين، وتم الاتفاق على قدوم وفد من القبائل الليبية للصلح، وحُدد الموعد، وكان بتاريخ 2013/6/20م، وطلب من قبيلة الجاني (العبيدات) تجهيز دية تقدر ب100 جمل، أي ما يعادل 150 ألف دينار، وعقد (المسار) بساحة الصلح في قرية المثاني بمطروح في أقصى الغرب المصري، وعند بدء

جلسة المسار، صعد شيخ قبيلة (الجميعات) –الشيخ عبد الرحمن محمد عبد الرحمن– المنصة المشيدة وسط الساحة وتلا على الحاضرين آيات بينات من القرآن الكريم تحضّ على العفو والتسامح، ما فهم على أنه أشارة إلى ميل قبيلة (الجميعات) للعفو، ولم يلبث الشيخ أن أعلن العفو عن القاتل، وعدم قبول الدية، وأنهى بذلك نزاعا وصراعا استمر 37 سنة، وقوبلت كلمته بالترحاب والفرح والسرور من الحاضرين، واعتلى بعد ذلك الشيخ صالح الجبالي– شيخ قبيلة العبيدات– معلناً عن سعادته وشكره لقبيلة (الجميعات) وشيوخها قائلاً: "يجب أن يعود الجميع إلى روح الدين الإسلامي الذي يدعو إلى العفو والصفح والتسامح" وقد كان من بين الحضور لهذا المسار الكبير جمع من القبيلتين يبلغ 2000 شخص، ومحافظ بلدية مطروح اللواء أحمد الهيتمامي، ومدير أمن مطروح اللواء العناني حمودة، وممثل عن قيادة المنطقة الغربية العسكرية، ومشايخ وعواقل المحافظة، وعلى رأسهم رئيس مجلس العمد والمشايخ، الشيخ العمدة/ أحمد طرام، بالإضافة إلى قيادات من حزب النور والدعوة السلفية بمطروح ونواب عن مجلس الشورى.

و أكد الشيخ علي اهليل شيخ قبيلة غيث الخادم وهي أحدى بيوت قبيلة (العبيدات) التي تنقسم إلى اثنى عشر بيتاً، : نبارك في هذا اليوم عودة إخواننا من قبيلة (الجميعات) إلى أهلنا في قبيلة (العبيدات) مع تمنياتي لهم بالرخاء والسعادة والوئام، وقدومنا إلى قبيلة الجميعات دليل على عودة المحبة، وما قمنا به اليوم هو عرف متعارف عليه بين القبائل العربية فيما بينها؛ لإنهاء النزاعات والخلافات وتعود المياه إلى مجاريها. وكذلك فإن العرف القبلي في ليبيا والذي يتم عن طريقه حل المنازعات ملزم لكافة أبناء القبيلة"[18].

تفاصيل القضية رقم (2):

محمد (...) شاب من قبيلة (...)، قُتل أخوه البالغ من العمر تسعة وعشرين عاماً عمداً، وكان الجاني زميله في العمل، كانا يعملان معاً في الحراسة الليلية في إحدى الأجهزة الرسمية بالدولة بمدينة بنغازي، واختلفا على مواعيد الغفارة بأحد مداخل العمل، فحدث بينهما شجار، وقام (س) البالغ من العمر خمسة وعشرين عاماً، من قبيلة (...)، بإطلاق النار عليه من بندقية نوع (كلاشن كوف) فمات على الفور، اعتقل الجاني

وصدر في حقه حكم بالإعدام، غير أن قبيلة الجاني قامت بجمع عدد كبير من مشايخ المنطقة الشرقية، وأرسلوهم إلى أهل القتيل من عائلة (...) طالبين منهم التنازل عن عقوبة الإعدام، وبعد عدة جلسات متتالية بـ (المسار)، تمت الموافقة على أخذ الدية وإسقاط حق المتوفى لقبيلة (...)[19].

تفصيل القضية رقم (3).

بتاريخ 18-2-2001 عقد اجتماع " مسار" بين قبيلة مارغنة بمدينة إجدابيا وقبيلة القدادفة بشأن المصالحة في وفاة صلاح محمد المرغني نتيجة حادث سير بينه وبين عمر علي عبدالرحيم مما أدى إلى وفاة الأول وبحضور قبيلة المنفى والدرسا والعوامة وبعض من شيوخ القبائل بالمنطقة الشرقية تم عقد محضر مصالحة بين القبيلتين فيما يلي نصه :" إيماناً من قبيلة مارغنه بقضاء الله وقدره ونظراً للعلاقات الطيبة بين القبيلتين فقد تنازلت قبيلة مارغنه عن جميع حقوقها تجاه قبيلة القذادفة مع احتفاظ أسرة المتوفي بحقهم في التعويض من التأمين أو غيرها من الجهات إن كان له مقتضى وفقا للتشريعات النافذة في ليبيا ويعتبر هذا التنازل صلحاً نهائياً بإذن الله "

ثالثاً: الأساليب المتبعة للتفاوض في حل النزاع:

اكتسب حكماء وشيوخ القبائل بالمنطقة الشرقية بليبيا أساليب متعددة في فن التفاوض ونزع فتيل الأزمات مهما كان حجمها، وذلك بسبب خبرتهم وحنكتهم الطويلة في هذا الشأن، فنجدهم أثناء حلّ النزاعات يحرصون على التفنن في لغة الحوار، واستخدام الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وضرب الأمثلة والاستعانة بالحكمة الداعية للصلح نثراً وشعراً[20]، وهم عادةً لا يميلون إلى مناقشة المشكلة بصورة مباشرة، وإنما يضاهونها بمشاكل مماثلة يضربون بها الأمثال، بحيث تم حلها وعاش الناس بعدها في أمن وأمان.

وكذلك يتم دعوة مجموعة من الوسطاء من أبناء القبائل الأخرى الغير مقصودة بالنزاع ليتولوا مسؤولياتهم لحل تلك النزاعات، وذلك من خلال عملهم على خلق المناخ المناسب والملائم، وتبديد المخاوف بين الأطراف، ويقومون بالضغط على الأطراف المتنازعة في إطار الأعراف للتعرف على المصالح المشتركة وقبول الحلول بالتراضي

والانصياع لقرار المحكمين، وغالباً ما يتم الفصل النهائي في النزاعات بعد عدة جلسات –والتي تسمى بـ (المسار)– المتباعدة في توقيتها حتى تهدأ النفوس وتقترب الحلول، ويكون العرف السائد في تلك الفترات بعدم الاعتداء أو الصراع سارياً بين المتنازعين حتى يصلوا إلى الحل النهائي وتنتهي النزاعات والإجراءات المتبعة في ذلك والمتعارف عليها لدى القبائل في المنطقة الشرقية، هي أن تقوم القبيلة المعتدية أو قبيلة المعتدى بالبحث عن الوساطة لحل النزاع، ومحاولة إيجاد حل مع القبيلة المعتدى عليها، ومحاولة الإصلاح بأي ثمن من الأثمان، وذلك عن طريق أعيان ووجهاء القبائل الأخرى وأصحاب المراكز الاجتماعية المرموقة، والذين بدورهم يطلبون من قبيلة المعتدي عليهم الموافقة بالإقبال عليهم بطلب الصلح، فإذا ما وافقوا وحصل اتفاق يحدد زمن ومكان المسار، وكذلك يتم الاتفاق مع قبيلة المعتدى عليهم بالقبول والرضا بالحكم الذي سيصدر عليهم من قبل المشايخ والوجهاء من القبائل الوسيطة، كما يتم وعدهم بالموافقة على طلباتهم، وقد يصل هذا التحكيم إلى ملايين الدينارات، ويكون القصد من ذلك هو محاولة تعجيز القبائل وقبيلة الجاني، ولكن مع هذا تتم الموافقة على طلباتهم، ويلتقي الجميع من أعيان القبائل والوجهاء والحكماء وقبيلة الجاني والمجني عليه في (المسار)، وتبدأ الكلمات من قبل الوسطاء، والتي من المتعارف عليها أنها كلمات تستشهد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية تدعو للصلح ونبذ العنف والإخاء والعفو والتسامح بين الجميع، ويطلب هؤلاء الوسطاء من قبيلة المجني عليهم بالقول لهم: "وماذا تركتم لنا؟" فتبدأ التنازلات والوساطة حتى يصلوا إلى حد معين يرضي القبيلتين، وتتم المصالحة ويفض النزاع ويتعانق الخصمان في أجواء عائلية تسودها الفرحة والسرور وينتهي الخلاف.

ويشير هنا الشيخ اهليل شيخ قبيلة غيث، شارحاً طبيعة التحكيم القبلي، أو ما يسمى بالعرف القبلي فقال: "هي قوانين غير مكتوبة يتم اللجوء إليها لحل الإشكالات، ومعظم النزاعات التي يختلف عليها الناس من القبائل بالمنطقة الشرقية يجري حلها عندنا بالعرف القبلي، حيث يرى الكثير من الناس أن الإجراءات القانونية معقدة وغير مجدية، فيأتون إلينا لحل قضاياهم، وغالبية القضايا التي نقوم بحلها خلافات حول ملكية الأرض،

ونزاعات تجارية، إضافة إلى الشجارات وقضايا القتل، وغالباً ما يتم الفصل في هذه النزاعات عن طريق مشايخ وحكماء القبائل بالطريقة العرفية السائدة بالمنطقة الشرقية.

وفي قضايا القتل يقوم الجاني وقبيلته بوضع الديّة، وهي غرامة مالية تزداد وتنقص بحسب ملابسات قضية القتل، وتتراوح القيمة ما بين: 100 ألف، إلى 400 ألف دينار ليبي، ويحكم فيها شيوخ القبائل على أهل الجاني بهذه الغرامة، ولا يحق للجاني وقبيلته إبداء أي اعتراض مهما كان الحكم المالي، والعرف هو فوق القانون خاصة في ظل الأوضاع الأمنية الراهنة في ليبيا هذه السنوات، والأعراف هي التي تحكم البلاد، أما المحاكم فهي شبه معطلة"[21].

وكذلك أشار المحامي محمد على حسن إلى أنه: "في ظل غياب الدولة ، تحل الأعراف والتقاليد محل القانون في الأساس، يمتاز الحل العرفي بالسرعة وإن كان مجحفاً أما المحاكم فهي تنهك الحالات، حين تثبت المحكمة حقوق المدعي، لا تستطيع الدولة استرداد حقوق صاحب الحق، وتكتفي بإصدار أحكام وأوامر تبقى حبيسة الأدراج دون متابعة نظراً لغياب الدولة وتعطيل القانون"[22].

النتائج :

بينت الدراسة الكثير من الجوانب المتعلقة بالأعراف التي يتم تطبيقها بالقبائل الليبية بالمنطقة الشرقية من ليبيا، ومع ذلك لازال هناك الكثير من العمل المتعلق بدراسة الأعراف الاجتماعية السائدة في ليبيا، والتي ينبغي دراستها دراسة واقعية تبين فيها الإيجابيات والسلبيات للأعراف المتداولة في المنطقة الشرقية بليبيا، والتي ساهمت بشكل كبير في حل الكثير من المنازعات والخلافات بين أبناء القبائل في منطقة الدراسة.

فالقبيلة في ليبيا هي ظاهرة تاريخية، ساهم في تشكيلها عوامل كثيرة، اقتصادية واجتماعية وتاريخية وسياسية وثقافية، وأصبحت على ما هي عليه نتيجة تلك العوامل.

ومن هنا فإن دور القبيلة في حل المنازعات بالأساليب العرفية بين القبائل قد ساهم بدور محوري ورئيسي في عملية الهدوء والاستقرار والأمن والأمان فيما بين القبائل في المنطقة الشرقية.

وعلى العموم هناك عدد من النتائج التي خرجت بها الدراسة يمكن اختصارها في النقاط التالية:

1- لا يمكن الحديث عن الأعراف ودورها في حل المنازعات القبلية بالمنطقة الشرقية بليبيا دون ربطها بالمشاكل التي تعانيها الدولة والمؤسسة القضائية، وبالذات في السنوات الأخيرة من سنة 2011 وحتى الآن، من عدم تفعيل وتهميش دورها في المجتمع الليبي مما أضعف ثقة المتقاضيين في اللجوء إليه، لهذا أصبح التوجه إلى الأعراف لحل النزاعات بين أبناء القبائل مطلباً ملحاً وممكناً لحل تلك النزاعات والخلافات.

2- أصبحت الأعراف الاجتماعية وتطبيقها في حل النزاعات القبلية بين القبائل الليبية بالمنطقة الشرقية تدخل في نطاق الحركة العامة للتطور السياسي والاجتماعي، وبذلك فهي بدأت تشكل مظهرا من مظاهر تنظيم الحياة الاجتماعية فيما بينهم، وتوفر دعماً ضرورياً للثقة التي يتوجب أن تسود فيها العلاقات الاجتماعية السليمة فيما بينها من جهة، وفيما بينهم وبين مؤسسات الدولة من جهة أخرى.

3- رغم ما تحققه الأعراف الاجتماعية من حلول جذرية للنزاعات والخلافات بين القبائل، من ربح للوقت وسرعة في إنهاء النزاعات والتقليل من التكاليف واختصار للجهد وتخفيف العبء على أصحاب الموضوع، فإنه يحقق ما هو أسمى من ذلك وهو استمرار الروابط ، وتوطيد العلاقات الإنسانية والتسامح بين أبناء القبائل، الأمر الذي لا يحصل في الكثير من الأحيان في حالة اللجوء للتقاضي إلى نهايتها وانتصار المحكمة لأحد الخصوم أو إدانة أحد الأطراف، إذ غالبا ما تخلق هذه الأحكام أضراراً تمس مصالح أحد الطرفين المتنازعين، كما أنها قد لا تأخذ بعين الاعتبار مصالحهما الكاملة، بل أن بعض الأحكام قد تسبب مشاكل لا تنتهي في نفسية الطرف الخاسر أو المدان للدعاوى، إلا أن استخدام الأساليب العرفية للتقاضي لحل النزاعات تظل موثقة وموقع عليها ومضمونة برعاية وسطاء من مشايخ القبائل ووجهائها، ومن يخالف يتعرض للعقوبة والاحتقار والمقاطعة.

4-يعتمد نجاح الأعراف في المقام الأول لحلها للنزاعات التي تحدث بين القبائل

على الوسطاء من مشايخ القبائل والوجهاء وأصحاب المراكز المرموقة بالمنطقة، وما تتمتع به من سمعة وصيت وكفاءة وحيادية، فهم في نهاية المطاف من يساهمون في تعزيز السلم الاجتماعي وتحقيق النماء والتقدم والرخاء بين أبناء القبائل.

الهوامش:

1- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت: مكتبة لبنان، 1978، ص94.

2- محمد إبراهيم الوالي، أصول القانون الوصفي الجزائري، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص93.

3- المسار أو الميعاد، وهو المجلس العرفي، عبارة عن اجتماع قبلي حاشد يتم فيه نقاش المشكل، ومن ثم النطق بالحكم بعد مقايضة ومساومة بين القبائل الأخرى، ويصبح القرار ملزماً للجميع. للمزيد أنظر: فرج نجم، الجزيرة نت: . **http://www.aljazeera.net/programs/a-book-is-the-/best-companion/2006/1/16**

4- محمد مفتاح الفرك، "الأعراف الاجتماعية بين الواقع والطموح" بصحيفة الفجر الجديد، بتاريخ 23\4\2008.

5- فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د.ت)، ص92.

6- الرشيد محمد إبراهيم، "تداعيات الصراع والنزاعات القبلية على الأمن البشري والاقتصادي" متاح في: مركز العلاقات الدولية. **http://www.grcsudan.org/social-issues/630-2016-03-22-10-25-03**

7- صبري محمد خليل، القبيلة جذورها وخصائصها وآليات تجاوزها، صحيفة الراكوبة، الخرطوم، بتاريخ 2016 /6/23.

8- عبد الوهاب بن منظور، تقديم محمد زلماضي، متاح في: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت).

9- الصادق محمد حسن، العادات والتقاليد وأثرها على المجتمع الليبي، دراسة غير منشورة، ص16.

10- مقابلة آجراها الباحثان مع الأستاذ الحقوقي ناصر الحسيني الهواري ،بتاريخ 2016/4/16، بمدينة بنغازي.

11- عطية مخزوم، دور الهجرات الليبية إلى مصر في بلورة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين البلدين، أعمال الندوة العلمية الثامنة التي عقدت بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، في الفترة من 26-2000/9/27، طرابلس، ص 88.

12- محمود محمد الفري، قبائل برقة، متاح في: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت).

13- سعيد علي حامد، تاريخ ومعالم الحضارة والعمران في ليبيا، في: معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، إعداد وتأليف مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2008، ص 164.

14- المرجع نفسه، ص164.

15- المرجع نفسه، ص166.

16- المرجع نفسه، ص169.

17- مقابلة آجراها الباحثان مع المهندس مفتاح العوامي، بتاريخ 2016/5/1، بمدينة رأس لانوف.

18- مقابلة آجراها الباحثان مع ناصر الهواري، مصدر سابق.

19- المصدر نفسه.

20- لقد عرف المجتمع الليبي الوساطة، والصلح كممارسة اجتماعية مستمدة من الدين الإسلامي قبل وأثناء الاستعمار الإيطالي، وبعد الاستقلال في التنظيمات القبلية التي عرفتها مناطق ليبيا لحل النزاعات التي تقوم بين أفراد القبيلة الواحدة، أو بين القبيلة وقبيلة أخرى ، وهذا للحفاظ على الروابط الاجتماعية داخل القبيلة وبين القبائل فيما بينها.

21- مقابلة أجراها الأستاذ ناصر الهواري، مع الشيخ أهليل على شيخ قبيلة غيث، بتاريخ 2013/6/20.

22- مقابلة أجراها الباحث أحمد علي دعباج مع المحامي محمد علي حسن، بتاريخ 2016/4/7، بمدينة طرابلس.

الملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الموضوع حمد صلح

أنا سالم سيلاد سعد والكامل بتعبئة الفورم الخاص بالبطاقة الشخصية رقم ٥٥١٠٤٠١ أقر واعترف وأنا كامل العقل والإدراك، وتطبيقاً لقوله تعالى عفا الله عما سلف فأجرة الله، كلية فأنا متنازل عن موضوع الحادث الذي حصل لابن أحمد سالم سعد مع الدفع على طليقم والكامل للبطاقة الشخصية رقم ١٥١٠٤٠١ والذي كانت نتيجته سليمة ولله الحمد، هذا وأنا أقر بتنازلي عن حقوقي عما شابه هذا الحادث، كما أنه أسأل الله هذا الأمر أمام الله وأمام القانون.

والسلام

توقيعات الشهود

(١) صالح محمد الحواز

(٢) عمر الحياك عمر رقم البطاقة الشخصية ٥٥٠٠٤٠٠

(٣) علي حسين الزهراني رقم البطاقة الشخصية ١٠٠٤٠٠

(٤) سالم مفتاح الحوامد رقم البطاقة الشخصية ١٢٨٩٢

توقيع (٤) سالم سيلاد سعد

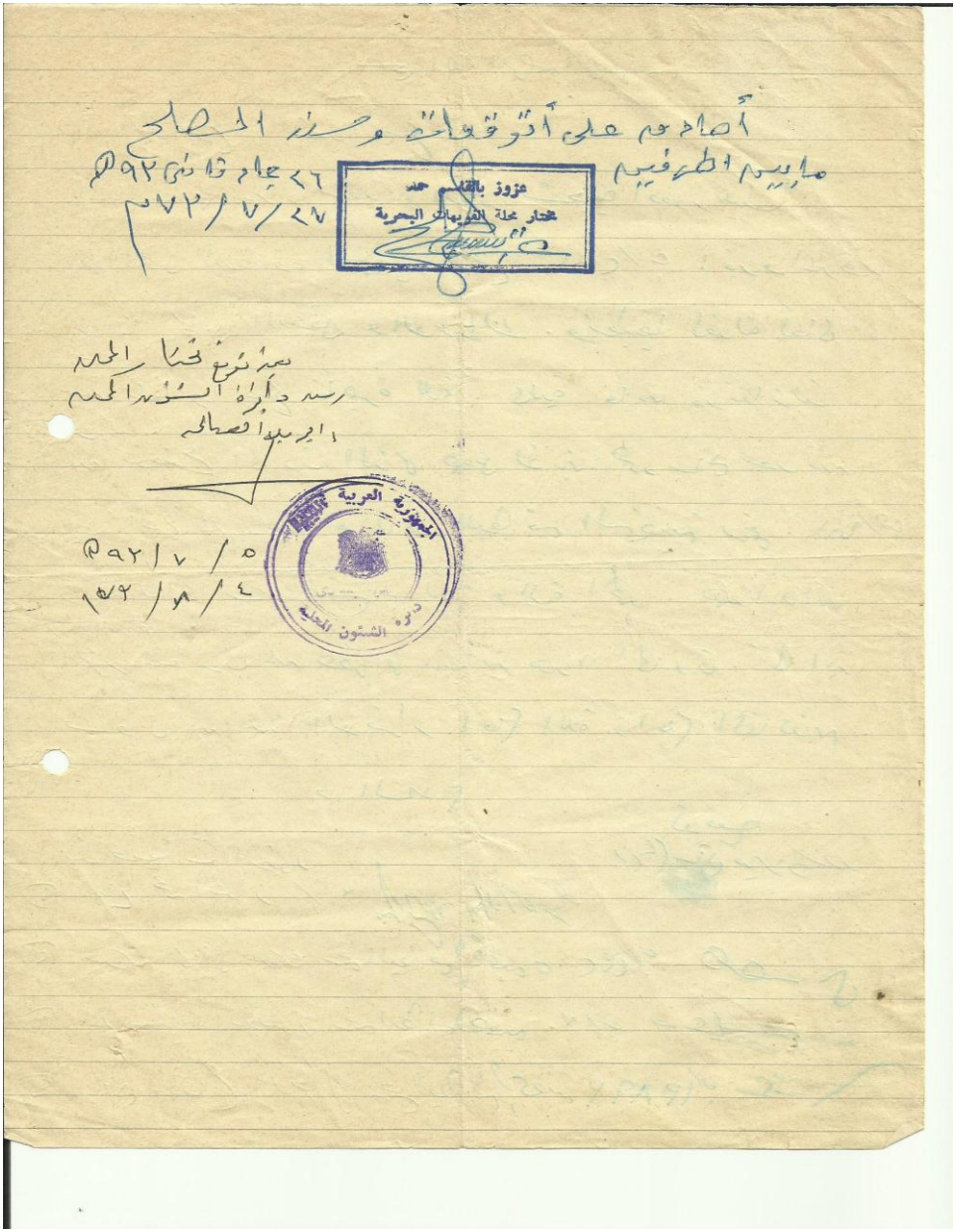

نموذج (1) لوثائق مصالحات بين القبائل الليبية بالمنطقة الشرقية

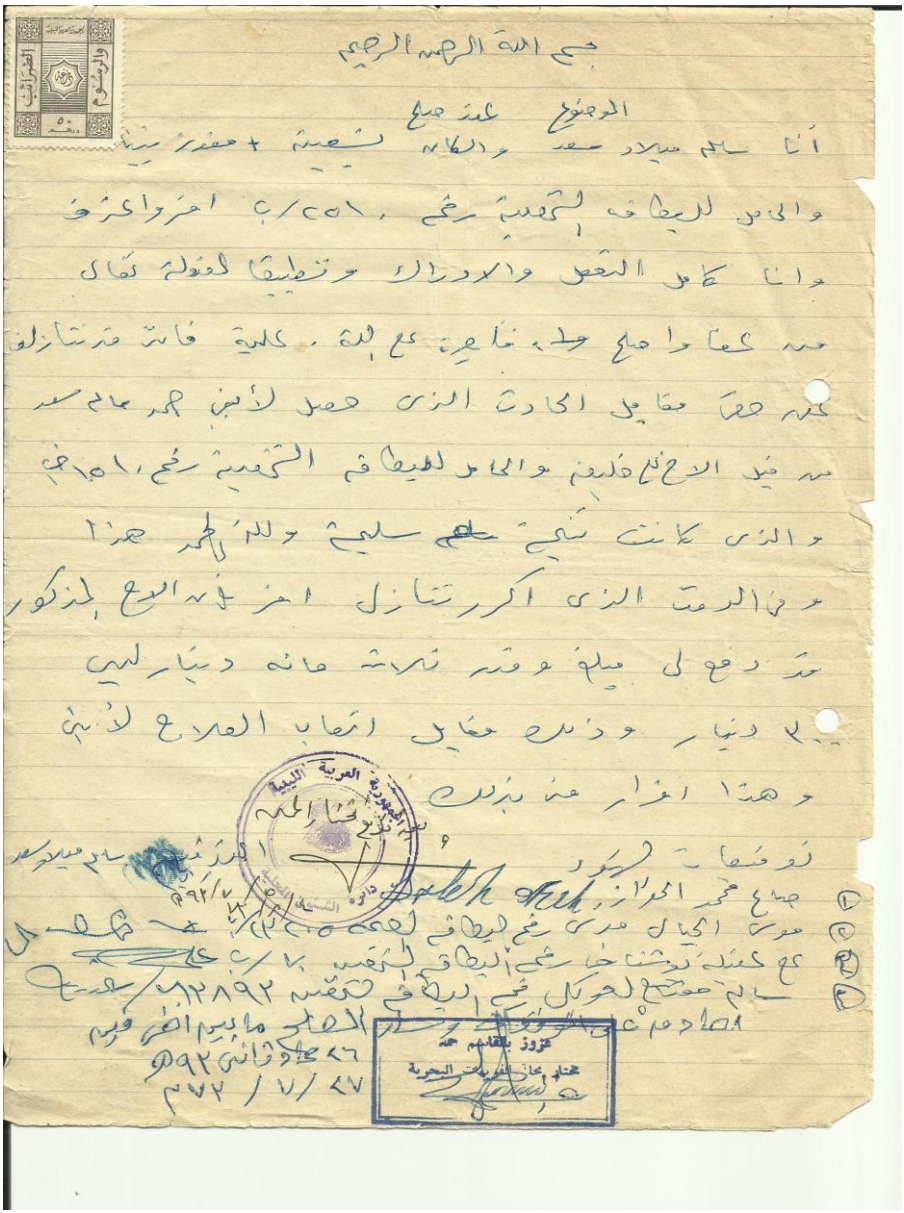

نموذج (2) لوثائق مصالحات بين القبائل الليبية بالمنطقة الشرقية

A Descriptive Analytical Study of the Use of Dictionaries by Fourth-year Students of English at El-Mergib University

Dr. Mohammed Juma Zagood

Mr. Salahedeen Aboshaina

Abstract

The dictionary use is a helpful means for students of a second/foreign language and students of translation alike but they have to be used properly. This paper sheds light on the use of dictionaries by the fourth-year students at the Department of English in El-Mergib University when translating from English into Arabic. It starts with introducing the different types of dictionaries and showing their functions. Then, it presents a translation test to see how students use dictionaries while translating and to identify the problems they face in this respect. Finally, it summarizes the findings of the test which show that the fourth-year students at the Department of English encounter some difficulties in using dictionaries when translating from English into Arabic. These difficulties include opting for the first meaning in a dictionary, difficulties in checking up the meanings of the non-literal semantic features, and the over-dependence on bilingual dictionaries.

Key words: dictionary use, translation, monolingual, bilingual, model translation.

Introduction

A dictionary is an important tool for students who learn a new language. It helps them check the meaning of general words and technical terms, as well as, increase their vocabularies. For this to happen, dictionaries should be used properly. "A dictionary is normally a book that contains a list of words in alphabetical order with their meanings in the same or another language", (Gaber, 2005: 21). Hartman (2001: 13) defines dictionary as a reference book containing an alphabetical list of words with information given for each word usually including meanings,

pronunciation and etymology. Actually, there are different types of dictionaries that help students to get the intended meaning. Each of which has its own function.

Some dictionaries (monolingual and learner's dictionaries) contain definition and examples that make the meanings clearer than others (bilingual dictionaries). Monolingual and learner's dictionaries also contain the grammatical structures and the usages of the entries that assist the learners understand their meaning clearly. This means that dictionaries are indispensible and always needed in the field of translation. In the process of translation, translators always face technical and idiomatic terms that need dictionary skills to translate appropriately. According to Cambridge Advanced learner Dictionary (2009), skills are indicated as the following:

- Finding words quickly.

- Finding the right meaning of an English word.

- Finding the right spelling.

Generally speaking, dictionaries are a helpful tool for students especially, when they look for the intended meaning of technical terms in dictionaries. This study attempts to examine the use the dictionaries by the fourth-year students of English at El-Mergib University in Al-Khoms-Libya.

The idea of writing this paper came from the fact that we noticed that fourth-year students at the English Department misuse dictionaries when translating from English into Arabic. These difficulties maybe attributed to some factors such as the unfamiliarity with the dictionary use techniques and unfamiliarity with English cultural expressions. Therefore, this study is an attempt to identify the obstacles that fourth-year students face when using dictionary when translating from English into Arabic. Accordingly, the researchers used two tools for the data collection, namely: translation test and direct observation.

The Types of Dictionaries and Their Uses

Scholars, specialized in translation and language teaching, have been always stressing on the right use of dictionaries and arguing over the

types of dictionaries that can be best for translators and language learners. Accordingly, dictionaries are of several kinds: monolingual, bilingual, and bilingualised dictionaries. Monolingual dictionaries have the headword, definitions, examples and other information in the target language. Bilingual dictionaries, on the other hand, provide the meaning of a word in another language (e.g. the learner's native language). While bilingualized dictionaries offer both of the above mentioned options, i.e. the meaning of the word in the same language (the target language) as well as the translation of that word in the learner's native language (Nation, 2001). It is worth mentioning here that "there are also differences within these categories. For instance, monolingual dictionaries may be directed to beginner, intermediate or advanced learners of the language, or to native speakers. In all the categories, there are also specialized dictionaries that include vocabulary from a specific field, such as medicine or information technology."(Ibed)

Studies on dictionary use have criticized the emphasis on using one type of dictionaries concluding that each type of dictionaries has positive and negative impacts. They argue that "both mono- and bilingual dictionaries are needed in foreign language learning (and translation). While bilingual dictionaries may be the best for beginners, and perhaps for intermediate-level learners as well, the monolingual ones usually provide more detailed information needed at the advanced level. When translating from the mother tongue to the target language, bilingual dictionaries often continue to be the preferred option regardless of the learner's level." (Pousi, 2010: 6).

Data Collection and Analysis

This section is dedicated to the approaches used in data collection and analysis focusing on the research methodology, the participants and their background and quantitative and qualitative analysis.

Research Methodology

This study is conducted in El-Mergib University, Alkhoms, Libya to examine the use of dictionaries by the fourth-year students of English at the English Department. To collect data for this study, a translation test was designed to test fifteen students in their use of dictionaries. The test consists of ten English sentences to be translated into Arabic. These sentences have been chosen from a book entitled 'Translation as problems and solution' by Hasan Ghazalla (1995). The sentences are given to fifteen students to translate them from English into Arabic, and they were

recommended to use dictionaries from their own choice and according to their preference. The students were selected randomly from a total population of sixty students studying at the fourth-year. While conducting the translation test, students were observed to see which types of dictionaries they used when looking up the meanings of new/unfamiliar words.

Both quantitative and qualitative approaches are used to analyze the data collected. The following is a presentation of the data analysis:

Quantitative Data Analysis

In the quantitative data analysis, students' translations were compared to a modal translation taken from Ghazalla (1995) to decide whether the translation is acceptable or not. Table one below shows the sentences used in the test, their modal translations, and the acceptable translation due to the appropriate use of dictionaries and their percentages, the unacceptable translations due to the inappropriate use of dictionaries and their percentages.

Table one: The sentences used in the tests and their modal translations:

No.	ST	TT Modal Translation	Appr. Use of Dic.	%	Inappr. Use of Dic.	%
1	Nobody spoke against the suggestions	لا أحد يعارض الاقتراحات	8	**53**	7	47
2	Mary always likes to get in on preparing food	تحب ماري دائماً أن تشارك في تحضير الطعام	5	33	10	67
3	The bribed clerk was given the sack yesterday	طُرد الموظف المرتشي من العمل أمس	7	47	8	53
4	I hear wheeling without milling	أسمع جعجعة ولا أرى طحناً	9	59	6	41
5	As he had been caught red-handed, he was sentenced to death.	نظراً لأن حكم عليه متلبساً, حكم على المجرم بالإعدام	6	41	9	59
6	My friend follows a backward diet, fatness diet he eats everything.	يتبع صديقي نظام غذائي معكوس، وهو رجيم السمنة، إنه لايوفر شئ.	3	20	12	80
7	Children are particularly, vulnerable to radiation penetration.	الأطفال بالتحديد عُرضة للاختراق الإشعاعي.	4	26	11	74
8	Mohamed prefers simple, homely, tasty food	يفضل محمد الطعام البسيط المألوف اللذيذ.	3	20	12	80

9	The soldiers stood to their guns in the battle.	صمد الجنود في المعركة	2	20	13	80
10	The crowd broke when the match had ended	انفض الجمهور عند انتهاء المبارة.	5	33	10	67

In addition, students used different types of dictionaries while translating the sentences given to them. Table two below shows the types of dictionaries used and their percentages:

Types of dictionary	No. of Students	%
Bilingual dictionary	10	67
Monolingual dictionary	3	20
Specialized dictionary	1	6.5
Electronic dictionary	1	6.5

Qualitative Data Analysis

In the qualitative data analysis, students' translations are explained and analyzed to identify the reasons of their mistranslations due to different factors. As we will see later, the main reason was the misuse of dictionaries. The following is a presentation of the main problems illustrated by examples from the students' translations:

1. **Misuse of Dictionaries:** it is clear that some students misused the dictionaries in their translations. They opted for the first meaning provided in the dictionary without paying attention to the rest of the meanings though they might be the appropriate ones in conveying the meaning. For example,

Sentence 2, Mary always likes to get in on preparing food, was

mistranslated into

ماري تحب دائماً أن تدخل في تحضير الطعام

Sentence 3, The bribed clerk was given the sack yesterday, was mistranslated into

الكاتب المرتشي طُرد أمس

Sentence 5, As he had been caught red-handed, he was sentenced to death, was mistranslated into

بينما كان يمسك هو محكوم بالموت

المحكوم عليه حكم عليه بالإعدام

المقبوض محكوم عليه بالموت

Sentence 6, My friend follows a backward diet, fatness diet he eats everything, was mistranslated into

صديقي اتبع رجيم متخلف نظام غدائي السمنة هو يأكل كل شئ

يتبع صديقي حمية غذائية مخالفة كل مايأكله هو غداء دسم

وصديقي يتبع نظام غدائي لتخفيف الوزن إلي الأمام وإلي الوراء هو يأكل كل شئ

Sentence 10, The crowd broke when the match had ended, was mistranslated into

الجمهور إنكسر عندما انتهت المبارة

انهار الجمهور عندما إكتملت المبارة

توقف الإزدحام عقب المبارة

2. **Lack of Target Language Competence**: some students' mistranslations are attributed to the incompetence in their target language. This makes them produce ungrammatical structures and

meaningless sentences due to their misunderstanding of the source sentences. For example

Sentence 1, Nobody spoke against the suggestions, was ill-structured and mistranslated into

لاشخص ضد الكلام اقتراحات

لا أحد يتكلم ضد القرارات

Sentence 7, Children are particularly, vulnerable to radiation penetration, was ill-structured and mistranslated into

بصورة خاصة الأطفال عند عرضهم للشعاع

الأطفال تحديداً معرضون لاختراق شعاعي

الطفل يكون خصوصاً عرضة الشعاع الاختراقية

Sentence 8, Mohamed prefers simple, homely, tasty food, was ill-structured and mistranslated into

يفضل محمد مذاق مكان الأطعمة بسيط

يفضل محمد طعام لذيد المذاق ومنزلي وطبيعي

يفضل محمد بسيط ،غير جذاب يستطعم الطعام

3. **The Overuse of Literal Translation:** some students' mistranslations were attributed to the overuse of literal translation as in

Sentence 4, I hear wheeling without milling, was mistranslated into

أن تسمع لعجلة من غير طاحنة

أسمع عجلة بدون طاحونة

From the above mentioned examples, it is clear that students under investigation suffer from some problems in the use of dictionaries in addition to some other problems including the incompetence in the target

language and adopting literal translation where it should be avoided. However, it should be noted that the misuse of dictionary represents the highest ratio among all other problems mentioned earlier.

Conclusion and Recommendation

Having considered and analyzed this study carefully, the researchers found out that the fourth-year students at the Department of English at El-Mergib University encounter some difficulties in using dictionaries when they translate from English into Arabic. These difficulties, as shown earlier, led to mistranslation problems. The difficulties faced by students in using dictionaries (and some other problems) are summarized as follows:

1. Most students opt for the first equivalent in dictionary.
2. Most students do not know what word and which dictionary to look up the collocations, idioms, and compound words.
3. Most students rely on bilingual dictionaries while looking up new words ignoring monolingual ones.
4. Most students are unfamiliar with dictionary use skills.
5. Most students are not aware of the different grammatical structure between both languages so that they cannot, for example, look up a meaning of a verb from a noun entry.
6. Most students follow a traditional way of translation (word for word) while translating non-literal semantic features such as idioms.
7. They lack linguistic competence.
8. Most students produce incoherent sentences and sometimes illogical ideas.

Recommendations

Having obtained findings from the study, the researchers suggest

the following recommendations:

1. Because students opt for the first equivalent in dictionary, they should be encouraged to take their time to check through all the meanings of the word and then try to find the one which makes the most sense in the contextual meaning.

2. Students should be familiarized with the different types of dictionaries so that can use the most appropriate ones when translating. Dictionaries are a helpful tool in the learning process, and help much in selecting the suitable equivalent.

3. Since monolingual and bilingual dictionaries complement each other, students should not rely just on bilingual dictionary alone. Each type of dictionaries has its own features that are different from the others. So students should be encouraged to use different types of dictionaries which help them improve their dictionary use skills.

4. Teachers should concentrate more on practicing dictionary use skills during their class activities, and they should help students improve their ability in finding the right meaning in dictionary.

5. Most students are not aware of the different grammatical structure between both languages. Therefore, they should be aware of the difference between English and Arabic linguistic systems including grammar, style, syntactic structures, etc.

6. Students should be aware of the different translation techniques and how to use them. This helps them translate the technical texts easily, and select the suitable technique in the suitable time.

Bibliography

Cambridge Advanced Learner's Dictionary, 3rd edition (2008). Cambridge: Cambridge University Press.

Gaber, J. (2005). *A Textbook of Translation: Concepts, Methods and Practice*. Al-Ain: UAE University Book House.

Ghazalla, H. (1995) *Translation as Problems and Solutions* Elga publication. Valetta.

Hartman, R. R. K. (2001). *Teaching and Researching Lexicography*. England: Pearson Education

Limited.

Hornby, A.S (2005). *Oxford Advanced Learner's Dictionary*. Oxford: Oxford University Press.

Nation, I. S.P. (2001). *Learning Vocabulary in Another Language.* Cambridge: Cambridge University Press.

Newmark, P. (1991) *About Translation: Multilingual Matters*. Ltd: Clevedon, Philadelphia, Adelaide.

Nida, E and Taber C. R. (1969). *The Theory and Practice of Translation*. Leiden: Brill.

Pousi, A. (2010). *Training in Dictionary Use: A Teaching Intervention in a 9th Grade EFL Classroom in Finland.* Unpublished BA Dissertation. University of Jyvskyla.